عنوان الكتاب:

تخجيل من حرف التوراة والإنجيل

تأليف:

صالح بن الحسين الجعفري الهاشمي

دراسة وتحقيق:

محمود عبد الرحمن قدح

الناشر:

مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية

الأولى، 1419هـ/1998م

عدد المجلدات:

[2]

المُقَدِّمة

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأنّ محمّداً عبده ورسوله1، وخاتم أنبيائه ورسله، وأنّ موسى كليم الله ورسوله، وأنّ عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حقّ والنار حقّ2.

أما بعد:

فإنّ القرآن الكريم - بجانب دعوته إلى التوحيد وبيان حقائق الإسلام وشريعته - قد عرض مقولات الأديان وآراء الملل والنحل المختلفة التي كانت منتشرة وقت التنزيل. قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا والَّذِينَ هَادُوا والصَّابِئِينَ والنَّصَارَى والمَجُوسَ والَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللهَ يَفْصُلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيْدٌ}. [سورة الحجّ، الآية: 17].

وقال تعالى: {وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ}. [سورة الجاثية، الآية: 24].

وقد ناقش القرآن الكريم الأديان المنحرفة والعقائد الباطلة، وبرهن على بطلانها وفسادها، ودحض كلّ فرية وردّ كلّ مزعم، وأبان عن الدّين الصحيح الذي هو دين الأنبياء جميعاً، وأمر النّبيّ صلى الله عليه وسلم والمسلمين بتبليغ الدعوة الإسلامية

المجلد الأول

5 | 10

==

ومجادلة الخصوم. فقال الله عزوجل: {ادْعُ إِلَى سَبِيْلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلُوهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...}. [سورة النحل، الآية: 125].

لذلك كانت حياته صلى الله عليه وسلم جهاداً في سبيل الدعوة الإسلامية بالحجّة والبرهان في مجادلة الكفار على اختلاف الملل والأديان، ثم بالسيف والسنان بعد ظهور الحجّة والبرهان، وكذلك كان أصحابه - رضي الله عنهم - من بعده صلى الله عليه وسلم، فقد كان بعض الصحابة على اطّلاع واسع وعميق على الأديان، وبخاصة اليهودية والنصرانية، كعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمرو بن العاص، ومسلمة أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام وتميم الداري وسلمان الفارسي وغيرهم - رضي الله عنهم -.

وكذلك كان بعض التابعين وأتباعهم كمالك1 بن دينار، وكعب الأحبار، ووهب بن منبة، وعبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، وغيرهم - رضي الله عنهم - 2.

وحينما نشطت حركة التأليف والكتابة عند العلماء المسلمين، أفردوا العلم الأديان كتباً ومؤلّفاتٍ خاصة به، ومن ذلك:

الإمام محمّد بن إدريس الشافعي (توفي سنة 204هـ) له كتاب في

____

1 توفي سنة 131هـ، وكان يقول: قرأت الزبور، ويقول: مكتوب في التوراة:... ثم يسوق مقتبسات توراتية وزبورية. (ر: حلية الأولياء 2/376، 377، لأبي نعيم).

2 ر: روايات الصحابة والتابعين وتابعيهم عن اليهود والنصارى في كتب التفاسير والتواريخ كتفسير ابن جرير الطبري وتاريخه.

(تصحيح النّبوّة والرّدّ على البراهمة)1، وآخر في (الردّ على أهل الأهواء)2.

عليّ بن ربن الطبري - كان نصرانياً فأسلم - (توفي سنة 247هـ) له (الرّدّ على أصناف النصارى)3 و(الدين والدولة في إثبات بنوة النبي صلى الله عليه وسلم)4.

والإمام أبو الحسن الأشعري عليّ بن إسماعيل (توفي سنة 344هـ) له كتاب في مذاهب النصارى، وآخر في الكلام على النصارى5. والعلاّمة ابن حزم الظاهري (توفي سنة 456هـ) له (الفصل في الملل والأهواء والنحل).

ومحمّد بن عبد الكريم الشهرستاني (توفي سنة 548هـ) له (الملل والنحل).

والمفسر محمّد بن عمر الرازي (توفي سنة 606هـ) له (اعتقادات فرق المسلمين والمشركين).

والإمام ابن تيمية (توفي 728هـ) له (الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح)، وغيرهم من العلماء الكثيرين الذين أسهموا في هذه السلسلة المباركة في علم الأديان التي استمرت إلى يومنا هذا.

ولقد كانت جهود هؤلاء العلماء بتأثير مباشر من القرآن الكريم الذي وضع أسس علم الأديان، فكان لعلمائنا بذلك فضل السبق في تدوين هذا العلم مستقلاً

____

1 يدلّ ذلك على أنّ البراهمة ينكرون النبوة والرسالة كما هو معروف عند معظم الأديان، وقد أفادني فضيلة المشرف بأن البراهمة لا ينكرون النبوة والرسالة وإنما حرفوها إلى عقيدة (الأفتار) وهي نزول الربّ إلى الأرض في صورة البشر لتبليغ الشريعة. (ر: فصول في أديان الهند ص 107، تأليف أ. د/ محمّد ضياء الرحمن الأعظمي).

2 ذكر ذلك عبد القاهر البغدادي في أصول الدين ص 308.

3 نشرة الأبوان خليفة وكوتشك في بيروت سنة 1959م، بدون تحقيق.

4 حققه ونشره الأستاذ عادل نويهض.

5 ذكره ابن عساكر في تبيين كذب المفتري، ص 129، 130، 135.

مستقلاً عن العلوم الأخرى، وفي وضع المنهج السليم له بالاعتماد على المصادر الأصلية لكلّ ديانةٍ بعيداً عن الأساطير والشائعات، وفي النقد البنّاء الهادف لإظهار الحقّ وإزهاق الباطل.

ومن هؤلاء العلماء الذين أسهموا بحظٍّ وافرٍ في هذا العلم القاضي الفقيه أبو البقاء صالح بن الحسين الجعفري الهاشمي المتوفى سنة 668هـ، الذي يعتبر من المتخصصين في هذا العلم، وذلك بحسب ما

وقفت على ترجمته وبعض آثاره العلمية وهي: كتاب () و(البيان الواضح المشهود من فضائح النصارى واليهود) و(الرّد على النصارى).

لذلك كان اختياري دارسة وتحقيق كتابه () ليكون موضوع رسالتي المقدَّمة لنيل الشهادة العالمية العالية (درجة الدّكتوراه)، نظراً لأهمية الكتاب في موضوعه الذي يتضمن الرّدّ على اليهود والنصارى، ولأنّه بمثابة الأصل لكتابيه الآخرين، ولاشتماله على الكثير من الأحاديث النبوية الشريفة، ولعدّة مميّزات أخرى سنتبيّنها - إن شاء الله تعالى - من خلال دراسته. إضافة على ما سبق فإن اختياري لهذا الموضوع له أسباب عديدة من أهمّها:

1- العمل بقوله تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}، وتطبيق المنهج القرآني في المبادرة بالهجوم على العقائد الباطلة والمفاهيم الخاطئة بهتك أستارها وبيان فسادها وتناقضها، وذلك من أنواع الجهاد الذي قال عنه النّبيّ صلى الله عليه وسلم: "جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم"1.

____

1 رواه أنس بن مالك رضي الله عنه وأخرجه الإمام أحمد (3/100)، وأبو داود (3/10)، والنسائي (6/7)، والحاكم (2/81)، وصحّحه، ووافقه الذهبي.

2- إنّ في دراسة الأديان والفرق ومعرفة أسرارها فوائد عديدة منها:

أنّها تمكن الدَّاعية من النجاح في دعوته - بعد توفيق الله وعونه - حيث إن معرفة الداعية بدين المدعو يساعدهكثيراً في التأثير فيه وتخليصه من رواسب العقائد الباطلة، فيكون ذلك أدعى لقبول الحقّ.

ومنها: الوقوف على أسباب انحراف اليهود والنصارى وغيرهم، من باب معرفة الشرّ لتوقيه.

ومنها: زيادة الإيمان بديننا، والحمد الشكر لخالقنا عزوجل، فمن الظلام نعرف قيمة النور ومن الباطل نعرف قيمةالحق.

ومنها: أنّ بمعرفة حقيقة الأديان الباطلة يعرف بطلان ما يشبه أقوالهم من أقوال أهل الإلحاد والبدع.

3- إنّ في إبراز تراث علمائنا المسلمين في هذا العالم تأكيداً لأصالته وهويته الإسلامية واستمداده من الكتب والسنة، وتأكيداً لتأثير التراث الإسلامي في حركة النقد للتوراة والأناجيل المحرفة عند أحبار اليهود والنصارى ومفكِّريهم المتأخرين.

ولإعطاء هذا الموضوع حقّه من البحث - حسب جهدي المتواضع وعلمي القاصر - وجلباً للفائدة التي يتوخاها الباحث قسمت عملي في دراسة الكتاب وتحقيقه إلى قسمين كالآتي:

القسم الأوّل: دراسة المؤلّف وكتابه، ويشتمل على بابين هما:

الباب الأوّل: التعريف بالمؤلِّف، ويندرج تحته فصلان: (الأوّل: عصر المؤلِّف، والثاني: حياة المؤلّف).

الباب الثاني: التعريف بالكتاب وبيان منهج التحقيق، وتحته فصلان: (الأوّل: التعريف بالكتاب، والثـاني: التعريف بالمخطوطة وبيان منهج التحقيق).

القسم الثّاني: نص الكتاب المحقَّق، ويشتمل على عشرة أبواب.

ثم وضعت خاتمة ذكرت فيها أبرز الصعوبات الـتي واجهتهـا في البحث وأهمّ النتـائج والتوصـيات الـتي ارتأيتها، وقمت بوضع فهارس متنوعة للبحث ليسهل على القارئ الاستفادة منه.

وفي ختام هذه المقدِّمة فإني أحمـد اللـه عزوجـل وأشـكره كمـا ينبغي لجلال وجهـه وعظيم سـلطانه عزوجل على نعمه الظاهرة والباطنة، وأسأله العون على ذكره وشـكره وحسـن عبادتـه تبـارك وتعـالى. ثم أتوجه بالشكر والامتنان للوالدين الكريمين على حسن تربيتهما وتوجيههما، فجزاهما الله خير الجزاء وأجزل مثوبتهما في الدنيا والآخرة.

ثم أشكر كلّ من أعانني في إتمام هذا البحث وإخراجه، وأخصّ بالذكر أستاذي فضيلة الأستاذ الـدكتور محمّد ضياء الرحمن الأعظمي الذي أشرف على هذا البحث فأفادني من علمـه وأخلاقـه فجـزاه اللـه عـني خير الجزاء في الدنيا والآخرة.

كما أسجل عظيم شكري وامتناني للجامعة الإسلاميّة بالمدينة المنـوّرة الـتي نشـأت في رعايتهـا منـذ المرحلة الثانوية، حفظها الله وأدامها لخدمة الإسلام والمسلمين وسدد خطى القـائمين عليهـا والمسـؤولين فيها.

وآخر دعوانا أنِ الحمد لله ربّ العالمين، والصـلاة والسـلام على خـاتم الأنبيـاء والمرسـلين وعلى آلـه وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدّين.

المحقِّق: محمود بن عبد الرحمن قدح

المجلد الأول

10 | 10

==

الفصل الأول: عصر المؤلف

الفصل الأوّل: عصر المؤلِّف

إنّ العصر الذي يعيشه الإنسان له دور بارز في حياته وتكوين شخصيته لذلك كـان على البـاحث الـذي يدرس شخصية من الشّخصيات أو أثراً من آثارها أن يكتب - ولو على وجه الإيجاز - عن النواحي السياسـية والعلمية والاجتماعية السائدة في ذلك العصر، ليقف على مدى تأثير وتأثر تلك الشخصية بأحداث عصرها.

وقد عاش المؤلِّف القاضي الإمام صالح بن الحسين الجعفري في الفترة ما بين نهاية القرن السـادس ومنتصف القرن السابع الهجريين.

الحالة السياسية:

كان القرن السادس ومنتصف القرن السابع الهجري من فترات العصر العباسي الثـاني الـذي ضـعفت فيـه الخلافـة العباسـية وتفككت إلى دويلات صـغيرة، وظهـرت ممالـك مسـتقلة عنهـا، ولم يكن للخليفـة العباسي إلاّ السلطة الاسمية على بغداد وما جاورها. أما السلطة الفعليـة فكـان للسـلاجقة في بلاد فـارس والمشرق وما رواء النهر، وللغزنويّين في بلاد الهند وخراسان، وللفاطميّين في مصر حتّى سنة 567هـ، ثم

انتقلت إلى الأيــوبيّين الــذين بســطوا ســلطانهم إلى بلاد الشــام، والموحــدّين في الأنــدلس والمغــرب، والصليحيّين في

اليمن1.

وكانت الصـورة العامـة في ذلـك العصـر اضـطراب الأمن وعـدم الاسـتقرار وانتشـار الفتن والثـورات والقلاقل وكثرة الحروب الداخلية بين الأمراء والملوك المتنازعين على السلطة والطـامعين فيهـا، ممـا أدّى إلى ضعف قوّة المسلمين في مواجهة الحروب الخارجية ومن أبرزها الحروب الصـليبية الـتي كـانت تشـنها دول أروبا على العـالم الإسـلامي، والغـزو المغـولي التـتري الـذي أدّى إلى القضـاء على الخلافـة العباسـية وتدمير عاصمتها بغداد سنة 656هـ.

ولم يكن الحال مختلفاً عن ذلك في مصر، حيث عـاش المؤلِّف بدايـة حياتـه في كنـف الدولـة الأيوبيـة الفتية التي أسسها الملك الناصر صلاح الدين الأيـوبي سـنة 569هــ، وورثهـا من بعـده أبنـاؤه إلى أن انتهت الدولة الأيوبية وأفل نجمها سنة 648هـ، وكان عمر المؤلِّف حينئذٍ (57)، عاماً، ثم عاش بعد ذلك بقية عمره في ظلّ دولة المماليك البحرية2.

أما السلاطين والملوك الذين عاصرهم المؤلِّف فهم:

1- السلطان الملك الناصر صلاح الدّين الأيوبي ت سنة: 589هـ.

2- السلطان الملك العزيز عثمان بن السلطان صلاح الدين ت سنة: 595هـ

3- السلطان الملك المنصور محمّد بن السلطان الملك العزيز عثمان، وقد خلعـه الملـك العـادل سـنة 596هـ

4- السلطان الملك العادل أبو بكر بن أيوب، أخو السلطان صلاح الدين ت 615هـ.

5- السلطان الملك الكامل محمّد بن العادل الصغير أبو بكر ت 635هـ.

---

1 ر: الدولة العباسية ص 430، محمود الخضري، تاريخ الإسلام 631/ 4_232، د. حسن إبراهيم.

2 هم الملوك الأراك.

6- السلطان الملك العادل الصغير أبو بكر بن الكامل محمّد، وقد خلعه الأمراء سنة 637هـ

7- السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمّد ت 647هـ.

8- السلطان الملك المعظم توران شاه بن الملك الصالح نجم الدين أيوب، وقـد قتلـه المماليـك سـنة 648هـ وبموته انتهت الدولة الأيوبية من ديار مصر وانتقلت إلى دولة المماليك الأتراك.

9- وتولت السلطنة من بعده الملكة شجرة الدر زوجة الملك الصالح نجم الدين أيوب وتزوجت الأمـير عزّ الدين أيبك التركاني ونزلت له عن السلطنة وكانت مدة سلطنتها ثمانين يوماً.

10- السلطان الملك المعزّ أيبك التركاني ت سنة: 655هـ.

11- السلطان الملك المنصور نور الدين عليّ بن الملـك المعـزّ أيبـك، تـولى السـلطنة وعمـره خمس عشرة سنة، وقيل: عشر، وقد خلعه الأمير سيف الدولة قطز سنة 657هـ.

12- السلطان الملـك المظفـر سـيف الـدين قطـز المعـزي، وقـد قتلـه الأمـير بيـبرس سـنة 658هــ، واستولى على الحكم.

13- السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقداري العلائي ت سنـة: 676هـ بدمشق1 وفي عهـده تـوفي المؤلِّف - رحمه الله - سنة 668هـ.

ويلاحظ من خلال هذا العرض السريع كثرة من تولوا حكم مصر في هذه الفـترة، ويرجـع ذلـك إلى أن منهم من قتل أو خلـع من الحكم، إمـا لسـوء تـدبيره في الحكم، أو سـوء سـيرته، أو لطمـع الطـامعين في السلطة.

____

1 ر: الجـوهر الثمين في سـير الخلفـاء والملـوك والسـلاطين، ص 220-283، لابن دقمـاق، خطـط المقريزي 3/84-93.

==

وأما عن أبرز الأحداث التي حصلت في الفترة التي عاشها المؤلِّف فهي كالآتي:

أوّلاً:

- الجهاد الإسلامي الذي قاده ملوك الأيوبيّين ثم المماليـك ضـدّ غـزوات الفرنجـة (الأوربيّين) النصـارى على العالم الإسلامي ضمن سلسلة ما يسـمى بـالحروب الصـليبية الـتي بـدأت منـذ نهايـة القـرن الخـامس الهجري وانتهت عسكرياً1 في نهاية القرن السابع الهجـري، وقـد كـان الـدافع لهـذه الحـروب الصـليبية هـو الحقد النصراني على العـالم الإسـلامي ثم الطمـع والجشـع في غـزو ونهب ثـروات البلاد الإسـلامية واتّخـاذ دعوى نصرة النصرانية واسترجاع بيت المقدس ستاراً لذلك، ولقد خاض المسلمون في هذه الفترة معـارك ضارية ضدّ ثلاث حملات صليبية هي الحملة الخامسة والسادسة والسابعة.

- أما الحملة الصليبية الخامسة فقـد كـانت في سـنة 615هــ، وقـام الصـليبيّون2 بمهاجمـة ومحاصـرة مدينة دمياط بمصر، وكان سلطان الدولـة الأيوبيـة إذ ذاك الملـك العـادل أبـو بكـر الـذي مـات أثنـاء حصـار دمياط، فاضطربت أمور الدولة واسـتطاع الصـليبيّون احتلال دميـاط سـنة 616هــ، ثم الانطلاق منهـا لغـزو القاهرة، وكان الملك الكامل ابن الملك العـادل قـد تـولى السـلطنة بعـد وفـاة أبيـه، ونـادى بـالنفير العـام، واستنجد بأخويه الملك عيسى صاحب دمشق، والملك الأشرف صاحب حلب فحضرا بجيوشهما لخدمته، لما اجتمعوا ساروا إلى دمياط والتقوا مع الصليبيّين في المنصورة سنة 618هـ في معركـة فاصـلة كـان النصـر للمسلمين والهزيمة للكافرين واستسلامهم

---

1 أما فكرياً، فلا تزال الحروب الصليبية مستمرة إلى يومنا هذا متمثلة في الغزو الفكري الغربي وحملات التنصير والاستشراق بأسلحتها المتنوعة الإعلامية والفكرية والاقتصادية.

2 بقيادة ملك بيت المقدس (مملكة عكا النصرانية) حنابرين، وملك النمسا ليوبولد السادس، وملك المجر أندريه الثاني الذي رجع إلى بلاده قبل حصار دمياط.

==

وخروجهم من مصر صاغرين، وهكذا انتهت هذه الحملة بهزيمة منكرة وفشل ذريع1.

وأما الحملة الصليبيّة السادسة فقد كانت أيضاً في عهد الكامل ابن الملك العادل، وكان قائدها الإمبراطور الألماني فريدريك الثاني الذي وصل بأسطوله الحربي إلى عكا سنة 626هـ، وفاوض فريدريك الملك الكامل - الذي كان آنذاك بالشام لخلاف بينه وبين أخيه الملك عيسى صاحب دمشق - على أن يرد المسلمون إلى النصارى ما كان صلاح الدين قد استرجعه منهم، فوقعت المصالحة بين الإمبراطور فريدريك والملك الكامل على أن يردوا لهم بيت المقدس وحده دون الأماكن المقدسة الإسلامية وأن تبقى بقية البلاد بأيدي المسلمين2.

وعندما استولى الملك الصالح أيوب من الملك الكامل على السلطنة في مصر سنة 637هـ، كانت له عداوة مع بقية بني أيوب بالشام خاصة عمه الملك الصالح إسماعيل الذي تحالف مع الصّليبيّين وتنازل لهم عن بعض البقاع منها طبرية وصيدا لمساعدته في حربه ضدّ الملك الصالح أيوب فلم يكن أمام الملك الصالح أيوب (صاحب مصر) إلا الاستعانة بالقبائل الخوارزمية من وراء الفرات سنة 642هـ لمحاربة عسكر الشام المتحالف مع الفرنجة، وجرت معارك شديدة بين الفريقين انتصر فيها الملك الصالح أيوب على أعدائه جميعاً سنة 642هـ، وأعاد بيت المقدس إلى السيادة الإسلامية3.

---

1 ر: بدائع الزهور في وقائع الدهور 1/258-263، لأبي البركات محمّد بن أحمد بن إياس، الجوهر الثمين ص 235، وفيات الأعيان 4/172، لابن خلكان.

2 ر: الجوهر الثمين ص 235، البداية والنهاية 13/123، 124، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب ص 113-116، لمحمّد العروسي.

3 ر:النجوم الزاهرة6/321-324،لابن تغري بردي،البداية والنهاية13/164-165.

==

كان استرجاع بيت المقدس من النصارى سبباً في قيام الحملة الصليبية السابعة التي قادها ملك فرنسا لويس التاسع1 سنة 647هـ، ضدّ البلاد المصرية - التي كانت لها السيادة على الأماكن المقدسة -

وقامت أساطيله الحربية باحتلال مدينة دمياط، ولما وصلت الأخبار بذلك إلى الملك الصالح أيوب أمر بإشهار النداء في مصر والقاهرة بالنفير عاماً، وخرج الملك الصالح بجيشه لصدّ زحف الصليبيين المتّجهين نحو القاهرة وأثناء الحرب ونشوب المعارك توفي الملك الصالح إلاّ أنّ زوجته شجرة الدر أنقذت الموقف وأخفت موته إلاّ عن بعض خاصة القواد وقامت معهم بتدبير الأمور إلى حين وصول ولي العهد الملك توران شاه بن أيوب وتوليه السلطة سنة 648هـ، وقيادة الجيوش ضدّ الصليبيين في معركة فاصلة قاسية كنت الغلبة فيها للمسلمين والهزيمة المنكرة للصليبيين، وأسرّ فيها قائدهم الملك لويس التاسع الذي افتدى نفسه بمبلغ كبير وعاد إلى بلاده مدحوراً2، وبذلك انتهت هذه الحملة التي تعتبر آخر الحملات الصليبية على الشرق الإسلامي.

أما عن جهاد ملوك دولة المماليك، فإن الملك الظاهر بيبرس لما تولى السلطنة في مصر أخذ يهاجم الصليبيّن ويحرر منهم الحصون والمدن كقيسارية3، وأرسوف صفد4، ويافا والشقيف5، وأنطاكية وغيرها عنوة أو مصالحة، وما إن توفي الظاهر بيبرس سنة 676هـ، حتى انحصرت الإمارات الصليبية في منطقة

---

1 في الجوهر الثمين: إفرنسيس، وفي النجوم: ريدا فرنس.

2 ر: الجوهر الثمين ص 244-248، النجوم الزاهرة 6/362-368، البداية والنهاية 13/178، الحروب الصّليبيّة ص 117-122 للعروسي.

3 ر: الجوهر الثمين ص 277-292، لابن دقماق، الحروب الصّليبيّة ص 131، للعروسي.

4 مدينة بفلسطين بين يافا وحيفا. (ر: المنجد في الأعلام ص 560).

5 قلعة بمدينة صفد بفلسطين. (المرجع السّابق، ص: 427).

==

ساحلية صغيرة لا تعدو عكا وطرابلس1.

ثانياً:

ومن أبرز الأحداث المؤلمة في هذه الفترة الزمنية الغزو المغولي على العالم الإسلامي الذي قضى على الخلافة العباسية ودمر عاصمتها بغداد سنة 656هـ، واستولى المغول التتار على بلاد الشام وغيرها من بلاد المسلمين وعاثوا في الأرض قتلاً وحرقاً ودماراً وفساداً مما لا مثيل له في التاريخ، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلي العظيم.

ثالثاً:

حينما عزم التتار على غزو مصر بعد استيلائهم على الشام، اتّفق الأمراء المماليك على تولية الملك المظفر قطز سنة 657هـ، الذي أعد العدة لملاقاة التتار وأعلن النفير العام في القاهرة وسائر الأقاليم بالخروج إلى الجهاد ومقاتلة التتار الذين انهزموا شرّ هزيمة في معركة عين جالوت2 بيان3 سنة 658هـ4، وكانت نهاية الخرافة السائدة بأن المغول لا ينهزمون، وبداية تحرير البلاد الإسلامية منهم. ولله الحمد.

رابعاً:

إعادة الخلافة العباسية في مصر على يد الملك ظاهر بيبرس سنة 659هـ، بعد هدمها وانقطاعها في بغداد، وتولية المستنثر بالله أحمد بن الإمام الظاهر

---

1 قلعة بالقرب من قضاء النبطية بجنوب لبنان. (المرجع السّابق، ص: 37).

2 بليدة شرق دارين بين بيسان ونابلس من أعمال فلسطين. (ر: معجم البلدان / 76، ياقوت الحموي).

3 مدينة بالأردن بالغور الشمالي. (ر: معجم البلدان 3/60).

4 ر: الجوهر الثمين ص 264-269، السلوك 1/431، الخطط 2/238، للمقريزي النجوم الزاهرة 7/79-82.

==

بالله محمّد الخلافة العباسية ومبايعته بالقاهرة1.

تلك كانت أهمّ الأحداث وأبرزها في عصر المؤلِّف باختصار، ويهمنا الآن معرفة دور المؤلِّف فيها، وما مدى تأثيرها فيه؟

لم تذكر المصادر2 التي ترجمت للمؤلّف - رحمه الله - دوراً بارزاً له في تلك الأحداث، إلاّ أنّها ذكرت أنّ المؤلِّف صالح بن الحسين الجعفري كان قاضياً في مدينة قوص3 مدة وواليا عليها مدة أخرى، وقد استنجت من ذلك أنّ المؤلِّف كان له دور علمي أثناء الحروب الصليبية وغيرها - بحكم ما تولاه من الوظائف المهمّة في الدولة ومكانته الاجتماعية والعلمية والقيادية - في حثّ الناس على الجهاد والخروج لصدّ الغزاة وحماية الأعراض والبلاد، وترغيب الناس في الصدقة، وجمع الأموال لإعداد الجيوش، خاصة حينما أعلن الملك الكامل والملك الصالح والملك المظفر قطز النفير العام في مصر.

وبجانب جهاد المؤلِّف بالسيف والسنان كان له أيضاً جهاد القلم واللسان والحجّة والبرهان ضدّ الصليبيّين وأعوانهم من اليهود، وبيان فساد دينهم وما هم عليه من الباطل والخذلان.

ويظهر لنا هذا الجانب بحسب ما وقفت عليه من كتبه في الرّدّ على اليهود والنصارى ومنها: () و(الرّدّ على النصارى)، و(البيان الواضح المشهود من فضائح النصارى واليهود).

---

1 ر: الجوهر الثمين ص 179-185، البداية والنهاية 13/231-232.

2 سيأتي ذكر هذه المصادر. (ر:).

3 قوص: مدينة في مصر على ضفة النيل الشرقية (محافظة قنا)، تبعد عن القاهرة (800كم) تقريباً في جنوب الصعيد، أصبحت في القرن السابع الهجري (القرن 14م) أولى مدن الصعيد وثانية المدن المصرية، فكانت مدينة كبيرة عظيمة وأهلها أرباب ثروة واسعة وهي محط التجار القادمين من عدن، وهي

شديدة الحر لقربها من البلاد الجنوبية. (ر: معجم البلدان 4/413، لياقوت الحموي، المنجد في الأعلام ص 558، الموسوعة الميسرة 1407).

وقد أكد لنا المؤلِّف أداءه لهذا الواجب في ذكره سبب تأليف كتابه (البيان الواضح) أنّه كان من باب الذَّبِّ عن الدين والجهاد القامع للملحدين1.

الحالة الاجتماعية:

كان المجتمع المصري يتألف من عدة طبقات: طبقة أهالي البلاد الأصليّين السنيّين الذين يؤلفون الأغلبية الساحقة من المصريّين، ثم طبقة المغاربة الذين قامت الدولة الفاطمية على أكتافهم ويدينون بالمذهب الشيعي مذهب الفاطميّين، ثم طبقة الأتراك الذين كثر عددهم في مصر منذ أيام الدولة الطولونية سنة 254-292هـ، وظهر أمرهم في عهد الخليفة الحاكم الفاطمي، ثم طبقة السودانيّين الذين كثر عددهم في مصر منذ أيام كافور الإخشيد سنة 355-357هـ. وظهر أمرهم منذ أيام الحاكم الفاطمي الذي استعان بهم ضدّ الأتراك2، ثم ظهرت طبقة أخرى في عهد المماليك وهم التتار الذين قدموا إلى مصر في أوائل عهد السلطان بيبرس وازداد عددهم في عهد السلطان كتبغا سنة 695هـ3.

كما كان يعيش في المجتمع المصري المسلم طائفة أهل الذّمّة (وهم اليهود والنصارى) التي تدفع الجزية للدولة الإسلامية مقابل حمايتها وتمتعها بحريتها الدّينية في ظلّ التسامح الإسلامي. وقد تعددت فرق أهل الكتاب وطوائفهم في مصر على النحو الآتي:

____

1 ر: مقدمة كتاب: (البيان الواضح المشهود) ورقة 5 / أ.

2 ر: مصر في العصور الوسطى ص 461، عليّ إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام 4/627. 628، د. حسن إبراهيم.

3 ر: مصر في العصور الوسطى ص 478، د. عليّ إبراهيم.

أما اليهود فكانوا أقلية بالنسبة للنصارى، وينقسمون إلى ثلاث فرق رئيسة هي:

1- فرقة الربانيّين: وهم جمهور اليهود، ومنهم يكون رئيس اليهود المشرف على الطوائف اليهودية الأخرى.

2- ثم يليهم في العدد فرقة القرائين.

3- ثم فرقة السامريّين (أو السامرة) وكانوا أقلية صغيرة العدد في مصر1.

وقد كان لكلّ من فرق اليهود كنائسها الخاصّة بها، وقد أحصى المقريزي إحدى عشرة كنيسة في القاهرة والفسطاط وأقاليم البلاد المصرية، وكلّها محدث في الإسلام على حدّ قوله2.

أما النصارى فقد انقسموا إلى ثلاث فرق رئيسة هي:

1- اليعاقبة (مذهب اليعقوبية) وهم الأقباط الذين يمثلون أغلبية النصارى في مصر.

2- الملكية أو الملكانية: وهم أقلية بالنسبة لليعاقبة كما أنهم في غالبيتهم من أصول غير مصرية كالروم وغيرهم، ومن ثمّ اشتدت العداوة بينهم وبين الأقباط.

وكان لكل فرقة بطريرك خاص بها يتولى تنظيم الشؤون الداخلية لجماعته وفقاً لقوانينهم والإشراف على الكنائس والأديرة وما يتعلق بها، وتحديد مواعيد أعيادهم ومواسمهم وتنظيم علاقة أبناء طائفته بالدولة3.

---

1 ر: صبح الأعشى 11/385، 388، 3/253، 257، 268، للقلشندي.

2 الخطط 2/463، 474.

3 ر: صبح الأعشى 11/392، 395، 397، أهل الذمة ص 34، 103-180، د. قاسم عبده.

==

3- النسطورية: وهم أقلية صغيرة العدد في مصر1.

وقد انتشرت كنائس النصارى في كلّ أنحاء مصر، وكانت غالبيتها ملكاً لليعاقبة بحكم كونهم الأغلبية، فقد أحصى المقريزي ما يزيد على اثنتين وثمانين كنيسة لليعاقبة في الوجه القبلي، كما امتلك النصارى الملكية بعض الكنائس في القاهرة والفسطاط، ووجدت بعض كنائس للأرمن والنساطرة2.

أما فيما يتعلق بالناحية الاقتصادية في مصر زمن الأيوبيّين وعصر المماليك البحرية فقد كانت منتعشة، وكان المال يأيتها من موارد عدّة، منها: الجزية التي كانت تصلها من الإمارت، والضرائب المعتادة التي تجبى من الشعب، إضافة إلى غنائم الحروب وغيرها، ولم تحدث في عهد الأيوبيّين إلاّ مجاعة واحدة في عهد السلطان العادل سنة596هـ استمرت نحو ثلاث سنوات،كان سببها انخفاض مياه النيل،فانتشر القحط،وهرب الناس من مصر إلى الشام وغيرها ومات الناس من التعب والجوع واشتدّ الغلاء3.

تلك صورة موجزة عن المجتمع المصري زمن المؤلّف، نتعرف من خلالها بعض المؤثّرات في شخصية المؤلّف وتكوينه، إذ لا يخفى أن للبيئة الاجتماعية التي تحيط بالإنسان تأثيراً فيه بصورة مباشرة أو غير مباشرة، سلباً أو إيجاباً.

وقد كان المؤلِّف - بحكم وظيفته قاضياً لمدينة قوص وواليـاً عليها - على اتّصال وثيق بمختلف طبقات الشعب مسلمهم وذميهم، كبيرهم وصغيرهم، واطلاع على أمورهم ومشكلاتهم، وتحكيم شرع الله فيهم وإقامة العدل

---

1 خطط المقريزي 2/510، الانتصار لواسطة عقد الأمصار ص 107، لابن دقماق.

2 خطط المقريزي 2/516-518، الانتصار لواسطة عقد الأمصار ص 107-109، أهل الذّمّة ص 129، 130، د. قاسم.

3 السلوك 1/156، للمقريزي، البداية والنهاية 13/22،ـ 29، مصر في العصور الوسطى ص 380-383.

==

والقسط بينهم، وقد كان للاحتكاك المباشر بين المؤلِّف القاضي واليهود والنصارى أثر في تأليف كتبه في الرّدّ اليهود والنصارى، خاصة إذا ما علمنا أن مدينة قوص من المدن الرئيسة التي كان يعيش فيها عدد كبير من الذّميّين، فقد ذكر بنيامين التطيلي - الذي قام برحلة إلى مصر في عصر الأيوبيّين - أنّه وجد بقوص حوالي ثلاثمائة يهودي1، كما ذكر المؤرخ المقريزي أنه كان بقوص وأسوان إحدى عشرة كنيسة للنصارى2، فقد كان من الطبيعي أن يقوم المؤلِّف الفقيه بجوابه في الدعوة إلى الإسلام بأن يبيّن لليهود والنصارى بطلان ما يعتقدونه من العقائد الفاسدة وما يتمسكون به من الشريعة المنسوخة والكتب المحرفة ويقدّم لهم النصيحة الواجبة المؤيّدة بالأدلة النقلية والبراهين العقلية لاعتناق الإسلام والانضمام إلى أهل الإيمان، وقد أوضح المؤلِّف أن من أسباب تأليفه لكتاب (التخجيل) هو القيام بما أُمِر به المسلمون في قوله تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهِم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}، كما بيَّن المؤلِّف خلال كتابه بعضاً من نشاطه في مجال الدعوة عن طريق المناظرة والمحاورة لأحبار اليهود والنصارى بإبطال شبههم وإقامة الحجّة عليهم وإلزامهم بالاعتراف بنبوّة سيدنا محمّد صلى الله عليه وسلم.

---

1 ر: كتاب (رحلة بنيمين التطيلي) ص 173، ترجمة وتعليق عزرا حداد - طبعة بغداد سنة 1945م،نقلاً من كتاب أهل الذّمّة في مصر ص 21،60،د.قاسم عبده.

2 ر: الخطط 3/579.

==

الحالة العلمية:

إنّ الحوادث المؤلمة والغزوات المتكررة على العالم الإسلامي من التتار والصليبيّين تركت آثاراً سيّئة وخطيرة على الحركة العلمية، فقد قتل الأئمة والعلماء وهدمت المساجد والمدارس وأحرقت المكتبات وأتلفت الكتب، ولكن على الرغم من ذلك فإن الحركة الفكرية والثقافية في ذلك العصر كانت مزدهرة ازدهاراً كبيراً، فقد ظهر الأئمة والعلماء والأعلام في مختلف العلوم منهم:

محمّد بن عمر بن حسين الرازي المفسر ت سنة: 606هـ، وعبـد اللـه بن أحمـد بن محمّـد بن قدامـة المقدسي، ت سنة: 620هـ، وعلي بن محمّد الشيباني المعروف بابن الأثير المؤرخ ت سنة: 630هـــ، وعلم الدين عليّ بن محمّد بن عبد الصمد السخاوي ت سنة: 643هـ، وابن التلمساني شرف الـدين عبـد اللـه بن محمّد الفهري ت سـنة: 644هـــ، وابن الحـاجب عثمـان بن عمـر ت سـنة: 646هـــ، ونجم الـدين مختـار بن محمود الزاهدي الغزميني ت سنة: 658هـــ، والعـزّ ابن عبـد السـلام المعـروف بسـلطان العلمـاء ت سـنة: 660هـ، ومحمّد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري القرطـبي المفسـر ت سـنة: 671هـ، وأبـو زكريـا يحـيى بن شرف الدين النووي ت سنة: 676هـ، وشهاب الدين أحمـد بن إدريس القـرافي ت سـنة: 684هـــ، وغـيرهم ممن يصعب حصرهم والإحاطة بهم.

كما نشطت مراكـز علميـة في الأنـدلس وغيرهـا، وانتشـرت المؤلَّفـات النافعـة في العلـوم المختلفـة وتنافس الناس على اقتنائها ودراستها وقـد سـاعد على هـذه الحركـة العلميـة وازدهارهـا عـدّة عوامـل من أبرزها:

1- اعتناء الملوك والولاة بالعلم وتشجيعهم وإكرامهم للعلماء.

2- تولي العلماء للمناصب المهمّة والعالية في الدّولة واحترام الناس لهم وتقديرهم.

==

3- كثرة المدارس والمراكز العلمية التي تنشأ في البلاد الإسلامية.

4- توافر خزائن الكتب في المساجد والمدارس وانتشار المكتبات العلمية العامّة والخاصّة.

وقد توافرت تلك العوامل في مصر، حيث عاش المؤلِّف رحمه اللـه، فقـد عـرف عن ملـوك الأيـوبيّين والمماليك حبهم وتقديرهم للعلم والعلمـاء، فكـان السـلطان صـلاح الـدين الأيـوبي ت سـنة: 589هـــ، يحبّ العلماء وأهل الخير ويقربهم ويحسن إليهم، حتى صار لكثرة مخالطته بهم وأخـذه عنهم من كبـار الفقهـاء[1]، وكذلك كان ابنه بعده الملك العزيز عثمان الذي سمع الحديث من الحافـظ السـلفي والفقيـه أبي طـاهر بن عوف الزهري وغيرهم[2]، وكذلك كان من بعده الملك العادل أبو بكر[3].

ثم كان الملك الكامل الذي يحضر مجلسـه الفقهـاء كـلّ ليلـة ويتحـدث معهم ويشـاركهم في علـومهم ويبيت معهم كواحد منهم[4]، ويتنافس العلماء في إهداء كتبهم ومؤلَّفاتهم إليه، فقد أهدى إليه المؤلِّف صـالح بن الحسين الجعفري كتابه: (العشر المسائل) وتسمّى أيضاً: (البيان الواضح المشهود من فضـائح النصـارى واليهود) الذي ألّفه في عهد الكامل سنة 618هـ، وأهداه إليه ليقمع به أشطان طاغية الروم الأبتر الشيطان الذي أرسل إلى السلطان الكامل عدّة

---

1 ر: الجوهر الثمين ص 224، 225، النجوم الزاهرة 8/9، 56.

2 ر: وفيات الأعيان 3/251، لابن خلكان، الجوهر الثمين ص 230، النجوم الزاهرة 6/127-129.

3 ر: النجوم الزاهرة 6/163.

4 ر: وفيات الأعيان 5/81، الجوهر الثمين ص 238، النجوم الزاهرة 6/227، 228، خطط المقريزي 3/339.

مسائل يطلب من المسلمين الجواب عنها، وكان ذلك سبب تأليف المؤلِّف لذلك الكتاب1.

كما أهدى الإمام أحمد بن إدريس القرافي كتابه: (أدلة الوحدانية في الرّدّ على النصرانية) إلى السلطان الكامل2.

وكذلك كان الملك الصالح نجم الدين يكرم العلماء ويحبّهم ويسمع منهم ويبالغ في إكرامهم ويجري على أهل العلم الجرايات3.

أما عن ملوك المماليك فإن السلطان الظاهر بيبرس كان محبّاً للعلماء ومقرباً لهم، وبنى المدارس والجوامع الكثيرة4.

أما عن المدارس والمراكز العلمية فقد كانت كثيرة جدّاً، نذكر منها5:

1- المدرسةالناصريةوقد بناها السلطان صلاح الدين في عام566هـ.

2- المدرسةالصلاحية وبناها السلطان صلاح الدين في عام572هـ

3- المدرسة الفاضلية أسسها القاضي الفاضل عبد الرحيم ت سنة: 596هـ، وكان من أكابر العلماء في عصر الأيوبيّين.

4- المدرسة الشريفية وقفها الأمير الشريف فخر الدين أبو نصر إسماعيل بن ثعلب الجعفري الزيني أحد أمراء مصر في الدولة الأيوبية ت سنة: 612هـ

5- المدرسة الكاملية وهي دار الحديث بناها الملك الكامل في عام 621هـ.

____

1 مقدمة كتاب: (البيان الواضح المشهود) - مخطوط، الورقات 4، 5.

2 ر: مقدمة كتاب (أدلة الوحدانية) ص 19-21، تحقيق عبد الرحمن دمشقية.

3 ر: السلوك 2/308، 340، النجوم الزاهرة 6/331.

4 ر: النجوم الزاهرة 7/181، عصر سلاطين المماليك 1/27.

5 ر: للتوسع خطط المقريزي 3/313-383، حسن المحاضرة 2/257-270.

6- المدرسة الصالحية وهي أربع مدارس للمذاهب الأربعة بناها الملك الصالح نجم الدين أيوب في عام 639هـ.

7- المدرسة الظاهرية وبناها الملك الظاهر بيبرس في عام 662هـ.

وكانت هذه المدارس وغيرها تعنى بتدريس العلوم الدينية والأدبية والعقلية، كما كانت تلك المدارس والمساجد والقصور تلحق بها خزائن الكتب (المكتبات) التي تحتوي على أمّهات الكتب وأنفسها وأوسعها في سائر العلوم.

بذلك نرى أن البيئة العلمية المحيطة بالمؤلِّف ساعدته كثيراً في تكوينه العلمي وعلى تحصيل العلم والاجتهاد فيه حتى أصبح من العلماء البارزين الذين كانت لهم التصانيف العديدة المفيدة ونال ثقة الولاة والحكام في تعيينه قاضياً في مدينة قوص ووالياً عليها، خاصّة إذا ما علمنا أن مدينة قوص قد نشطت أثناء الحروب الصليبية حينما استولى الصليبيّون على فلسطين وعلى ثغورها فازداد خطرهم وأصبح الطريق المألوف لحجاج بيت الله الحرام غير مأمون، فأصبحت مدينة قوص من المدن الرئيسة المهمّة التي يمرّ بها حجاج بيت الله القادمين من الأندلس وشمال أفريقيا، فكثرت بها المدارس والمعاهد والمساجد وقصدها العلماء ونزلوا فيها، وبزغ منها علماء في مختلف العلوم، وكثر فيها الأدباء والشعراء؛ لأنّها أصبحت محط رحال الحجيج1.

ومن هؤلاء العلماء الذين درسوا العلم ودَرَّسوه في قوص: شمس الدين أبو عبد الله محمّد بن محمود الأصفهاني توفي سنة: 688هـ2، وجلال الدّين أحمد بن عبد الرحمن الكندي الدشنادي توفي بقوص سنة 677هـ3، والقاضي

---

1 ر: الغزو الصليبيب والعالم الإسلامي ص 229، 230، عليّ عبد الحليم محمود، الموسوعة الميسرة 1/1407.

2 ر: طبقات الشافعية 8/101، للسبكي، حسن المحاضرة 2/164.

3 ر: طبقات الشافعية 8/20، للسبكي.

==

بهاء الدين القفطي هبة الله بن عبد الله بن سيد الكل، كان قيماً بالمدرسة النجيبية قوص توفي سنة 697هـ1، وتقي الدين بن دقيق العيد محمّد بن عليّ بن وهب القشيري، تفقه على والده بقوص وتفي سنة: 702هـ2، والحسين بن أبي بكر بن عياض بن موسى السبتي القوصي توفي سنة 682هـ3، وغيرهم.

---

1 ر: طبقات الشافعية 8/390.

2 ر: طبقات الشافعية 9/207.

3 ر: معجم المؤلِّفين 3/317.

==

حياة المؤلِّف

إنّ بعض الشّخصيات التّاريخية لا تحظى بما تستحقّه من الاهتمام والدراسة من المؤرخين على الرغم من تميز تلك الشّخصيات بمميزات وصفات عديدة تؤهلهم لذلك.

وإنّ المؤلِّف صالح بن الحسين الجعفري من أولئك الـذين قَـلَّ حظّهم ونصـيبهم عنـد المـؤرخين. وقـد بذلت ما في وسعي من الجهد والوقت سعياً وراء ترجمة وافية للمؤلِّف في بطون كتب المؤرخّين والتاريخ، وبعد توفيق اللـه عزوجـل وقفت على بعض المصـادر التاريخية[1] الـتي ذكـرت تـاريخ ولادة المؤلِّف، ووفاتـه وبعض المعلومـات المهمـة عنـه علمـاً بـأن من سـبقني إلى دراسـة المؤلِّف وآثـاره؛ وهـو د. محمّـد محمـد حسانين الذي قام بدراسة شاملة وتحقيق كتاب (الرّدّ على النصارى، لصالح بن الحسين الجعفري) لم يذكر تاريخي ولادة ووفاة المؤلِّف، واكتفى في الترجمة بما في كتاب كشف الظنون لحاجي خليفة وتـاريخ الأدب العربي لبروكلمان.

---

1 ذكرت ترجمة المؤلِّف في المصادر الآتية:

ذيل مرآة الزمان 2/438، لأبي الفتح اليونيني المتوفى سنة 726هـ.

تاريخ الإسلام، للحافظ الـذهبي المتـوفى سـنة 745هــ (مخطوطـة بـدار الكتب المصـرية، ورقـة 74/أ للسنوات 663-680هـ)

الوافي بالوفيات 16/256، صلاح الدين الصفدي المتوفى سنة 764هـ.

كشف الظنون 1/379، حاجي خليفة.

هداية العارفين 5/422، إسماعيل البغدادي.

معجم المؤلِّفين 5/6، عمر رضا كحالة.

الأدب الجدلي والـدفاعي في اللغـة العربيـة بين المسـلمين والنصـارى واليهـود ص 36، 141، 409، للمستشرق مورتز (باللغة الألمانية).

تاريخ الأدب العربي 1/553، والذيل 1/766، كارل بروكلمان (بالألمانية).

==

الفصل الثاني: حياة المؤلف

1- اسمه ونسبه:

هو صالح بن الحسين بن طلحة بن الحسين بن محمّد بن الحسين الهاشمي الجعفري الزينبي[1].

ومن المعلوم أن لقب (الهاشمي) نسبة إلى بني هاشم القرشيّين، وأمـا لقب (الجعفـري) فنسـبة إلى جعفر بن أبي طالب، الملقب بالطيار وذي الجناحين، شهيد مؤتة رضي الله عنه وينتسب إليه جماعـة، منهم أبو الحسن عليّ بن الحسن الجعفري السمرقندي[2]، ومحمّد بن إسـماعيل بن جعفـر بن إبـراهيم بن محمّـد بن عليّ بن عبد الله بن جعفر[3]، والأمير الكبير الشريف فخر الدين أبو نصر إسماعيل بن حصن الدولة فخر العرب ثعلب بن يعقوب بن مسلم الجعفري الزينـبي[4]، ومحمّـد بن الحسـن بن العـربي بن محمّـد الحجـوي الجعفري الزينبي[5].

1 كذا أورده أبو الفتح اليونيني في ذيل مرآة الزمان، وبمثله أورده الذهبي ما عدا ذكر اسم الجدّ الرابع في النسب وهو (الحسين). وبمثل ذلك نقله الصفدي عن الذهبي. أما الباقون فقد ذكروه مختصراً كالآتي: صالح بن الحسين الجعفري.

2 ذكره ابن الأثير الجزري في اللباب في تهذيب الأنساب 1/283.

3 ذكره الزبيدي في تاج العروس من جواهر القاموس 10/446.

4 ذكره المقريزي في الخطط 3/332، وقال عنه: كان أمير الحاج والزائرين وأحد أمراء مصر في الدولة الأيوبية، أوقف مدرسة نسبت إليه باسم (المدرسة الشريفية) وتمّ بناؤها سنة اثنتي عشرة وستمائة وهي من مدارس الفقهاء الشافعية ا هـ.

5 توفي سنة 1376هـ، (ر: الأعلام 6/96، للزركلي، مقدمة تحقيق كتاب (الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي) للدكتور عبد العزيز القارئ).

==

وقد سكن الجعافرة بمصر في إسنا[1] بالصعيد الأعلى وهم قبائل كثيرة[2]، ولهم قرية تنسب إليهم[3]. وكانوا بادية أصحاب شوكة يحالفون الأمويّين المقيمين هنالك[4]. ويرى الأستاذ عبد الله خورشيد أن الجعافرة عاشوا في مصر منذ القرن الثالث على الأقل وأنهم هاجروا إلى أرض الأشمونيّين في هجرة قريش إلى تلك المنطقة[5].

وأما لقب (الزينبي) فنسبة إلى بطن من ولد عليّ الزينبي ابن عبد الله الجواد بن جعفر الطيار، نسبة إلى أمّه زينب[6] بنت عليّ - رضي الله عنه - ، وأمّها فاطمة الزهراء - رضي الله عنها - .

2- كنيته ولقبه:

أجمعت المصادر التي ذكرت المؤلِّف على أن كنيته: (أبو البقاء)[7]، ولكن لم تذكر تلك المصادر عدد أولاده أو أسماءهم.

وقد اشتهر المؤلِّف بلقبين هما:

الأوّل: (تقي الدين)، ذكره اليونيني والذهبي والصفدي.

---

1 وهي الآن من المدن الكبيرة بمحافظة قنا المصرية. (ر: موسوعة المنسرة 1/1399).

2 ر: تاج العروس 10/447، للزبيدي، لسان العرب 17/235، لابن منظور، معجم البلدان 1/121، 3/247، 4/235، لياقوت الحموي، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة 1/191، عمر رضا كحالة.

3 ر: لب اللباب في تحرير الأنساب ص 65، للسيوطي.

4 ر: البيان والإعراب ص 32، للمقمريزي.

5 ر: القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثة الأولى للهجرة ص 25.

6 زينب بنت عليّ بن أبي طالب الهاشيمة، سبطة رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال ابن الأثير: "إنها ولدت في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، زوجها أبوها ابن أخيه عبد الله بن جعفر فولدت له أولاداً، وكانت مع أخيها لما قتل".(ر:الإصابة8/100)،وينسب إليهافي مصرمسجدها،توفيت سنة 65هـ،ودفنت بقناطرالسباع بمصر.(ر:أعلام النساء2/91،99 عمر كحالة).

7 وحرفت هذه الكنية إلى (أبي التقي) في كتاب الوافي بالوفيات للصدفي، ولعله خطأ مطبعي.

==

الثاني:(قاضي قوص)لتوليه القضاء بها مدّة،ذكره الذهبي والصفدي.

3- ولادته ونشأته:

ولد المؤلِّف في سنة إحدى وثمانين وخمسائة من الهجرة النبوية الشريفة1 بمصر، وكانت سنة ولادته في السنة الخامسة عشرة من ولاية السلطان صلاح الدين الأيوبي على مصر، وفيها أيضاً توفيت زوجة السلطان صلاح الدين2.

وقد نشأ المؤلِّف في بيت سلالة النبوة والعلم والإمارة، فقد كان لآل جعفر الهاشميّين منزلة رفيعة في الدولة الأيوبية حيث كان منهم الأمراء والقضاء.

4- شيوخه وتلاميذه ومؤلَّفاته:

مما لا شكّ فيه أن المؤلِّف قد طلب العلم على عدد من أهل العلم حتّى أصبحت له المكانة العلمية التي تؤهله لتولي القضاء في مدينة قوص التي تعتبر ثاني المدن المصرية أهمية في ذلك الوقت. ثم تولى ولايتها مدّة من الزمن، غير أن المصادر التاريخية لم تذكر لنا شيوخه وتلاميذه سوى ما ذكره الحافظ الذهبي في تاريخ الإسلام فقال: "إن المؤلِّف سمع من عليّ بن البناء3 وغيره وحدَّث...، وحدَّث عنه الدمياطي"4.

---

1 ر: ذيل مرآة الزمان 2/438، تاريخ الإسلام ورقة 74/أ وقد وقع خطأ مطبعي في كتاب الوافي بالوفيات للصفدي حيث ذكر أن المؤلِّف ولد سنة إحدى وثمانين.

2 ر: النجوم الزاهرة 6/98.

3 هو:الشيخ الجليل المسند أبوالحسن عليّ بن أبي الكرم نصربن المبارك الواسطي الأصل البغدادي ثم المكّي الخلال ابن البناء، قال عنه الذهبي: "راوي الجامع عن عبد الملك الكروخي، وما علمته روى شيئاً غيره، حدَّث به بمكّة والإسكندرية، ومصر ودمياط وقوص، وحدَّث به جماعة، مات بمكّة في صغر وقيل في ربيع الأوّل سنة 622هـ". (ر:سير أعلام النبلاء 22/248،النجوم الزاهرة 6/63،شذرات الذهب5/101).

4 ترجم له الذهبي فقال: "عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن بن شرف، والعلامة الحجة شرف الدين، أبو محمّد الدمياطي، الشافعي، أحد الأئمة الأعلام، وبقية نقاد الحديث، ولد سنة: 613هـ، واشتغل بدمياط وأتقن الفقه، ثم طلب الحديث ورحل وسمع من عدّة أشياخ بدمشق وبحران والموصل والحرمين،

وله تصانيف متقنـة في الحـديث والعـوالي والفقـه، تـوفي سـنة: 705هـ بالقـاهرة". (ر: سـير أعلام النبلاء 1/502، النجوم الزاهرة 8/218).

==

أما مؤلَّفاته؛ فقد اتّفق أبو الفتح اليونيني مع الحافظ الـذهبي على القـول بـأن للمؤلِّف تصـانيف عـدّة مفيدة، لكنهما لم يذكرا أسماء مؤلَّفاته، وقد وقفت - بفضل الله عزوجل وتوفيقه - على ثلاثـة من مؤلَّفاتـه المعروفة هي:

1- تخجيل مَن حرّف الإنجيل1.

2- البيان الواضح المشهود من فضائح النصارى واليهود2؛ (كتاب العشر المسائل).

3- الرّدّ على النصارى3.

5- عقيدته ومذهبه الفقهي:

قد يتبادر إلى ذهن القارئ لأوّل وهلة حينما يقـرأ اسـم المؤلِّف صـالح ابن الحسـين الجعفـري4 أنـه ينتمي إلى المذهب الجعفري الإمامي الرافضـي، المعـروف بمـذهب: (الشـيعة الاثـني عشـرية)، وهـذا وهمٌ باطلٌ، فإنّ المؤلِّف صالح بن الحسين الجعفري من أهل السنة على المعنى العـام الـذي يـدخل فيـه جميـع المنتسبين إلى الإسلام عدا الرافضة، وهذا اصطلاح العامة، (لأنّ الرافضة هم

____

1 وهو الكتاب الذي بين أيدينا، وسيأتي الحديث عنه.

2 ذكره رضا كحالة في معجم المؤلفين 5/6، وتوجد نسخة منه بـالمتحف البريطـاني تحت رقم: أ.د.د. 16661.

3 توجد نسخة منه بمكتبة آياصوفيا تحت رقم: 2246م، بتركيا، وقام د. محمّد محمد حسنانين بتحقيقه ونشره.

4 وهو الاسم الذي ذكرته المصادر المتأخرة ككشف الظنون وهداية العارفين ومعجم المؤلفين وتاريخ التراث العربي كما تقدم بيانه. ر: ص: 41.

==

المشهورون عند العامة بالمخالفة للسنة، فجمهور العامة لا تعرف ضدّ السني إلاّ الرافضي، فـإذا قـال أحدهم: أنا سني، فإنما معناه لست رافضياً)1.

والأدلة على أنّ المؤلِّف من أهل السنة على هذا المعنى ما يأتي:

1- دعاؤه للصحابة - رضي الله عنهم - في مقدمة كتابه بعد البسملة والحَمْدَلة2، ثم دعاؤه بأن يرضى الله عن الصحابة جميعاً، وإقراره بأنهم أعيان الأمة، وإيراده لحديثين في فضل الصحابة3.

2- استدلاله بالأحاديث التي رووها الصحابة كأبي بكر وعمر وأبي هريرة وغيرهم - رضي الله عنهم - 4.

3- إيراده لمناقب بعض الصحابة كأبي بكر وعمر وأنس وسعد بن أبي وقاص وغيرهم5.

4- ذكره لكرامات أبي بكر وعمر وعليّ والعلاء بن الحضري والبراء بن مالك وعمران بن الحصين وأبي أمامة وابن عباس وغيرهم6 - رضي الله عنهم أجمعين - .

5- إثباته لخلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ - رضي الله عنهم - على الترتيب7.

____

1 ر: مجموع الفتاوى 3/356، لابن تيمية، منهاج السنة النبوية 2/221، لابن تيمية.

2 ر: ص: 106 من الكتاب المحقَّق.

3 ر: ص: 130، 131 من الكتاب المحقَّق.

4 ر: الباب العاشر القسم الثاني.

5 ر: ص: وما بعدها من الكتاب المحقَّق.

6 ر: ص: وما بعدها من الكتاب المحقَّق.

7 ر: ص: .

==

الفصل الثاني: حياة المؤلف

وقد تقدم بيان أن لقب (الجعفري) نسبة إلى جعفر الطيار رضي الله عنه1.

أما على المعنى الأخصّ لأهل السنة - الذي يراد به أهل السنة المحضة الخالصة من البدع، ويخرج به سائر أهل الأهواء والبدع كالخوارج والجهمية والمرجئة والأشاعرة وغيرهم، ويبين ذلك قول الإمام ابن تيمية: "فلفظ أهل السنة يراد به من أثبت خلافة الخلفاء الثلاثة، فيدخل في ذلك جميع الطوائف إلاّ الرافضة، وقد يراد به أهل الحديث والسنة المحضة، فلا يدخل فيه إلاّ من يثبت الصفات لله تعالى، ويقول: إنّ القرآن غير مخلوق وإنّ الله يرى في الآخرة، ويثبت القدر، وغير ذلك من الأصول المعروفة عند أهل الحديث والسنة"2، - فعلى هذا المعنى فإنّ المؤلِّف - غفر الله لنا له - متأثر بمنهج الأشاعرة فيما يبدو لي من خلال كتابه (التخجيل) في بعض المسائل المحدودة التي أشار إليها وهي كالآتي:

1- إثباته سبع صفات لله عزوجل، وهي التي يسمّيها الأشاعرة صفات المعاني3، ثم تأويله لصفات الاستواء، والنُّزُول، والوجه، والعين، واليد، والقدم4.

2- نفيه أن يكون لشيء من أفعال الله تعالى علّة مشتملة على حكمة تقتضي إيجاد الفعل أو عدمه5، وهذا الأصل تسمّيه بعض كتب الأشاعرة بـ: (نفي الغرض عن الله) ويعتبرونه من لوازم التّنْزيه.

____

1 وفي ذلك ردّ على الرافضة، فهذا رجل من آل عليّ وآل جعفر ومن بني هاشم يوالي أبا بكر وعمر وبقية الصحابة ويتبرأ ممن يعادونهم.

2 منهاج السّنّة النّبويّة 2/221.

3 ر: ص: من الكتاب المحقَّق.

4 ر: ص:

5 ر: ص: من الكتاب المحقَّق.

==

3- قولـه: (إنّ النُّزُول والصـعود والحركـة والسـكون هي أدلـة حـدث العـالم عنـد المحقّقين)1، وهـذه طريقة الأشاعرة في الاستدلال على حدث العالم ثم الاستدلال على وجود اللـه، ويسـمّونه (دليـل الحـدوث والقدم).

ومع ذلك فإنّه لا يجدر بنا أن نسند الرأي إلى الشـخص لمجـرد أنـه ذكـره في كتـاب لـه، بـل ينبغي أن نعرف أوّلاً الظروف التي أحاطت بالمؤلِّف حين ألّف الكتاب الذي نحن بصدده، هل ألّفـه لنفسـه أو لغـيره؟ وتحت أي تأثير عامل من العوامل ألّفه؟2.

فما هو ظاهر أنّ المؤلِّف - رحمه الله - قد ألّف كتابه في الرّدّ علىاليهود والنصـارى خاصّـة، فهـو يـورد أحياناً على الخصوم كثيراً من الاعتراضات والآراء التي لا يرتضيها هو كدليل عقلي يمكن الاستدلال بــه على ما يريده، ولكن يورده على أنه يجـوز أن يعـارض بهـا الخصـم ولا يسـتطيع الخصـم أن يـدفع معارضـته بهـا، ومقصوده من ذلك أن يبيّن للخصم أن الآراء الباطلة كافية أن يدخض بضها بعضاً.

كما يبدو لي أنّ سبب تأثر المؤلِّف - عفا الله عنا وعنه - بمنهج الأشاعرة يرجع إلى نشـأته وحياتـه في كنف الدولة الأيوبية التي كان ملوكها وقضاؤها قد تلقوا العقيدة الأشعرية وحفظوها من أسـاتذتهم، فحملـوا كافة الناس في أيام دولتهم على التزامه في مواجهة المذهب الفاطمي الشيعي، وكان هذا هو الســبب في اشتهار مذهب الأشعري وانتشاره في أمصار الإسلام بحيث نسي غيره من المذاهب وجهل3.

____

1 ر: ص: من الكتــاب المحقَّق، وقـد قمت بــالتعليق على تلـك المواضـع ببيـان مـذهب أهـل السـنة والجماعة فيها وإبطال بعض شبه المخالفين، ولله الحمد.

2 ر:مقدمة تحقيق د. سليمان دنيا لكتاب (تهافت الفلاسفة للغزالي) ص 56،بتصرف.

3 ر: خطط المقريزي 3/279، 280، 306.

==

وفي ختام الحديث عن عقيدة المؤلِّف - رحمه اللـه تعـالى - نقـول كمـا قـال الإمـام الـذهبي في حـقّ المفسّر قتادة بن دعامة الذي كان يرى القدر، قال: "لعلّ الله يعذر أمثاله ممن تلبس ببدعة يريد بها تعظيم الباري وتنْزِيهه، وبذل وسعه، والله حكم عدل لطيف بعبـاده، ولا يسـأل عمـا يفعـل، ثم إنّ الكبـير من أئمـة العالم إذا كثر صوابه، وعُلم تحريه للحقّ، واتّسع علمه، وظهر ذكاؤه، وعرف صلاحه وورعه واتّباعـه، ويغفـر

له زلّله، ولا نضلله ونطرحه وننسى محاسنه، نعم. ولا نقتـدي بـه في بدعتـه وخطئـه، ونرجـو لـه التوبـة من ذلك"1.

أما مذهبه الفقهي فإنّه كان شافعي المذهب فيما يبدو لي، حيث كـان مؤسّـس الدولـة الأيوبيـة صـلاح الدين شافعياً، وعمل على القضاء على الدولة الفاطميـة الشـيعية، فصـرف جميـع القضـاة الشـيعيّين وعين بدلهم قضاة من الشافعية السنيّين وفَوَّض القضاء لصدر الدين عبد الملك بن درباس الشافعي، فلم يستنب عنه في أقاليم مصر إلاّ من كان شافعي المـذهب مثلـه، ومن ثم انتشـر المـذهب الشـافعي في مصـر ومـا تبعها من الأقاليم2.

وبقي الأمر كذلك في مصر طـوال عهـد الأيـوبيّين وطرفـا من عهـد المماليـك إلى أن ولي أمـر مصـر السلطان بيبرس الذي وَلَّى بمصر والقاهرة أربعة قضاة: شافعي ومالكي وحنفي وحنبلي واسـتمر ذلـك من سنة خمس وستين وستمائه3.

---

1 ر: سير أعلام النبلاء 5/271.

2 ر: خطـط المقريـزي 3/297، الروضـتين في أخبـار الـدولتين 1/191، لأبي شـامة، تـاريخ الإسـلام السياسي 4/378، 379، د. حسن إبراهيم حسـن، مصـر في العصـور الوسـطى ص 349، د. عليّ إبـراهيم حسن.

3 ر: خطط المقريزي 3/280.

==

6- شخصيته العلمية وثناء العلماء عليه:

لقد كان المؤلِّف - رحمه الله - شخصية علمية فذّة متعددة الجوانب وذا ثقافـة واسـعة متنوعـة، يـدلّنا على ذلك بعض آثاره العلمية التي وقفت عليها وما ذكره المؤرّخون في ترجمته، وموجز القول في ذلك أنّه كان مُتخصِصاً في العلوم الآتية:

1- علم الفقه وأصوله، يدلّ على ذلك توليه القضاء في مدينة قوص، فإنّ من شرط القاضي أن يكـون من أهل الاجتهاد1.

2- علم الأديان وخاصّة اليهودية والنصرانية، ويبدو لنا اهتمام المؤلِّف بهذا العلم وبـروزه فيـه واشـتهار ذلك عنه بين العلماء فيما صَرَّح بـه المؤلِّف في مقدمـة كتابـه: (تخجيـل مَنْ حـرَّف الإنجيـل)2، إضـافة إلى بعض مؤلَّفاته التي عثرت عليها وهي: (البيان الواضح المشهود في فضائح النصـارى واليهـود)، و(الـرّد على النصارى) وقد تقدم الحديث عنها.

3- علم المناظرة والجدل، وهـو ظـاهر في كتبـه السـابقة الـتي تـبيّن أنّ المؤلِّف ذو نفس طويـل في المناظرة والإقناع، فإذا أراد إثبات مسألة أو نفيها وبيـان بطلانهـا فإنـه يـأتي بالأدلـة النقليـة العقليـة ويأخـذ بمجامع القول والمسألة ويسدّ على خصمه الطريق ويواصل البحث والنقـاش من جميـع الوجـوه والجـوانب المحتملة حتّى يلزم الخصم ويفحمه.

وقد ذكر لنا المؤلِّف في كتابه: (التخجيل) بعض المناظرات والمجادلات التي جرت بينـه وبين أحبـار اليهود والنصارى في بيان بطلان ما يعتقدونه3، وهذا

---

1 ر: المغني 14/12، 14، لابن قدامة، تحقيق د. عبد الله التركي، ود. عبد الفتاح الحلو.

2 ر: من الكتاب المحقَّق.

3 ر: ص: ، وغيرها من المواضع في الكتاب المحقَّق.

==

دليل آخر على تمكنه في المناظرة ومقارعة الخصوم.

4- علم الأدب، ويبيّن لنا اهتمـام المؤلِّف بـالأدب وبـروزه فهي أيضـاً مـا ذكـره أبـو الفتح اليونيـني في ترجمة (بأنه كان أحد الفضلاء العارفين بالأدب وغيره...وله خطب حسنة ونظم جيد).

وقال فيه الذهبي: "بأنه كان عارفاً بالأدب وله خطب ونظم ونثر...".

ونقل ذلك عنه صلاح الدين الصفدي في كتابـه: (الـوافي بالوفيـات وأراد أن يضـيف على مـا نقلـه من الذهبي بعض الأبيات الشعرية للمؤلِّف إلاّ أنّ النسخة المخطوطة لكتاب الوافي بالوفيات فيها بياض بمقدار خمسة أسطر في المكان الذي ذكرت فيها تلك الأبيات الشعرية1.

وممـا يـدل على سـعة اطلاع المؤلِّف على الأدب والشـعر استشـهاده بالأبيـات الشـعرية في كتابـه: (التخجيل)2 وكثرة إيراده لها.

وقد عثرت على منظومـة نثريـة للمؤلِّف، تظهـر الناحيـة الأدبيـة فيـه، وهي صـيغة يمين مغلظـة كتبهـا المؤلِّف ليحلف بها اليهود والنصارى في الشيء الخطير ونصّها كالآتي:

قال المؤلِّف - عفا الله عنه - : "يمين مغلظة يحلف بها النصارى في المال الخطير: يحضـر النصـراني إلى الكنيس في أوّل الصوم الكبير ويجتمع عليه مشائخ دينه فإن كان ذلك بحضرة الجاثليق3، أو نائبـه فهـو أولى، ويقال له: قل: والله إله إبراهيم ماسك الكلّ، خالف ما يـرى ومـا لا يـرى، صـانع كـلّ شـيء ومتقنـه، الرّبّ لا أعبد سواه، ولا أعتقد إلاّ إيّاه ما تستحقّ عليّ شيئاً مما تدعيه على

---

1 ر: الوافي بالوفيات 16/257.

2 ر: ص: من الكتاب المحقَّق.

3 كبير قساوسة النصارى ورئيسهم.

==

مقتضى عقدك وموجب شرعك وإلاّ فبرئت من الثالوث وجحدت الأب وكذبت الابن وكفرت بروح القدس، وخلعت دين النصرانية والتزمت دين الحنيفية، وضمخت الهيكل[1] بحيضة يهودية، ورفضت مريم وقرنت مع الإسخريوطي[2] في جهنم، وقلت إنّ المعمداني[3] فيما شهد به ليسوع كذاب، وأنّ المسيح كآدم خلقه الله من تراب، وكفرت بإحياء العازر[4] ومجيء الفارقليط[5] الآخر، وتبرأت التلاميذ الاثني عشر[6]، وعلى جزم الثلاثمائة والثمانية عشر، وإن كانت ذمتي لك مشغولة ونيتي في حلفي هذا مدخولة، فكسرت الصلبان ودست برجلي القربان[7]، وبصقت في وجوه الرهبان عند قولهم: (كرياليصان)[8]، واعتقدت أنّ مجمع نقية كفر وفجر، وأن يوسف النجار زنى بأم يسوع وعهر، وإن كنت في إنكاري متأولاً وفي دعوى براءة الذّمّة متقولاً، فعطلت الناقوس ورجعت إلى ملّة اليهود والمجوس، وكسرت صليب الصلبوت، وطبخت به لحم الجمل وأكلته في أوّل الصوم الكبير تحت الهيكل بحضرة الآباء، ونقضت حجارة قمامة[9]، وبنيت بها بيعة اليهود ومزقت عفارة أم الرّبّ، وشاركت الشّرط في سلب ثيابه، وأحدثت تحت صليبه، وتجمرت بخشبته، وصفعت الجاثليق، وهذه اليمين في عنقي وأعناق عقبي إلى الأبد".

---

1 أي: مكان القربان المقدس عند النصارى.

2 هو يهوذا الإسخريوطي الذي أخذ الرشوة من زعماء اليهود ليدلهم على المكان الذي اختبأ في المسيح، كما في الأناجيل المحرفة.

3 هو: يوحنا المعمدان، أي: النبيّ يحيى عليه السلام.

4 اسم الشخص الذي أحياه المسيح من الموت كما ورد في الأناجيل.

5 وهو الذي بشرت الأناجيل بمجيئه.

6 هم: حواريو المسيح عليه السلام.

7 أي: القربان المقدس أو العشاء الرباني الذي تقدمه الكنيسة للنصارى يوم الأحد.

8 معناه: ربّ ارحم.

9 أي: كنيسة القيامة في فلسطين والتي يعتقد النصارى أنّ يوم القيامة ستكون فيها.

==

يمين مغلظة يحلف بها اليهود في الشيء الكثير: يحضر اليهود إلى بيعتهم وهو صائم أو في يوم عيدهم ويجمع عليه جمع كبير من شيوخ دينهم وإن كان ذلك بحضرة المثيبة[1] أو نائبه فهو أولى، ويقال له: قل: والله الأزلي الذي لم يزل ولا يزال الإله الذي برأ العالم وخلق حواء من آدم، وأرسل ماء الطوفان وتقبل من هابيل القربان، وكلّم موسى من الشجرة ونصره على فرعون والسحرة، وغرف فرعون في بحر سوف، وأهلك قورح ومن معه بالخسوف، ونَجّى بني إسرائيل بيد القوية وأطعمهم منّاً وسلوى بالبرية، ما يُستحق على شيء من مطلبك على مقتضى مذهبك وإلاّ فرفضت موسى المكلَّم واتّبعت عيسى بن مريم، وإن كان لك في ذمتي مثقال ذرّة ونيتي في حلفي هذا غير برة، فعبدت الصلبان وعظمت الأوثان، وهدمت قبة الزمان[2]، وبنيت بها دير الرهبان، وكذبت التوراة وصدّقت الإنجيل، وفضلت يسوع الراوي على موسى

وشـمؤيل، وإن كنت قـد جنحت لتأويـل في هـذه الأقاويـل فقـذفت مـريم النبية3، وانسـللت من اليهوديـة، والـتزمت المجوسـية وفـارقت الملـة الإسـرائيلية بالكلّيّـة، وكفـرت بالعشـر الآيـات4، وبقيت محرومـاً إلى الممـات، وحشـرت في اليـوم المعلـوم بين عـامورا وسـدوم5، وهـذه اليمين في عنقي وأعنـاق عقـبي إلى الأبد". أهـ.

قال المؤلِّف: "لا تستبعد منا نظم هذه الكلمات وإلزامهم بهـا فقـد قـال الفقهـاء من أئمتنـا - رضـي الله عنهم - إنّ اليهود والنصارى والمجوس - أبعدهم الله -

---

1 رأس المثيبة: أي: مدير الأكاديمية الشرعية اليهودية ورئيسـي أحبـارهم. (ر: الفكـر الـديني اليهـودي ص: 117، حسن ظاظا).

2 وهي: خيمة الاجتماع التي أمر الله بني إسرائيل ببنائها في القبة كما ورد في التوراة الحالية.

3 يعتقد اليهود أن مريم أخت موسى نبية من الأنبياء.

4 أي: الوصايا العشر الواردة في التوراة.

5 مكان نزول العذاب على قوم لوط عليه السلام.

==

يغلظ عليهم اليمين بإحضارهم بيوت متعبداتهم عند الحلف، مع أنه لا حرمـة لهـا، وكـأن المطلـوب من ذلك حمل الذمي على الخروج من الحقّ بتكليفه التلفظ بما يعظم موقعه في قلبـه ليكن أدعى إلى حصـول المقصود، كما يكلف المسلم حضور المسجد الجامع يوم الجمعة بعد صلاة العصر عند المنـبر بحضـرة جمـع من المسلمين وزيادة ألفاظ معظمة كقوله: الطالب الغالب جل وعلا". ا. هـ1.

وقد ظهر لي من خلال ما ذكره الحافظ الذهبي في ترجمـة المؤلِّف بأنـه سـمع من المُحَـدِّث عليّ بن البنا، ثم تحديثه للعلامة الدمياطي، ومن خلال كثرة استشهاده واستدلاله بالأحاديث النبوية والآثار في كتابــه التخجيل وكتبه الأخرى، أنّ المؤلِّف - رحمه الله - كان لـه اهتمـام كبـير وحـرص شـديد على طلب الحـديث وسماعه وروايته.

تلك بعض الجوانب العلمية لشخصية المؤلِّف - رحمه الله - الـتي اسـتعطت إثبـات أدلتهـا، وقـد تكـون هنـاك جـوانب أخـرى نجهلهـا. فـإنّ المؤلِّف بلا شـكّ من الشخصـيات العلميـة المرموقـة في عصـره، ومن أصحاب المواهب والاهتمامات المختلفة، والله أعلم.

أما ثناء العلماء عليه، فقد كان المؤلِّف متخلقاً بأخلاق القاضي العدل والعالم الجاد الوقور، مما دعـا المترجمين أن يثنوا عليه ثناءً حسناً، ويكفيه في ذلك شهادة إمامين وعالمين من ثقـات المـؤرّخين: أوّلهمـا: الشيخ الإمام العالم بقية السلف2

---

1 ورد نصّ اليمين المغلظة في نهاية الجزء الثاني من كتاب (التخجيل) بالمخطوطة، راجع الورقات: 186، 187، 188، وفي آخرها كتب: "تم الكتاب وحسبي الله وبه التوفيق برحمته وصلواته على خير خلقه سيدنا محمّد وآله وسلم تسليماً كثيراً، والحمد لله". ا. هـ.

وإنّ أوّل ما استخدمت هذه الأيمان لليهود والنصارى في زمن الفضل بن الربيع وزير الرشيد أحدثها كاتب له، ذكر ذلك محمّد بن عمر المدائني في كتاب: (القلم والدواة). (ر: صبح الأعشى 13/266-287، للقلقشندي).

2 تلك الأوصاف ذكرها الإمام ابن كثير في ترجمة قطب الدين اليونيني. (ر: البداية والنهاية 14/126.

==

الفصل الثاني: حياة المؤلف

قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمّد اليونيني الذي قال عنه: "صالح بن الحسين، أبو البقاء، تقي الدين، كان أحد الفضلاء العارفين بالأدب وغيره، والرؤساء المذكورين بالفضل والنبل، وتولى قضاء قوص مدّة، ونظرها أيضاً مدّة أخرى...".

وثانيهما: مؤرّخ الإسلام وشيخ المُحدِّثين والحفاظ الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمّد بن عثمان الذهبي الذي ترجم له بقوله: "صالح بن الحسين، القاضي الجليل، الإمام تقي الدين، أبو البقاء الهاشمي، كان رئيساً نبيلاً عارفاً بالأدب، ولي قضاء قوص مدّة، وله خطب، ونظم، ونثر، وتصانيف، وأبخس نفسه بولاية نظر قوص وفاعل ذلك منقوص...".

7- وفاته:

عاش المؤلِّف سبعة وثمانين عاماً قضاها في القضاء والولاية والتأليف والدعوة إلى الله، فقد مرّ بنا أنّ ولايته كانت سنة: (581هـ)، وكانت وفاته سنة: (668هـ)1 بالقاهرة في مستهل ذي القعدة، ودفن من الغد بسفح المقطم2. رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

---

1 ذكره أبو الفتح اليونيني والذهبي والصفدي ورضا كحالة.

2 هضبة قرب القاهرة، تشرف على القرافة، وهي مقبرة فسطاط مصر والقاهرة، تقوم عليها قلعة صلاح الدين ومدينة المقطم. (ر: المنجد في الأعلام 679، الموسوعة الميسر 1731).

==

الفصل الأول: دراسة الكتاب

الفصل الأوّل: التّعريف بالكتاب

1- اسم الكتاب:

ذكر للكتاب اسمان بينهما اختلاف يسير:

الأوّل: (تخجيل مَنْ حرَّف الإنجيل) وقد نصّ عليه المؤلِّف في المقدمة والخاتمة، وكتب على الصفحة الأولى من المخطوطة، كما نصّ عليه أيضاً في مقدمة كتابه: (الرّدّ على النصارى)1، وذكره أبو الفضل المالكي في مقدمة مختصره المسمَّى: (المنتخب الجليل من تخجيل مَنْ حرَّف الإنجيل)2، وأورده بهذا الاسم كلّ من حاجي خليفة في كشف الظنون، والبغدادي في هداية العارفين وبروكلمان في تاريخ العربي.

الثاني: ()، وقد نصّ عليه المؤلِّف في مقدمة كتابه: (البيان الواضح المشهود من فضائح النصارى واليهود)3، وقد رجحت هذا الاسم على الاسم السابق واخترته عنواناً للكتاب؛ لأنه يطابق موضوع الكتاب وهو الرّدّ على اليهود والنصارى، ويدلّ عليه دلالة واضحة، إذ إنّ تحريف التوراة ينسب لليهود، وتحريف الإنجيل إلى النصارى، وقد غلب على ظنّه أنّه الاسم الذي ارتضاه المؤلِّف أخيراً لكتابه حيث نصّ عليه في كتابه (البيان الواضح) الذي ألّفه بعد كتاب (التخجيل)، وفي أيام الشيخوخة كما يفهم منه في المقدمة.

____

1 ر: ورقة 5/ب، مخطوطة بمكتبة أياصوفيا بتركيا تحت رقم: 2246م، ص 57، من النسخة المطبوعة.

2 ر: ص 2.

3 روقة 3/أ، مخطوطة بمكتبة المتحف البريطاني تحت رقم: 16661 أ.د.د.

==

2- توثيق نسبة الكتاب إلى المؤلِّف:

إنّ الأدلة التي تثبت صحّة نسبة كتاب التخجيل إلى القاضي صالح ابن الحسين الجعفري، أدلة متنوعة ومتعددة، لا تدع مجالاً للشّكّ في صحة تلك النسبة، ومن تلك الأدلة:

1- تصريح المؤلِّف بتأليفه للكتاب في مقدمة كتبه الأخرى (البيان الواضح المشهود من فضائح النصارى واليهود)، و(الرّدّ على النصارى).

2- تأكيد الشيخ أبي الفضل المالكي السعودي صحّة تلك النسبة في مقدمة مختصره للكتاب والمُسمَّى (المنتخب الجليل من تخجيل مَنْ حرَّف الإنجيل)1.

3- اتّفاق المصادر التي ذكرت المؤلِّف وكتبه على نسبة الكتاب إليه تلك المصادر هي:

أ- كشف الظنون 1/379، للعلامة حاجي خليفة.

ب- هداية العارفين 5/422، لإسماعيل البغدادي.

ج- معجم المؤلِّفين 5/6، لعمر رضا كحالة.

د- الأدب الجدلي والدفاعي في اللغة العربية بين المسلمين والنصارى واليهود ص 36، 141، 409، للمستشرق مورتز شتاينشيندر (باللغة الألمانية).

هـ- تاريخ الأدب العربي 1/553، وفي ذيله 1/766، للمستشرق بروكلمان.

____

1 طبع بمطبعة التمدن بمصر سنة 1322هـ، وتوجد النسخة المخطوطة للكتاب في مكتبة أحمد الثالث بتركيا تحت (1765)، وذكر في نهاية الكتابة أنّ مؤلِّفه قد فرغ منه في الخامس والعشرين من شهر شوال سنة 942هـ، وذكره أيضاً الحاجي خليفة في كشف الظنون 1/379.

يضاف إلى ما سبق ذكر اسم المؤلِّف على الصفحات الأولى لنسخ المخطوطة وتصريح المؤلِّف بتأليفه للكتاب في المقدمة.

3- موضوع الكتاب:

لقد بين المؤلِّف موضوع الكتاب بقوله في المقدمة: "كتاب تخجيل مَنْ حرَّف الإنجيل، يتضمن الرّدّ على النصارى واليهود من كتبهم التي بأيديهم"1.

قد تحدّث المؤلِّف في مقدمة كتابه عن عدّة أمور منها:

1- سبب تأليف الكتاب.

2-بيان منهجه في التأليف.

3- بيان بعض الفوائد التي اشتمل عليهاالكتاب ومنهافوائد دراسة الأديان.

4- بيان حكم قراءة كتب أهل الكتاب كالتوراة والأناجيل وغيرها.

أما موضوعات الكتاب فقد قسمها المؤلِّف في الأبواب الاتية:

الباب الأوّل: في كون المسيح عبداً من عبيد الله لقوله وفتواه:

وقد ذكر المؤلِّف فيه عشرين دليلاً على عبودية المسيح من أقواله وأفعاله في الأناجيل.

الباب الثاني: في إثبات نبوّة المسيح عليه السلام وتحقيق رسالته:

وقد صدّره ببيان ضلال اليهود والنصارى في أمر المسيح عليه السلام وأنّ في إثبات نبوّته وتحقيق رسالته ردّاً عليهم وإبطالاً لزعمهم، ثم ذكر اثنين وثلاثين دليلاً من معجزات المسيح وأقواله وأفعاله الشاهدة بنبوّته من الأناجيل.

____

1 ر: ورقة 2/أ من المخطوطة.

الباب الثّالث: في تأويل ظواهر الإنجيل:

وقد بيّن فيه تفسير الألفاظ التي ضلّ فيها النصارى وهي: الأب، والابن، والإله، والرّبّ، ما تحتمله من المعاني الواردة في التوراة والأناجيل وإيراد الشواهد على ذلك، ثم إبطال ما يدعيه النصارى من اختصاص المسيح بظواهر تلك الألفاظ.

الباب الرّابع: في تعريف مواطن التحريف في الأناجيل:

وقد ذكر فيه خمسين موضعاً من مواضع التحريف في الأناجيل بدلالـة تنـاقض بعضـها ببعض وتعارضـه وتكاذبه وتهافته ومصادمته بعضها بعضاً.

الباب الخامس: في أنّ المسيح عليه السلام وإن قصد وطلب فما قتل وصلب:

افتتحه بذكر رواية الأناجيل في قتل المسيح وصلبه، ثم أبطلها بدليل عـام وأبتعـه بعشـر حجج مفصـلة نقلية وعقلية، ثم أورد بعدها عشر مسائل مفحمات للنصارى، ثم أبطل دعاوى للنصارى فيمـا يقصـدون من ادعاء قتل المسيح وصلبه وألوهيته.

الباب السّادس: في الأجوبة المسعدة عن أسئلة الملحدة:

أجاب المؤلِّف فيه على تسعة عشر سؤالاً واعتراضاً من النصـارى على المسـلمين، ثم أبطـل المؤلِّف سبعة أدلة للنصارى استدلوا بها على ألوهية المسيح من أسفار العهد القديم.

الباب السابع: في إفساد دعوى الاتّحاد:

وذكره فيه اختلاف فرق النصارى في دعواهم اتّحاد اللاهوت بالناسوت في

==

المسـيح عليـه السـلام، ثم ردّ على فرقـه منهـا وأبطـل دعواهـا بأدلـة عقليـة ونقليـة، ثم تنـاول بـالرّدّ والإبطال عقيدة التّثليث عند النصارى.

-الباب الثّامن: في الإبانة عن تناقض الأمانة:

حيث بيّن فيه بطلان ما يسمّيه النصارى بالأمانة بأدلة نقلية وعقلية وأنّها تناقض بعضها بعضـاً وتخالفهـا من خمسة عشر وجهاً.

-الباب التّاسع: في إثبات الواضح المشهود من فضـائح النصـارى واليهـود: وقـد ذكـر فيـه ثلاثاًوتسـعين فضـيحة من فضـائح اليهودوالنصـارى مـأخوذة من كتبهم المقدسـة لـديهم واعتقـاداتهم الباطلـة وعبـاداتهم المنحرفة.

-الباب العاشر: في البشائر الإلهية بالعزّة المحمّدية:

وقد قسمه المؤلِّف إلى قسمين:

الأوّل: ذكر فيه أربعاً وثمانين بشارة من البشارات الواردة في النبي صلى الله عليه وسلم من الكتاب المقدس عند اليهود والنصارى.

الثاني: ذكر فيه معجزات النبي صلى الله عليه وسلم ودلائل نبوّتـه ومـا أظهـره اللـه على يـد أصـحابه وأمّته صلى الله عليه وسلم من الكرامات والآيات البيات.

أما خاتمة الكتاب فقد ناقش فيـه ادعـاء النصـارى بأنـه لا نـبي بعـد المسـيح وبيّن تكـذيب مـا بأيـديهم لدعواهم.

4- سبب تأليف الكتاب:

ذكر المؤلِّف في المقدمة أن سببين قد دفعاه إلى تأليف هذا الكتاب هما:

1- سؤال بعض أهل العلم له أن يؤلِّف كتاباً في الرّدّ على النصارى وبيان

ما هم عليه من الضلال وإزالة الشبهات التي أعانت على ضلالهم، لعلّ ذلك يكون سبباً في هدايتهم.

2-القيام بواجب الدعوة إلى الله عملاً بقوله تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيْلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلُوهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...}. [سورة النحل، الآية: 125].

ولعلّي أضيف سبباً ثالثاً وهو أنّ الأحداث السياسية التي عاصرها المؤلِّف والبيئة الاجتماعية المحيطة به كان لها دور أيضاً في تأليف هذا الكتاب كما سبق الحديث عنه.

5- زمن تأليف الكتاب:

لم يذكر المؤلِّف زمن تأليف هذا الكتاب، إلاّ أنّه ذكر في نهاية المجلد الأوّل من المخطوطة أنّ الفراغ من نسخها كان يوم السبت الثالث من شهر صفر نم سنة سبع وثلاثين وستمائة من الهجرة النّبوّية الشريفة، وقد ظهر لي من مقدمة الكتاب أنه من أوّل مؤلَّفات المؤلِّف - رحمه الله - في هذا العلم، ويؤكّد ذلك تصريح المؤلِّف في مقدمة مؤلَّفاته الأخرى (البيان الواضح) و(الرّدّ على النصارى) باقتباسه من كتابه (التخجيل) واختصار أبوابه فيهما.

6- منهج المؤلِّف في الكتاب:

1- استدل المؤلِّف على كلّ باب في الكتاب بآيات من القرآن الكريم تكون له منهجاً ونبراساً فيما يريد إثباته من القضايا أو نفيها.

2- أنه لم يبدأ في تأليف هذا الكتاب حتّى قرأ التوراة والأناجيل وبقية أسفار العهد القديم والعهد الجديد قراءة متأنية متفحصة عدّة مرات، وكانت طريقته في النقل من تلك الأسفار أن منها ما نقله بنصه، منها ما أوجزه لركاكة نصّه، وقد كان استدلال المؤلِّف بهذه النصوص لإلزام اليهود والنصارى من باب

التسليم لهم بصحة كتبهم المقدسة لديهم، ومن باب التنزيل في الجدال مع الخصم.

3- إنّ موضوع الكتاب الرّدّ على اليهود والنصارى، غير أنّ الرّدّ على النصارى قد استأثر بمعظم أبواب الكتاب نظراً لأنهم كانوا سبب تأليف للكتاب.

ويتخلص منهج المؤلِّف في الرّدّ على اليهود بالآتي:

أ- إثبات جواز النسخ عقلاً ونقلاً من التوراة وبقية أسفار العهد القديم، وإبطال شبههم في أبدية شريعة التوراة وعدم نسخها من كتبهم المقدسة لديهم.

ب- ذكر فرق اليهود واختلاف عقائدهم، وإن كلّ فرقة تضلِّل الأخرى وتبدِّعها وإن من فضائحهم فسادهم وكفرهم بما هو ثابت عنهم في توراتهم وكتبهم المقدسة لديهم.

ج- نقد التوراة المحرفة التي بأيدي اليهود والنصارى بأدلة متنوعة هي:

1- ذكر ما فيها من صفات التجسيم والتشبيه والنقائص التي نسبوها إلى الله عزوجل كـالتعب والنـدم والجهل وغيرها.

2- ذكر ما فيها من صفات العيب والنقائص التي نسبوها إلى أنبياء الله عزوجل كالشرك باللـه والظلم والغشّ وشرب الخمر والزنا بالمحارم والقتل المحرم وغيرها.

3- بيان ما فيها من التناقض ومخالفة الحقائق التاريخية والعلمية.

د- إثبات نبوّة المسيخ عليه السلام بإثبات معجزاته بالطرق التي ثبتت بها معجزات موسـى وغـيره من الأنبياء.

هـ- إثبات نبوّة النّبيّ محمّد صلى الله عليه وسلم بالبشارات الواردة فيه صلى الله عليه وسلم.

أما منهجه في الرّدّ على النصارى فكالآتي:

أ- أنه اطلع على كثير من مصنفات النصارى في نصرة دينهم واحتجاجهم لأغاليطهم ومـا ردّت بـه كـلّ فرقة من الفق الثلاث: الملكية والنسطورية واليعقوبية على الأخرى وما نصرت به مذبها.

ثم إنه قرأ عدداً من مؤلَّفات علماء المسلمين في الرّدّ على النصارى وسيأتي بيانها في المصادر الـتي اعتمد عليها المؤلِّف.

ب- اهتم المؤلِّف بنقد أسس العقيدة النصرانية وهي:

1- التّثليث، واتّحاد اللاهوت بالناسوت في المسيح.

2- صلب المسيح تكفيراً عن خطيئة آدم الأزلية.

3- محاسبة المسيح للناس يوم القيامة.

4- شريعة إيمان النصارى (قـانون الأمانـة) المشـتملة على الأسـس السـابقة والـتي لا يعتـبر الإنسـان نصرانياً دون الإقرار بها.

وكانت طريقته في الاستدلال بالأدلة النقلية كالآتي:

1- ذكر النصوص الدالة على عبودية ونبوة المسـيح عليـه السـلام من الأناجيـل ومـا يتبعهـا من أسـفار العهد الجديد.

2- إيراد النصوص المصرحة بوحدانية الله عزوجل، ونفي التعدد والشريك عنه تعالى من أسفار العهـد القديم والجديد.

3- مقارنة معجزات المسيح عليه السلام في الأناجيل بمعجزات من سبقوه

من الأنبياء في أسفار العهد القديم، وأنّ هذه المعجـزات دليـل نبوتـه وليسـت دليلاً على ألوهيتـه كمـا يزعم النصارى.

4- ذكر النصوص الأناجيل الدالة على نجاة المسيح من القتـل والصـلب، وأنّ المصـلوب هـو مَنْ أُلقي عليه شبه المسيح.

5- ذكر نصوص الأناجيل التي غلط النصارى في فهمها وفي نسـبة المسـيح إلى الألوهيـة، والاسـتدلال على تفسيرها بنصوص أسفار العهد القديم والعهد الجديد.

6- نقد الأناجيل المحرفة ببيان انقطاع سندها وعدم تواتر رواتها، ثم ببيان مواطن التنـاقض والتكـاذب والتهافت في الأناجيل ومصادقة بعضها بعضاً.

كما بيّن المؤلِّف بالأدلة العقلية اسـتحالة العقائـد النصـرانية وعـدم معقوليتهـا ورفض العقـل الصـحيح والفطرة السليمة لها، ومخالفتها للواقع المعاين المحسوس لأمر المسيح، وتناقضها مع الأناجيل.

كما ناقش المؤلِّف أدلة النصارى وشبهاتهم حول ألوهية المسيح وبنوته لله، وبَيَّن بطلان ما استدلوا به وأوضح الحقّ الذي يجب أن يعتقدوه.

ج- تطرق المؤلِّف إلى نقد بعض شعائر النصـارى وعبـادتهم كالقربـان المقـدس، والاعـتراف بالـذنوب للقسيس، وصلواتهم وما يتعلق بها كالقبلة والطهـارة والقـراءة فيهـا، والصـوم، والأعيـاد، والسـجود للصـور والتماثيل، وعدم الختان، والحجّ، وتعظيم الصليب وأكل لحم الخنْزِير.

د- ذكر فضائح القسيسين ومخاريق رهبانهم وما يروجونه من الحيل على ضـعفاء النصـارى ليقـووا بـه واهي أباطيلهم.

هـ- ذكر فرق النصارى واختلاف عقائدهم وتكفير كلّ فرقة منهم الأخرى، وذكر مـا ردت بـه كـلّ فرقـة على الأخرى في دعواهم اتّحاد اللاهوت بالناسوت في المسيح، ليكون أبلغ في بيان الفسـاد والباطـل الـذي هم عليه.

4- اهتم المؤلِّف بالغاً بدلائل نبوّة نبيّنا محمّد صلى الله عليه وسلم، حيث إنّ المقصود من كتابه دعوة اليهود والنصارى إلى الإسلام بعد بيان بطلان عقائدهم وكتبهم.

لذلك استطرد في ذكر البشارات الواردة في النّبيّ صلى الله عليه وسلم في التوراة والأناجيـل وبقيـة أسفار العهد القديم والجديد، ثم ذكر بعض المعجزات الكثيرة للنّبيّ صلى الله عليه وسلم والإرهاصات التي بشِّرت ببعثته صلى الله عليه وسلم والكرامات التي كانت لأصحابه صلى الله عليـه وسـلم وأمّتـه من بعـده صلى الله عليه وسلم.

وقد كان ذلك بمثابة خاتمة الكتاب والنتيجة الحتمية الـتي يتوصـل إليهـا كـلّ منصـف عاقـل من اليهـود والنصارى بعد قراءة الأبواب السابقة من الكتاب.

5- وخلاصة القول في منهج المؤلِّف أنه جمـع منـاهج من سـبقه من علمـاء المسـلمين في الـرّدّ على اليهود والنصارى ويتركز في الآتي:

أ- المنهج التفسيري: الذي يقوم على افتراض صحة الأناجيل، ثم تفسير الألفاظ التي زلّ فيها النصارى وبيان ما تحتمله من المعاني الصحيحة بشواهد من الأناجيل والتوراة وغيرها.

ب- منهج المحدِّثين: الذي يستند على نقد السند والمتن أيضاً، وبيـان مـا فيهـا من التهـافت والتنـاقض والتكاذب.

ج- المنهج العقلي: الذي يبيّن استحالة عقائد النصارى وعدم معقوليتها وتناقضها.

==

7- مصادر الكتاب:

لقد كان المؤلِّف من القلائل الذين ذكروا بعض مصادرهم وذلـك من المميّـزات العديـدة الـتي تسـجل للمؤلِّف - رحمه الله - ، على الرغم من أنه لم يحدد المواضع الـتي نقلهـا من تلـك المصـادر إلاّ نـادراً، كمـا كانت عادة المؤلِّفين المتقدمين، وتنقسم المصـادر الـتي ذكرهـا المؤلِّف أو أشـار إليهـا من خلال كتابـه إلى قسمين رئيسين هما: مصادر شفهية، ومصادر كتابية.

أما المصادر الشفهية: فهي التي سجل المؤلِّف معلوماته عن طريق المشافهة بالسـؤال أو المنـاظرة لأحبار اليهود والنصارى ومن أمثلة ذلك:

- قال المؤلِّف: "سألت حبراً من أحبار اليهود عن هـذا المزمـور (يقصـد النصّ الـوارد في مزمـور داود وهو: "قال الرّبّ لـربِّ"، قـال: (قـال الـرّبّ لـربّي) تفسـيره عنـدنا بالعبرانيـة: "قـال الـرّبّ لـوليّي"، قـال: "والرّبّ"، عندنا يطلق على المعظَّم في الدين، ثم تلا قول إبراهيم ولوط الذي حكيناه". أهـ.

- وقال المؤلِّف: "سألت حَبْراً من أحبار اليهود عن قوله داود: "ثقبوا يدي" بالمزمور، فأجابني بنحو مـا ذكرته في الوجه الأوّل على الفور من غير توقف، فتعجبت من اتّفاقه لنصّ ما عندهم". أهـ.

- قال المؤلِّف: "لقد فاوضني بعض الرهبان ممن يدعي بناناً في البيان فأفضى الحديث معـه إلى ذكـر الابن والبنوة، فألزمته قول التوراة: "ابني بكري"، وقلت له: لعلّ البكر يكون أحظى عند والده بطريف بـره وتالده، فما تقول في بنوة إسرائيل، فقال: إسرائيل وغيره ابن النعمة والمسيح ابن على الحقيقة، فعكست عليه كلامه، فتلبد واختزى ولجأ إلى ضعف العبارة لا واختزى". أهـ.

==

ويلاحظ على هذه المصادر عدم ذكر المؤلِّف لأسـماء من سـألهم أو نـاظرهم من الأحبـار والرهبـان أو ذكر رتبتهم الدينية خاصّة، وأنّ أولئك الأحبار لا بدّ أن يكونوا من رؤساء أهل ملتهم وممن يحتج بقولهم نظراً إلى مكانة المؤلِّف العلمية والاجتماعية.

وأما المصادر الكتابية: فمما هو معلوم أن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة من المصـادر العامّـة التي لا يستغني كلّ مسلم عن الرجوع إليهما في جمع أموره العلمية والعملية.

وأما المصادر الأخرى الخاصّة فقد ذكر المؤلِّف في مقدمة المخطوطة بعض مصادره الأساسية في مجال الرّدّ على اليهود والنصارى، وذكر بعضها خلال كتابه، وبعضها الآخر مما لم يصرح به المؤلِّف ولكن وقفت عليها عن طريق مقارنة النصوص في الكتب الأخرى.

المصادر التي ذكرها المؤلِّف في مقدمة المخطوطة فهي:

قال المؤلِّف: "كتاب تخجيل مَنْ حرَّف الإنجيل، يتضمن الرّدّ على النصارى واليهود من كتبهم التي بأيديهم كتوراة موسى الخمسة الأسفار، والأربعة الأناجيل متَّى، ومرقس، ولوقا، ويوحنا، ومزامير داود، ونبوة أشعيا، ونبوة هوشاع، ونبوة ميخا، ونبوة حبقوق، ونبوة دانيال، ورسائل فولس الرسول، وسفر الملوك وسير التلاميذ"1.

قال مؤلِّفه - عفا الله عنه - : "وقد وقفت على كثير من مصنفاتهم وتواليفهم في نصرة دينهم، واحتجاجهم لأغاليطهم، وما ردّت به كلّ فرقة من الفرق الثلاث: الملكية والنسطورية واليعقوبية على الأخرى وما نصرت به مذهبها وقرأت عدّة

---

1 أي: سفر أعمال الرسل.

==

ردود لأصحابنا عليهم مثل: كتاب الرهاي1، وكتاب عمرو بن بحر الجاحظ2، وكتاب عبد الجبار المعتزلي3، ومقالة أبي بكر4، وكلام الجويني5، وكتاب لبعض المغاربة6، وكتاب لابن الطيب7، وكتاب للطرطوشي8، وكتاب لابن عوف9.

---

1 كذا في الأصل، ولعلّ صوابه: (الرهاوي) حيث سقط حرف الواو من الناسخ. وهو: عبد القادر بن عبد الله الفهمي الرهاوي، أبو محمّد عالم بالتراجم ومن حفاظ الحديث، توفي سنة: 612هـ، له كتاب: (رد النصارى) ذكر المستشرق مورتز في كتابه: (الأدب الجدلي والدفاعي في اللغة العربية بين المسلمين والنصارى واليهود ص 136). (ر: ترجمته في الأعلام 4/40، للزركلي).

2 الأديب المعروف، من أئمة المعتزلة توفي سنة: 255هـ، له (المختار في الرّدّ على النصارى) حققه ونشره د. محمّد عبد الله الشرقاوي، وله (الرسالة العسلية) ذكره القاضي عبد الجبار في تثبيت دلائل النبوة 1/198.

3 القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني الأسدابادي، شيخ المعتزلة في عصره توفي سنة 415هـ، له: (المغني في أبواب التوحيد - مطبوع في أجزاء) وقد رد على النصارى في الجزء الخامس منه، وله: (تثبيت دلائل النبوة - مطبوع في جزئين) تحقيق د. عبد الكريم عثمان، وقد رد على النصارى في الجزء الأوّل منه. وله: (رد النصارى) ذكره مورتز في الأدب الجدلي والدفاعي ص 114.

4 القاضي أبو بكر محمّد بن الطيب الباقلاني، من أئمة الأشاعرة توفي سنة 403هـ، له: (التمهيد في الرّد على الملحدة والمعطلة والخوارج والمعتزلة - مطبوع)، وله: (الملل والنحل) ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون ص 1820.

5 أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني، إمام الحرمين، توفي سنة 478هـ، له: (شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل - مطبوع) بتحقيق د. أحمد السقا، وله: (الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد - مطبوع) وقد رد على النصارى في جزء من الكتاب.

6 هو أحمد بن عبد الصمد بن أبي عبيدة الخزرجي، فقيه أندلسي توفي سنة 582هـ، له: (مقامع هامات الصلبان في الرّدّ على عبدة الأوثان ومراتع روضات الإيمان - مطبوع)، حققه ونشره د. محمّد شامه بعنوان: (بين الإسلام والمسيحية)، كما حقّقه أيضاً د. عبد المجيد الشرفي. (ر: ترجمته في الأعلام 1/150 للزركلي) وقد استفاد المؤِّلف من هذا المصدر في ذكر فضائح الرهبان وحيلهم في الباب التاسع (ر: ص: وما بعها).

7 أبو العباس أحمد بن محمّد بن مروان بن الطيب السرخسي، فيلسوف غزير العلم بالتاريخ والسياسة والأدب والفنون، توفي سنة: 286هـ، له: (رد النصارى) ذكره مورتز في الأدب الجدلي ص 142، 143. (ر: ترجمته في الفهرست ص 365-367، لابن النديم، والأعلام 1/205، للزركلي).

8 محمّد بن الوليد بن محمّد الفهري، أبو بكر الطرطوشي، من فقهاء المالكية، توفي سنة: 520هـ، له: (رد النصارى) ذكره مورتز في الأدب الجدلي ص 144، وله: (السعود في الرّدّ على اليهود) ذكره القاضي عياض في (الغنية) ص 63، طبعة بيروت (ر: ترجمته في: سير أعلام النبلاء 19/490، أعلام 7/133).

9 عوض بن عوف، له: (رد النصارى) ذكره مورتز في الأدب الجدلي ص 126.

==

وكتاب الدمياطي1، وكتاب لبعض معاصرينا2، ثم نظرت جزءاً من كتاب لابن ربن من المتقدمين3، وأرجو أن يكون هذا المختصر - إن شاء الله- قد جمع شتاتهم واستدرك ما فاتهم، والله الموفِّق بحمده" 4.أهـ.

وأما المصادر الكتابية التي أشار إليها المؤِّلف ضمن كتابه فهي:

1- بعض أسفار العهد القديم التي قد تقدم ذكر بعضها وهي: سفر صفنيا، وسفر زكريا، وسفر أرميا، وسفر حزقيال.

2- بعض الأناجيل غير المعتمدة عند النصارى وهي: إنجيل الصبوة ويسمّى (إنجيل بطرس)5، ونسخ أخرى للأناجيل.

3- كتاب (الملل والنحل) لأبي الفتح محمّد بن عبد الكريم الشهرستاني.

وأما المصادر التي وقفت عليها عن طريق مقارنة نصوص الكتاب في الكتب الأخرى فهي:

____

1 خلف الدمياطي له: (رد النصارى) ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون 1/838.

2 لعلّه كتاب: (الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام - للقرطبي المفسّر - أبي عبد الله محمّد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري المتوفى سنة: 671هـ، وقد طبع بتحقيق د. أحمد السقا، وقد اشترك المؤلّف مع القرطبي في النقل من كتاب الشفا للقاضي عياض دون الإشارة إليه.

3 عليّ بن ربن الطبري، أبو الحسن، كان نصرانياً فأسلم. توفي سنة: 247هـ، له: (الرد على النصارى - مطبوع) نشره الأبوان خليفة وكوتشك في بيروت سنة: 1959م، وله: (الدين والدولة في إثبات نبوة النّبي صلى الله عليه وسلم - مطبوع) تحقيق الأستاذ عادل نويض. وقد اعتمد المؤلِّف على كتاب الدين والدولة اعتماداً كلّيّاً في الباب العاشر في القسم الأوّل منه في البشارات الواردة بالنّبيّ صلى الله عليه وسلم في التوراة والأناجيل. (ر: ص: وما بعدها).

4 انتهى كلام المؤلِّف في بداية المجلد الأوّل من المخطوطة ورقة 2/أ.

5 ر: ص: .

==

الفصل الأول: دراسة الكتاب

1- كتاب (الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم) للقاضي عياض بن موسى اليحصبي (توفي سنة: 544هـ).

وقد تبيّن لي أنّ المؤلِّف قد اعتمد على كتاب الشفا اعتماداً كلّيّاً، حيث نقل الباب الرابع مع القسم الأوّل من كتاب الشفا وهو: "فيما أظهره الله على يديه (النبيّ محمّد صلى الله عليه وسلم) من الآيات والمعجزات وشرَّفه به من الخصائص والكرامات وفيه ثلاثون فصلاً" نقله المؤلِّف في القسم الثاني من الباب العاشر من كتابه نقلاً حرفياً مع حذف واختصار بعض الأحاديث الواردة فيه1.

2- كتاب (حلية الأولياء وطبقات الأصفياء) - للحافظ أبي نعيم الأصفهاني توفي سنة 430هـ

3- كتاب (صفة الصفوة) للإمام جمال الدين أبي الفرج ابن الجوزي توفي سنة 597هـ، وقد استفاد المؤلِّف من هذين المصدرين في نهاية الباب العاشر في ذكر ما أظهره الله على يد أصحاب النّبيّ صلى الله عليه وسلم وأمّته من الكرامات والآيات البيّنات.

8- قيمة الكتاب العلمية:

إن من مواصفات الكتاب العلمية البارز أن يحوز على ثناء العلماء واهتمام المتخصصين منهم باختصاره أو بالاعتماد عليه في كتبهم ومؤلَّفاتهم، أو بالإشارة إليه والنقل منه، وأن يحرص العلماء والأمراء على اقتنائه وقرائته.

وإنّ الكتاب الذي بين أيدينا قد جمع - بحمد الله - تلك الصفات السابقة، مما يؤكِّد قيمته العلمية والعالية والبارزة، وإليكم الأدلة على ذلك:

---

1 قارن نص كتاب الشفا 1/481-432، للقاضي عياض مع نص كتاب التخجيل ص 531 للمؤلِّف وما بعدها.

أوّلاً: لقد سجّل لنا المؤلِّف مدى تأثير كتابه عند العلماء ومدى اهتمامهم به في مقدمة كتابه: "البيان الواضح المشهود من فضائح النصارى واليهود) الذي يعتبر اختصاراً لكتاب (التخجيل) فقال: "وعمدت إلى تكابي الملقَّب بـ: () وهو كتاب وضعته في أيام الشباب والنشاط، وجودة القريحة والانبساط فأكب على نقله علماء أهل الفسطاط واغتبطوا به غاية الاغتباط، ولا شكّ أنّ علماءنا - أيّدهم الله - يردّون عليهم بالحجج العقلية والطرق الكلامية، وعقول النصارى قاصرة عن المعقول مائلة إلى المنقول، وكنت قد طالعت التوراة الخمسة الأسفار والأناجيل الأربعة وإنجيل الصبوة ومزامير داود المائة وخمسين مزموراً ورسائل فولوس وسير التلاميذ ونبوات الأنبياء الأوّل والأمانة التي ألفها قدماؤهم، وقرأت كتب اليعاقبة والروم والنسطور، وتلوت عليهم من كتبهم وخاطبتهم باصطلاحهم، فجاء الكتب ندرة في فنّه، غاية في باب لا يسمع به أمير أو مأمور إلاّ حصله واقتناه وبلغ من مناظرة أهل الكتاب مناه، فجردت منه عشر مسائل مسألة من كلّ باب من أبواب الكتاب..."1 الخ. اهـ.

ثانياً: إنّ مما يؤكِّد كلام المؤلِّف في اهتمام العلماء بكتابه اعتماد الإمام أحمد بن إدريس القرافي (توفي سنة 684هـ) في كتابه (الأجوبة الفاخرة في الرّدّ على الأسئلة الفاجرة)2، اعتماداً مباشراً عليه، فقد نقل منه نصوصاً كثيرةً جدّاً بحيث يشبه

____

1 ر: ورقة 5 من المخطوطة.

2 طبعته دار الكتب العلمية عام 1406هـ، في بيروت وقد حقّق الكتاب في جامعة أم القرى لنيل درجة الدكتوارة، كما حقّق أيضاً في جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلامية لنيل درجة الماجستير.

أن يكون اختصاراً له، ولى الرغم من أن الإمام القرافي لم يصرِّح بنقله من كتاب التخجيل، إلاّ أنّ ذلك يبدو واضحاً بمقارنة النصوص1.

ثالثاً: اختصره الشيخ أبو الفضل المالكي السعودي بعنوان: (المنتخب الجليل من تخجيل مَنْ حرَّف الإنجيل)2، وقد فرغ من اختصاره في شوال سنة 942هـ، إلاّ أنّ أبا الفضل المالكي قد حشا مختصره بمخاريق الصوفية وخزعبلاتهم3، وخرافاتهم.

رابعاً: نقل منه محمّد بن عبد القادر الشهير بابن الصلف المحلي المالكي في كتابه: (المنقذ من الضلالة الشاهد لمحمّد وعيسى - عليهما الصلاة السلام - بالرسالة)4.

خامساً:

اعتمد عليه الشيخ رحمة الله الهندي (المتوفى سنة: 1308هـ) في مناظرته

1 ذكر د. ناجي محمّد داود، محقِّق كتاب الأجوبة الفاخرة في جامعة أمّ القرى، أن كتاب التخجيل من المصادر الأساسية التي اعتمد عليها القرافي في الأجوبة. (ر: ص 113، من رسالة الدكتوراه).

وقارن أيضاً بين الباب الثاني في الأجوبة الفاخرة وبين الباب الأوّل والثاني في كتاب التخجيل، وبين الباب الثالث في الأجوبة الفاخرة والباب التاسع في كتاب التخجيل، وبين الباب الرابع في الإجوبة الفاخرة والقسم الأوّل من الباب العاشر في كتاب التخجيل.

2 مخطوطة بمكتبة أحمد الثالث بتركيا تحت رقم: (1765)، وتوجد عنها نسخة ميكروفليم بمركز البحث العلمي تحت رقم: 68/15، عقيدة بجامعة أم القرى.

3 ر: الباب السادس من المخطوطة، وص 81-97، من النسخة المطبوعة.

4 مخطوطة بمكتبة باريس تحت رقم: (5049)، ولم أقف على هذه المخطوطة لكنني وقفت على كتاب (الصليب في الإسلام ص 38 لحبيب زيات) الذي نقل نصّاً من المخطوطة السابقة، وهذا النصّ موجود في كتاب التخجيل.

==

الكبرى مع القسيس فندر في بلدة أكبر آباد بالهند1، واستشهد فيها بثلاثة نصوص من كتاب التخجيل من الباب الثاني والتاسع2.

كما نقل منه الشيخ رحمة الله الهندي في كتابه القيم: (إظهار الحقّ)3 الذي يعتبر من خير ما ألّف في العصر الحديث في الرّدّ على النصارى وافتراءاتهم، وأصبح من المراجع التي لا يستغني عنها أي باحث في الرّدّ على اليهود والنصارى4.

وإن قراءة الشيخ - رحمه الله - الهندي لكتاب التخجيل ونقله منه ليدل دلالة قوية على مدى أهمية كتاب التخجيل وقيمته العلمية الكبيرة.

ويوجهنا ذلك إلى إبراز بعض مميّزات كتاب التخجيل وهي:

أ- حسن ترتيبه لأبواب الكتاب وتناسقها.

ب- اعتماده في مجادلة أهل الكتاب على ما جاء في كتبهم المقدسة لديهم وفي كتب فرقهم وأحبارهم ليكون أبلغ في الحجّة وأفحم للخصم.

1 وتسمَّى المناظرة الكبرى التي عقدت في يوم الاثنين 11 رجب 1270هـ، وطبعت بتحقيق د. محمّد عبد القادر خليل (رسالة دكتوراه)، وأيضاً بتحقيق د. أحمد السقا في ملحق الطبعة الثانية لكتاب إظهار الحقّ.

2 ر: ص: 276، 277، من المناظرة الكبرى بتحقيق د. محمّد عبد القادر، وص: 436، 437، من المناظرة الكبرى بتحقيق د. أحمد السقا.

3 ر: ص: 190، بتحقيق د. أحمد السقا.

4 لقد نال كتاب (إظهار الحقّ) مكانة كبيرة عند علماء قَلَّ أن - ينالها كتاب آخر في هذا المجال - فقد طبع وحقّق مرات عديدة وترجم إلى تسع لغات أجنبية منها: الألمانية والفرنسية والإنجليزية، ولما انتشرت الترجمة الإنجليزية للكتاب علقت عليها جريدة لندن تايمز.

وجاء في التعليق: "لو استمرّ الناس في قراءة ومطالعة هذا الكتاب لتوقف رقي الدين النصراني وازدهاره في العالم كلّه". (ر: للتوسع في صدى كتاب (إظهار الحقّ) وقيمته العلمية، مقدمة د. أحمد السقا لتحقيق الكتاب ص: 31-36، دراسة د. محمّد عبد القادر لتحقيق المناظرة الكبرى ص: 382-41)

==

ج- إحاطته بالموضوع وشموليته في إبطال أهمّ العقائد الباطلة لأهل الكتاب.

د- قوّة مناقشته وكثرة استدلالاته وتنوعها، وطول نفسه في المناظرة.

هـ بساطة أسلوب الكتاب وسلاسته.

تلك أبرز المميّزات في نظري. والله أعلم.

9- المآخذ على الكتاب:

لقد تبيّن لنا مما سبق قيمة الكتاب العلمية الكبيرة ومكانته البارزة بين كتب الرد على اليهود والنصارى بما يروي الغليل ويشفي العليل ويثلج صدور قوم مؤمنين، ومع ذلك فإنّ كلّ إنسان يؤخذ من كلامه ويُرَدُّ إلاّ الأنبياء والمرسلين، وإنّ المؤلِّف مع سعة علمه لم يخل كتابه هذا من بعض المآخذ التي ارتأيتها - رغم قصر باعي وقلة اطلاعي - ومنها:

1- التكلف في السجع-في بعض المواطن وخاصة في خطبة الكتاب-الذي يؤدّي إلى غموض المعنى وصعوبة فهمه.(ر:ص:89-92).

2- التكرار لبعض المسائل والقضايا الواردة فيه، مثال ذلك:

____

مسألة بقاء المسيح في القبر كما وردت في الأناجيل تكررت في ص: 187، 256، 295، 308-310، 356، 357، 421.

- مسألة الختان عند النصارى تكررت في ص: 228، 588، 589.

- مسألة القبلة في الصلاة عند النصارى تكررت في ص: 156، 593، 643.

- مسألة استعباد بني إسرائيل في مصر تكررت في ص: 575، 584، 585.

==

3- إيراد بعض الأحاديث والآثار الموضوعة والضعيفة دون بيانها، مع أنّ في الأحاديث والآثار الصحيحة التي أوردها المؤلِّف ما يغني عنها، (ر: ص: 733، 766، 767، 773، 821، وغيرها).

4- ذكر بعض البشارات التي فيها تكلف ظاهر لإثباتها في نبيّنا محمّد صلى اللـه عليـه وسـلم. (ر: ص: 665، 678، 679، 687، 688، 697).

5- عدم ذكر المؤلِّف لكتاب (الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم - للقاضي عيـاض -) من بين المصادر التي اعتمد عليها، مع أنّه قد نقل من كتاب الشفا جزءاً كبيراً كما سبق بيانه.

الفصل الثّاني: التّعريف بالمخطوطة وبيان منهج التّحقيق

أوّلاً: وصف المخطوطة:

لقد بذلت ما وسعي من الجهد في سبيل جمع نسخ المخطوطـة حسـب مـا يقتضيه التحقيـق العلمي، فاطلعت على معظم فهارس المخطوطات الموجودة بمكتبات العالم، وسافرت إلى تركيا ومصر، وراسـلت مكتبة المخطوطات بجامعة لندن بهولندا، ومكتبة المتحـف البريطـاني بلنـدن وغيرهمـا من المكتبـات، وقـد كانت نتيجة تلك الجهود - بعد عون الله عزوجل وتوفيقه - ما يأتي:

1- وقفت على نسخة خطيةكاملةللكتاب مكونةمن مجلدين كبيرين في مكتبة السليمانية بتركيـا، وهي نسخة فريدة حصلت على ميكروفيلم لها،وقدكتبت هذه النسخة بخط نسخ واضـح،ولم يـذكر الناسـخ اسـمه عليها.

وأما تاريخ نسخها، فقد كتب في نهاية المجلد الأوّل أنّ الناسـخ انتهى من النسـخ في يـوم السـبت في شهر صفر من سنة 637هـ.

وكتب في نهاية المجلد الثاني عبارة: "نظر فيه مؤلِّفه صالح بن الحسين عفا الله عنه برحمته".

مميّزات النسخة:

تتميّز بأنها نسخة كاملة كتبت في عصر المؤلِّف وقرأت عليه وراجعها[1]، كما تتميّز أيضاً بقلـة الأخطـاء وندرة السقط فيها، ووجود التصحيحات والتعليقات واستدراك النقص على الهامش.

إنّ تلك المميّزات تجعلها بحقّ النسخة الأم أو الأصل التي يسعى للحصول عليها كلّ بـاحث في مجـال التحقيق، وقد رمزت لها بالرمز (ص) ووصفها

____

1 وفي اعتقادي أنها نسخة المؤلِّف التي نقل عنه علماء الفسطاط نسختهم كما ذكر ذلك المؤلِّف في مقدمة كتابه: (البيان الواضح).

كالآتي:

أ- وصف المجلد الأوّل: هو نسخة خطية موجودة بمكتبة رئيس الكتاب مصطفى باشا تحت رقم (6) بمكتبة السليمانية، وتحتوي على مقدمة الكتاب إلى منتصف الباب السادس منه.

عدد الأوراق والأسطر: تتكون من (184)، ورقة، وتحتوي كلّ صفحة منها على (17) سطراً في المتوسط، ويتراوح عدد الكلمات في السطر الواحد ما بين 7-9 كلمات تقريباً.

وصف الصفحة الأولى والأخيرة: كتب على الصفحة الأولى ما يأتي: "الجزء الأوّل من تخجيل مَنْ حرَّف الإنجيل - تصنيف الشيخ الفقيه الإمام الفاضل تقي الدين صالح - وفقه الله لما يرضيه برحمته"، وعليها ختم مكتبة رئيس الكتاب مصطفى، وكتب في أعلى الصفحة العبارة الآتية: "من كتب العبد ويسما سنة 1021هـ".

وأما الصفحة الأخيرة فقد كتب في نهايتها: "ولله الحمد والمنّة، تَمَّ الجزء الأوّل ويتلوه الجزء الثاني من كتاب تخجيل مَنْ حرّف الإنجيل، ووافق الفراغ منه في يوم السبت في شهر صفر الثالث من سنة سبع وثلاثين وستمائة".

ب- وصف المجلد الثاني: هو نسخة خطية بمكتبة دماد إبراهيم باشا تحت رقم: (4)، بمكتبة السليمانية، وتشتمل على منتصف الباب السادس - من حيث ما انتهى إليه المجلد الأوّل - إلى خاتمة الكتاب.

عدد الأوراق والأسطر: تتكون من (188) ورقة، وعدد الأسطر فيها (17) سطراً في المتوسط، وعدد الكلمات في السطر الواحد ما بين 7-9 كلمات تقريباً.

ووصف الصفحة الأولى والأخيرة: لم يكتب على الصفحة الأولى اسم الكتاب

والمؤلِّف، وإنما كتب في أعلاها عبارة: "من كتب العبد ويسما سنة 1020هـ). وفي منتصفها ختم مكتبة دماد إبراهيم باشا.

وأما الصفحة الأخيرة من الكتاب فقد كتب فيها: "والله أعلم وأحكم نجز الكتاب الملقب بتخجيل مَنْ حرَّف الإنجيل. ولله الحمد.

رحم الله من قرأه ودعا لمؤلِّفه بالرحمة والرضوان وكاتبه وجميع المسلمين. وصلى الله على محمّد وآله وسلم".

وكتب على الصفحة الأخيرة من المجلد الثاني (ورقة 188/أ) العبارة الآتية: "تَمَّ الكتاب وحسبي الله وبه التوفيق برحمته، وصلواته على خير خلقه سيدنا محمّد وآله وسلم تسليماً كثيراً. الحمد لله وحده".

وكتب فيها أيضاً ما نصُّه: "نظر فيه مؤلِّفه صالح بن الحسين - عفا الله عنه برحمته - ". وكتب تحته الاسم الآتي: "ذو النون المصري رضي الله عنه".

ثم كتب في أسفل الصفحة دعاء نصّه: "لك سجدت الحيتان في البحار الزاخرات، ولعظمتك اضطربت الأمواج في البحار والمتلاطمات، وبقدرتك قامت السماوات العاليات، ولهيبتك تدكدكت الجبال الراسيات،

لك سجد سواد الليل وضياء النهار والنجم الزهار والبحر الزخار وكلّ شيء عندك بمقدار، لبيك أنت الله المتكبّر. تَمَّ الدعاء والحمد لله وصلى الله وسلم". اهـ.

2- وقفت على نسخة خطية للمجلد الثاني من المخطوط في مكتبة عارف حكمت تحت رقم:(130توحيد)بالمدينة المنورة وتوجد لها مصورة ميكروفيلم بمكتبة المخطوطات بالجامعة الإسلاميّة تحت رقم:(6188).

وتشتمل هذه النسخة الناقصة على منتصف الباب السادس من الكتاب إلى نهايته، وفي ظني أنها نسخة منقولة عن المجلد الثاني بمكتبة دمار إبراهيم باشا

==

التي تقدم وصفها، وقد رمزت لهذه النسخة بالرمز: (م) في المقابلة على النسخة الكاملة.

اسم الناسخ وتاريخ النسخ: كتب فيها أن اسم الناسخ: فضل الله، دون ذكر بقية نسبه، وقد كتبت النسخة بخط نسخ جميل، وانتهى من نسخها في العاشر من شهر ذي الحجة سنة 1177هـ.

عدد الأوراق والأسطر: عدد أوراق هذه النسخة (121)، ورقة، وعدد الأسطر في الصفحة الواحدة (17) سطراً، ويتراوح عدد الكلمات في السطر الواحد ما بين 10-14 كلمة تقريباً.

وصف الصفحة الأولى والأخيرة: كتب في منتصف الصفحة الأولى عبارة: "رد فرق النصارى"، وفي أعلاها عبارة: "من كُتُب الفقير مصطفى بهجت - رئيس الأطباء السلطاني".

وأما الصفحة الأخيرة فقد كتب فيها عبارة: "تَمَّ الكتاب بعناية الملك الوهّاب من نسخة مؤلِّفه وهو الشيخ صالح بن الحسين عفا الله عنه برحمته ورضوانه، في عاشر ذي الحجة سنة 1177هـ".

3- حصلت على ميكروفيلم لثلاث مخطوطات، اثنتان منها مختصرتان من كتاب التخجيل للمؤلِّف نفسه، والأخرى لأبي الفضل المالكي السعودي، وقد رجعت إلى هذه المخطوطات لتأكيد قراءة نص في النسخة الأصلية أو إكمال بعض السقط فيها، وقد أشرت في الهامش إلى ذلك، ولم أضع رموزاً لهذه المخطوطات نظراً لقلة اعتمادي عليها ووضوح النسخة الأصلية، وهذه المخطوطات هي:

أ- نسخة خطية لكتاب "البيان الواضح المشهود من فضائح النصارى

==

واليهود - للمؤلِّف نفسه) وتسمّى أيضاً بكتاب: (العشر المسائل) توجد في المتحف البريطاني بلندن ضمن مجموع يحمل رقم: (أ.د.د 16661)، ولم يذكر الناسخ اسمه عليها ولا تاريخ النسخ، وقد كتبت بخط نسخ جميل، وعدد أوراقها (74) ورقة، في كل صفحة منها 18 سطراً، في كل سطر منها ما بين 6-9 كلمات تقريباً.

ب- نسخة خطية لكتاب (الرّدّ على النصارى - للمؤلّف نفسه) في مكتبة مسجد أيـا صـوفيا تحت رقم: 2246م، وتقع في (115) ورقة، في كل صفحة منهـا مـا بين 11-12 سـطراً، وفي كـل سـطر مـا بين 6-7 كلمات، وقد كتبت بخط نسخ جميل جداً، ولم يذكر الناسخ اسمه عليها ولا تاريخ النسخ.

ج- نسـخة خطيـة لكتـاب (المنتخب الجليـل من تخجيـل مَنْ حـرَّف الإنجيـل - لأبي الفضـل المـالكي السعودي) في مكتبة أحمد الثالث تحت رقم: (1765) بتركيا، وتوجد مصورة ميكروفيلم عنها بمكتبـة مركـز البحث العلمي، تحت رقم: (68/15 عقيدة) بجامعة أم القرى، وقـد نسـخها إسـماعيل بن محمّـد الزرقـاني الحنفي المصري بخط نسخ جميل، وانتهى من نسخها عام 989هـ، وتقع في (134) ورقـة، في كـل صـفحة منها 19 سطراً تقريباً.

وقد طبعت هذه النسخة في مكتبة الحلبي بمصر بدون تحقيق.

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ ناسخ المخطوطة الفريدة الكاملة الأولى - التي رمزتُ إليها بالرمز (ص) - كان ناسخاً عادياً، لم تكن له ثقافة واسعة ورفيعة، مما أدى به إلى الوقوع في الكثـير من الأخطـاء النحويـة واللغوية والإملائية، وكان يرسم بعض الكلمات رسماً دون إدراك أو فهم لمعناها، إضافة إلى صـعوبة قـراءة خطِّه في بعض المواضع، مما أرهقني كثيراً في قراءة المخطوطة.

==

ثانياً: منهجي في التحقيق:

يتلخص عملي في تحقيق الكتاب بالأمور الآتية:

1- ضبط النّصّ وتقويمه، وذلك بتصـحيح مـا اعـتراه من تصـحيف أو تحريـف، وإكمـال مـا سـقط منـه، وإضافة ما يقتضي السياق إضافته، واعتمدت في ذلك على مقابلة النسخ الناقصة للنسخة الفريدة الكاملة، وعلى مخطوطات الكتب الأخرى للمؤلِّف، وهي الـرّدّ على النصـارى والبيـان الواضـح المشـهود من فضـائح النصارى واليهود، وعلى مختصر الكتـاب المسـمّى: (المنتخب الجليـل من تخجيـل مَنْ حـرَّف الإنجيـل) لأبي الفضل المـالكي السـعودي، وعلى كتـاب الشـفا للقاضـي عيـاض، وعلى المصـادر الأخـرى الـتي نقـل منهـا المؤلِّف في كتابه.

2- عزوت الآيات القرآنية الكريمة إلى سور القرآن الكريم مُبيِّناً اسم السورة ورقم الآية.

3- خرَّجتُ الأحاديث النبويـة الشـريفة من مظانِّهـا في كتب السـنة المطهـرة، فـإن كـان الحـديث في الصحيحين اكتفيت بالعزو إليهما وقد أزيد عليهما، وإن كان في غيرهما عزوته إلى مظانّه مـا أمكن، وأجتهـد في النقل عمن تكلم على إسناده من العلماء، وإن لم أجد اجتهـدت في بيـان رأيي في إسـناده بـالنظر في تراجم رجال الإسناد إلاّ في القليل منها.

4- عزوت الآثارإلى مظانِّها من الكتب الحديثية أوالتأريخية أو التراجم.

5- عزوت نصوص التوراة والأناجيل وبقيـة أسـفار العهـد القـديم والجديـد إلى مصـادرها مُوَضِّـحاً رقم الإصحاح والفقرة، مُشيراً إلى اختلاف النصوص في النسخة الحالية للكتاب المقدس عنـد اليهـود والنصـارى وبين النسخة التي كانت بين يدي المؤلِّف.

6- ترجمت للأعلام والأماكن الواردة في الكتاب، مشيراً إلى مصادر الترجمة باختصار.

أما أعلام الصحابة - رضي الله عنهم - فلم أترجم للمشهورين منهم، ولكني قد أشير إلى عدد الأحاديث المروية لهم في كتب السنة معتمداً في ذلك على مقدمة مسند الإمام بقي بن مخلد - بتحقيق د. أكرم ضياء العمري، وأما مَنْ عَدَا المشهورين من الصحابة ومن اختلف في صحبته فإني أجتهد في ترجمته ترجمة مختصرة.

7- ترجمت الأديان والفرق الواردة في الكتاب، مشيراً إلى مصادر الترجمة بإيجاز.

8- رقمت الأدلة والشواهد التي أوردها المؤلِّف.

9- شرحت المفردات اللغوية التي بدت لي غريبة، والمصطلحات اليهودية والنصرانية شرحاً واضحاً.

10- نسبت الأبيات الشعرية إلى قائلها وعزوت ما أمكن منها إلى مظانّها من دواوين الشعر وكتب اللغة إلاّ في القليل منها.

11- علقت على بعض فقرات الكتاب لاستكمال جوانب البحث، مراعياً عدم الإكثار من التعليقات نظراً لضخامة حجم الكتاب.

12- صحَّحت الأخطاء النحوية والكتابية المخالفة لقواعد الكتابة والإملاء الحديثة.

13- بيَّنت في خاتمة البحث أهمّ النتائج التي توصلت إليها والصعوبات التي عانيتها في البحث والتوصيات التي ارتأيتها.

14- وضعت في نهاية البحث جملة من الفهارس التي تسهِّل على القارئ الوصول إلى ما يريده من الكتاب بأسرع السبل وأسهلها وهي:

أ- فهرس الآيات القرآنية.

ب- فهرس الأحاديث الشريفعة.

ج- فهرس الآثار.

د- فهرس نصوص أسفار العهد القديم والجديد.

هـ فهرس الأبيات الشعرية.

و- فهرس الأعلام.

ز- فهرس الأماكن.

ح- فهرس الأديان والفِرق.

ط- فهرس المصادر والمراجع.

ي- فهرس الموضوعات.

ثالثاً: المصطلحات والرموز المستخدمة في التحقيق:

ص: نسخة الأصل.

ش: تعليقات على هامش نسخة الأصل.

م: نسخة مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة المجلد الثاني.

[ ]: ما بين المعقوفتين من إضافات المحقِّق وزياداته على النصّ.

توجد رموز وأرقام وسط المتن تشير إلى ما يقابلها من نسخة المخطوطة فمثلاً:

1/1/7/أ: أي: المجلد الأوّل من المخطوطة، الورقة السابعة، الوجه (أ).

2/41/ب: أي: المجلد الثاني من المخطوطة، الورقة الرابعة عشرة، الوجه (ب).

==

الفصل الثاني: التعريف بالمخطوطة وبيان منهج التحقيق

القاموس: القاموس المحيط (قاموس لغوي).

قاموس: قاموس الكتاب المقدس.

فتح: صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري للحافظ ابن حجر.

ر: راجع أو انظر.

==

القسم الثاني: خطبة الكتاب

خطبة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد الذي لا يتكثر بالأعداد،الماجد1 الذي لا تضارعه الأشكال والأنداد، المقدس عن الشريك والصاحبة والأولاد، المنَزَّه الذات والصفات عما يقول أهلُ الإلحاد، الصمد المتعالي عن الأكل والشرب كما اعتقد من حاد، القديم2 لا بِكُرور العصور ومرور الدهور والآباد، العظيم لا بِكبر أجسام وأجساد، القيوم الذي لو نام فشا في الكون الفساد، خالق الآباء والأبناء والأزواج والأحفاد، سامك السماء بالملائكة الكرام وماسك الأرض بالأطواد، مظلم الليل ومضيء النهار ومفجِّر الأنهار من الصلد الجماد، مقدِّر الأقوات

---

1 بمعنى: المجيد، كالعالم بمعنى العليم، لكن الفعيل أكثر مبالغة، وهو الشريف ذاته، الجميل أفعاله،الجزيل عطاؤه.(ر:المقصد الأسنى، لأبي حامد الغزالي،ص93، 103).

ولم يرد الاسم الشريف "الماجد" في القرآن الكريم ولكنه ورد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه في سرد الأسماء الحسنى، وقد أخرجه الترمذي 5/496، وابن ماجه. (ر: صحيح ابن ماجه 2/330)، وابن حبان (ر: الموارد ص 592)، والحاكم 1/16، 17، والبيهقي في الأسماء والصفات ص 15، وغيرهم، وقد اختلف في تصحيح الحديث، فإن مداره على الوليد بن مسلم. (للتوسع في تصحيح الحديث، ر: رسالة الترشيد في اعتبار الأسماء برواية الوليد - تصنيف رجائي بن محمّد المصري).

2 "القديم" ليس من أسماء الله الحسنى فإنه لم يرد في القرآن الكريم ولا في السنة المطهرة فإن أسماء الله عزوجل توقيفية. قال العلامة ابن أبي العزّ الحنفي: "وأما إدخال القديم في أسماء الله تعالى فهو مشهور عند أهل الكلام وقد أنكر ذلك كثير من السلف والخلف. ولا ريب أنه كان مستعملاً في نفس التقدم، فإن ما تقدم على الحوادث كلها فهو أحق بالتقدم من غيره، لكن أسماء الله تعالى هي الأسماء الحسنى التي تدل على خصوص ما يمدح به، والتقدم في اللغة مطلق لا يختص بالتقدم على الحوادث كلها، فلا يكون من الأسماء الحسنى، وجاء الشرع باسمه: "الأوّل" وهو أحسن من القديم؛ لأنه يشعر بأن ما بعده آيل إليه وتابع له بخلاف القديم، والله تعالى له الأٍسماء الحسنى لا الحسنة". (ر: شرح العقيدة الطحاوية ص 114، 115، بتصرُّفٍ بسيط).

==

ومدبِّر الأوقات الانتقاص والازدياد، مالك السماوات والأرض وواهب الرفع / (1/3/أ) والخفض والبسط والقبض الملك الجواد، مرسل أنبيائه بلطائف أنبائه لإرشاد العباد، مهلك كسرى1 وقيصر2 وتبع3وحمير4 وعاد5 وشداد6، واهب موسى النصر والعون وخاذل فرعون ذي الأوتاد7، جاعل ابنَ مريم

---

1 كسرى:لقب ملوك الساسانيّين،وهو معرَّب(خسرو)أي:واسع الملك،جمعه: أكاسره وكساسرة،والقياس كسرون.(ر:القاموس المحيط ص604،الصحاح 2/807).

2 قيصر: اسم أسرة قديمة من أشراف روما، ولما تبنى يوليوس قيصر (44 ق.م) ابن بنت أخته أوكتافيوس، اتّخذ الأخير اسم قيصر، وجرى خلفاؤه الأباطرة على اتّخاذ هذا الاسم، إلى أن قرر هادريان الاحتفاظ للأمبراطور وحده بلقب أغسطس معناه: "المبجل"،وتلقيب ولي العهد بـ:"قيصر".(ر:الموسوعة العربية الميسرة2/1411).

3 ورد ذكرهم في القرآن الكريم بموضعين قال تعالى: {أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ}. [الدخان 37]، وفي [سورة ق 12-14].

وأما تبع فقد ورد فيه حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما أدري تبع أنبيّاً كان أم لا؟..."، أخرجه الحاكم 1/36، وصحّحه ووافقه الذهبي والألباني. (ر: صحيح الجامع الصغير 1/969).

وفي التاريخ أن تبع: ملك في الزمان الأوّل، والتتابعة: ملوك اليمن. قيل: لا يسمى تبعاً حتى يملك حضرموت وسبأ وحمير. (ر: النهاية لابن الأثير 1/18)، وسمّوا بذلك لاتباع بعضهم بعضاً في الرئاسة

والسياسة، والتبع: الظل لأنه يتبع الشمس، وضرب من اليعاسيب. (ر: المفردات للراغب ص 72، و القاموس ص 912).

4 حمير بطن عظيم من القحطانية ينتسب إلى حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، واسم حمير العرنج، وبلادهم اليمن أما أديانهم فقد انتشرت فيهم اليهودية، وكانوا يعبدون الشمس. (ر: معجم قبائل العرب - عمر كحالة 1/305-306).

5 قبيلة يقال لهم: عاد بن عوص بن سالم بن نوح، وكانوا عرباً يسكنون الأحقاف. (وهي جبال الرمل) وكانت باليمن بين عمان وحضرموت بأرض مطلة على البحر يقال لها: الشحر، واسم واديهم مغيث، وقد أرسل الله إليهم نبيّه هوداً عليه السلام، فكذّبوه فأهلكهم الله بريح صرصر عاتية. (ر: قصص الأنبياء - لابن كثير 1/89).

6 شداد: من قبائل اليمن تقيم في شرقي صنعاء اليمن، ومنهم بطن من الأنبج بن هلال ابن عامر صعصعة، من العدنانية وكانت بلادهم في بلاد بونه من المغرب. (المرجع السّابق 2/585).

7 فرعون: كلمة من لفظتين: (بر - عو)، أي: (البيت الأعظم)، وكانت نعتاً للقصر الملكي منذ أيام الدولة القديمة، ثم أصبحت علماً على ملوك مصر منذ الألف الأولى. ق.م. (ر: الموسوعة العربية الميسرة 2/1290)، وبعد دخول الإسلام إلى مصر فإن لقب (فرعون) يطلق على الكافر الذي ملك مصر، ولا يلقب به المسلم، وقيل: لفرعون ذي الأوتاد؛ لأنه ضرب لامرأته أربعة أوتاد، ثم جعل على ظهرها رحى عظيمة حتى ماتت، وقيل: لأنه كان يوتد أيدي وأرجل أعدائه في أوتاد من حديد ويعلقهم بها، وقيل: بأن الأوتاد هم الجنود الذين يشدون أمره. (ر: تفسير ابن كثير 3/543).

==

وأمَّه آية للعالم وما هما بأعجب من حواء وآدم، فتعسا لعباد الأنداد، ضلّوا بالمشي على الماء، وصعود السماء وإحياء الموتى وتكثير الأزواد، هذا موسى قد فلق وإدريس قد صعد وإلياس قد أحيا من أنتن ودلد1، ولم يكونوا أرباباً بذلك، فكيف يغلط فيما هنالك لولا الشقاء والعناد؟!.

أحمده على ما أسدى وأفاد، وأمدحه على ما أبدى وأعاد، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له شهادة تضمن للصدر الثَّلَج، وكلمة تعصم المهج بأوفى الدَّرَج2 وأقوى الحجج، وأشهد أنّ محمّداً عبده الذي نصّ عليه موسى، ونبيّه الذي طرق بين يديه عيسى، وصفيه الذي أخدمه جبريل، ونجيّه الذي رسمه في التوراة والإنجيل، صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة/(1/3/ب) تزيدهم تبجيلاً إلى تبجيل وتخلد جيلاً بعد جيل.

قال من عفا الله له3 عن ذنبه وحباه بحبّه: "حضرت محفلا تحفَّل بالمعارف [أخلافه]4 وتكفَّلبالعوارف5 [أُلَّافُه]6، فأذاعوا مزائد الفوائد وأعادوا ودائع العوائد وأفاضوا في العلوم الدينية، وأضافوا إلى ذلك ذكر الأمة النصرانية

---

1 في ش: داد الطعام إذا وقع فيه السوس، أي: الدودة.

2 دَرّجَ وأَدْرَجَ: صعد في المراتب، ولزم المحجة من الدين أو الكلام. (ر: القاموس المحيط ص 240).

3 في ش: عبارة عن المؤلِّف - رحمة الله عليه.

4 في ص (أخلاقه)، والذي أثبته (أخلافه) بالفاء حيث يدل عليه الفعل (تحفل) ففيه تشبيه المحفل (المجلس) المملوء علماً ومعرفة بالضرع الممتلئ بالحليب، كما أن كلمة (أخلافه) موافقة لسياق الكلام وللجناس الذي يكثر منه المؤلِّف في كلامه. أخلاف - مفرده: (خلف) من ذوات الخف كالثدي للإنسان، وحلمة ضرع الناقة أو طرفه أو المؤخر من الأطباء أو هو للناقة كالضرع للشاة. (ر: القاموس المحيط ص 1042، المصباح المنير ص 180).

5 العارفة: المعروف كالعُرف، ج: عوارف. (ر: القاموس المحيط ص 1081).

6 في ص (الأفة)، وفي ش: (الآفه) بالفاء أو بالقاف قَظ، والآفة بالفاء قَظ أيضاً أو بالقاف فمن ألف البرق إذا لمع أو من الألوقة وهي طعام يصلح من الزبد. اهـ.

قلت: الصواب ما أثبته؛ لأنه الموافق لسياق الكلام، فإن الإلف، بالكسر: الأليف وجمعه: آلاف. ويجوز أن يكون: (أُلاَّفه) من الإلف الإلفه وجمعه أُلاَّف. (ر: القاموس ص 1024). وتوضيح معنى عبارة كالآتي: وتكفل بالمعروف من يأْلِفون فعل المعروف أو يألفون المحفل ويعتادونه.

==

القسم الثاني: خطبة الكتاب

فتعجب مَنْ حضر كيف زلت بهم القدم، حتى اعتقدوا اتّحاد العَدَم بالقِدَم؟ ومن أين قادهم الخبيث إلى القول بالتثليث وروَّج عليهم المحال، فدانوا بعبادة الرجال؟ واستعبدوا أن يعتقد لبيب أن الإله يصلب على صليب، أو يستقرّ في الأحلام أن تشتمل على القديم الأرحام!!!.

فقلت: إن من المستحيل أن يضلّ السالك مع وجود الدليل، وعيسى عليه السلام فهو خِرِّيت1 عارف بالطريق، وله من ربّه تعالى أوفى رفيق، وقد شهد له المصطفى - وهو المُزكَّى المعدَّل - بأنه بلغ عن الله، ولم يبدِّل، قال ربّنا جلّ اسمه حكاية عنه: {مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُم وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِم...}. [سورة المائدة، الآية: 117].

لكن ربما خلف من بعده خُلُوف2 كالخلوف3 واستعوص4/ (1/4/أ) عليهم كلامه فتناولوا بأيدي التحريف الحروف، وأتاهم العدوّ من قبل الألفاظ فغلظهم وجرأهم على الكفر بإجرائها على الظاهر فورطهم. ومعلوم أنّ كلّ تنْزِيل [لا يخلو]5 عن جملة من الظواهر لعرض التأويل يضلّ بها الجاهلون وما يعقلها إلاّ العالمون.

---

1 في ش: أي: دليل حاذق ماهر.

2 الخلَف - بالتحريك والسكون -: كلّ من يجيء بعد من مضى، إلاّ أنه بالتحريك في الخير، والتسكين في الشرّ، يقال: خلَف صِدق، وخَلف سوء. ومعناهما جميعاً القرن من الناس، وخَلف جمعه خلُوف.

3 الخِلفَة - بالكسر -: تغير ريح الفم، لأنها رائحة حدثت بعد الرائحة الأولى، يقال: خَلف فمه يخلف خِلفة وخلوفاً. ومنه الحديث: "الخلوف فم الصائم...". (ر: النهاية لابن الأثير 2/65-68)، القاموس ص 1043، 1044).

4 في ش: استصعب.

5 في ص: (لا يخلوا) والتصويب من المحقِّق.

==

وهذا كما هفا1 قوم في لفظ الاستواء2 والنُّزُول إلى سماء الدنيا3 ولفظ الوجه4 والعين5 واليد6 والقدم7 وغير ذلك فحملوا الأمر في هذه

____

1 في ش: من الهفوة وهي الزلة لفظاً ومعنى.

2 قال تعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}، [سورة طة، الاية: 5]، والآيات كثيرة في إثبات صفة استواء لله عزوجل على العرش وعلوّه على خلقه، ومعنى {اسْتَوَى}، - كما فسرّه السلف رحمهم الله -: "ارتفع وعلا واستقرّ وصعد".

3 قال تعالى: {وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً}. [سورة الفجر، الآية: 22]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ينْزِل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل..." الخ. أخرجه البخاري. (ر: فتح الباري 3/29، ومسلم 1/521، 523)، والروايات كثيرة ومتواترة في إثبات صفة نزول الله عزوجل إلى السماء الدنيا كما شاء وكيف شاء.

إن صفتي الاستواء والنُّزُول إلى السماء الدنيا من الصفات الخبرية الثبوتية الفعلية الاختيارية التي تتعلق بمشية الله عزوجل إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها.

4 قال تعالى: {وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَام}. [سورة الرحمن، الآية: 27]. والأدلة من القرآن الكريم والسنة المطهرة كثيرة في إثبات صفة الوجه لله عزوجل.

5 قال تعالى:{وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي}.[سورة طة،الآية:39].وقال تعالى: {تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا}. [سورة القمر، الآية:14]. وقد دلت الآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة على أن الله تعالى موصوف بأن له عينين حقيقة على ما يليق بجلاله وعظمته عزوجل.

6 قال تعالى: {مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيّ}. [سورة ص، الآية: 75]. وقال تعالى:{بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ}.[سورة المائدة، الآية:64].وغيرها من الآيات والأحاديث الصحيحة التي تثبت صفة اليدين حقيقة لله عزوجل بما يليق بجلاله وعظمته تبارك وتعالى.

7 قال عليه السلام: "لا يزال يلقى فيها - يعني النار - وتقول: هي من مزيد؟ حتى تضع فيها ربّ العالمين قدمه فينْزوي بعضها إلى بعض، وتقول: قطٍ قطٍ قطٍ بعزّتك وكرمك".أخرجه البخاري.(ر:فتح الباري13/434،ومسلم4/2186-2188).

وجملة القول في ذلك: إنّ إطلاق صفات الله عزوجل توقيفية، وتنقسم إلى قسمين:

1- صفات بإثبات مفصل (الصفات الثبوتية).

2- صفات بنفي مجمل (الصفات السلبية).

فالصفات السّلبية؛ هي: ما نفاها الله في كتابه الكريم، أو على لسانه نبيّه صلى الله عليه وسلم، وكلّها صفات نقص في حقّه عزّ وجلّ، كالموت، والنوم، والجهل، والعجز وغيرها، فيجب نفيها عن الله تعالى لما سبق مع إثبات ضدّها على وجه الأكمل.

أما الصفات الثبوتية الخبرية فهي: ما أثبته الله تعالى لنفسه في كتابه أو رسوله صلى الله عليه وسلم، وكلها صفات الكمال لا نقص فيها، وتنقسم إلى قسمين:

أ- صفات ذاتية قائمة بذات الله العلية، وهي التي لم يزل ولا يزال متّصِفاً بها كالوجه والعينين واليدين والقدم وغير ذلك مما وردت به النصوص الصحيحة.

ب- صفات فعلية تتعلق بمشيئته عزوجل إن شاء فعلها وإن لم يشأ لم يفعلها، كالاستواء والنُّزول والمجيء والقبض والبسط.

وقد علم أن طريقة سلف الأمة وأئمته إثبات ما أثبته الله ورسوله من الصفات من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل، وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه عزوجل مع إثبات ما أثبته من الصفات من غير إلحاد لا في أسمائه ولا في آياته.

(ر: للتوسع: الرسالة التدمرية والجزء الثاني والثالث من مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية، لوامع الأنوار البهية 1/123، وما بعدها للسفاريني شرح العقيدة الطحاوية ص 127، وما بعدها، ومن المراجع الحديثة: كتاب الصفات الإلهية - د. محمّد أمان، وشرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الله الغنيمان، والقواعد المثلى في صفات الله أسمائه الحسنى، للشيخ محمّد بن عثيمين).

==

القسم الثاني: خطبة الكتاب

التّسميات على ما يبتدر إلى أفهامالعوام1 فزلوا.

وإذا كان النصارى إنما أتوا2 من قبل الألفاظ وعدم الحفَّاظ فيتعين على من له دُرْبة3 بهذا الشأن حل إشكالهم وفكّ الشبهات التي أعانت على ضلالهم، فزعم الجماعة أني عارف بكتبهم خبير بمخاريقهم وكذبهم دَريّ بمرادهم بالجوهر والأقنوم، دَرِب بالفَرق بين فِرَق النسطور واليعاقبة والروم، وقالوا: لو أَنرتَ لَمعا تكون على الحق علما فرب كلمة واحدة تهدي أمماً، فأجبتهم لوجوب حقّهم ورجوت الحيل4 عند رميض برقهم، واستخرت الله تعالى وشجعت جنانا جبانا وأطلقت من ضعيف / (1/4/ب) العناية ودأبت5 في تحصيل ما لم أقف عليه من كتب القوم ولم أجتزء6 بما كان في يدي منها حتى استكملت

---

1 قول المؤلِّف: "فحملوا الأمر في هذه التسميات على ما يبتدر إلى أفهام العوام فزلوا"، لا بدّ من تقييده بأنهم العوام الذين انحرفت فطرتهم وتلوثت أفهامهم بالتشبيه والتمثيل أو التعطيل أو التأويل. (أما عوام المسلمين فالأصل فيهم أنهم على عقيدة السلف، لأنها الفطرة التي يولد عليها الإنسان وينشأ عليها المسلم بلا تلقين ولا تعليم (من حيث الأصل) فكل من لم يلقنه المبتدعة بدعتهم ويدرسوه كتبهم فليس

من حـقّ أي فرقـة أن تدعيـه إلاّ أهـل السـنة الجماعـة). (ر: العلم الشـامخ ص 271-273، للشـيخ صـالح المقبلي، منهج الأشاعرة في العقيدة - د. سفر الحوالي ص 23).

2 في ص: (أوتوا) والصواب ما أثبته.

3 في ش: درية بالمنقوط التحتانية واحدة أو اثنتين، فأما بالباء فمن التدرب وأما بالياء فمن الدراية.

4 في ش: أي: المطر. اهـ وفي مختار الصحاح ص 167: "الحيا" مقصور - أي: المطر والخصب.

5 في ش: أي: تعبت.

6 أي: لم أقطع، ولم أكتف. (كما في القاموس المحيط ص 449).

==

التوراة1 الخمسة الأسفار

____

1 التوراة: كلمة عبرية معناها الشريعة، وتسمّى الناموس أي: القانون.كمـا تسـمى أيضـاً: (البانتاتيـك) وهي كلمة يونانية تعني: الأسفار الخمسة وهي:

1- سفر التكوين: يقع في (50) إصحاحاً، وسمي بذلك لاشتماله على قصة خلق العالم، ثم قصص آدم وذريته ونوح وإبراهيم وذريته ينتهي، هذا السفر باستقرار بني إسرائيل بمصر وموت يوسف عليه السلام.

2- سفر الخروج: ويقع في (40)، إصحاحاً، وسمي بذلك نسبة إلى حادثة خروج بني إسرائيل من مصر إلى أرض سيناء بقيادة موسى عليه السلام، وفيه ذكر الحوادث التي جـرت لبـني إسـرائيل في أرض التيـه، والوصايا العشر والكثير من الأحكام والتشريعات.

3- سفر اللاويّين: ويقع في (27)، إصحاحاً، ويحتوي على شؤون العبادات وخاصة القرابين والطقـوس الكهنوتية وكانت الكهانة موكولة إلى سبط لاوي بن يعقوب، فلذلك نسب السفر إليهم.

4- سفر العدد: ويقع في (36) إصحاحاً، وسمي بذلك لأنه حافل بالعد والإحصاء لأسباط بـني إسـرائيل ومما يمكن إحصاؤه من شؤونهم ويتخلل ذلك بعض الأحكام والتشريعات.

5- سفر التثنية: ويقع في (34)، وسمي بذلك لإعادة ذكـر الوصـايا العشـر وتكـرار الشـريعة والتعـاليم مرة ثانية على بني إسرائيل عند خروجهم من أرض سياء، وهـذا السـفر الـذي ينهي التـوارة المنسـوبة إلى موسى عليه السلام ورد في آخرها النص الآتي: "فمات هناك موسى، عبد الرّبّ في أرض مؤاب بأمر الرّبّ وتَمَّ دفنه في الوادي في أرض مؤاب تجاه بيت فاعور ولم يعرف إنسان قـبره إلى اليـوم وكـان موسـى بن مائة وعشرين سنة حين مات...".

ر): السنن القويم في تفسـير أسـفار العهـد القـديم 1/1، قـاموس الكتـاب المقـدس ص 235،، 239، 609،ـ 801،ـ 808)، والنص السـابق صـريح في أن كاتبـه ليس موسـى عليـه السـلام، وهـو مـا صـرح بـه الفيلسوف اليهودي باروخ سبينوز (ت 1677م)، في كتابه: رسـالة في اللاهـوت والسياسـة ص:266-267، حيث ذكر ملاحظات ابن عزرا (ت: 1167)، وهو عالم يهودي شَكَّ في نسبة الأسفار الخمسـة إلى موسـى- وأضاف إليها ملاحظاته الشخصية ثم ذكرسبينوزاالنتيجةالتي توصل إليهامن خلال أبحاثه فيقـول: "ومن هـذه

الملاحظات كلها يبدو واضحاً وضوح النهار أن موسى لم يكتب الأسفار الخمسة بل كتبها شخص عـاش بعـد موسى بقرون عديدة". اهـ

وقد توصل إلى هذه النتيجة أيضاً المؤرخ ول ديورانت وذكرها في موسوعته قصة الحضارة 2/376.

وتـذكر دائرالمعـارف الفرنسـية(معجم لاروس)تحت عنـوان تـوارة:"أن العلم العصـري ولاسـيما النقـد الألماني قد أثبت بعد دراسـات مستفيضـة في الآثـار القديمـة والتـاريخ وعلم اللغـات أن التـوراة لم يكتبهـا موسى وإنمـا كتبهـا أحبـار لم يذكرواا سـمهم عليهـا ألفوهـاعلى التعـاقب ومعتمـدين على روايـات سـماعية سمعوها قبل أسر بابل".اهـ

فهـذه بعض اعترافـات محقِّقيهم وعلمـائهم في عـدم صـحة نسـبة التـوراة الحاليـة إلى موسـى عليـه السلام.

علماً بأن هذه التوراة تعتبر جزءاً رئيساً من (الكتاب المقـدس) عنـد اليهـود - والـذي يسـمّيه النصـارى بالعهد القديم - وينقسم بحسب محتوياته إلى أربعة أقسـام هي: 1- التـوراة. 2- الأسـفار التاريخيـة وهي: (12)، سفر تعرض لتاريخ بني إسرائيل منذ دخولهم فلسطين حتى فترة السبي البـابلي وهـذه الأسـفار هي: سفر يوشع، القضـاة، راعـوث، صـموئيل الأوّل والثـاني، الملـوك الأول والثـاني، أخبـار الأيـام الأوّل والثـاني وعزرا ونحميا وأسـتير. 3- أسـفار الأناشـيد الأسـفار الشـريعة: وعـددها (5)، أسـفار هي: أيـوب، المزامـير، الأمثال، الجامعة، نشيد الأناشيد. 4- أسفار الأنبياء وعـددها (17)، سـفرا تنسـب إلى أنبيـائهم ومنهم أشـعيا وأرميا وحزقيال وغيرهم.

==

القسم الثاني: خطبة الكتاب

ونبوة داود1، ونبوة

____

1 داود عليه السـلام: اسـم عـبري معنـاه (محبـوب) وهـو ابن يسـي وثـاني ملـوك بـني إسـرائيل ومن أنبيائهم الكرام، إلاّ أن الأسفار المقدسـة عنـد اليهـود والنصـارى تتهمـه بارتكـاب الكبـائر وفعـل الفـواحش. وتنسب إليه (سفر المزامير) وهي مجموعة من الأشعار الملحنة وغرضها تمجيد اللـه وشـكره وكـانت تـرنم على صوت المزمار وغيره من الآلات الموسيقية، وفي العبرانية يسمى (كتـاب الحمـد) وقـد عـرفت باسـم (مزامير داود) بالنسبة لعدد المزامير التي نسبت إليه وبلغت 73 من 150 مزموراً. وتنقسم هـذه المزامـير إلى خمسة أقسام هي:

1- يتضمن القسم الأوّل (41)، مزموراً، منها)(37)، لداود، أمـا أربعـة منهـا وهي: (1، 2، 10، 33)، لمؤلفين غير معروفين لذلك يدعونها المزامير اليتيمة نظراً لعدم وجود أب لها.

2- القسم الثاني يتضمن(31)مزموراً (أي: من 42-72)،(7) لبني قورح و(مزمور واحد)لآسـاف و(18) لداود و(4) لمؤلِّفين غير معروفين ومزمور لسليمان.

3- القسم الثالث: يتضمن (17)، مزموراً (أي: من 73-89)، منها: (11) لآساف و(3) لبني قـورح وواد لداود وواحد لهيمان وبني قورح وواحد لايثان.

4- القسم الرابع يتضمن (17) مزمورا (أي: من 90-106)، منها مزمور لموسى، و(2) لداود والبقية لمؤلِّفين غير معروفين.

5- القسم الخامس يتضمن (44) مزمور (أي: 107-150)، منها: (15) لداود وواحد لسليمان والبقية لمؤلِّفين غير معروفين. وتقرأ هذه المزامير في الكنيسة والعبادات الفردية والجماعية.

(ر: ترجمته في سفر صوموئيل الأوّل وسفر الملوك الأوّل،السنن القويم الجزء (16)، قاموس الكتاب المقدس ص 430، 361-366).

أقول: من العجب، ومن غير المعقول أن تضاف مزامير آساف وبني قورح وغيرهما إلى الأسفار المقدسة وهم ليسوا أنبياء حسب ما ورد في تراجم!!! والأدهى من ذلك أن عدداً كبيراً من المزامير يبلغ عددها (50) مزموراً تنسب لمؤلِّفين غير معروفين - باعتراف مفرسيهم ومحقِّقيهم بذلك - فبأي حقٍّ يضفي على تلك المزامير صفة القداسة والوحي، وهم لا يعرفون قائلها؟!! وهل ذلك إلاّ اتباع الهوى واتّخاذ أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله؟!!.

وأما سيرة هذا النبيّ الكريم في المصادر الإسلامية فهي مبسوطة في كتب التفسير وتاريخ الطبري 1/231-256،وقصص الأنبياء لابن كثير ص196-229، وغيرها وفيها وصفه بما هو أهل له من التكريم والتعظيم لنبيّ من أنبياء الله الكرام والعصمة في التبليغ ومن كبائر الذنوب وتنْزِيهه مما نسبه أهل الكتاب إليه من الإفك والبهتان.

==

أشعيا1، ونبوة ميخا2، ونبوة حبقوق3،

---

1 أشعيا بن آموص، ومعنى اسمه (الرّبّ يخلص)، ويعتبره النصارى نم أعظم أنبياء العهد القديم ويلقبونه بـ: (النبيّ الإنجيلي) لكثرة نبواته عن المسيح، ويغلب على ظنّ المؤرخين بأن أشعياء قد مات مقتولاً في اضطهاد الملك منسي الإسرائيي.

وينسب إلى أشعياء سفر باسمه عدد إصحاحاته (66) إصحاحاً، ويعتبر ضمن أسفار الأنبياء المتأخرين الذي يشمل عدداً من أنبيائهم كـ: ميخا وحبقوق وصفنيا وزكريا وحزقيال وأرميا ودانيال وهنوشع وغيرهم وتحتوي هذه الأسفار بصفة عامة على وصايا الأنبياء ومناجاتهم لله عزوجل والتنديد بفساد سلوك بني إسرائيل وكثرة ذنوبهم والتهديد بزوال دولتهم ونصحهم بالتوبة والرجوع إلى الله. (ر: سفر أشعيا، السنن القويم 8/66، وما بعدها، قاموس الكتاب ص 81-85).

وعن سفر أشعيا يقول الكاتب المصري النصراني حبيب سعيد في كتابه المدخل إلى الكتاب المقدس ص 103: "اختلفت آراء الشراح والباحثين حول هذا السفر اختلافاً لا نظير له في أي سفر آخر، هذا ويجمع الدارسون في العهد القديم على أن أشعيا قد يكون كتب جزءاً من هذا السفر، بينما يرى بعض الدارسين أن كُتَّاب السفر ثلاثة أو أكثر.

والإصحاحات من رقم: (40) إلى رقم: (66) تمثل مشكلة حادة أمام الباحث ذلك أن فيها براهين قوية وأدلة صريحة تؤكّد عدم صلة هذه الأصحاحات من السفر لأشعيا، ولا تتصل بالزمن الذي يدعيه المؤرخين عصراً لأشعيا وهو الفترة من: 765-700 ق.م. ذلك أن اسم أشعيا في بدية هذه الإصحاحات لم يذكر تماماً، ويبدو أن الإصحاحات من رقم: (1-39) كانت كتاباً منفصلاً وأدمجا بطريق الصدفة عند نسخ أسفار الأنبياء". اهـ. وبنحو ذلك أشار إليه سبينوزا في رسالته ص 311، وفي مقدمة السفر من الكتاب المقدس للكاثوليك - منشورات دار المشرق 1983م. فلا حاجة بنا إلى المزيد من التعليق بعد هذا الاعتراف الصريح منهم في شكّهم بنسبة هذا السفر إلى أشعياء.

2 ميخا معناه: (من مثل يهوه؟!) ويلقب بالمورشتي نسبة إلى قرية مورشه مسقط رأسه، وهو في العهد القديم سادس الأنبياء الصغار، وينسب إليه سفر باسمه (سفر ميخا) وعدد إصحاحات (7) إصحاحات. (ر: سفر ميخا، السنن القويم 12/90، وما بعدها، قاموس ص 936، 937).

3 حبقوق معناه: (يعانق)، وهو عند أهل الكتاب ثامن الأنبياء الصغار الذين ظهروا في مملكة يهوذا، وما يعرفونه من سيرة حبقوق إنما هو مجرد استنتاجات من السفر المنسوب إليه بأنه كان أحد المغنيين في الهيكل ومن سبط اللاويّين، وعدد إصحاحات السفر المسمَّى باسمه (سفر حبقوق) ثلاثة إصحاحات. (انظر: ترجمته في: سفر حبقوق، السنن القويم 12/116، قاموس ص 287، 288).

أقول: هذا سفر منسوب إلى شخص فيه جهالة ظاهرة فلا يعرف شيء عن مكان أو زمان ولادته أو عن سيرته إلاّ عن طريق التخمين والظن. (ر: مقدمة طبعة الكتاب المقدس بالإنجليزية سنة 1971م).

==

ونبوة صفنيا1، ونبوة زكريا2، ونبوة أرميا3، ونبوة حزقيال4،

___

1 صفنيا: اسم عبري معناهك (يهوه يستر)، وهو في العهد القديم يعتبر تاسع الأنبياء الصغار، ويعود نسبه إلى الملك حزقيا، وقد كان صغفنيا معاصراً لحقبوق، وينسب إليه سفر باسمه: (سفر صفنيا) عدد إصحاحاته ثلاث إصحاحات. (ر: ترجمته في: سفر صفنيا، السنن القويم 12/136، قاموس الكتاب المقدس ص 544، 545).

2 زكريا: معنه: (يهوه قد ذكر) وهو ابن برخيا - وهو ليس زكريا أبو يحيى عليهما السلام-وهو في العهد القديم يعتبر الحادي عشر بين الأنبياء الصغار، ويظهر أنه كان من نسل لاوي فكان مستحقاً لوظيفة كاهل أو نبي، وقد كان معاصراً لحجي- أحد أنبيائهم-الذي كان في عهد الملك داريوس في فترة ما بعد السبي البابلي، وينسب إليه سفر باسمه: (سفر زكريا) عدد إصحاحاته (14) إصحاحاً. (ر: سفر كزريا، السنن القويم 12/160، قاموس ص 428-429).

3 أرميا: معناه: (الرّبّ يؤسس أو يثبت)، وهو ابن حلقيا الكاهن. وهو في العهد القديم أحد الأنبياء الكبار مثل: (أشعيا وحزقيال ودانيال وقد ظهر في زمن الملك يوشيا إلى سقوط أورشليم، ولا يعرف شيء

عن تاريخ ومكان موته. وينسب إليه (سفر أرميا) الذي كتبه صديقه باروخ بن نيريا وعدد إحاحاته (52) إصحاحاً، كما ينسب إليه أيضاً (مراثي أرميا) وعدد إصحاحاته (5) إصحاحاً. (سفر أرميا قاموس ص 52-56). ويرى سبينورزا أن سفر أرميا مجموعة مأخوذة من كتب أخرى متعددة، ويكون خليطاً من نصوص بلا ترتيب ودون مراعاة للأزمنة وبعض الإصحاحات مستمدة من سفر باروخ، ويرى معظم النقاد - كإيسفيلت وهالر وأدولف - أن أرميا لم يكتب المراثي. (ر: رسالة في اللاهوت ص 311-313).

4 حزقيال: معناه: (الله يقوي)، وهو ابن بوزى من عشيرة كهنونية، ويعتبرونه أحد الأنبياء الكبار، وقد نشأ في فلسطين زمن النبيّ أرميا، ثم حمل مسبياً مع ملك يهوذا (يهو ياكين) إلى أرض بابل أثناء الغزو البابلي، ولا يعرف وقت ومكان موته، وينسب إليه (سفر حزقيال) عدد إصحاحاته (48) إصحاحا. (ر: سفر حزقيال، قاموس ص 301-304).

وقد يبدو من النظرة الأولى أن هذا السفر الطويل من وضع حزقيال و حده، على أن الرّأي السائد بين المهتمين بأخبار ودراسة العهد القديم أن بعض أجزاء من هذا السفر كتبت في وقت متأخر كثيراً عن زمن حزقيال، وأن حزقيال نفسه لم يضع السفر الذي بين أيدينا كلّه فضلاً عما في قضايا السفر من حوادث ومراحل تاريخية تنفي صلتها بحزقيال، والباحث في السفر يرى نفسه أمام أساليب مختلفة وصياغات عديدة مما يؤكّد أنه من المتعذر أن تكون كتابة هذا السفر في نفس عصر حزقيال بل بعد فترة طويلة. (ر: رسالة في اللاهوت - سبينوزا ص 313-314، المدخل إلى الكتاب المقدسة، حبيب سعيد، ص 116).

المجلد الأول

96 | 496

==

القسم الثاني: خطبة الكتاب

ونبوة دانيال12، والأناجيل

---

1 دانيال: معناه: (الله قضى)، عاش في فترة السبي البابلي، ونال مكانة عالية عند نبوخد نصر بعد أن فسر له دانيال حلماً قد أزعجه، وتوفي دانيال في عهد الملك كورش ملك الفرس، وينسب إليه سفر باسمه عدد إصحاحاته (12) إصحاحاً يحتوي - إضافة إلى ما ذكر - على تاريخ بني إسرائيل في فترة السبي وعلى تنؤات مستقبلية. (ر: سفر دانيال، قاموس ص 357-360).

يقول سبينوزا في رسالته ص: 316: "كتب دانيال سفره ابتداء من الأصحاح الثامن، أما الإصحاحات السبعة الأولى فمجهولة المؤلِّف" اهـ ويؤكّد ذلك ما ورد في مقدمة التعريف بهذا السفر في الكتاب المقدس للكاثوليك ونصّه: "ليس دانيال مؤلِّف السفر الذي يحمل اسمه، إن هو إلاّ شخصه الرئيسي...إن مؤلِّفاً ملهماً لم يترك اسمه قد ضم إلى هذه الصورة الشهيرة الماضي عدة رؤى ذات إنشاء روائي". اهـ

2 إن الأنبياء الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم يجب علينا الإيمان بهم تفصيلاً أي: بأشخاصهم وأسمائهم وهم: آدم ونوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وموسى وهارون وداود وسليمان وأيوب وإدريس ويونس وهود وشعيب وصالح ولوط وإلياس واليسع وذو الكفل وزكريا ويحيى وعيسى

ومحمّد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. وكذلك يوشع بن نون الذي ثبت نبوته بالسنة النبوية الصحيحة كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

وأما بقية الأنبياء فإنه يجب الإيمان بهم جملة كما قال تعالى: {وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ...}. [سورة النساء، الآية: 164]. وقال تعالى: {وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلا فِيهَا نَذِيرٌ..}. [سورة فاطر، الآية: 24].

أما ما ورد عن بني إسرائيل وفي كتبهم المقدسة لديهم من أخبار بتسمية بعض الأشخاص بالأنبياء كأشعياء، وأرميا وصفنيا وهوشع وغيرهم، مما لم يقم على نبوتهم دليل من القرآن الكريم أو السنة الصحيحة فإننا لا نكذبه ولا نصدّقه؛ لأن خبرهم يحتمل الصدق والكذب لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تصدّقوا أهل الكتاب ولا تكذّبوهم وقولوا: {آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا...} الآية. [سورة البقرة، الآية: 136]. (أخرجه البخاري فتح الباري 8/170).

قال الحافظ ابن حجر: "أي: إذا كان ما يخبرونكم به محتملاً لئلا يكون في نفس الأمر صدقاً فتكذّبوه، أو كذباً فتصدّقوه فتقعوا في الحرج، ولم يرد النهي عن تكذيبهم فيما ورد شرعنا بخلافه، ولا عن تصديقهم فيما ورد شرعنا بوفاته، نبّه على الشافعي رحمه الله". اهـ

وأيضاً لوجود الاضطراب والانحراف في نظرة اليهود والنصارى نحو النبوة والأنبياء - وهو ناشئ من كتبهم المقدسة عندهم - فإن لفظ (النبي) في كتبهم الحرفة تطلق على النبيّ من الله. (ر: تكوين20/7، وغيرها كثير). وعلى كهنة الهيكل وأحبارهم. أخبار الأيام الأول 25/1، أرميا 6/13، أشعيا 9/14)، وعلى الساحر والمنجم. (حزقيال 13/19)، وعلى الأنبياء الكاذبة. (أرميا 5/31)، كما تطلق أيضاً على كهنة الآلهة الوثنية. (الملوك الأوّل 18/19، والثاني 3/13-10). وعلى نسائهم أيضاً. (الخروج 15/20، القضاه 4/4، صموئيل 2/1).

ويؤكّد هذا الاضطراب تصريح أريك ويليام هيتون - أستاذ دراسات العهد القديم بجامعة أوكسفود - في كتابه: (أنبياء العهد القديم ص 35)، إذ يقول: "إن أي محالة لتمييز الأنبياء الحقيقيّين بناء على التعريف النظري المجرد للنبوة، إنما هو عمل مقضي عليه بالفشل، ذلك أن تعريف النبوة كغيره من تعاريف بض الكلمات المذكورة في العهد القديم مثل عقيدة وكاهن - لن يقودنا على أحسن الفروض إلاّ إلى ربط النبوة بمظاهر خاريجة عرفها الناس في حياتهم العادية". اهـ (نقلاً من النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية ص 15، لأحمد عبد الوهّاب). كما أنهم يتهمون بعض أنبيائهم بالشرك وارتكاب الكبائر من الذنوب كالزنى والسرقة والقتل بغير حقٍّ ونحوه، وهذا مما نجزم بكذبه ولا تجوز روايته إلاّ لبيان بطلانه وكذبه.

وينفون النبوة عن بعض أنبيائهم كسليمان عليه السلام فهو في نظرهم مجرد ملك وليس بنبيٍّ. لذلك فإن موقفنا نحو ما ورد في كتبهم المقدسة المحرفة هو أن ما وافق منه شرعنا فنصدقه أو نقبله، وأما ما خالفه وظهر بطلانه فنرده ونرفضه، وأما ما سكت عنه شرعنا فلا نصدِّقه ولا نكذِّبه.

==

القسم الثاني: خطبة الكتاب

الأربعة1، ورسائل

____

1 إنّ الأناجيل تمثل جزءاً رئيساً من (الكتاب المقدس) عند النصارى، الذي ينقسم عندهم إلى قسمين رئيسين هما:

أوّلاً: العهد القديم: الذي يحتوي على أسفار الأنبياء الذين كانوا قبل المسيح عليه السلام ومنها التوراة.

ثانياً: العهد الجديد: ويحتوي على الأسفار التي تبدأ بظهور المسيح عليه السلام، وتنقسم بحسب محتوياتها إلى ثلاثة أقسام هي: 1- قسم الأسفار التاريخية: وتشمل: الأناجيل الأربعة، وسفر أعمال الرسل. 2- الأسفار التعليمية: وتشمل: رسائل الحواريّين وتلاميذ المسيح. 3- رؤيا يوحنا اللاهوتي.

أما الإنجيل لغة، فهي: كلمة مأخوذة من اللفظ اليوناني: (إيفا نجليون EVANGELION) ومعناه: (الخبر الطيب) أو البشارة.

واصطلاحاً: يزعم النصارى أن المسيح عليه السلام قد استعمل كلمة الإنجيل بمعنى (بشرى الخلاص من خطيئة آدم الأزلية) التي حملها إلى الشر، واستعملها تلاميذه من بعده بالمعنى نفسه، ثم استعملت هذه الكلمة على الكتاب الذي يتضمن هذه البشرى وهي سيرة المسيح عليه السلام، وقد غلب استعمالها بهذا المعنى على إنجيل متى، إنجيل مرقس، إنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا. (ر: كتاب يسوع المسيح ص 14، للأب بولس إلياس، قاموس الكتاب ص 120، 121، قصة الحضارة 11/206، لديورانت).

وأما محتويات هذه الأناجيل فيمكن تقسيمها إلى خمسة موضوعات، وهي باختصار كالآتي:

1- القصص: ويشغل الحيز الأكبر منها، وتتحدث عن قصة المسيح عليه السلام. بدءاً بولادته ثم دعوته ثم موته على الصليب ودفنه ثم قيامه من القبر ثم صعوده إلى السماء - حسب زعمهم.

2- العقائد: وتتركز بشكل رئيسي حول ألوهية المسيح وبنوته لله وتقرير أسس العقيدة النصرانية المنحرفة، وأكثر الأناجيل صراحة في تقرير ذلك إنجيل يوحنا.

3- الشريعة: يفهم من الأناجيل أنها أقرت شريعة موسى عليه السلام إلاّ ما ورد عن المسيح

==

____

بتعديله أو نسخه في أمور محددة وهي: الطلاق وقصاص الجروح ورجم الزانية.

4- الأخلاق: يفهم منها الغلو والإمعان في المثالية والتسامح والعفو ودفع السيئة بالحسنة. (ر: متى الإصحاح 5)، ولا يمنع هذا من وجود بعض النصوص في الأناجيل التي تدعو إلى القتال، إلاّ أنّ جانب المثالية والتسامح هو الأغلب.

5- الزواج وتكوين الأسرة: لم تهتم الأناجيل كثيراً بمسألة الزواج، ولكن يفهم منها عموماً أن المتبتل الأعزب أقرب إلى الله من المتزوج الذي يعاشر النساء.

وقد تَمَّ اعتماد هذه الأناجيل الأربعة عند النصارى بموجب قرار مجمع نيقية عام 325هـ، - وهو مما يدل على أن العقيدة النصرانية المنحرفة قد أقرت أوّلاً ثم بحث من بين الأناجيل المعروضة على المجمع ما يوافقها - مع أنّها لم تكن الأناجيل الوحيدة التي دونت في القرون الأولى للمسيحية وعرضت على مجمع نيقية، وعلى الرغم من أن الكنيسة قد أعلنت بعد المجمع أن ما عدا الأناجيل الأربعة والأسفار المعتمدة فإنّها هرطقات أو أسفار خفية غير قانونية اصطلح على تسميتها بـ: (أبو كريفا (APOCYRPHAL)، فقد بقيت بعض الأناجيل المحرفة متداولة ومشتهرة بين النصارى حتى عهد قريب. ومنها: إنجيل المصريّين، إنجيل نيكوديم (نيقوديموس)، إنجيل العبرانيّين، إنجيل توما، إنجيل برنابا، إنجيل الأبيونيّين وقد عدّها بعضهم فبلغت أكثر من خمسمائة إنجيلاً - علماً بأن الكتب الممنوعة الاطلاع في مكتبات الكنائس وخاصة في الفاتيكان أكثر من أن تحصى والتي لا يطلع عليها إلاّ الخاصة من كبار القساوسة وإن قيمة بعض تلك الأناجيل المحرمة من حيث السند والمتن ليست بأسوأ حال من الأناجيل المعتمدة إن لم تكن أفضل منها، ولكن النصارى اتّخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله.

(ر: دائرة المعارف الأمريكية 13/70، 71، قاموس الكتاب ص 122، دائرة معارف القرن العشرين 1/655، 656 لفريد وجدي، المسيح في مصادر ص 36-38، أحمد عبد الوهّاب، ملحق الجزء الأوّل لشكيب أرسلان على تاريخ ابن خلدون ص 59-64، الإنجيل والصليب ص – ط، للأستاذ المهتدي عبد الأحد داود - الذي كان قسيساً فأسلم -).

وأما تعريف الإنجيل في الإسلام فهو كما قال الله عزوجل: {وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدىً وَنُورٌ وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ}. [سورة المائدة، الآية: 46]. فهو إذن: وحيٌ وكتابٌ أنزل الله على عبده عيسى عليه السلام فيه هدىً ونورٌ وموعظة ومصدِّقاً لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهو إنجيلٌ واحدٌ وليس أناجيل متعددة. وقد كان المسيح يدعو بني إسرائيل للإيمان بهذا الإنجيل كما ورد التصريح بذلك في إنجيل متى 26/13، ومرقس 14/9، وورد في رسالة بولس إلى رومية 15/19، نسبة الإنجيل إلى المسيح فقال: "قد أكملت التبشير بإنجيل المسيح". إلاّ أنّ هذا الإنجيل قد فقد واندثر أو لعبت به أيدي التحريف والتبديل والنسيان والإهمال حتى انطمست آثاره ومعالمه باختلاط الحقّ بالباطل.

أما هذه الأناجيل الأربعة فإنه ليس واحداً منها هو الإنجيل الصحيح، لأنها تنسب إلى غير المسيح ولِمَا فيها من الباطل الذي قد بينا بعضه ولأسباب أخرى سيأتي تفصيلها إن شاء الله تعالى، ومع ذلك فإنه لا ينفي وجود بعض بقايا الوحي الإلهي في خطب المسيح، ومواعظه التي نقلها تلاميذه وتوافق ما جاء في القرآن الكريم والسنة الصحيحة وفيها البشارة بالنّبيّ محمّد صلى الله عليه وسلم.

==

بفراكسيس1، ورسائل فولس2 الرسول وصلوات النصارى وشريعة إيمانهم

____

1 إن الأسفار المتبقية من العهد الجديد - عدا الأناجيل الأربعة، هي: رسائل يزعم النصارى بأن تلاميذ المسيح قد كتبوها إلى كنائس معينةٍ أو أشخاص أو النصارى عامة، ثم اعتبرتها الكنيسة أسفاراً قانونياً وأنها كتبت بإلهام من الروح القدس لمؤلِّفيها، وتفصيلها كما يأتي:

أ- سفر أعمال الرسل - ويسمى سفر براكسيس (PRAXIS) وهي كلمة يونانية تعني الأعمال - وينسب هذا السفر إلى لوقا - صاحب الإنجيل الثالث - وعدد إصحاحاته (28) أصحاحاً، يحتوي على سير الحواريّين وتلاميذ المسيح وجهودهم في سبيل نشر تعاليم المسيح بعد رفعه عليه السلام.

ب- رسائل الحواريّين والتلاميذ - وتعتبر من الرسائل التعليمية لأنها توضح تعاليم النصرانية ومبادئها - تشتمل على (21) رسالة موزعة كالآتي: (14) رسالة لبولس عدد إصحاحاتها (99) إصحاحاً، رسالة واحدة ليعقوب عدد إصحاحاتها (5)، رسالتان لبطرس عدد إصحاحاتها (8)، (3) رسائل ليوحنا عدد إصحاحاتها (7)، رسالة واحدة ليهوذا مكونة من إصحاح واحد فقط.

ج- رؤيا يوحنا - صاحب الإنجيل الرابع - وهو عبارة عن تنبؤات مستقبلية، عدد إصحاحاتها (22) إصحاحاً. وقد يتصور الإنسان أن هذه الرسائل أو الأسفار قد اعتمدت - أي: أصبحت قانونية مقدسة - دفعة واحدة وفي قائمة واحدة من قبل رجال اللاهوت ومجامعهم المسكونية لكن الواقع غير ذلك وتفصيله كالآتي: عندما انعقد مجمع نيقية المشهور سنة 325م، تم فيه اعتماد معظم أسفار العهد القديم والأناجيل الأربعة وأغلب رسائل العهد الجديد ما عدا رسالة يعقوب، والرسالة الثانية لبطرس، والرسالتان الثانية والثالثة ليوحنا، ورسالة يهوذا، ورسالة بولس إلى العبرانيّين، وسفر رؤيا يوحنا، وظلت مشكوكاً بها ومدرجة ضمن الكتب المفروضة.

ثم انعقد مجمع لوديسيا سنة 364م، اعتمدت فيه الأسفار المذكورة آنفاً ما عدا سفر رؤيا يوحنا الذي ظل مدرجاً ضمن الكتب المشكوك فيها والمرفوضة.

ثم انعقد مجمع قرطاج سنة 397م، وتم فيه اعتماد سفر رؤيا يوحنا، وكذلك بعض أسفار العهد القديم، ثم تأيدت قرارات تلك المجامع السابقة بمجامع ثلاثة أخرى هي: مجمع ترلو سنة 692م، مجمع فلورنس سنة 1439م، مجمع ترنت من سنة 1542م-1563م تم فيها اعتبار الأسفار المشكوك فيها مسلمة بين جمهور النصارى. (ر: تاريخ الكنسية ص 152، 153، يوسابيوس القيصري ترجمة القمص مرقس داود، كتاب الغفران بين الإسلام والمسيحية ص 33-35، للأستاذ إبراهيم خليل - الذي كان قسيساً وأستاذ اللاهوت بكلية اللاهوت بأسيوط ثم هداه الله إلى الإسلام - أظهار الحقّ ص 76-82، للشيخ رحمة الله الهندي - بتصرف).

فهذه حال كتب القوم، تصبغ بالقداسة والتعظيم حسب أهواء شياطينهم وأحبارهم، ولا مستند لهم في قبول الأسفار ورفضها إلاّ اتباع الهوى والشيطان.

2 هو: (بولس) - ومن عادة العرب أن يقلبوا الباء فاء حين الترجمة عن اللغة اليونانية ومعنى: (الصغير)، وكان اسمه في اليهودية شاؤول ويلقبه النصارى بالرسول على الرغم من أنه لم يكن من تلاميذ المسيح، ولم تثبت له رؤية المسيح عليه السلام في حياته، وقد كان بولس في بداية أمره من أشدّ الناس اضطهاداً وتعذيباً لأتباع المسيح عليه السلام، ثم زعم بولس وهو طريقه إلى دمشق بأن المسيح قد ظهر له يقظة في عمود من نور وذلك بعد رفع المسيح بسع سنين - وأمره باتباعه وتبليغ رسالته إلى الأمم - وبذلك أصبح بولس من أكبر الدعاة فأخذ يطوف البلاد وينشأ الكنائس ويلقي الخطب ويكتب الرسائل حتّى قتل

في اضطهاد دنيرون سنة 67 أو 68م، وتنسب إليه (14) رسالة من أسفار العهد الجديد تعتبر مصدراً رئيساً للعقائد والتشريعات النصرانية المحرفة. (ر: سفر أعمال الأصحاح (9) وما بعدها، قاموس ص 196-199، المسيحية نشأتها وتطورها - شارل جينبر ص 67-111، تاريخ المسيحية (فجر المسيحية) - حبيب سعيد ص 40-45).

وكما يقول حبيب سعيد: "بأن بولس صاحب الفضل الكبير في وضع أركان المسيحية الأولى". اهـ

فإننا نجد في رسائل بولس النصرانية المنحرفة وأوّل من غرس بذرة التثليث، فهو قد دعا إلى تأليه المسيح وبأنه ابن الله.(ر:رسالته إلى رومية2/23-27، 5/10-12).

وبأن المسيح سيحاسب الناس يوم القيامة. (ر: رسالته إلى أفسس 1/22، ورسالته إلى رومية 14/10).

ونسخ الختان. (ر: رسالته إلى كونثوس 7/18، 19). وجعل المسيحية ديناً عالمياً. (ر: رسالته إلى رومية 1/5، 14-16، وإلى غلاطية 3/26-29). وغير ذلك من الانحرافات التي أدت إلى افتراق برنابا الحواري عنه في رحلاته وكتابته لإنجيل برنابا. (انظر: مقدمة إنجيل برنابا 1-9).

وقد أدرك حقيقة بولس وتأثيره في أتباع المسيح الكثيرون من المحقِّقين والمفكِّرين مثل بيري في كتابه: (ديانات العالم ص 68-76)، وويلز في كتابه: (المحيط في التاريخ 3/679). حيث يقولون عن بولس: "إن كثيراً من الثقات العصريّين يعدونه المؤسس الحقيقي للمسيحية". (نقلاً من المسيحية - د. شلبي ص 79-86).

ويقول الأستاذ شارل جنيبر - أستاذ المسيحية بجامعة بارس - في كتابه السابق ص 84، 111: "بدون بولس كان من المحتمل أن لا توجد المسيحية وأن بولس كان منشئ المستقبل". اهـ

==

الملقبة بالأمانة وسير الحواريّين، فقلبتها ظهراً لبطن دفعات، فإذا ظواهرها مأولة، وكلماتها على غير النحو الذي صار إليه أربابها منْزِلة.

فأجدت في تأويل ما أجراه النصارى على الظاهر، وبينت بالدليل من التوراة والنبوات والإنجيل غلط الكافر، بعد أن قدرت صحّة كتبهم وإن كانت سقيمة وسلمت وجودها وإن كانت في حكم العديمة، وأظهرت من كتبهم فساد معتقدهم وكشفت ما أخفوه من بشارة الأنبياء عليهم السلام بمحمّد صلى الله عليه وسلم، وأكذبتهم فيما نسبوه إلى المسيح صلى الله عليه وسلم من نقائص ورذائل / (1/5/أ) يجل قدره عنها، وأوضحت أن ما جاء به من الخوارق والمعجزات قد سبقه بها من تقدمه من إخوانه الأنبياء، ونبهت على إنكاره قول من غلا فيه ونسبه إلى ما لا

==

يليق من الربوبيـة، وأكـذبت اليهـود في تخرصـهم عليـه وعلى والدتـه العـذراء البتـول بمـا حققت من معجزاته.

وأديت تناقض الأناجيل الأربعة التي بأيدي النصارى وتكَاذُبَهـا وفضـائح القسيسـين ومخـاريق الرهبـان ومـا أحدثـه النصـارى بعـد المسـيح عليـه السـلام في صـلواتهم ومتعبـداتهم [وروجـوا]1 بـه من المـدكات2 والمخاريق على ضعفائهم ليقووا به واهي أباطيلهم، وبينت بالأدلـة الواضـحة تنـاقض شـريعة إيمـانهم الـتي يزعمون أنه لا يتمّ لهم حرب ولا سلم ولا عيد ولا قربان إلاّ بها ومجانبتها لما كان عليه المسيح عليه السـلام وتلاميذه، وأفسدت عليهم ما أجمعوا عليه من القول بالثالوث بما أبديته من التوحيد المحفوظ عن المســيح وأصحابه وأبديت عوار صلواتهم الثمانية3 وما اشتملت عليـه من الكفـر والضـلال وعبـادة غـير اللـه تعـالى، وأوضحت زللهم فيما صاروا إليه من قتل / (1/5/ب) المسيح وبينت من الإنجيل أن المفعـول بـه ذلـك غـير المسيح تحقيقاً لقوله تعالى: {وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُم}. [سورة النساء، الآية: 157].

فاشتمل الكتاب على فوائد منها: رسوخ الإيمان للمسلم بموافقة ما في أيديهم للكتاب العزيـز كمـا نبـه عليـه قولـه تعـالى: {وَإِنَّهُ لَفِي زُبُـرِ الأَوَّلِينَ}. [سـورة الشـعراء، الآيـة: 196]. وقولـه: {إِنَّ هَـذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى}4. [سورة الأعلى، الآية: 19]. وقولـه: {الَّذِينَ يَتَّبِعُـونَ الرَّسُـولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَ الَّذِي يَجِدُونَـهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُم فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ}. [سورة الأعراف، الآية: 157]. وكثرة الأدلة توجب

____

1 في الأصل:(ورد جوابه)ولعله تحريف من الناسخ،فإن سياق الكلام يدل على ما أثبته.

2 المدك:اسم آله من الدك:أي:الهدم والدق،والمرادبه هنا:الهدم.(ر:القاموس ص1212).

3 سيأتي تفصيل هذه الصلوات.

4 {إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى}.[سورة الأعلى، الآية: 18-19].

==

الطمأنينة وتثلج الصدور.

ومنها: تعلم الحجّة عليهم من كتبهم وإلزامهم على مقتضى أصولهم وذلك أفحم لهم.

ومنها: قصد إرشادهم ببيان احتمال الألفاظ التي اقتضت غلطهم، فعسى الله أن يقدر هداية بعضهم، ونحن مأمورون بدعائهم إلى سبيل ربنا بالحكمة والموعظة الحسنة1.

ومنها: الوقوف على سرّ قول نبيّنـا عليـه السـلام وقـد رأى في يـد بعض أصـحابه صـحيفة من كتبهم فغضب عليه السلام وقال له: "ألقها فوالله جئتكم بها بيضاء نقية"2.

____

1 يشـير إلى قولـه تعـالى: {ادْعُ إِلَى سَـبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَـةِ وَالْمَوْعِظَـةِ الْحَسَـنَةِ وَجَـادِلْهُمْ بِـالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}. [سورة النحل، الآية: 125].

2 أخرجه الإمام أحمد 3/387، وابن أبي شيبه 5/521 ح 26421 كلاهما نمت طريق هشيم عن مجالد عن الشعبي عن جابر بن عبد الله - رضي الله تعالى عنهما - أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتى النـبي

صلى الله عليه وسلم بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه على النبيّ صلى الله عليه وسلم فغضب فقال: "أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب! والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبرونكم بحقّ فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى صلى الله عليه وسلم كان حيا ما وسعه إلاّ أن يتبعني".

وذكره الهيثمي في المجمع 1/179، وعزاه إلى أبي يعلى والبزار وقال: "فيه مجالد بن سعيد ضعَّفه أحمد ويحيى بن سعيد وغيرهما". اهـ. ووافقه الحافظ في فتح الباري 13/334.

وهناك أدلة أخرى تفيد ما أفاده الحديث في منع النظر في كتب أهل الكتاب نمها: ما رواه البخاري (ر: فتح الباري 5/291)، عن ابن عباس قال: "يا معشر المسلمين، كيف تسألون أهل الكتاب وكتابكم الذي أنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم أحدث الأخبار بالله تقرؤونه لم يُشَبْ؟ وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا ما كتب الله وغيّروا بأيديهم الكتاب فقالوا: هذا من عند الله. ليشتروا به ثمناً قليلاً أفلا ينهاكم بما جاء من العلم عن مساءلتهم؟..". وما أخرجه عبد الرزاق في مسنده عن عبد الله بن مسعود قال: "لا تسألوا أهل الكتاب فإنهم لن يهدوكم وقد أضلوا أنفسهم، فتكذبوا بحقّ أو تصدقوا بباطل".

وأخرجه سفيان الثوري بلفظ قريب منه. وقال الحافظ: "وسنده حسن". (ر: فتح الباري 6/334).

==

وأنت - رحمك الله - إذا شاهدت ما انطوت عليه كتب القوم من التكرار / (1/6/أ) والتطويل واشتمال اللفظ الكثير على المعنى القليل وضرب الأمثال بالكلمات الركيكة السوقية عرفت سرّ قوله عليه السلام: "لقد جئتكم بها بيضاء نقية" إلى غير ذلك كما يوضحه الكشف.

فإن قيل: كيف استجزت النظر إلى هذه الكتب وصحبتها محظورة والأمّة بالنظر فيها غير مأمورة، وقد نهى الصحابي عنها وبحر منقوله عجاج وبنية معقولة مركبة من أعدل مزاج؟

قلنا: المحظور هو النظر فيها على وجه التعظيم والتفخيم وإجراؤها على ظواهرها الموهمة لاسيما للعامي الغر والحدث الغمر، فأما من نظر فيها على المقصد الذي قصدته والنحو الذي أردته وأوردته فهو إن شاء الله من أمهات القربات. فأما نهيه عليه السلام الصحابي عن ذلك فلأن الأمر كان في ابتدائه والشرك بعد لم يمت بدائه[1]، فلعل رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى أن غير ذلك أولى بالصحابة في ذلك الوقت، ولأن الصحابة - رضوان الله عليهم - هم أعيان الأمّة فلو أكبوا على تلك الكتب المبدلة والصحف المحرفة لا شكّ / (1/6/ب) أن يتابعهم الناس في ذلك وقد قال عليه السلام لأصحابه: "إنكم أئمة يقتدى بكم"[2].

---

1 قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري 6/498 في شرحه لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "بلغوا عني ولو آية وحدّثوا عن بني إسرائيل ولا حجر..": "أي: لا ضيق عليكم في الحديث عنهم؛ لأنه كان تقدم منه صلى الله عليه وسلم الزجر عن الأخذ عنهم، والنظر في كتبهم ثم حصل التوسع في ذلك وكأن النهي

وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية والقواعد الدينية خشية الفتنة، ثم لما زال المحذور وقع الإذن في ذلك لما في سماع الأخبار التي كانت في زمانهم من الاعتبار".

2 أخرجه الإمام أحمد 1/346 قال: "ثنا يحيى عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس - موقوفاً -: دعا أخاه عبيد الله يوم عرفة إلى طعام قال: إني صائم، قال: إنكم أئمة يقتدى بكم قد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا بحلاب في هذا اليوم فشرب. قال الشيخ أحمد شاكر: "إسناده صحيح". (ح 3239).

قلت: وله شاهد من حديث عمر بن الخطاب إلاّ أنّه موقوف أيضاً. أخرجه الإمام مالك في الموطّأ ص 236 عن نافع أنه سمع أسلم مولى عمر بن الخطاب رأى على طلحة بن عبيد الله ثوباً مصبوغاً وهو مجرم، فقال عمر: ما هذا الثوب المصبوغ يا طلحة؟ فقال طلحة: يا أمير المؤمنين إنما هو مدر، فقال عمر: إنكم أيها الرهط أئمة يقتدي بكم الناس، فلو أنّ رجلاً رأى هذا الثوب لقال: إنّ طلحة بن عبيد الله كان يلبس الثياب المصبغة في الإحرام،فلا تلبسوا أيها الرهط شيئاً من هذه الثياب المصبغة.

==

وقال أصحابي كالنجوم..."1. فلهذا نهى الصحابي وندبه إلى الاشتغال بالكتاب العزيز بقوله: "لقد جئتكم بها بيضاء نقية".

قلت: وقد ذكر الفقهاء تردداً في جواز استصحاب هذه الكتب للوقوف عليها وتوجيه وجوه الرد إليها، وبالجملة فالأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى2، والحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها خطبها،3 ومطية تنهج سواء السبيل بمن ركبها،وربنا المسؤول أن يصحح منا المقاصد ويبعث رائد التوفيق فيقف لنا بالمراصد4.

---

1 أخرجه ابن عبد البر في جامع العلم 2/191، وابن حزم في الأحكام 6/82، من حديث جابر رضي الله عنه وقال ابن عبد البر: "هذا الإسناد لا تقوم به الحجة؛ لأن فيه الحارث بن غصين مجهول". وأخرجه البيهقي في (لمدخل 1/162) من طرق عن عمر وابن عباس - رضي الله عنهم - ثم قال البيهقي: "هذا حديث متنه مشهور وأسانيده ضعيفة لم يثبت في هذا إسناد". اهـ وذكره الألباني في (الأحاديث الضعيفة 1/78، 82، 439). من طرق أخرى ثم حكم عليه بأنه موضوع.

2 يشير إلى حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى..." الحديث. أخرجه البخاري (ر: فتح الباري 1/9)، ومسلم 3/1515، 1516.

3 يشير المؤلِّف إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الكلمة الحكمة ضالة المؤمن، فحيث وجدها فهو أحقّ بها". أخرجه الترمذي 5/49، وابن ماجه. (ر: ضعيف ابن ماجه للألباني ص 343). قال الترمذي: "هذا حديث غريب". وإبراهيم بن الفضل الراوي يضعف في الحديث من قبل حفظه، وقال الألباني: "ضعيف جداً". (ر: المشكاة 1/75).

4 أدلة جواز النظر في كتب أهل الكتاب كثيرة، منها: - قوله تعـالى: {قُـلْ فَـأْتُوا بِـالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَـا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}. [سورة آل عمران، الآية: 43]. قوله تعالى: {فَـإِنْ كُنْتَ فِي شَـكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَـا إِلَيْـكَ فَاسْـأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ}. [سورة يونس، الآية: 94].

ومنها: ما أخرجه البخاري (ر: فتح الباري 6/496)، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "بلّغوا عن ولو آية، وحدّثوا عن نبيّ إسرائيل ولا حرج...". وهذا يستلزم النظر في كتبهم. وما ثبت من رجوع بعض الصحابة - رضي الله عنهم - إلى بعض من أسلم من أهل الكتاب يسألونهم عن بعض ما جاء في كتبهم كأبي هريـــرة وابن عباس وابن مسعود وغيرهم.

وما ورد أن عبد الله بن عمرو أصاب يوم اليرموك زاملتين من كتب أهـل الكتـاب فكـان يحـدّث منهـا. (ر: مجموع فتاوى لابن تيمية 13/366).

وللتوفيق بين ما ذكرنا سابقاً من أدلة ظاهرها النهي عن النظر في كتب أهل الكتاب وبين الأدلة الـتي ظاهرها الجواز نقول: إن الأمر للإباحة والجـواز ليس على إطلاقـه فـإن جـاء مـا في كتبهم موافقـاً لمـا في شرعنا صدّقناه وجازت روايته، وما جاء مخالفاً لمـا شـرعنا كـذّبناه، وحـرمت روايتـه إلاّ لبيـان بطلانـه، ومـا سكت عنه شرعنا توقفنا فيه، فلا نحكم عليه بصدق أو بكذب. وأما الأمر بالنهي فقد سبق ذكر كلام الحافظ ابن حجر بأنه وقع قبل استقرار الأحكام والقواعد الإسلامية خشية الفتنـة، ثم لمـا زال المحـذور وقـع الإذن في ذلك لما في ذلك من الاعتبار. وقد نقل ابن بطال عن المهلب أنه قال: "هذا النهي إنما هو سؤالهم عما لا نص فيه؛ لأن شرعنا مكتف بنفسه، فإذا لم يوجد فيه نص ففي النظر والاستدلال غني سؤالهم ولا يـــدخل في النهي سؤالهم عن الأخبار المصدّقة لشرعنا والأخبار عن الأمم السالفة". اهـ.

والأولى في هذه المسألة التفرقة بين من لم يتمكن ويصر من الراسخين في الإيمان والعلم فلا يجـوز له النظر في شيء من ذلك، بخلاف الراسخ فيجوز له، ولاسيما عند الاحتجاج إلى الردّ على المخالف، ويدل على ذلك نقل الأئمة قديماً وحـديثاً من التـوراة والأناجيـل وإلـزامهم اليهـود والنصـارى بطلان كتبهم ودينهم المحرف والتصديق بمحمّد صلى الله عليه وسلم بما يستخرجونه من كتبهم، ولـولا اعتقـادهم جـواز النظـر فيه لما فعلوه وتواردوا عليه - وهذا ما عناه المؤلِّف رحمه الله وفعله - كما أن النظر في كتب أهل الكتـاب لبيان ما فيها من التحريف الذي به يهدم أساس دينهم المحرف ونسخه بالإسلام داخـل ضـمن مـا أمرنـا بـه من مجادلة أهل الكتاب بقول تعالى: {ولا تجادلوا أهل الكتاب إلاّ بالتي هي أحسـن...}. [سـورة العنكبـوت، الآية: 41]، وقوله تعالى: {ادْعُ إِلَى سبيل ربّك بالحكمـة والموعظـة الحسـنة وجـادلهم بـالتي هي أحسـن}، [سورة النحل، الآية: 125].

(للتوسع في هذا الموضوع يراجع: فتح الباري 6/498، 13/333-335، مصنف ابن أبي شـيبة 5/313، 318، مقدمة أصـول التفسـير لشـيخ الإسـلام ابن تيميـة، والإسـرائيليات في التفسـير والحـديث. د. محمّـد حسين الذهبي، الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير - د. رمزي نعناعة).

==

القسم الثاني: خطبة الكتاب

وقـد كنت وقفت لجماعـة من العلمـاء على عـدة كتب في البـاب وأرجـو ألاّ يكـون هـذا المختصـر مقصـراً عن شـأوهم وقـد سـمَّيته: (تخجيـل مَنْ حَـرَّفَ الإنجيـل) ورتّبتـه في عشـرة أبـواب. واللـه الموفِّق للصواب.

الباب الأوّل:

في كون المسيح عبداً من عبيد الله بقوله وفتواه لقول ربنا جلّ اسمه حكاية / (1/7/أ) عنـه: {قَـالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ...}1. {إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ}. [سورة الزخرف، الآية: 59].

____

1 قال تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام: {قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّـاً}. [سـورة مريم، الآية: 30].

القسم الثاني: خطبة الكتاب

{لَنْ يَسْتَنْكِفَ المَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً لِلَّهِ...}. [سورة النساء، الآية: 172]. ونظائرها.

الباب الثّاني:

في إثبات نبوة المسي عليه السلام وتحقيق رسالته نذكر فيه من أقوال المسيح وأفعاله مـا يشـهد له بالنبوة والرسالة ويخصم اليهود في افترائهم عليه وعلى والدته لقوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ عِيسَى بْنُ مَـرْيَمَ يَـا بَنِي إِسْـرَائِيلَ إِنِّي رَسُـولُ اللـه إِلَيكُم...}. [سـورة الصـف، الآيـة: 6]. وقولـه: {آتَـانِيَ الكِتَـابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً...}. [سورة مريم، الآية: 30]. ونظائرها.

الباب الثّالث:

في تأويل ظواهر الإنجيل نبدأ بعون اللـه تأويـل لفـظ الأب والابن والإلـه والـرب والسـجود والغفـران وغير ذلك ومساوة المسيح غيره من أنبياء الله تعالى وأصفيائه لقوله تعـالى: {مَـا اتَّخَـذَ اللـهُ مِنْ وَلَـدٍ وَمَـا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَه...}. [سورة المؤمنون، الآية: 41]. {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ المَسِيحُ ابْنُ مَـرْيَم}. [سورة المائدة، الآية: 17، والآية 72]. {وَلاَ تَقُولُوا ثَلاَثَـةٌ انْتَهُـوا خَـيراً لَكُمْ إِنَّمَـا اللـهُ إِلَـهٌ وَاحِـدٌ سُـبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ}. [سورة النساء، الآية: 171]. ونظائرها.

الباب الرّابع:

في تعريف مواضع التحريف نحكي فيه تكاذيب الأناجيـل الأربعـة الـتي بأيـدي النصـارى يومنـا هـذا1 وتناقضها / (1/7/ب) بحيث يقطع من وقف على ذلك أنه ليس الإنجيل المنَزَّل من الله ليتحقق قوله تعالى: {يُحَرِّفُونَ الكَلْمَ عِن

____

1 قول المؤلِّف (يومنا هذا) كان ذلك في القرن السابع الهجري، وأما في زماننا هذا فقد زاد التحريـف على ما كان محرفاً، فمثلاً كلمة (فارقليـط) كـانت موجـودة في النسـخ القديمـة في زمـان المؤلـف وقبلـه وبعده بيسير، ثم حرفها النصارى إلى كلمة: (المعزى أو الوكيـل. (ر: اختلاف ف تـراجم الكتـاب المقـدس - للمهندس أحمد عبد الوهّاب).

مَوَاضِعِهِ}ـ [سورة النساء، الآية: 46، والمائدة، الآية: 13]. {تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً}ـ [سورة الأنعام، الآية: 94]. {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ البَيِّنَاتِ وَالهُدَى}ـ [سورة البقرة، الآية: 159]. {إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً}ـ [سورة آل عمران، الآية: 77]. ونظائرها.

الباب الخامس:

في بيان أنّ المسيح وإن قصد وطلب فما قتل وما صلب نذكر فيه حماية الله تعالى نبيّه المسيح عيسى بن مريم من أعدائه، واشتباه أمره على اليهود الذين أرادوا قتله ووقوع شبهه على رجل سواه شغلوا به عنه فقتلوا ذلك الرجل وصلبوه ورفع الله نبيّه المسيح ليتحقق قوله تعالى: {وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ...}ـ الآية، [سورة النساء، الآية: 157]. ونظائرها.

الباب السّادس:

في الأجوبة المسعدة عن الأسئلة الملحدة نسطر أسئلة عبثوا بالسؤال عنها ونشفعها بالجواب لينتفع بذلك من أحبّ مكالمتهم عملاً بقول ربنا جل اسمه: {إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ...}ـ / (1/8/أ). [سورة محمّد، الآية: 7]. {وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ}ـ [سورة الحجّ، الآية: 40]. {وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَونَ...ـ}. [سورة آل عمران، الآية: 139]. ونظائرها.

الباب السّابع:

إفساد دعوى الاتّحاد، نحكي فيه مقالات فرقهم في اتّحاد اللاهوت بالناسوت وتناقض الروم والنسطور واليعاقبة، ثم نعكر على الجميع بالإبطال ليتضح قوله تعالى: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ المَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ...}ـ [سورة المائدة، الآية: 72]. {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ...}. [سورة المائدة، الآية: 73]. ونظائرها.

الباب الثّامن:

في الإبانة عن تناقض الأمانة، نبيّن فيه فساد أمانتهم التي يلقبونها بشريعة إيمانهم ويسمّونها التسبيحة، وهي التي لا يتم لهم عيد ولا قربان بدونها، وكيف أكذب بعضها بعضاً وناقضه وعارضه، وأنه لا أصل لها في شرع المسيح البته، وإنما ألفها قوم من بعده بدهر طويل، قال ربنا تعالى: {يَا أَهْلَ الكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِيْنِكُم غَيْرَ الحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَومٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ}. [سورة المائدة، الآية: 77]. ونظائرها / (1/8/ب).

الباب التّاسع:

في الوضع المعهود من فضائح النصارى واليهود، نذكر فيه حيل القسيسين ومخاريق الرهبان ومدكاته وما يقرؤونه في صلواتهم الثمانية من السخف والهذيان وما افتراه اليهود على أنبياء الله الأبرار وصفوته الأطهار مما ذلك مزبور مسطور في توراتهم، قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ...}. [سورة التوبة، الآية: 34]. وقال: {اتَّخَذُوا

أَحْبَارَهُم وَرُهبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللهِ والمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً...}. [سورة التوبة، الآية: 31]. ونظائرها.

الباب العاشر:

في البشائر الإلهية بالتسمية المحمّدية، نذكر في هذا الباب ما اشتملت عليه التوراة والإنجيل ونبوات الأنبياء من البشرى بسيِّدنا محمّد رسول الله صلى الله عليه وسلم والتنصيص على اسمه وأرضه التي يبعث منها وبلده ودينه وملته وأنه خاتم الأنبياء، وأنّ أمته خير أمةٍ وملته أفضل ملة وأن / (1/9/أ) شريعته تدوم إلى قيام القيامة ليتحقق قول ربنا تعالى: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُم فِي التَّورَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُم عَنِ المُنْكَرِ وَيَحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ...}. [سورة الأعراف، الآية: 157]. ونظائرها.

فصل:

أعلم أنّ الكتاب الذي بأيدي النصارى اليوم ليس هو إنجيلاً واحداً[1] بل أربعة أناجيل: إنجيل مَتَّى - وهو من الاثني عشر حوارياً[2]، كتبه بالعبراني

---

1 في ص (إنجيل واحد) والصواب ما أثبته.

2 في ص (حواري) والصواب ما أثبته.

والحواريّون: هم أنصار عيسى عليه السلام، والحواري: الناصر، على الصحيح من الأقوال. (ر: تفسير ابن كثير 1/373، المفردات للراغب ص 635، ويسمّيهم النصارى رسلاً، أي: رسل المسيح عليه السلام ويشترط عندهم في الرسول شرطان:

أوّلاً: أن يكون قد اتّصل بالمسيح وعاشره وتلقى تعاليمه منه مباشرة.

ثانياً: أن يكون المسيح قد دعاه إلى هذه الخدمة.(ر: قاموس ص 403). غير أن روايات الأناجيل في أسماء الحواريّين متعارضة. (كتاب المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص 84، للمهندس أحمد عبد الوهّاب).

بفلسطين، وكتبه بعد صعود المسيح إلى السماء بثمان سنين1. وإنجيل مرقس - هو من السبعين كتبه بالرومية، بالروم بعد صعود المسيح إلى السماء باثنتي

---

1 إنّ كلام المؤلّف يوحي بصحّة نسبة الأناجيل الأربعة إلى أصحابها، والمؤلِّف إنما ينقل ذلك من المصادر النصرانية ومن أبرزها (نظم الجوهر) - لسعيد ابن البطريق - بطريك الإسكندرية - غير أن الدراسات النقدية - قديماً وحديثاً - قد أثبتت بما لا يدع مجالاً للشّكّ عدم صحّة نسبة هذه الأناجيل إلى أصحابها المزعومين، وسوف أذكر بعض الأدلة على ذلك باختصار - إن شاء الله تعالى - .

فأما إنجيل متى: فهو عند معظم النصارى منسوب إلى متى الحواري الذي كان عاشراً أي: جابياً للضرائب للؤومان ومات بالحشبة سنة 70م. (ر: الكنْز الجليل في تفسير الإنجيل 1/1ـ د. وليم أدى، قاموس ص 832-833) لكن يقول المؤرخ ول ديورانت في قصة الحضارة 1/208: "إنّ النقاد يميلون إلى القول بأنه من تأليف أحد أتباع متى وليس من أقوال العشار (متى) نفسه". اهـ.

ويقول فيلبس - القسيس بالكنيسة الإنجيليكانية بإنجلترا - في تقديمه لإنجيل متى: تنسب التقاليد القديمة جداً هذا الإنجيل إلى الحواري متى، ولكن علماء العصر الحاضر غالباً ما يرفضون هذا الرأي".

ويقول . موريس بوكاي: "إنه لم يعد مقبولاً اليوم القول بأن (متى) أحد حواريّ المسيح، ولم يعد أحد يعتقده في عصرنا". اهـ.

هذه بعض أقوالهم في هذا الإنجيل الذي يواجه انتقادات ومشاكل كثيرة من أبرزها:

أ- الاختلاف في تاريخ تدوين هذا الإنجيل ما بين سنة 37م إلى سنة 64م.

ب- الاختلاف في لغة التوين، فقيل: بالعربية، وقيل: الآرامية، وقيل: اليونانية.

ج- الجهالة التامة لمترجم النسخة الأصلية المفقودة للإنجيل - سواء كانت بالعبرية أو الآرامية - إلى اللغة اليونانية.

د- جهالة مكان تأليفه.

هـ إيراده لروايات خالف بها بقية الأناجيل الأخرى يصعب تصديقها أو إيجاد تعليل لها، خصوصاً عن قيامة المسيح من قبره، وأيضاً خطأ الاستشهاد بنبؤات العهد القديم.

(ر: للتوسع: إظهار الحقّ ص 250-253، لرحمة الله الهندي الذي نقل أقوالاً كثيرة لعلماء النصارى في إنكار نسبة هذا الإنجيل إلى متى الحواري، المسيح في مصادر ص 57-61، لأحمد عبد الوهّاب، رسالة الغفران بين الإسلام والمسيحية ص 16، المهتدي إبراهيم خليل أحمد، هل الكتاب المقدس كلام الله؟ ص 155-156، لأحمد ديدات، دراسة الكتب المقدسة ص 80، 81، موريس بوكاي).

==

عشرة سنة1. وإنجيل لوقا - وهو من السبعين، كتبه باليونانية

بالإسكندرية2. وإنجيل يوحنا - وهو من الاثني

1 إنجيل مرقس: ينسب إلى مرقس الـذي لم يكن حوارياً ولا من تلاميـذ المسـيح - وإنمـا كـان تلميـذ بطرس ومرافقه، وظن بعضهم أنه استشهد بالإسـكندرية. (ر: الكَنْـز الجليـل 5/2-7). ويقـول د. بوكـاي عن إنجيل مرقس: "إنه ليس كتاب أحد الحواريّين، هو على أكثر تقرير كتاب حرره تلميذ أحد الحواريّين". اهـ

وعن حقيقة شخصية مرقس يقول نينهام - أستاذ اللاهوت بجامعة لندن - في تفسير إنجيل مرقس ص 39: "لم يوجد أحد بهذا الاسم عرف أنه كان على صـلة وثيقـة وعلاقـة خاصـة بيسـوع، أو كـانت لـه شـهرة خاصة في اكنيسة الأولى... ومن غير المؤكّد صحّة القول المـأثور الـذي يحـدد مـرقس كـاتب الأنجيـل بأنـه يوحنا مرقس المذكور في أعمال الرسل 12/12،ـ 25، أو أنه مـرقس المـذكور في رسـالة بطـرس الأولى 5/13 - ثم يقول: لقد كان من عادة الكنيسة أن تفترض أن جميع الأحداث التي ترتبط باسم فرد ورد ذكـره في العهد الجديد، إنما ترجع جميعها إلى شخص واحد له هذا الاسم، ولكن عندما نتذكر أن اسم مرقس كان أكـثر الأسـماء اللاتينيـة شـيوعاً في الإمبراطوريـة الرومانيـة..ـ فعندئـذٍ نتحـق من مقـدار الشّـكّ في تحديـد الشخصية في هذه الحالة". اهـ.

كما أن صاحب الأنجيل مجهول الهوية فإنه لا واسطة لتحقيق زمن كتابة الإنجيل، ولا دليـل على مكـان كتابته فقيل: رومية، وقيل: أنطاكية، وقيل: الإسكندرية. (ر: الكنْز الجليل 1/6).

يضاف إلى ما سبق اعتقاد الكثير من المحقّقين أن خاتمة هذا الإنجيل 16/9-20، مؤلّف مضـاف إليـه، لأنها ليست موجودة في أقدم مخطوطتين كاملتين للأناجيل ويرجع تاريخها إلى القرن الرابع الميلادي، وقال وارد الكاثوليكي في كتابه: "صرح جيروم في كتبه أن بعض العلماء كـانوا يشـكّون في الإصـحاح الأخـير من إنجيل مرقس". (ر: دراسة الكتب المقدسة ص 84-87، المسيح في مصادر ص 53، إظهار الحقّ ص 100، محاضرات في النصرانية ص 46، 47، محمّد أبو زهرة".

2 إنجيل لوقا: اختلف الباحثون في شخصية لوقا، وفي صناعته، وفي القوم الذين كتب لهم إنجيله، ولا يعرف شيء عن زمن وكيفية موته، وإن كان الباحثون قد اتّفقوا على أن لوقا ليس من تلاميـذ المسـيح ولم يكن أحد السبعين الذين أرسلهم المسيح للتبشير، وإنما كان الصديق المخلص والمرافق لبولس. (ر: الكنْـز الجليل 2/131، 132، قاموس ص 822).

يضاف إلى ما سبق من الجهالة في شخصية لوقا، الخلاف في تاريخ تدوينه ما بين سنة 53م إلى سنة 64م، كما أن مقدمة إنجيله 1/1-5 تثير عدة ملاحظات من أهمّها: أن هذا الإنجيل لم يكن إلهامياً، وإنما هـو عبارة عن رسالة شخصية من لوقا إلى شخصية اسمها ثاوفيلس، وبأن كثيرين قد أخـذا في تـأليف أناجيـل، اعتراف لوقا بأنه لم ير المسيح ولم يكن من تلاميذه.

ويؤكّد بعض الباحثين تطرق الشّكّ إلى بعض إصحاحات وفقرات هـذا الإنجيـل، فقـد صـرح جـيروم في كتبه أن بعض العلماء المتقدمين وبعض القدماء كانوا يشكّون في بعض الآيات من الإصحاح (22) من إنجيل لوقا، وبعض القدماء كانوا يشـكّون في الإصـحاحين الأولين من هـذا الإنجيـل، إذ إنهمـا لم يكونـا في نسـخة فرقة مارسيوني.

وأخيراً ما نقل عن اتّفاق المؤرخين المسيحين بان لوقا كبت إنجيل بإرشاد بولس، ولا يخفى على أحـد الدور الخطير الذي لعبه بولس في انحراف النصرانية وتحويلها إلى ديانة وثنية شركية!!!. (ر: دراسة الكتب

المقدسة ص 87، 88، محاضرات في النصرانية ص 48، 49، الأسفار المقدسة، د. عليّ وافي ص 85-88، إظهار الحقّ ص 100، المسيح في مصادر ص 63).

==

القسم الثاني: خطبة الكتاب

عشر [حوراياً]1 كتبه باليونانية، بمدينة2 أفسس بعد صعود المسيح بثلاثين سنة3.

____

1 في ص (حواري) والصواب ما أثبته.

2 مدينة قديمة على بحر إيجه بتركيا عقد فيها مجمع كنسي سنة 431م، وأعلن فيها أن العذراء (أم الله) - تعالى الله عن كفرهم علوّاً كبراً - وأن في المسيح أقنوماً واحداً. (ر: المنجد في الأعلام ص 54).

3 تزعم المصادر النصرانية بأن كاتب إجيل يوحنا هو الحواري يوحنا بن زبدي، وبأنه مات بمدينة أفسس، وتنسب إليه كذلك ثلاث رسائل وسر رؤيا يوحنا من العهد الدديد. (ر: الكنْز الجليل 3/5، 6، قاموس ص 1108-1114). إلاّ أن عدداً كبيراً من الباحثين وعلماء النصارى يقطعون بعدم صحة النسبة لهذا الإنجيل ووجهوا إليه انتقادات عنيفة فيقول الأستاذ إبراهيم خليل عن إنجيل يوحنا: "كتبه كاتب مجهول، ولايوجد عالم من العلماء المتحررين من يعتبرهذا الإنجيل من أعمال يوحنا بن زيدي.

وجاء في دائرة المعارف الكبرى الفرنسية 16/871، 872: "أما إنجيل يوحنا فإنه لا مرية ولا شك كتاب مزور أراد صاحبه مضادة اثنين من الحواريين بعضهما لبعض وهما: القديسان يوحنا ومتى...وإننا لنرأف ونشفق على الذين يبذلون منتهى جهدهم ليربطوا ولو بأوهى رابطة، ذل الرجل الفلسفي - الذي ألف هذا الكتاب في الجيل الثاني - بالحواري يوحنا الصياد الجليل، وإن أعمالهم تضيع عليهم سدى لخبطهم على غير هدى". اهـ

ويرى إستادلين في العصور المتأخرة: "إن كاتب إنجيل يوحنا طالب من طلبة مدرسة الإسكندرية بلا ريب". وهناك الكثير من هذه الاعترافات التي تنفي نسبة هذا الإنجيل إلى الحواري يوحنا، كما أن حال هذا الإنجيل لا يختلف عن الأناجيل الأخرى من حيث الجهالة في مكان كتابة، والخلاف في تاريخ تدوينه ما بين سنة 68م إلى سنة 98م.

يضاف إلى ما سبق شيء خطير هو كثرة الاختلافات المهمة بين إنجيل يوحنا والأناجيل الأخرى كالاختلافات في الفترة الزمنية لبعثة المسيح وظهور لتلاميذه بعد قيامه من الموت وغيرها، وهي اختلافات صريحة لا تجد لها حلاً ولا تأويلاً إلاّ بتصديق أحد الأناجيل وتكذيب الآخر. وهو ما دفع د. موريس بوكاي أن يتساءل: "إذن فمن يجب أن نصدّق؟! أنصدق متى أو مرقص أو لوقا أو يوحنا؟!!!". والجواب معروف لكلّ ذي لب وهداية هو رفض هذه الإناجيل المتناقضة لعدم التمكن من التمييز بينها ولأن الوحي الإلهي لا يكون فيه تناقض.

(ر: دراسة الكتاب ص 93، إظهار الحقّ ص 83-100، المسيح في مصادر ص 70، الأسفار المقدسة ص 88، 89، محاضرات في النصرانية ص 50، ما هي النصرانية - محمّد تقي العثماني ص 142-145،

وانظر أيضاً فيما سبق الملحق الأوّل لتحقيق كتاب: (النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية - للمهتدي نصر المتطبب)، رسالة مقدمة من المحقِّق لنيل درجة العالية).

==

القسم الثاني: خطبة الكتاب

وعدة هذه الأناجيل تسعة آلاف واثنان وستون آية1. وعدة فرخس2 أربعة ألف ومائة وتسع وأربعين آية. وعدة كتاب فولوس3 ستة آلف وأربع مائة وإحدى وسبعون آية / (1/9/ب) وقد ذكر أن لهم إنجيلاً خامساً ولم أقف عليه، وذكر لي بعض النصارى أنه يسمى إنجيل الصبورة ذكر فيه الأشياء التي صدرت من المسيح عليه السلام في حال طفوليته4.

---

1 كان الأولى بالمؤلِّف - رحمه الله - أن يعبِّر عن فقرات الأناجيل بـ: (فقرة) - وهو ما اصطلح عليه النصارى - وليس بـ: (آية) فإن لفظ آية، أصبحت اصطلاحاً إسلامياً تطلق على آيات القرآن الكريم. وقد قيل بأن نصوص القرآن سميت آية لأنها عجب يعجز البشر عن التكلم بمثلها. (ر: تفسير ابن كثير 1/9).

وقد عددت فقرات الأناجيل الأربعة في النسخة التي بيدي فوجدتها (3778)، فقرة، وإن تقسيم الكتاب المقدس إلى إصحاحات (فصول)-الذي يبدو شائعاً اليوم-قد ظهرلأوّل مرة سنة1200م، هو يرجع إلى أسقف كانتربري (CANTERBURY) ستيفن لانجتون رئيس أساقفة كنْتربري ت سنة: 1228م.

أما تقسيم الإصحاحات إلى أعداد (فقرات) مرقمة فهو يرجع إلى الناشر الباريسي روبرت ستيفنون وظهر لأوّل مرة في طبعة 1551م بخنيف. (ر: قاموس الكتاب ص 765، الغفران بين الإسلام والمسيحية ص 36، لإبراهيم خليل).

2 هكذا في ص، ولعل صوابه: (فراكسيس) وهو سفر أعمال الرسل المنسوب إلى لوقا، وقد عددت نصوصه فبلغت (1007)، فقرة.

3 كتاب بولس يحتوى على (14) رسالة في أسفار العهد الجديد وهي كالآتي: رسالته إلى أهل رومية، ورسالتان إلى أهل كورنثوس، رسالة إلى أهل غلاطية، وإلى أهل أفسس، وإلى أهل فليبي، وإلى أهل كولوسي، ورسالتان إلى أهل تسالونيكي، ورسالتان إلى تيموثاوس، ورسالة إلى تيطس، وإلى فليمون، والعبرانيين. وقد عددت نصوص تلك الرسائل فبلغت (2363)، فقرة.

4 ش: قال المؤلّف: وقع لي بعد ذلك وقرأته دفعات وهو يحكي عن بطرس عن مريم عليه السلام وفيه زيادة ونقصان وقد أغفل نقلته أشياء كثيرة من كلام المسيح ومشاهير معجزاته يذكر فيه قدوم المسيح وأمه ويوسف النجار إلى صعيد مصر ثم عوده إلى الناصرة". اهـ.

قلت: إنجيل الصبوة يسمى أيضاً: (إنجيل بطرس)، وقد وجدت قطعة منه سنة 1887م في قبر راهب ببلدة أخميم في مصر. وقد كان يوستينوس يقول بصحّة هذا الإنجيل ما بين سنة 160، و170م، والفرق بينه وبين إنجيل متى يسير، وقد كان معتمداً معمولاًبه إلى سنة190م.(ر:كتاب الديانات والعقائد 3/473،لأحمد عطار).

الباب الأوّل: في كون المسيح عبداً من عبيد الله بقوله وفتواه

ولندل على ذلك من كتبهم كما شرطنا في صدر الكتاب:

1- قال متى الحواري في الفصل الثامن من إنجيله: "قال الله في نبوة أشعيا - يعني المسيح - هذا1 فتاي الذي اصطفيت وحبيبي الذي ارتاحت له نفسي أنا واضع روحي عليه ويدعو إلى الحقّ"2.

قلت: سمّاه الله عبداً مصطفى على لسان أشعيا وابتعثه مأموراً بدعوة الأمم أسوة غيره من الأنبياء، أورد ذلك متى في معرض الاسشتهاد على أهل العناد3 حيث نسبه الفُجَّار إلى يوسف النجار4، فقد تضافر الإنجيل ومحكم التنْزيل على عبودية عيسى وجعله داعياً للأمم كداود وموسى.

---

1 في ش: قال المؤلّف: "نقل ابن ربن والطرطوشي وابن عوف قوله هذا عبدي فكشفت عنه الأناجيل فلم أجده بهذه الترجمة، بل الذي وجدته في النسخ التي وقفت عليها كما وضعت، غير أن الفتى هاهنا هو العبد أو الصاحب كما دللت عليه من التوراة والإنجيل". والله أعلم.

2 متى 2/17، 18.

3 أراد المؤلِّف بأهل العناد اليهود الذين رموا مريم الزنى مع يوسف النجار.

4 يوسف النجار: تزعم المصادر النصرانية، أنه كان خطيب مريم العذراء على عادة اليهود في اتّخاذ العشير - حيث يخطب الشاب الفتاة من أهلها ثم يتعاشران بدون اتصال زوجي مدة من الزمن فإذا رضي كل واحد منهم الآخر تم الزواج - وقد أراد يوسف هجر مريم سراً حينما ظهرت عليها آثار الحمل إلاّ أن الملاك ظهر له في المنام وأخبره بالحقيقة، حينئذ قام يوسف برعايتها وابنها ولا يعرف عن يوسف بعد قيام المسيح الدعوة الجهرية، وأغلب الظن أنه مات قبل ذلك. ر: إنجيلي متى، لوقا، الإصحاح 1، 2، والكنْز الجليل في تفسير الإنجيل 1/7، وقاموس ص: 1118، وتاريخ المسيحية - حبيب سعيد ص 32، 33. وقد انساق بضع المؤلّفين المعاصرين إلى رواية هذه الخطبة المزعومة بين مريم ويوسف النجار ونسبة المسيح عليه السلام إلى يوسف النجار من غير التعليق أو الرّدّ عليها، بل ذكر بعضهم أن ما جاء في الأناجيل بشأن هذه القصة لا يخالف ما في القرآن وبأنه أمر مسكوت عنه فلا نصدقها ولا نكذّبها ويصح إيرادها. ر: قصص الأنبياء ص 382، 383، عبد الوهّاب النجار.

فنقول: بأن القرآن الكريم والسنة الصحيحة لم يذكر فيهما شيء عن هذه الخطبة المزعومة ولم يثبت دليل لهذه العادة المذكورة، كما أن خطبة مريم ليوسف النجار لو كانت معروفة ومشتهرة لما استهجن قومها فعلتها، قال تعالى: {قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً}. [سورة مريم، الآية: 27، 28.]. وذلك مما يدل على كذب النصارى فيما يزعمونه من علاقة يوسف بمريم، وأنه من الإسرائيليات التي لا نقبلها بل نكذّبها.

ر: نظرات في كتاب النبوة والأنبياء للصابوني ص 7-10، محمّد أبو ريحم، التحذير من مختصرات الصابوني ص 18، 19، للشيخ بكر أبو زيد.

والفتى هو العبد والخادم لا الولد، والدليل عليه من التوراة في السفر الأوّل منها قول موسى: "ولما بلغ إبراهيم / (1/10/أ) أن الملوك أغاروا على سدّوم وسبوا لوطا بن أخي إبراهيم عَبَّأَ فتيانه وعددتهم ثلثمائة وثمانية عشر رجلاً، وسار في طلب العدوّ واستنقذ لوطا وماشيته وجميع ماله"1.

ومعلوم أن إبراهيم الخليل عليه السلام لم يكن له يؤمئذ هذه العدة من الأولاد فمن ادعى ذلك أكذبه أهل الكتابين، فقد شهد موسى عليه السلام أن الفتى هو العبد أو الخادم.

وقال موسى في السفر الرابع من التوراة ما هو أجلى من ذلك قصة بلعام2 بن بعور وهو: "أن بالاق3 بن صفوري الملك أرسل إلى بلعام ليلعن

---

1 تكوين 14/14، 15، وموضع الشاهد من النصّ كالآتي: "فلما سمع أبرام أن أخاه سُبي جَرَّ غلمانه المتمرنين...".

2 بلعام بن بعور: تذكر المصادر الإسرائيلية بأنه كان نبياً مشهوراً في قرية فيما بين النهرين وقد دعاه ملك مؤاب ليلعن بني إسرائيل ويدعو عليهم فرفض وبعد إلحاح رضي بذلك ولكنه كان يدعو لهم بدل أن يدعو عليهم، ومع ذلك دبر وسيلة لإيقاع بني إسرائيل في الإثم والشرك ليهلكوا، وعندما حارب بنو إسرائيل المديانيين قتلوا بلعام. ر: سفر العدد الإصحاحات 22، 24، 31، وقاموس ص 189.

وقد ذكر ابن كث ير قصته في تفسير قوله تعالى: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ..} الآيات. [سورة الأعراف، الآية: 175-177]. قال ابن إسحاق وغيره: "بأن بلعام كان رجلاً مجاب الدعوة وقد سأله قوم بأن يدعو على موسى وقومه..." الخ. وذكر قصة مشابهة لما في التوراة، ثم قال ابن كثير: "وهذا الذي ذكره ابن إسحاق من قصة بلعام صحيح وقد ذكره غير واحد من علماء السلف". اهـ

قلت: ولم يكن نبيّاً كما يزعم أهل الكتاب. والله أعلم. ر: تفسير ابن كثير 12/275-278، وقصص الأنبياء، ص 380، 381.

3 بالاق: اسم مؤابي معناه: المتلف أو المخرب وهو ابن صفور، وكان ملك مؤاب وهي أرض يقابلها اليوم القسم الشرقي من البحر الميب لمملكة الأردن اليوم. ر: سفر العدد إصحاح 22، قاموس ص 160، 927.

له بني إسرائيل ويدعو عليهم فأجابه بعد مفاوضات وسار إليه راكباً أتانه ومعه فتيان من مماليكه"1. فقد شهدت التوراة أن الفتى هو العبد والمملوك لا كما تخرصه متأخرو النصارى في حمل هذه اللفظة على الولد.

والدليل على أن لفظ الفتى ليس موضوعاً للولد قول الإنجيل "إن المسيح بعد قيامه وقبل رفعه مَرَّ على جماعة من تلاميذه وهم يصيدون السمك فقال: يا فتيان هل عندكم من طعام؟ فأطعموه جزءاً من حوت وشيئاً من شهد العسل"2. فقد وضح أن لفظة الفتى ليس / (1/10/ب) فيها مستروح للنصارى فيما يرومونه من النبوة بل هي لا تستعمل إلاّ فيما قلناه، وقد قال ربنا جل اسمه: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ...}. [سورة الكهف، الآية: 60]. يعنى خادمه يوشع3، وقال سبحانه: {...مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ...}. [سورة النساء، الآية: 25].

____

1 سفر العدد 22/5-22، في سياق طويل وقد اختصره المؤلّف وموضع الشاهد من النصّ كالآتي: "....وهو راكب على أتانه وغلامه معه".

2 يوحنا 21/4/13، لوقا 24/26-42، بألفاظ متقاربة، وقد ورد موضع الشاهد كالآتي: "...فقال لهم يوسع: يا غلمان ألعل عندكم إداماً؟...".

3 يوشع بن نون عليه السلام، كان اسمه في الأصل: هوشع، يهوشوع ثم دعاه موسى يوشع ومعناه: يهود خلاص وهو خليفة موسى الذي قاد بني إسرائيل لدخول الأرض المقدسة ومحاربة لله أهلها، وأنه أمر الشمس بالوقوف والتأخير في المغيب ليتم له فتح الأرض والنصر على أعدائه.

وينسب إليه سفر باسمه عدد إصحاحاته 24 إصحاحاً، وكاتب هذا السفر مجهول وقد ينسب إلى أشخاص متعددين. ر: ترجمته في مصادر أهل الكتاب سفر ويشع، وقاموى ص 1067، 1070ن بتخليص.

أما المصادر الإسلامية، فإن القرآن الكريم لم يصرح باسمه في قصة الخضر في الآية السابقة، وقد ورد النص على نبوته وأنه خليفة موسى في بني إسرائيل فيما رواه الإمام مسلم 3/1366، وأحمد 3/318، والبخاري مختصرا فتح 9/223 عن أبي هرية قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه: لا يتبعني رجل قد ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبني بها ولم يبن، ولا آخر قد بنى بنياناً ولم يرفع سقفها، ولا آخر قد اشترى غنماً أو خلفات وهو ينتظر أولادها. قال: فغزا فدنا من القرية حين صلى العصر أو قريباً من ذلك، فقال للشمس: أنت مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها عليّ شيئاً، فحسبت عليه حتى فتح الله عليه...". الحديث.

ويتبين لنا اسم هذا النبي الذي حبست له الشمس من الحديث الذي رواه الإمام أحمد 2/325 عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الشمس لم تحبس على بشر إلاّ ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس".

قال الإمام ابن كثير: "انفرد به أحمد من هذا الوجه وهو على شرط البخاري". وصحّحه الشيخ الألباني.ر:الأحاديث الصحيحة1/347-351،ح202،ر: سيرة هذا النبي الكريم في تفسير ابن كثير3/97-101،قصص الأنبياء،ص 377،384.

==

وقال نبيّنا صلى الله عليه وسلم: "لا يقل أحدكم عبدي وأمتي وليقل فتاي وفتاتي"1.

فقوله تعالى في نبوة أشعيا (هذا فتاي) مكـذب للنصـارى في دعـواهم ربوبيـة المسـيح وألوهيتـه، إذا أضافه سبحانه إلى نفسه إضافة الملك. فقال جل من قائل2: هذا فتاي وحبيبي أنا أفعل به كذا وكذا، وهـذا تصريح من متي الحواري بأن المسيح ليس هو وأن الله ليس هو المسيح وأن الله قائل والمسيح مقول لـه، وأ، الله مُعْطِ ومُنْعِم وأن المسيح مُعْطَى ومُنْعَم عليه، وأنه فتى من فتيان بـني آدم، وأن اللـه مالكـه، وأنـه عبد وأن الله سيده.

وقد روى النصارى في الإصحاح السابع والأربعين من إنجيل مارقس: "أنه بينا بطرس في الدار ينظـر الغابه إذ جاءت فتاة من جواري رئيس الكهنة فنمت عليه ورأته [أخرى]3 فذكرت مثل ذلك"4.

---

1 أخرجه البخاري ر: فتح الباري 5/177، ومسلم 4/1764، 1765، وأبو داود 4/294، وأحمد 2/423، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

2 ما كان ينبغي للمؤلِّف أن يجزم بنسبة هذا النصّ وغيره من نصـوص التـوراة والأناجيـل وغيرهـا إلى الله عزوجل أو إلى أحد الأنبياء، وإنما ينسبها إلى توراة اليهود وأناجيل النصارى وما يتبعهـا من الكتب الـتي فقد تقدم بيان عدم حجيتها وظنية ثبوتها.

3 في ص أخوي والتصويب من النص.

4 مرقس 14/66-69، وقد ذكره المؤلّف بالمعنى.

==

فهذا تصريح منهم أن الفتى هو اعبد / (1/11/أ) والفتاة هي الجاريـة، فكيـف يحملـون ذلـك على غـير محمله وهذه التوراة والإنجيل تكذبهم وتخطئهم وتصرح بالرّدّ عليهم.

وقد حكى لوقا أيضاً في إنجيله: "أن مريم عليها السلام لما رأت أم يوحنـا قـالت لهـا وهي تثـني على الله:إن الله أنزل الأقوياء عن الكراسي ورفع المتوضـعين وأشـبع الجيـاع من الخـيرات ورد الأغنيـاء صـفراً وعضد إسرائيل فتاه"1. يريد عبده، وعبودية إسرائيل متفق عليها، وذلك يهدم ما تعلقوا به من حمل الفـتى على الولد، وفي ذلـك رد على النصـارى وتشـويش لأمـانتهم وإفسـاد لصـلواتهم وتكـذيب لمشـائخ دينهم إذ يقرؤون في صلاة الساعة الأولى من صلواتهم "المسيح الإله الصالح الطويل الروح الكثير الرحمـة الـداعي الكل إلى الخلاص".

ويقرؤون في صلاة السَّحر: "تعالوا بنا نسجد للمسيح إلهنا".

ويقرؤون في صلاة الساعة الثّالثة: "يا والدة الإله مريم العذراء افتحي لنا أبواب الرحمة"2.

ويقرؤون في أمـانتهم وتسـبيحة دينهم: "المسـيح الإلـه الحـق الـذي بيـده أتقنت العـوالم وخلـق كـلّ شيء".

وينقلون عن مشائخ دينهم وعلماء أهل ملتهم مثل أفريم3 / (1/11/ب) وغيره قوله: إن اليدين الـتي جبلت طينة آدم هي التي سُمِّرت على الصليب، وأن

---

1 لوقا 1/52-54.

2 سيأتي المزيد من التفصيل لهذه الصلوات.

3 أفرايم السراياني: من آباء الكنيسة الشرقية، ولد سنة 306م، في نصـيبين، وكـان رئيس المدرسـة الأسقفية في مدينته، له مؤلَّفات وقصائد تعليمية دينية، امتاز بمـديح العـذراء مـريم، علم مـات الرهـا سـنة 373م. ر: فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسـيحية 2/398، 399، تـأليف لـويس غرديـة، المنجـد في الأعلام ص 52، 53.

==

الباب الأول: في كون المسيح عبدا من عبيد الله بقوله وفتواه

الشبر التي مسحت السماوات هي التي سمرت على الخشبة، وأن من لا يقول إن مـريم ولـدت اللـه فهو بعيد عن ولاية الله".

وذلك كله باطل وزور وإفك وبهتان بقول متى حواري المسيح عن الله: "هذا فتاي الـذي اصـطفيت"، أَهُمْ - وَيْلَهُم - أعلم بالمسـيح من تلميـذه مـتى وسـائر أصـحابه الـذين عاصـروه وشـاهدوه فليس فيهم من ينتحل هذا الهذيان الذي صار إليه المتأخرون من النصارى.

وإذا قال أشعيا النبيّ عليه السلام: "إن المسيح مضاف إلى الله فقـد عُلِمَ وعُـرف أن مـا سـوى اللـه تعالى فهو عَبْـدُه وخلـقٌ من خلقـه، وكـون المسـيح حبيبـاً من أحبابـه وفـتى من فتيانـه لا يخرجـه ذلـك عن العبودية، وقد دلّلنا من التوراة والإنجيل على أن الفـتى هـو العبـد والخـادم فلا التفـات بعـد ذلـك إلى جهلـة النصارى.

2- وقد صرح فولس فصيح النصارى ومفسرهم بأن المسيح عبد مخلـوق فقـال في الرسـالة الثانيـة عشرة: "انظروا إلى هذا الرسول رئيس أحبارنا يسوع المؤتمن عند من خلقـه مثـل موسـى في / (1/12/أ) جميع أحواله غير أنه أفضل من موسى"1. فـأي بيـان وأي تصـريح أوضـح من شـهادة فـولس بـأن المسـيح مخلوق وأنه مؤتمن عند خالقه تعالى؟!.

3- دليـل آخـر على عبوديـة المسـيح من قولـه وفعلـه قـال مـتى: "جـاء يسـوع المسـيح إلى يوحنـا المعمداني من الأردن إلى الجليل ليتعمد على يـده، فقـال حين رآه: هـذا الـذي قلت إنـه يجيء بعـدي وهـو أقوى مني وأنا لا أستحق أن [أحل معقد]2 خُفِّه ثم قال للمسيح: إني لمحتاج أن أتعمد منك، فقـال يسـوع: دع الآن هذا فإنه ينبغي لي أن أكمل لك البر فتولَّه. فتعمد المسيح"3.

---

1 الراسالة إلى العبرانيّين 3/1-3، بألفاظ متقاربة.

2 في ص اجلس مقعد والصواب ما أثبته لموافقته سياق نص الأناجيل.

3 متى 3/11/16.

==

قلت: هذا المسيح عليه السلام متقيد بالعبادات، متطوق عهده التكاليف، ملتزم وظائف الخدمة، قائم بما يجب ليوحنا من الحُرْمَة، مساوٍ في تعمده وتعبده سائر الأمة، فكيف تعتقد فيه الربوبية والألوهية وهو يتعمد1 من عبد من عبيده ليكمل بِرَّه؟! وهل يفتقر إلى التكميل إلاّ ناقص ويدعى إلى فعل الجميل إلاّ من هو عنه ناكص؟!

والتكليف عبارة عن التزام ما فيه كلفة، ورُتْبَة المُوجِب فوق رتبة الموجَب عليه، فالتزام المسيح وظائف العبادة دليل على / (1/12/ب) عبوديته، وقد صرح يحيى المعمداني بعبودية المسيح قولاً وفعلاً.

أما تصريحه قولاً فإذ يقول: "إن المسيح أقوى منه، والتفضيل إنما يكون بين فاضلين رجح أحدهما على الآخر، ولا يحسن التفضيل بين الإله والآدمي. وأما تصريحه فعلاً فتعميده للمسيح أسوة أمثاله من الناس، وكيف يحسن من نبي الله يحيى بن زكريا أن يجهل ربه فلا يعرفه حقّ معرفته فيعامله معاملة المخلوقين والعبيد المربوبين؟! وإن كان قد عرفه فهلا نصح لعباده، وأرشدهم إلى معرفة بارئهم، وقام خطيباً في الناس حين رأى المسيح، وقال: اعلموا أن الله تعالى قد رحمكم وتجشهم لخلاصكم وجاء إليكم لينقذكم من الخطية ويفيكم من أعدائكم وها هو هذا الذي جاء ليتعمد مني، كما يعتقده النصارى يومنا هذا. وحاشى ابن زكريا عن أمثال هذه الترهات.

فإن قيل: إنما تعمّد وتعبّد ليعلم الناس العبادة إذ ليس المتابعة في الأقوال مثل المتابعة في الأفعال.

فنقول: أو لم يكن الناس يعرفون العبادة قبل مجيء المسيح / (1/13/أ) فما زادهم على أن قال: تعلموا العبادة يا من هم بها عالمون، فصار ذلك مكن يقول لحاسب

---

1 سيأتي تعريف التعميد ونوعه.

==

ماهر: اعلم أن خمسة وخمسة عشرة سواء. ثم هذا السؤال ينْزل منْزلة من يدعي أنه إنما جاء ليعلم الناس الأمور الناسوتية من الأكل والشرب والنوم وأمثاله وذلك لا يقوله لبيب، فتعمده وتعبده عليه السلام دليل ظاهر على عبوديته، فمن عذيري من قوم دُفعنا معهم إلى أن يستدل على أن الله القديم الأزلي ليس بآدمي يأكل ويشرب ويجيء ويذهب ويسترح ويتعب.

فإن قيل: فقد قال متي في تمام هذا الكلام: "إن يسوع لما تعمد وخرج من الماء انفتحت له أبواب السماء ونظر روح الله جاءت إليه في شبه حمامة وإذا صوت من السماء قائلاً: هذا ابني الحبيب الذي سُرَّت نفسي"1. وذلك دليل على ما ينتحله النصارى من بنوته وألوهيته.

قلنا: أوّلاً:

لا نسلم صحة هذا النقل لضعفه والدليل على ضعفه ووهاه أن صدور مثل هذه الآية العظيمة الآتية عند التعميد واجتماع الغَويّ والرشيد سبيلها أن تشتهر وتنتشر / (1/13/ب) بحيث ينقلها الجم الغفير

والخلق الكثير، فلما لم ينقلها غير واحد2 تبيّنّا بطلان ذلك وكذب ناقله، على أنّا لو سلما ذلك فليس فيه مستروح

---

1 متى 3/3/16، 17.

2 قول المؤلِّف - رحمه الله - "فلما لم ينقلها غير واحد..." فيه نظر، فإن حادثة تعميد يوحنا المعمداني للمسيح عليه السلام وفتح السماء ونزول الورح في شكل حمامة وسماع النداء من السماء لم ينفرد متى بنقله فقط، بل نله أيضاً مرقس في إنجيله 1/10، و لوقا في إنجيله 3/21، ويوحنا في إنجيله 1/22، مع وجود التناقض والاختلاف في روايات الأناجيل كالآتي:

ورد في إنجيل متى إصحاح 3، وإنجيل لوقا إصحاح 3، بأن يوحنا كان يعرف المسيح قبل نزول الروح على المسيح.

وخالفهما يوحنا الحواري في إنجيله إصحاح 1 فذكر: بأن يوحنا ما عرف المسيح إلاّ بعد نزول الروح على المسيح.

ثم تناقض متى ولوقا مع ما ذكراه سابقاً فذكر متى إصحاح 11، ولوقا إصحاح 7، بأن يوحنا ما عرف المسيح بعد نزول الروح أيضاً، وإنما أرسل يوحنا إلى المسيح تلميذين من تلاميذه يسألانه عن حاله، هذا ظاهر التناقض والفساد.

==

للنصارى فيما يرمونه؛ لأن بفتح السماء وسماع النداء ونزول الروح الذي هو الملك كل ذلك من المعجزات الدالة على صحة النبوات، ولا غرو أن يأتي المسيح بخارق قاطع لشغب اليهود نازل منْزلة قول الله: صدق عبدي، فأما الروح [1] فتارة يكون جبريل، [2] وتارة يكون مَلَكاً غيره يقوم يوم القيامة صفاً وحده وسائر الملائكة صفاً آخر [3] وتارة يكون بمعنى الشيطان [4] وتارة يكون عبارة عن العلم والحكمة. [5] وتارة يكون عبارة عن روح الآدمي. [6] وتارة يكون كناية عن سرّ الشيء ولبه. [7] وتارة يكون بمعنى الوحي فهذه عدة محامل.

والدليل على الأوّل: {نَـزَلَ بِـهِ الـرُّوحُ الأَمِيْنُ عَلَى قَلْبِـكَ...}. [سورة الشعراء، الآية: 193]. وفي الإنجيل: (روح القدس تحل عليك)1. يقول لمريم.

والدليل على الثاني: {يَومَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالمَلاَئِكَةُ صَفّاً}. [سورة النبأ، الآية: 38]2.

والدليل على الثالث: قول الإنجيل: "إن المسيح أبرأ الناس من الأرواح

---

1 لوقا 1/35.

2 قد اختلف المفسِّرون في المراد بالروح في الآية ما هو؟ على أقوال:

أحدهما: رواه العوفي عن ابن عباس أنهم أراح بني آدم.

الثاني: هم بنو آدم. قاله الحسن وقتادة عن ابن عباس.

الثالث: أنهم خلق من خلق الله على صور بني آدم وليسوا ملائكة ولا بشر وهم يأكلون ويشربون. قاله ابن عباس ومجاهد وأبو صالح والأعمشي.

الرابع: هو جبريل. قاله الشعبي والضحاك ومقاتل.

الخامس: أنه القرآن. قاله ابن زيد.

السادس: هو ملك عظيم من أعظم الملائكة خلقاً. قاله ابن عباس، وابن مسعود في تفسيره للروح، ونقل ابن جرير لهما حديثين في ذلك، وعلق عليهما ابن كثير بقوله: "هذان حديثان غريبان جداً".

وقال ابن جرير بعد سرده الأقوال: "والصواب من القول أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أن خلقه لا يملكون منه خطاباً يوم يقوم الروح، والروح خلق من خلقه، وجائز أن يكون بعض هذه الأشياء التي ذكرت، والله أعلم أي ذلك هو، ولا خبر بشيء من ذلك أنه المعني به دون غيره يجب التسليم له، ولا حجة تدل عليه، وغير ضائر الجهل به". اهـ انظر: تفسير الطبري 30/22، 23، تفسير ابن كثير 4/496، 497.

==

النجسة فخلصوا"1.

والدليل / (1/14/أ) على الرابع: قول التوراة لموسى: "يصنع لك قبة الزمان بصلئيل الذي ملأته روح الحكمة والعلم"2 والدليل على الخامس: {...وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي...}. [سورة الإسراء، الآية: 85].

والدليل على السادس: قول القائل: هذا روح المسألة، أي: سِرُّها ولُبُّها.

والدليل على السابع: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا}. [سورة الشورى، الآية: 52]. {يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ...}. [سورة النحل، الآية: 2].

وقول المعمداني: "إن روح الله نظرها جاءت إليه". يريد المَلَك الآتي في صورة طائر واختصاصه بالحمام، لأنه ميمون غير متشائم به، ونسبتها إلى الله بنسبة مِلْك كقولهم في التوراة: "أن موسى رجل الله"3، و"العصا التي بيده قضيب الله"4، و"وقبة الأمد التي بنيت في التيه، خباء الله"5، و"أورشليم التي هي البيت المقدس بيت الله"6، فكذلك قول مَتَّى: (ونظر روح الله جاء إليه"، يريد مَلَك الله.

والدليل على مساواة المسيح غيره في هذه الروح والتأييد بها قول لوقا في إنجيله: "قال يسوع لتلاميذه:إن أباكم السماوي يعطي ورح القدس للذين

---

1 لوقا 4/36، وقد ذكر المؤلف النصّ بالمعنى.

2 خروج 31/1-3.

3 تثنية 33/1.

4 خروج 4/20.

5 أخبار الأيام الثاني 31/13، نحميا 11/11.

6 تكوين 28/17، 22.

يسألونه"1. والدليل عليه من / (1/14/ب) التوراة قول الله لموسى: "اختر سبعين من قومك حتى أفيض عليهم من الروح التي عليك، فيحملوا عنك ثقل هذا الشعب. ففعل موسى فأفاض عليهم من روحه فتنبؤا لساعتهم"2.

وفي التوراة أيضاً في حقّ يوسف الصديق: "يقول الملك: هل رأيتم مثل هذا الفتى الذي روح الله حال فيه"3.

والدليل عليه من نبوة دانيال: "أن روح الله حلت على دانيال"4. وفي التوراة أيضاً: "أن موسى لما توفي امتلأ يوشع خادمه من روح القدس؛ لأن موسى كان قد وضع يده على رأسه"5.

فقد استوت الحال بين المسيح وبين من ذكرنا في تشريفه بهذه الروح، وقد قال الله في الكتاب العزيز في حقّ إخواننا من المسلمين: {وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ}. [سورة المجادلة، الآية: 22]. فما أجاب النصارى به عن حلول الروح على هؤلاء فهو جواب لنا عن حلوله على من يَّدعونه.

فإن تجاهلوا وقالوا: الروح الآتي إلى من عدا المسيح هي الملك والعلم والحكمة، والروح الآتي إلى المسيح هي حياة الله.

قلنا لهم: الويل لكم إن كان ما تقولون فقد صار ذاتاً ميتة لا روح / (1/15/أ) فيها، وإذا كان قد صار ذاتاً خالية من الحياة، فكيف يقولون: إنه قال: هذا عبدي وهذا ابني؟ فقد آل ما تدعون إلى نفي ما تدّعون.

____

1 لوقا 11/13.

2 عدد 11/16-25، في سياق طويل.

3 تكوين 41/38.

4 لم أعثر في فسر دانيال بالنسخة الحالي على النصّ الذي أورده المؤلف ولعل المؤلف يقصد حزقيال فقد ورد في سفر حزقيال 3/23، 24: "أن روح الله حلَّت فيه".

5 تثنية 34/9.

ثم نقول لهم: بم تنكرون على من يزعم أن الروح الآتي والنداء ليس هو لعيسى بل هي لأستاذه الذي عَمَّده هو يحيى بن زكريا؟! لأنه بشهادة الإنجيل أفضل منه إذ هو الذي امتلأ من روح القدس وهو جنين في بطن أمه ثم نشأ سيداً وحصوراً1.

وقد قلتم في إنجيلكم: "إن يوحنا هذا لا يأكل ولا يشرب ولا يتناول خمراً ولا مسكراً 2 ولا يلبس سوى جلود الحيوان3 وأنه انتهض قبل المسيح إلى الدعاء إلى الله وعمد الخلق حتى عمَّد المسيح فيمن عمد.

فأما المسيح فلم تأته الروح - في قولكم - إلاّ بعد الثلاثين سنة من عمره على يد يوحنا، ولم يتصف بما اتصف به يوحنا شيخه وأستاذه بل أكل الخبز واللحم وشرب الخمر في زعمكم وحضر الدعوات4 وتناول نفائس الطعام، وصبت عليه امرأة دهنا قيمته ثلاثمائة مثقال فلم ينكر عليها5، كل ذلك يشهد به إنجيلكم.

وإذا كان الأمر على ما وصفتم من حال الرجلين سلام الله عليهما فلا خفاء بكونه أفضل منه، وإذا ثبتت أفضلية يوحنا فمن أين لكم أن الروح الآتي والنداء المسموع لم يكن ليوحنا؟ فدلوا أنتم على أن ذلك كان للمسيح، ولن تجدوا إلى ذلك سبيلاً.

____

1 يقال ساد القوم يسودهم، ولما كان من شرط المتولي للجماعة أن يكون مهذب النفس قيل لكل من كان فاضلاً في نفسه: "سيد" وعلى ذلك قوله: {وَسَيِّداً وَحَصُوراً}. [سورة آل عمران، الآية: 39]. أما الحصور فإنه الذي لا يأتي النساء إما من العنة وإما من العفة والاجتهاد في إزالة الشهوة، والثاني أظهر في الآية؛ لأن بذلك يستحق المحمدة. ر: المفردات للراغب الأصفهاني ص 120، 247.

2 لوقا 7/33.

3 مرقس 1/6.

4 يوحنا الإصحاح الثاني.

5 متى 26/7-12، مرقس 14/3-8، ولم يرد فيهما ذكر قيمة الطيب.

==

ثم نقول لهم: أليس قد زعمتم أن الروح إنما جاءت في شبه حمامة فعرف شكلها وكميتها وقدرها وفرَّغت حيزاً وشغلت آخر وتنقلت في الجهات؟! وذلك صفة المخلوق الحادث ويتعالى عن ذلك القديم جل جلاله، ثم لفظ النبوَّة معارض بلفظ العبودية، فقد سمّاه الله عبده ولله واختار له ما عنده، وسوَّاه في العبودية بمن كان قبله ومن جاء بعده.

4- دليل آخر على عبودية المسيح عليه السلام قال متى: "أخذ إبليس يسوع المسيح وأخرجه إلى البرية ليجربه وقال له: إن كنت أنت ابن الله فقل لهذه الحجارة أن تصير خبزاً، فقال المسيح: إنه مكتوب أنه ليس بالخبز وحده يحيى الإنسان بل بكل كلمة تخرج من الله فأخذه إبليس ومضى به حتى أقامه على أعلى جبل في الأرض وأراه جميع ممالك العالم وقال:

هذا كلّه لي وأنا أعطيكه إن سجدت لي / (1/16/أ) سجدة واحدة، فقال: اغرب عني يا شيطان فإنه مكتوب للربّ إلاهك أسجد وله وحده أعبده، فمضى به إبليس وأقامه على جناح الهيكل، وقال له: انطرح من هاهنا إلى أسفل، فإنه مكتوب أن يرسل بعض ملائكته فتحملك حتى لا تعثر رجل بحجر، فقال المسيح: ومكتوب أيضاً لا تجرب الرّب إلاهك، فمضى به إبليس وتركه وجاءت ملائكة تحرسه، وصام المسيح عند تلك ثلاثين يوماً بلياليها وجاع أخيراً"1.

قلت: هذا متى الحواري قد ذكر هذه القصة وهي شاهدة على المسيح بصريح العبودية وافتقار البشرية، وسلوك سنة المتعبدين وطريق المتبتلين من المجتهدين، وأدب الأولياء ومقدمات أمور الأنبياء، ينقطعون إلى مولاهم في قنن[2] الجبال، ويفرغون البال بمواصلة الوصال، ألم يأتكم نبأ ابن عمران[3] إذ

---

1 متي 4/1-11، بألفاظ متقاربة.

2 القُنة: أعلى الجبل، والجمع قنان وقنات. ر: مختار الصحاح ص 553.

3 يقصد: النبيّ موسى بن عمران عليه السلام، وقد ورد ذلك في سفر الخروج 34/28.

==

طوى الأربعين لا يفطر وفعل من الخوارق بمصر وغيرها ما لا يجحد ولا ينكر.

ولقد أربت آياته في النقل الصحيح على آيات المسيح، وإذا انتهينا إلى ما يليق بذلك أشبعنا القول فيها إن شاء الله، والعجب كيف يجرب إبليس يسوع ويمتحنه ويسحبه معه من مكان إلى مكان، / (1/16/ب) ويسومه السجود له وهو في زعم النصارى خالقه وخالق كل شيء، فنحن نسألهم عن هذا المتردد مع الشيطان من مكان إلى مكان، والمقهور في يده والشيطان طامع في استتباعه وصيرورته عبداً له، أهو إنسان مخلوق أو إله خالق أو إله اتّحد بإنسان أو سكن في أهابه واتّخذه محلاً له؟!.

فإن قالوا: إنه إنسان مخلوق وافقوا شرعنا وخالفوا شريعتهم وأمانتهم إذ يقولون فيها: "إن المسيح إله خالق غير مخلوق وأنه الذي أتقن العالم بيده".

وإن قالوا: إنه خالق أو إله اتّحد إنسان أو حل فيه وسكنه، فقد حكموا أن الإله الأزلي سحبه الشيطان، ورده وجرت عليه أحكامه، وطمع فيه أن يسجد له وفيه امتهان الربّ القديم، والإله العظيم في يد الشيطان الرجيم.

وقد شهد متى أن المسيح قد جاع، والإنجيل يقول: "إن الله لا يأكل ولا يشرب ولا رآه أحد"[1]. وإذا ثبت بقول أصحاب المسيح أن المسيح قد جاع،

---

1 لم أجد نص هذه العبارة في نسخة الأناجيل التي بين يدي، وقد ذكر هذا النص الحسن بن أيوب في كتابه: الرد على النصارى والإمام القرافي في الأجوبة الفاخرة ص 149، والمهتدي نصر بن يحيى المتطبب في النصيحة الإيمانية ص 248، وابن القيم في هداية الحياري ص 274، كالآتي: "إن الله تبارك وتعالى لم يلد ولم يولد ولم يأكل ولم يشرب ولم ينم ولم يره أحد من خلقه ولا رآه أحد إلا مات". وقد علق شيخ الإسلام في الجواب الصحيح 2/334 على النصّ بقوله: "إن هذه العبارة مما ينازع فيه النصارى بأنه ليس موجوداً في كتبهم ولا يعترفون به".اهـ.

قلت: إن معنى النص المذكور ذكر متفرقاً في العهد القديم والجديد الآتي:

في إنجيل يوحنا 1/18: "الله لم يره أحد قط". وبنحوه ذكر في التوراة خروج 33/20، وفي رسالة يوحنا الأولى 4/12، وفي الرسالة الأولة لتيموثاوس 6/16.

في الميزان 121/4: "إنه لا ينعس ولا ينام حافظ إسرائيل".

في أشعيا 40/28: "إله الدهر الربّ خالق أطراف الأرض لا يكل ولا يعيا وليس عن فهمه فحص".

وبما أن المسيح قد اعترف في الأناجيل بأنه غير ناسخ للتوراة، بناء عليه فكل ما في التوراة عن اللــه وصفاته ملزم للنصارى تمام الإلزام.

==

وتظافرت عليه الآلام والأوجاع فقد ثبت بذلك أنه عبد لله، إذ ثبت أن مــا ســوى / (1/17/أ) فهــو عبــد له.

فإن قالوا: لا ننكر أن المسيح جاع وشبع واطمأن وجزع ونالــه النفــع والضــرر واعتــورت عليــه أحــوال البشر غير أن هذه النقائص إنما دخلت على ناسوته دون لاهوته[1].

قلنا لِمَ يَــدَعُ الاتّحــاد الــذي تدعونــه ناســوتاً متميّــزاً عن لاهــوت حــتى يُخَصَّ بــالعطش والجــوع والأرق والهجوع! بل صار المسيح بالاتّحاد الذي يدّعيه أهل الإلحاد شيئاً واحداً، والشيء الواحد لا يقال إنه جــاع ولم يجع ومات ولم يمت. على القول أيضاً بذلك مفسد للاتّحاد الذي يدعونه؛ لأنه قد كــان المســيح قبــل الاتّحــاد يدركه عوارض الآدميّين من الجوع والعطش والطمأنينة والدهش وغير ذلك، فإن كان بعد الاتّحاد كَهُوَ[2] قبل الاتّحاد فلا معنى للاتّحاد، فقد صار الاتّحاد الذي يُدَّعى له مجرد تسمية ساذجة عن المعنى.

وإذا ثبت أن المسيح قد تناول الطعام وصلى وصام والتزم الأحكام فقد أربى في العبودية على ســائر الأنام.

والعجب أن الشيطان لا يثبت مع وجود المَلَك، فكيف يطمع فيمن يعتقد ربوبيته حتى يسومه أن يجعله / (1/17/ب) من الأتباع [ويوظف][3]

---

1 يؤمن النصارى بالاتّحاد: وهو اتّحاد اللاهوت الجزء الإلهي مع الناسوت الجــزء الإنســاني في المســيح عليه السلام، وسيأتي في الباب السابع تفصيل اختلاف النصارى في تصوير ذلك الاتّحاد.

2 كهو: أي: كمثله.

3 في ص يوصف ولعل الصواب ما أثبته.

==

عليه السجود الذي هو نهاية الاتضاع، ألا تنظر النصارى إلى قول المســيح: "وللــه وحــده أعبــد"، فإنــه أثبت لربه الوحدة والانفراد، ونفى عن خالقه سائر الأنداد، من الشريك والصحابة والأولاد. فالمســيح يقــول: "لا ينبغي السجود إلاّ لله الواحد"، والنصارى تقول: لا يسجد إلاّ لثلاثة آلهة. لقد تباعد ما بينهم وبين المسيح.

5- دليل آخر على عبودية المسيح عليه السلام قال متى: "سمع مهيرودس ملك اليهود خبر يسوع فقال لغلمانه: أترى يوحنا قد قام من بين الأموات وهذه القوى تعمد معه. وكان هيرودس هذا قد قتل يوحنا المعمداني في السجن وأعطى رأسه لابنة هيروديا1، وكانت قد تمنت عليه ذلك يوم رقصت فيه مجلس مولود ولد له، فجاء التلاميذ وأخبرا يوسع بمصاب يوحنا، فجزع يسوع وخرج من وقته من الموضوع الذي كان به منفرداً"2.

قلت: اشتبه أمر المسيح على الناس، والرّبّ لا يقع التشابه بينه وبين خلقه، وإنما شبهه الناس بيوحنا لاشتراكهما في أعلام النبوة، وأخبر التلاميذ المسيح بالقصة قبل أن يعلم بها، والربّ تعالى / (1/18/أ) يجب أن يكون عالماً بجميع المعلومات محيط بما تحت تخوم الأرضين إلى أعلى السماوات، {أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ}. [سورة الملك، الآية: 14].

وخرج المسيح عقب هذه الأخبار مؤثراً للإستار معملاً مطايا الحذار من الأشرار، ومن دأب البشر عند توقع الضرر الأخذ بالحذر.

____

1 يقال إن اسمها: سالومة ابنة هيروديا والتي رقصت في حفلة عيد ميلاد هيرودس وطلبت رأس يوحنا المعمدان على طبق. انظر: قاموس ص 447.

2 متى 1/14-13.

وقد اتّفق مثل هذا الابتلاء لطائفة من الأولياء ولم يجدَّ بهم الهلع بزمامه ولا أنزلهم عن غارب التوكل سنامه، قال بعض السلف: "نَفِرُّ من قدر الله إلى قدر الله"1.

اعلم أن يسوع2 هو عكس عيسى، وكأنه (يَسُع) أشبعت الضمة قليلاً فصارت واواً، وكذلك يشوع في التوراة هو

يوشع3.

فأما يلامعمداني فهو يحيى4 بن زكريا - وهو نبي ابن نبي - ولد بالبشرى من الله، وهو أكبر في السن من المسيح بستة أشهر أو نحوها، وقد تولى التعميد

____

1 هذه مقالة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما خرج إلى الشام فأخبره أمراء الأجناد بأن الوباء وقع بالشام فاستشار الصحابة في دخول الشام أو الرجوع عنها فأشار عليه مشيخة قريش من مهاجرة الفتح بأن يرجع بالناس ولا يقدمهم على الوباء، فأذن عمر بالناس، إني مصبح على ظهر فأصبحوا عليه. قال أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين أفراراً من قدر الله؟.

قال لو غيرك قالها يا أبا عبيدة، نعم. نفر من قدر الله عزوجل إلى قدر الله...، ثم جاء عبد الرحمن بن عوف وكان متغيباً في بعض حاجته فقال: إن عندي من هذا علماً سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه". قال:

فحمد الله عزوجل ثم انصرف. أخرجه البخاري في كتاب الطبّ باب 30. فتح الباري 10/179، مسلم 4/1740، 1741، في سياق طويل عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - .

2 نقله أيضاً نجم الدين الطوفي في كتابه: الانتصارات الإسلامية ص 77، وفي الصحاح للجوهري 2/955: عيسى اسم عبراني أو سرياني، والجمع العيسون، والنسبة عيسى وعيسوي.

وجاء في قاموس الكتاب ص 1065: أن يسوع الصيغة العربية للاسم العبري يوشع ومعناه: يهوه مخلص، الله مخلص، وقد سمي بهذا الاسم المسيح حسب قول الملاك ليوسف: متى 1/21، مريم لوقا 1/31. اهـ

3 هو يوشع بن نون عليه السلام، الاسمان يشوع ويسوع شبيهان وقد تقدمت ترجمته. انظر: ص 119.

4 يحيى بن زكريا - عليهما السلام - ، ورد ذكرهما في آيات متعددة في القرآن الكريم. انظر: سيرتهما في قصص الأنبياء لابن كثير ص 466-477، ولعبد عبد الوهّاب النجار ص 368-369، والنبوة والأنبياء للصابوني ص 326-336.

ويذكر عنه قاموس الكتاب ص 1106-1108، ما ملخصه: "بأنه كان ناسكاً زاهداً يدعو الناس إلى التوبة ويعمدهم بعدها في نهر الأردن وذلك سبب تسميته: "يوحنا المعمداني" وقد أمر هيردوس بقتله في حوالي سنة 28م، ودفنه تلاميذه في سبطياً عاصمة السامرة بجانب قبر اليشع وعوبديا". اهـ بتصرف.

==

قبل المسيح وعمد المسيح فمن عمده من الناس، والتعميد1 هو غمس التائب في الماء يشيرون بذلك إلى الانغماس في الطاعة والتجرد عن المخافة كما ورد شرع الإسلام بتطهير الكافر حين يسلم.

فأما هيردوس2 فهو أحد الأربعة / (1/18/ب) الذين كانوا يدور عليهم أمر الشام من جهة قيصر وكان قد رام نكاح ابنة أخيه وقيل ابنة زوجته فحال بينه يوحنا المعمداني وبين ما أراد من ذلك فاعتقله هيردوس ثم قتله بالتماس أم الصبية إذ رأت أنه زاعم3 مقصودها، فذكر أن دم يوحنا هذا لم يغض4 مذ وقع على الأرض حتى حرك الله داعية بعض ملوك بابل، قال أصحابنا: يقال لهذا الملك حردوش البابلي فسار إلى اليهود يجر الشوك والشجر فقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم، وحرق قراهم وعضَّد5 شجرهم، وأجلاهم عن البيت المقدس،

___

1 ورد في قاموس الكتاب ص 637: "بأن اليهود استعملوا عادة التعميد، وبأن تعميد يوحنا كانت تسمّى "معمودية التوبة لمغفرة الخطايا" وفي النصرانية جعل التعميد بالماء باسم الثالوث الأقدس علامة على التطهير من الخطيئة والنجاسة وعلى الانتساب رسمياً إلى كنيسة المسيح، وقد جعل التعميد عوضاً عن الختان الذي كان مفروضاً على بني إسرائيل، وقد اختلفت وجهات نظر النصارى حول قضيتين: نوع المعمودية،ومعموديةالصغاروالكبار".اهـ.بتصرف.وتعتبرالمعمودية من أسرار الكنيسة ووظائفها التي تختص بها.ر:أيضاً الكنْزالجليل في تفسيرالإنجيل1/28، 539.

2 هيردوس انتيباس: هو الابن الثاني لهيرودوس الكبير، عُيِّن حاكماً على الجليل وقد غضب عليه الإمبراطور ونفاه إلى ليون ثم أسبانيا وكان زمن ملكه من 4 ق.م إلى 39 م. ر: قاموس ص 1011.

3 في ش: راغم بالراء من المراغمة وهي المغاضبة، وبالزاي فهي المزاغمة، أي: التغضب في الكلام هذا على الغين المعجمة، أما على المهملة والزاي وهو الراغم أي: القول. ر: الصحاح 5/1934، 1941، 1942.

4 في ش: لم ينقص ولم يضع.

5 في ش: عضد الشجر أي: قطعه بالمعضدة المقتلع. ر: الصحاح 2/509.

وأعطى الله عهداً ألا يكف عنهم حتى يغيض ذلك الدم، فلم يغض حتى كاد يستأصل اليهود واستاق السبي معه إلى بابل1.

وفيهم أنْزل الله على نبيّه محمّد صلى الله عليه وسلم: {وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ}. [سورة الإسراء، الآية: 4]. فكانت المرّة الأولى على يد بختنصر2 بسبب قلتهم نبي الله أشعيا في زمن أرميا النبي عليه السلام، ثم رد الله إليهم ملكهم، وكانت المرة الثانية على يد خردوش3 اليوناني بسبب قتلهم يحيى بن زكريا / (1/19/ب) وذكر أن بين الوقعتين أربع مائة وإحدى وستون سنة4.

____

1 بابل: مدينة قديمة في أواسط ما بين النهرين، تقع أنقاضها على الفرات قرب الحلة، على مسافة 80كم جنوب شرقي بغداد، وقد أطلق اسم بلاد بابل على القسم الجنوبي من بلاد ما بين النهرين لتميزه عن بلاد آشور. ر: المنجد في الأعلام ص: 106.

2 نبوخذ ناصر، نبوخذ نصر: اسم بابلي معناه: "نبو حامي الحدود" ملك بابل. حكم 605-652 ق.م أخمد ثورة قام بها اليهود في أرض يهوذا وعندما أعادوا الكرة لم يخمد ثورتهم وحسب بل ساق ملكهم وكبراءهم أسرى إلى بابل وهو ما يعرف في تاريخ اليهودية بالأسر البابلي. ر: قاموس ص 954-955، الموسوعة العربية 2/1821.

3 ذكره الطبري في تاريخه 1/591 باسم: خردوس وبأنه من ملوك بابل، وفي مروج الذهب ص 63، للمسعودي: أنه حردوس بالحاء المهلة.

ويرى د. ف. عبد الرحمن - أستاذ فقه اللغة - أن اسم خردوس إنما هو تحريف لاسم الحارث بالاتينية وهو: ARETAS - نقلاً عن مسودة كتاب الإعلام بأصول الأعلام - تأليف د. ف عبد الرحيم.

أما الحارث فهو ملك البتراء، الذي حارب هيرودوس، وهيروديا انتيباس لزواجه بهيروذيا زوجة أخيه فيليس وقيل: إنها ابنة أخيه، وقد كان هيرودس متزوجاً بابنة الحارث من قبل وقد طلقها لذلك، وهيروديا هي التي طلبت من هيردودس رأس يحيى عليه السلام لمعارضته هذا الزواج. ر: قاموس ص 282.

4 هذا ما نقله الإمام ابن جرير الطبري في تاريخه 1/593، وفي تفسيره 15/22-27، 41، 42، عن ابن حميد قال: ثنا سلمة، ثني ابن إسحاق قال: فذكره في سياق طويل جداً. في تفسير قوله تعالى: {وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً}.

والذي أراه - والله أعلى وأعلم - هو ترجيح ما رواه ابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما. ر: تفسير الدر المنثور للسيوطي 4/163، 165، بأن المُسلَّط على بني إسرائيل لإفسادهم في المرّة الأولى هم جالوت وجنوده الذين اضطهدوا وأذلوا بني إسرائيل يدل على ذلك قولهم - كما حكي القرآن الكريم عنهم حينما طلبوا من نبيّهم أن يبعث الله لهم ملكاً: {وَمَا لَنَا أَلاّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا}. [سورة البقرة، الآية: 246]. ثم بعث الله طالوت ملكاً لهم وقتل داود عليه السلام جالوت، ورجع إلى بني إسرائيل ملكهم، ثم لما فسدوا المرة الثانية وقتلوا نبيّهم أشعيا، بعث الله عليهم بتختنصر فقتلهم وسبى نساءهم وذراريهم وهدم الهيكل المعروف بـ: هيكل سليمان، وهذا التدمير البابلي هو ما يعرف في تاريخهم بـ: السبي البابلي حيث أجلاهم بختنصر عن بيت المقدس وأخذهم سبياً إلى بابل.

وعندما رجع بعض بني إسرائيل مرة ثانية إلى بيت المقدس في ظل حكم الفرس وأفسدوا بقتلهم زكريا وابنه يحيى، ومحاولة قتل عيسى عليه السلام سلط الله عليهم الرومان بقيادة تيطس سنة 70م، ثم بقيادة أدريانوي سنة 135م، فقتلهم وشردهم في جميع أنحاء البلاد المجاورة، وهكذا كلما عاد اليهود للفساد والإفساد في الأرض تكرر تسليط الله عليهم من يسومهم أشد العذاب تصديقاً لقوله تعالى: {وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا}. وهو مستمر فيهم في كل زمان ومكان. حيث سلط الله عليهم المؤمنين فقتلوا وأجلوا بني قينقاع والنضير وقريظة عن المدينة وعن خيبر، كما سلط الله عليهم أيضاً ملوك أروبا في العصور الوسطى و"هتلر" وغيره في العصر الحديث. ونرجو الله أن يسلطنا عليهم بتمسكنا بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فنسترد أولى القبلتين ونطهر الأرض من رجسهم وسادهم، كما سيسلط الله عليهم المهدي والمسيح عليه السلام والمؤمنين إذا ما خرج اليهود مع المسيح الدجال كما ذكر ذلك في أحاديث أشراط الساعة.

وأما بالنسبة لتحديد الذين سلطهم الله على بني إسرائيل لفسادهم في الآية الكريمة فالأولى فيه ما قاله الإمام ابن كثير في تفسيره 3/28: "وفيما قصّ الله علينا في كتابه غنية عما سواه من بقية الكتب قبله، ولم يحوجنا الله ورسوله إليها، وقد أخبر الله عنهم أنهم لما طغوا وبغوا سلط الله عليهم عدوّهم فاستباح بيضتهم وسلك خلال بيوتهم، وأذلهم وقهرهم جزاءً وفاقاً، وما ربّك بظلام للعبيد، فإنهم كانوا قد تمردوا وقتلوا خلقاً من الأنبياء والعلماء".

==

الباب الأول: في كون المسيح عبدا من عبيد الله بقوله وفتواه

ينبغي أن يقال للنصارى: ما الذي دفعكم إلى عبادة مخلوق يفزع عند الضرار إلى التقية والحذار، ويلجأ عند توقع المكروه إلى الفرار والاستتار في الجدار؟! أين قولكم إنه حين تعمد جاءته روح الله؟! وأنتم رويتم لنا أن موسى قد قاتل الجبابرة وأباد الفراعنة، وطهر الأرض من العمالقة، وقتل عوج1 مبارزة،

ولم يفر من خصمه وإن عظم بأسه، ولا نكل عن فرعون وإن اشتدت شوكته، وقد كان يدخل على فرعـون فينغص عليه سلطانه،

---

1 عوج: ملك الأموريين في باشان، وكان وكان جبار القامة شديد البأس، وقد انتصر عليـه موسـى في حربه معه واحتل مملكته.ر:سفر التثنية1/3-11،قاموس ص646.

==

ويُرْغم مجاهرةً شيطانه، ويحقر عنـد أهـل مملكتـه شـأنه، ثم جَرَّعـه أليم اليَمِّ، وأبـاد جنـوده في اللج الخضم. أفكانت الروح التي مع موسى أقوى من الروح التي ادعيتموها للمسيح؟! فما نرى موسى إلاّ أحـق من المسيح بالربوبية إذ كان لم يخف والمسيح قد خاف، وكذلك يوشع وداود قـد قهـرا الصـناديد، والمسـيح قلتم إنه قتله اليهود.

6- دليل آخر على عبودية المسيح: قال فولس الرسول في الرسالة الأولى1: "وأنا أحب يا إخوتي / (1/19/ب) أن تعلموا أن رأس المرأة الرجل، وأن رأس كل رجل المسيح، وأن رأس المسيح الله".

فهذا فولس قد نطق بأن المسيح مرؤوس وأن الله رئيس عليه، وذلك منه رَدٌّ على النصـارى وإفسـاد لأمانتهم وشريعتهم.

7- دليل آخر، قال متى: "أصعد يسوع تلاميـذه سـفينة وصـعد هـو إلى الجبـل يصـلي، فلمـا كـان في الهجعة الرابعة من الليل جاء ماشياً على الماء طالباً السفينة فخاف التلاميذ وتصارخوا فقال يسوع: لا بأس عليكم. فقال بطرس له: يا ربّ إن كنت أنت هو فادعني آتيك على الماء، فقال: تعال. فنزل بطرس يمشي على الماء فاشتد الريح فكاد أن يغرق فصاح: يا ربّ نجّني. فمد يسو يده وأخذه. وقال له: يـا قليـل الأمانـة لم شككت؟ ثم صعد يسوع فسجدوا له"2.

قلت: هذا الفصل معرب عن تعبد المسيح وتبتله وتهجده لمولاه وتذلله، وحركتـه في الجهـات وتنقلـه وصعوده قنن الجبال وتوقله3، وهذه كلّها أفعال دالة على حدثه.

---

1 الرسالة الأولى من رسائل بولس إلى أهل كورنثوس 11/2، 3.

2 متى 14/22-32.

3 في ش: وَقَل الجبل توله: علاه وصعده.

==

فأما مشيه على الماء فليس فيه مستروح في دعـوى ربوبيتـه فغايتـه أن التحـق في / (1/20/أ) ذلـك بموسى وإلياس واليسع صلوات الله عليهم.

والتوراة: "تنطق أن موسى ضرب البحر فانفرق طرقاً وفرقاً، فكان كلّ فِرْقٍ لفريق من بني إسرائيل، حتى عبره ستمائة ألف رجل من بني إسرائيل سوى النساء والصبيان وبهيم الحيوان"[1]. وهذا أعجب من مشي عيسى وصاحبه على الماء إذ السفن تساويهما في ذلك، فلو كان عيسى ربّاً بذلك لكان موسى أولى، لما ظهر من عظيم فعله وجسيم نبله.

وقد جاء في سفر الملوك[2] من كتبهم:"إن إلياس[3] عليه السلام انتهى إلى الأردن ومعه صاحبه اليسع فنزع إلياس عمامته وضرب بها الأردن فيبس له الماء وناول عماته اليسع[4] صاحبه فلما رجع الآخر ضرب بها الماء فيبس أيضاً حتى

____

1 سفر التكوين الإصحاح الرابع عشر والخامس عشر.

2 سفر الملوك: من أسفار العهد القديم، والتي تسمى بالأسفار لاتاريخية، ويتكون من سفرين هما: سفر الملوك الأوّل وعدد إصحاحاته 22، وسفر الملوك الثاني وعدد إصحاحاته 25 إصحاحاً، والمقصود بالملوك هم الذين تولوا حكم بني إسرائيل عن الملك بعد عهد القضاة.

وموضوع سفر الملوك هو: الحديث عن ملك سليمان عليه السلام وبنائه الهيكل، ثم انقسام مملكته بعد وفاته إلى مملكتين شمالية وجنوبية، وحروب المملكتين فيما بينهما، وينتهي سفر الملوك المملكتين وحريق الهيكل سنة 587 ق. م. وسبي اليهود إلى بابل.

ومما ننكره على اليهود والنصارى - ونستغربه - هو تقديسهم لهذين السفرين مع تصريحهم بأنه لا يعرف مؤلّفها، وبأنه مجهول يروي قصصاً قديمة سابقة على عصره. ر: مقدمة الكتاب المقدس طبعة 1971م، قاموس ص 920، رسالة في اللاهوت ص 275، 276، سبينوزا.

3 إلياس عليه السلام، ورد ذكره في القرآن الكريم بموضعين: [سورة الأنعام الآية: 85، وسورة الصافات الآية: 123-132]. ر: سيرته ي تاريخ الطبري 1/325، قصص الأنبياء لابن كثير، ص 400، النبوة والأنبياء للصابوني ص 318.

أما مصادر أهل الكتاب فتذكر عنه بأنه إليا التشبي، وإيليا: اسم عبري معناه: الاهي يهوه والصيغة اليونانية لهذا الاسم هي: إلياس وتستعمل أحياناً في العربية، وقد عاش في المملكة الشمالية حيث حارب إيزابل زوجة الملك أخاب التي ساقت زوجها وبني إسرائيل إلى عبادة العجل، وقد أيده الله بمعجزات كثيرة وفي نهاية أيامه ذهب إلى نهر الأردن مع تلميذه اليسع، ثم جاءت مركبة وفرسان نارية حملت إيليا إلى السماء. ر: سيرته في سفر الملوك الأوّل والثاني، وقاموس ص 144-145.

4 اليسع عليه السلام، ورد ذكره في موضعين في القرآن الكريم: [سورة الأنعام، الآية: 86]، و[سورة ص، الآية: 48]. ر: سيرته في تاريخ الطبري 1/327، وقصص الأنبياء، ص 408، والنبوة للصابوني ص 321. ويذكر عنه قاموس ص 111 ما ملخصه: "أن اسمه عبراني معناه: الله خلاص وهو خليفة إيليا في النبوة"، ويسجل سفر الملوك الثاني معجزات كثير قام بها لايشع حتى بعد موته.

===

مشى عليه راجعاً"1. فلم يكن واحد منهما رباً بذلك، وقد خاف بطرس2 صاحب المسيح الغرق، لم يخف منه اليسع، وقوة الصاحب تدل على قوة حال المصحوب.

مناقشة على قول بطرس "يا ربّ إن كنت أن هو": اعلم أنّ هذا من الكلام الخلف وذلك إن بطرس إن عرف أنه / (1/20/ب) المسيح، فكيف يقول: "إن كنت أنت هو؟" وإن لم يكن عرفه، فكليف يقول له يا رب؟!.

8- دليل آخر على عبودية المسيح. قال متى: "قال رجل للمسيح: يا معلم صالح، فقال له لا تقل لي صالحاً، لا صالحَ إلاّ الله الواحد"3.

قلت: أضاف المسيح لربّه الوحدة، واعترف له بالألوهية وحده، وفي ذلك ردٌّ على النصارى في دعواهم التثليث وعبادة المسيح إذ نفى الصلاحية عن نفسه وأثبتها لله وحده، ولو كان الأمر في ذلك على ما يعتقده النصارى لبيَّنه للرجل ولقال له: لا صالح إلاّ الأب وأنا روح القدس، لم يؤخر البيان عن وقت الحاجة.

وفي قول المسيح عليه السلام: "لا صالح إلاّ الله الواحد"، تكذيب للنصارى فيما يقرؤونه في صلواتهم إذ يقرؤون في بعض فرائضهم: "الإله الصالح الطويل

---

1 سفر الملوك الثاني 2/1-8.

2 بطرس: رئيس الحواريين واسمه الأصلي سمعان بن لوقا ومهنته صيد الأسماك، وقد سماه المسيح كيفا ومعناها صخرة يقابلها في العربية صفا فسمي بشمعون الصفا في المصادر العربية، وقد وقف شمعون جهوده على التبشير بالمسيحية إلى أن قبض عليه في روما وصلب منكساً بناء على طلبه سنة 67م في زمن الإمبراطور نيرون، وتنسب إليه رسالتان من الرسائل السبع التي يسمّونها: الرسائل الكاثوليكية. ر. ترجمته في الأناجيل الأربعة، وسفر أعمال الرسل والإصحاحات: 1. 2. 4. 5. 15، قاموس ص 174-178.

3 متى 19/16، 17.

==

الروح الداعي الكلّ إلى الخلاص". وقد يقرؤون فيها: "يا ربنا وإلهنا يسوع المسيح لا تضيع من خلقت بيديك، لا." ويقرؤون في شريعة إيمانهم التي لا يتم لهم قربان إلاّ بقراءتها: "نؤمن بالربّ الواحد يسوع المسيح الذي بيده أتقنت العوالم، وخلق كلّ شيء". وهذا / (1/21/أ) كله مخالف لقول المسيح عليه السلام. "لا صالح إلاّ الله وحده"، وإذا كان هذا قول المسيح فقد ثبت أنه ليس هو الله ولا صفة من صفاته، وإذا ثبت أنه غيره ثبت أنه عبده؛ لأن ما سواه فهو عبده وخلقه، وتبيّن فساد الأمانة التي لهم وجهل من ألفها بدين المسيح وشريعته.

9- دليل آخر على عبودية المسيح. قال متى: "قال يسوع: من أراد أن يكـون منكم كبـيراً فيلكن لكم خادماً، ومن أراد أن يكون أوّلاً فليكن آخراً إن ابن الإنسان لم يأت ليخدم، بل ليخدم ويبذل نفسه عن كثير" 1.

قلت: هذا دأب المتّقين وعباد الله المشفقين، قام عليه السلام بوصفه الاتضاع، ولـزم منـاهج إخوانـه من الأنبياء في رعاية الأتباع، وصرح بأنه إنما بعث خادماً والربّ يجب أن يكـون مخـدوماً، وأنـه بـاذل نفسـه ويتعالى القديم أن يكون عديماً.

10- دليل آخر على عبودية المسيح، قال متى: "مرّ يسوع بشـجرة تين وقـد جـاع فقصـدها فلم يجـد فيها سوى الورق فقال: لا تخرج منك ثمرة إلى الأبد فيبست الشجرة لوقتها فتعجب التلاميـذ وقـالوا: كيـف يبست؟ فقال: الحقّ أقول لكم: إنه لو كان / (1/21/ب) لكم إيمان بغير شكّ وقلتم للجبـال: تعـال واسـقط في البحر لفعل كلّ ما سألتموه تنالوه"2.

---

1 متى 20/26-28.

2 متى 21/18-22.

==

قلت: أدركته عليه السلام عوارض البشر من الجوع والعطش وما أكثر ما يصفه الإنجيـل بـذلك، ولمـا سبق في علم الله تعالى ما سيدعى فيه من الربوبية والإلهية حفظ هذه المواضع من الإنجيل وحرسـها عن التغيير والتبديل، ولتكون وازعة ذوي عن الأحلام، عن عبادة رجل من الأنام، يفتقـر إلى الشـراب والطعـام، فقل للنصارى: يا معشر من بخس حظه من المعقول، كيف خفي عن يسوع حال الشجرة وهـو في زعمكم الذي غرسها؟! أم كيف افتقر إلى تناول الثمرة وهو الذي كَوَّن بلسها1؟!. ولِمَ دعا عليها؟! ومن الذي دعـاه حتى ساق الثوى2 إليها؟

وأخبرونا من هو هذا الذي جاع؟، فإن زعمتم أنه الإله أكذبكم الإنجيـل إذ يقـول: "إن اللـه لا يأكـل ولا يشرب". وأكذبكم داود في المزامير إذ يقول: "إن إله إسـرائيل لا يأكـل لحـوم العجاجيـل ولا يشـرب دمـاء أولاد الغنم"3.

فإن قلتم: إن الناسوت هو الذي جاع، أبطلتم الاتّحاد، إذ الاتّحاد عنـدكم صـيَّر / (1/22/أ) الكـثرة قِلـة وجعل الاثنين واحداً، وأنتم زعمتم أن فائدة الاتّحاد تشريف الطبيعة الناسوتية لا انحطاط الطبيعة اللاهوتية.

فإذا قلتم: إن طبيعة الناسوت باقية على حكمها، لم يحصل التشريف الذي ذكـرتم، فمـا نـرى طبيعـة اللاهوت أكسب الناسوت خيراً.

وأخبرونا أليس مَتَّى هذا يقول إنّ المسيح هو الذي جـاع، وهـو الـذي تـردد مـع الشـيطان في سـخرته وواصل الصيام بسببه؟، والمسيح هو عبارة عن الطبيعتين

---

1 البلس: من لا خير عنده، أو عنده إبلاس وشر، وثمر كالتين’، والتين نفسه. ر: القاموس المحيط ص 687.

2 ثَوَّى، تَثْوِيَةً: مات. انظر: القاموس المحيط ص 1637.

3 مزمور 50/13.

للاهوتية والناسوتية جميعاً، إذ طبيعة الإنسان على تجردها لا تسمى مسيحاً عندكم، وإذا كان هذا هكذا فقد لزمكم القول بجوع الإله وعطشه ودخول الآفات عليه، وإذا كان ذلك غير سائغ فالمسيح إذاً عبد مربوب ومخلوق مألوم يتأذى بأسباب الأذى ويفتقر إلى تناول الغذاء.

فأما جفاف الشجرة بدعوته فليس في ذلك معتصم في دعوى ربوبيته ولو جاز أن يدعى في المسيح الربوبية بهذه القضية لجاز ذلك لإبراهيم وموسى وإلياس ودانيال وخلق كثير / (1/22/ب) من أصفياء الله، فقد أجيبت لهم دعوات، وأمددهم الله من الملائكة بربوات.

11- دليل آخر على عبودية المسيح، قال متى: "اجتمع الفريسيون1 والهيرودیسیون2 ودسوا على يسوع رجلاً ليصطادوه3 بكلمة، فقال له الرجل: يا معلم، قد علمنا أنك محق، وأن طريق، الله بالحق تعلم، وأنك لا تبالي بأحد ولا تعمل لوجه إنسان، فقل لنا هل نعطي الجزية لقيصر أم لا؟ فعلم يسوع سرّهم وخاف شرّهم، فقال: يا مراؤون إنما جئتم لتجربوني4 أدوا ما لقيصر لقيصر وما لله - لله"5.

قلت: هذه من المسيح عليه السلام حيدة6 عن الجواب وهي مؤذنة بالتقية

---

1 الفريسيون: كلمة آرامية، ومعناه: "المنعزلون"، ويقلبون أنفسهم بلقب: حسيديم أي: الأتقياء، وكذلك: صيريم، أي: الزملاء، وهم من أبرز الفئات اليهودية وأضيقها رأياً وتعليماً وأشدّها عداء للمسيح وأتباعه، ومن أبرز معتقداتهم: إيمانهم بأسفار العهد القديم وبالتلمود، وإيمانهم بالبعث الدنيوي. ر: الكنْز الجليل في تفسير الإنجيل 1/28، انظر: قاموس الكتاب ص 674، الفكر الديني اليهودي - حسن ظاظا ص 210.

2 هيرودسيون: هم جماعة ليسوا طائفة دينية ولا حزباً سياسياً، بل مجرد أتباع هيرودس الكبير وخلفائه في فلسطين وكان لهم نفوذ واسع. ر: قاموس ص 1012.

3 في ص ليصطادونه والصواب ما أثبته.

4 في ص لتجربونني، والصواب ما أثبته.

5 متى 22/15-21.

6 في ش: الحيدة: الميل للضرورة.

القاضية بضعف البشرية، والحيدة توجد كثيراً في كلام الأنبياء عليهم السلام يستعملونها للضرورة الحاضرة.

وأنا أستحسن قول سيدنا محمّد رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وقد قال له العباس: يا رسول الله، إن أبا طالب كان بارّاً أترجو الله له؟ فقال عليه السلام: "كلّ الخير أرجوه من ربّي"1.

وقوله: "وقد سأله رجل: يا رسول الله، متى الساعة؟ فقال: "ما أعددت لها؟"، قال: حبّ الله ورسوله. فقال / (1/23/أ): "أنت مع من أحببت"2.

ولما قال إبراهيم للكافر: ربي الذي يحيي ويميت. قال: يا إبراهيم أنشدك

---

1 أخرجه ابن سعد 1/124، والذهبي في تاريخ الإسلام السيرة النبوية ص 233، كلاهما من طريق حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث قال: قال العباس:...، فذكر.

وذكره السيوطي في الخصائص 1/147، وعزاه لابن عساكر أيضاً.

قلت: رجاله ثقات وهم من رجال الستة. ر: التقريب على الترتيب 1/197، 1/115، 1/58.

وأما قول النبي صلى الله عليه وسلم: "كلّ الخير أرجوه من ربّي". فهو بيّن في كمال ثقته صلى الله عليه وسلم بربّه عزوجل. وفيه تطييب لنفس عمّه العباس رضي الله عنه، كما أن دفاع أبي طالب في حياته عن النبي صلى الله عليه وسلم وحمايته عن أذى المشركين قد حصل له بذلك خير في الآخرة، كما ورد في الحديث الصحيح عن العباس بن عبد المطلب أنه قال: يا رسول الله، هل نفعتَ أبا طالب بشيء، فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ فقال: "نعم. هو في ضحضاح من النار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار". أخرجه البخاري. ر: فتح الباري 7/193، ح 3883، ومسلم 1/194. وعن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أهون النار عذاباً أبو طالب منتعلاً بنعلين يغلي منهما دماغه". أخرجه مسلم 1/195. والذي تصرّح به هذه الأحاديث الصحيحة وغيرها في أمر أبي طالب هو معتقد أهل السنة والجماعة فيه بعكس الرافضة التي تدّعي موت أبي طالب على الإسلام، وتستدل عليه بأحاديث قال عنها الحافظ ابن حجر: "بأن أسانيدها واهية"، وقد أفاض وأجاد الحافظ ابن حجر في الإصابة 7/112-116، في ترجمة أبي طالب في الرد على شبه الرافضة في دعوى إسلام أبي طالب.

2 أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب 96ر: فتح الباري 10/557، ومسلم 3/2032، 2033، عن أنس رضي الله عنه.

==

الله أأنت رأيته يفعل ذلك؟، {قَالَ إِبْرَاهِيمُ: فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ المَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ المَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ}. [سورة البقرة، الآية: 258].

واعتبر هذا الفصل الذي نقله مَتَّى تجده من كلام الراوي ليس للمسيح منه إلاّ القليل، وهذا حال أكثر الإنجيل، والإنجيل الحقّ هو المأخوذ عن المسيح عليه السلام لا عن غيره.

وما أديص1 قول هذا الراوي [ليصطادوه]2 بكلمة!! هذا يعتبر سلفهم فما ظنّك بخلفهم؟! أما كان يستطيع أ يجعل مكان [ليصطادوه]3 [ليمتحنوه ويختبروا ما عنده ويقفوا]4 على حقيقة مذهبه، أين هذا من ألفاظ الكتاب العزيز إذ يقول: {وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيكَ}. [سورة الإسراء، الآية: 73]. {وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا...}. [سورة الإسراء، الآية: 76].

12- الدلالة على أن التلاميذ لم يكونوا [يعتقدون]5 في المسيح ما ابتلي به النصارى، قال نقلة الإنجيل: لما كان في أوّل من عيد الفطير جاء التلاميذ إلى يسوع وقالوا له: أين تريد أن تأكل الفصح؟، فقال: اذهبوا إلى فلان فقولوا: يقول لك المعلم: عندك آكل الفصح مع تلاميذي6.

____

1 دَاص يديص ديَصَاناً: زاغ، حاد. الدَّائص الدّص ج داصة، والداصة: السفلة لكثرة حلاكتهم. ر: القاموس المحيط ص 800.

2 في ص ليصطادونه، والصواب ما أثبته.

3 في ص ليصطادونه، والصواب ما أثبته.

4 في ص ليمتحنونه ويختبرون ما عنده ويقفون، والصواب ما أثبته.

5 في ص يعتقدوا، والتصويب من المحقِّق.

6 متى 26/17، 18، وذكره أيضاً مرقس 4/12-15، ولوقا 22/7-12.

==

فَعَرْضُهم/ (1/23/ب) عليه الطعام والعمل بسنة العيد المأخوذة عن موسى، واتباعه أحكام التوراة دليل ظاهر على أنهم لا يفرقون بينه وبين البشر في شيء سوى النبوة، إذ هم يروون عنه في الإنجيل أن الأنبياء كلهم [معلمون] للناس، وهم الذين يروون عنه أن الله لا يأكل ولا يشرب.

وقد شهد فولس الرسول في رسالته الأولى بأن المسيح عبدٌ لله وأن الله مالكه فقال وهو يُسهب في إفادة إخوانه: "إن كل شيء فهو لكم، وأنتم للمسيح والمسيح"1. فأضافه الله بلام التمليك كإضافة الأشياء لملاكها، وقوله: "وأنتم" يريد أنتم له أتباع، وهو يبلغكم عن الله أوامره بطريق السفارة.

فإن قال النصارى: إنما أكل وشرب بناسوته، قلنا: ذلك باطل على رأي اليعقوبية2 القائلين أن الاتّحاد قد أصار طبيعتي المسيح طبيعة واحدة، فإنه لم يبق ناسوت متميّز عن لاهوت حتى يضاف إليه الأكل والشرب، وهو باطل على قول من جعل المسيح درعاً للاهوت أو مسكناً له3. إذ لو تجرد اللاهوت عن ناسوته حال ملابسة هذه النقائص لبطلت ألوهيته وخرج عن كونه مسيحاً/ (1/24/أ) فإنه لم تثبت له هذه التسمية إلاّ بعد الاتّحاد في زعمهم.

فقد أقام يسوع بينهم ثلاثين سنة لا يسمى مسيحاً إنما يعرف بيسوع بن يوسف، فمن أضاف الأكل والشرب إلى ناسوته وحده فقد جعله آكلاً شارباً ببعضه، ومن جوّز قبول آلهة للتنصيف، فقد أبان عن عقل سخيف وعقل ضعيف. ألم تسمعوا إلى قول المسيح: "يقول لك المعلم"، سمّى نفسه معلماً لهم؟! وقال لهم في موضع آخر: "ليس لكم معلم سوى المسيح"4. وقد قال في

1 رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس 3/22، 23.

2 فرقة من فرق النصارى سيأتي الحديث عنها.

3 هذاالقول على مذهب النسطوريةوهي من فرق النصاربالكبيرة وسيأتي الحديث عنها.

4 متى 23/8، 10.

==

الإنجيل غير مرة: "إن الأنبياء كلهم [معلمون]1 لدواب الله"2.

فكيف صرتم تُضربون عما في الإنجيل من دلائل نبوته وتتعلقون بأدنى خيال ف محاولة ربوبيته؟!.

فإن أشكل عليكم لفظ الإنجيل - وليس بمشكل - فارجعا القهقرى إلى التوراة كتاب موسى والأنبياء من بعده، فهل تجدون فيها ما تنتحلونه من عبادة رجل من بني آدم؟! وإنا نجد غير ذلك في التوارة، وقد حذرت من الشرك بالله ومجانبة توحيد الله حتى قالت: "متى سمعتم بذلك في بلد أو قرية فأهلكوا جميع من في تلك القرية / (1/24/ب) والبلد بحد السلاح، ولا ترحموهم، الله ربكم هو إله واحد غيور عظيم مرهوب فاتقوه وخافوه، واحفظوا سنته وأحكامه وأزيلوا الشرّ من بينكم"3.

وكرر ذلك في أسفار التوراة مرة بعد أخرى، فالاعتماد في ذلك على التوراة المقولة بلسان الإجماع عندكم، وذل أولى من الاعتماد على كتاب، إنما نقله أربعة أنفس وفيهم اثنان ليسا من أصحاب المسيح بل من التابعين لهم، فلا جرم لمّا نُقل هذا الكتاب بلفظ الآحاد وقع فيه من الغلط ما ستقفون عليه إن شاء الله في الباب الرابع من هذا الكتاب. وحينئذ تتحققون أنه ليس هو الإنجيل المنَزَّل من عند الله.

1 في ص معلمين والصواب ما أثبته.

2 لم أجد في الأناجيل النص الذي ذكره المؤلف، ولكن ورد في إنجيل يوحنا 6/45، ما يؤدّي نفس المعنى كالآتي: "أنه مكتوب في الأنبياء ويكون الجميع متعلمين من الله". ولعل الناسخ زاد كلمة لداوب في النص الذي أورده المؤلف.

3 خروج 23/23، 24/12-16.

==

13- شهادة المسيح على أهل زمانه بالشّكّ في شأنه قال متى: "بينما التلاميذ يأكلون طعاماً مع يسوع قال: كلكم تشكون فِيَّ هذه الليلة؛ لأنه مكتوب أني أضرب الراعي فيفترق الغنم، فقال بطرس: لو شَكَّ جميعهم لم أشك أنا، فقال يسوع: الحقّ أقول لك إنك في هذه الليلة تنكرني قبل أن يصيح الديك"1.

فقد شهد / (1/25/أ) عليهم المسيح بالشّكّ فيه وأن خيارهم وهو بطرس خليفته عليهم من بعده سينكره، وإذا وقع لهم الشّكّ في المسيح في آخر أيامه ومنتهى مدته فقد تخرمت الثقة بأقوالهم، وإذا أنكره مثل بطرس ولم يعرفه بطل جزمهم بأنه قتل وصلب وصحّ قول2 ربنا تعالى: {وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُم وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعُ الحَقِّ}. الآية. [سورة النساء، الآية: 157].

فهذا المسيح عليه السلام قد وافق محمّداً - عليهما السلام - في أن القوم شاكون فيه، وذلك مبطل لدعوى القتل والصلب.

وقد صرح المسيح في هذا الفصل بحرف لو تأمله النصارى لما عدلوا عن اعتقاد نبوته إلى انتحال بنوته وهو قول المسيح: "إنه مكتوب أني أضرب الراعي"، سمّى نفسه راعياً وهادياً داعياً، وهذا حال الأنبياء - عليهم السلام - فإنهم يطوقون أعباء السياسة، ويرفقون الأنام بأخلاق الحراسة.

فنحن نسأل النصارى: من هو الضارب؟ ومن هو المضروب؟

____

1 متى 26/31-34.

2 قول المؤلف: "وصحّ قول ربنا تعالى..."، هو من باب الإلزام وإقامة الحجة على النصارى. وإلاّ فإن كلّ مسلم يعتقد بأن قول الله عزوجل هو الحقّ ووعده الصدق.

==

الباب الأول: في كون المسيح عبدا من عبيد الله بقوله وفتواه

فإن زعموا أن الضارب هو الله، والمضروب هو الإنسان فقد وافقوا شريعتنا وخالفوا / (1/25/ب) شريعتهم إذ تقول: "إن المسيح إله لا إنسان".

وإن قالوا: الضارب هو الإنسان والمضروب هو الله، كان هذا قولاً لا يقوله أحد من الحمقاء فضلاً عن العقلاء.

فإن عادوا وقالوا المضروب هو المسيح أعدنا عليهم القول المتقدم، وقلنا: المسيح عندكم ليس آدمياً محضاً ولا إنساناً صرفاً، بل هو مركب بالاتّحاد من إله وإنسان، فقد لزمكم أن يكون الإله مضروباً أيضاً مع الإنسان، فإن راموا تخصيص الناسوت بالضرب لم يتهيأ لهم بعد القول بالاتّحاد، وإن راموا تصحيح الضرب وإضافته وسائر النقائض إلى الناسوت فقد أبطلوا الاتّحاد، وهو المراد.

وإن قالوا: المراد بالمضروب (الابن) وبالضارب (الأب)، قلنا لهم: فالأب والابن عندكم قديمان، فما الذي أصار أحدهما ضارباً والآخر مضروباً بأولى من العكس؟! وإذا كان الابن عندكم عبارة عن الحكمة الأزلية، فما معنى ضرب الله كلمته؟ وإنما تضرب الأجسام، فأما صفات الله القديمة فلا تفارق ذاته الكريمة ولا تقوم بغيره.

وما نرى لروح القدس في أكثر هذه الفصول ذِكراً، فلا ضارب ولا مضروب / (1/26/أ) تعالى الله عن هذيانكم هذا علوّاً كبيراً.

14- صلاة المسيح وتعبده واجتهاده في الطاعة وتهجده، قال متى: "جاء المسيح مع تلاميذه إلى قرية تدعى جسمانية1 فقال لهم: امكثوا هاهنا حتى أصلي هناك. ثم أخذ يحزن ويكتئب، وقال: إن نفسي حزينة حتى الموت. ثم قال لبطرس وابني زيدي: اسهروا معي هذه الليلة. ثم خَرَّ على وجهه يصلي

---

1 ورد في النص جشسيمَاني: وهي كلمة آرامية معناها: معصرة الزيت ويقع شرق أورشليم، وهو الآن مكان مقدس عند النصارى؛ لأنه مكان ألم المسيح وتسليمه والقبض عليه فيما زعموا. ر: قاموس ص 249، بتخليص.

==

ويقول: يا [أبتاه]1 إن كان يستطاع فَلْتَعْبُر عني هذا الكأس، وليس كإرادتي لكن كإرادتك، ثم جاء إلى تلاميذه فوجدهم نياماً، فقال لهم: ما قدرتم أن تسهروا معي ساعة واحدة، ثم مضى وصلى وقال: يا [أبتاه] 2 إن لم تستطع أن تعبر عني هذا الكأس حتى أشربها فليكن مسَّرتك، وجاء أيضاً فوجدهم نياماً فتركهم ومضى يصلي وأعاد كلامه الأوّل"3.

قلت: انظروا معاشر الضلال ودعاة الضلال، هل تليق هذه الخلال بصفات ذي الجلال؟!.

لو لم يكن في إنجيلكم سوى هذا الفصل لكان قائداً للعميان، سائقاً إلى غير دين النصرانية من الأديان، إذ كان وما شاكله من أوضح الأدلة على ضعف البشرية وعجز العبودية، / (1/26/ب) فسبحان من بخس النصارى عقولهم وأظلم سبلهم وأعمى دليلهم، أين هذا مما روي "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين احتضر جعل يقول: الرفيق الأعلى"!4. فأنبياء الله بل صلحاء الناس محاشون عن هذا التردّد حال الانتقال.

وهذه التوراة تشهد باحتضار طائفة من أولياء الله كإبراهيم وإسحاق ويعقوب وهارون وموسى وغيرهم، وهم راضون بلقاء ربّهم، فرحون بانقلابهم إلى [شَعُوبهم]5 فنحن نوَرِّك6 على من نقل هذا التردد القبيح عن السيد المسيح.

---

1 في ص به، والتصويب من النصّ.

2 في ص به، والتصويب من النصّ.

3 متى 26/36-44.

4 أخرجه البخاري في كتاب الصحابة بياب 5. ر: فتح الباري 7/20، 10/127، ومسلم 4/1894،والترمذي15/491، وأحمد 6/274، عن عائشة رضي الله عنها.

5 في ص شعهم وما أثبته الموافق للسياق. ومعناها: منيتهم وموتهم، حيث اشتق من التفريق. شَعَب اسم المنية شعوب على وزن رسول. لأنها تفرق الخلائق وصار علماً عليها غير منصرف. ر: المصباح المنير ص 313.

6 ورّكه توريكاً: أوجبه والذنب عليه حمله. ر: القاموس المحيط ص 1235.

وفي هذا الفصل حرف يقطع بانحرافه وتحريفه وهو قوله: "إن لم تستطع أن تَعْبُر عني هذا الكأس". ثكلت لافظه أمه، لقد عجَّز قادراً، وسلك طريقاً عن الجَدَد1 نادراً، كيف يعجز القادر على الإطلاق، ويبخل من بيده مفاتيح أقفال الأرزاق؟!.

فنحن نسأل النصارى، ما سبب هذا الحزن والاكتئاب؟! هل يعدو أن يكون إما جزعاً من الموت أو أسفاً على بقاء الناس على الكفر؟! وأَيٌّ ذلك كان فقد تحقق عجزه فلا يصلح مَنْ هذا حاله للربوبية.

ثم نقول لهم: ألم تنقلوا عنه أنه إنما جاء ليُخلِّص الخلق ويفديهم / (1/27/أ) بدمه الكريم من الجحيم؟ وإذا كان الأمر على ما زعمتم فلا معنى لحزنه ولا اكتئابه.

وفي الفصل أيضاً ما يفسد عليهم ما لفقوه في شريعة إيمانهم، وهو قوله: (وليس كإرادتي لكن كإرادتك" [فصرَّح]2 بأن إرادته مغايرة لإرادة الله تعالى، وإذا كانت إرادته غير إرادة الله بطل قولهم في الأمانة: "المسيح إله حقٌّ من حقّ إله حق من جوهر أبيه".

فإن صححوا الأمانة أكذبوا الإنجيل، وإن صححوا الإنجيل أفسدوا الأمانة، إذ لو كان من جوهر الأب لكانت إرادته من جوهر إرادته، وهم يطلقون على الباري لفظ الجوهر تعالى الله عن كفرهم علوّاً كبيراً.

15- دليل آخر على عبودية المسيح، قال لوقا: "ورد أمر قيصر بتدوين الناس، فمضى يوسف ومريم وهي حامل بالمسيح ليكتتبا مع الناس فضربها

___

1 في ش: أي: عن الطرق.

2 في ص مسرح، والتصويب من المحقِّق.

الطَّلَق فولدته ولفته في الخرق وتركته في مذود حيث نزلاً، فلما تمت له ثمانية أيام سمّوه يسوعاً ولما أكملوا أيام تطهيرهم أقاموه ليقربوا عنه زَوْجَيْ يمام أو فرخي حمام كَسُنَّة الناموس"1.

قلت: هذه أحوال البشرية في تنقلها من / (1/27/ب) الاختتان إلى الرضاع إلى الطفولية ويتعالى ربّ الأرباب أن تحويه معالف الدواب، بل لا تحويه الأقطار ولا يحده المقدار، ولا تحيط به الجهات ولا تكتنفه الأرضون ولا السماوات2.

قال لوقا: "ولما أكملوا سنَّتهم على مقتضى ناموس الربّ رجعوا إلى الجليل إلى بلدهم الناصرة فكان الصبي ينشأ ويصفو بالروح ويمتلئ بالحكمة، وكانت نعمة الله عليه وأبواه يمضيان به في كل سنة إلى عيد الفصح، ولما تمت له اثنتا عشرة سنة مضوا به إلى ارشليم كالعادة، فلما رجعوا تخلف عنهم

يسوع في أورشليم ولم يعلموا بـه وسـارا وهمـا يحسـبانه مـع الرفقـة فلمـا لم يجـداه رجعـا إلى أورشـليم فوجداه في الهيكل بين العلماء والشيوخ يباحثهم ويسمع منهم فأخذاه وانصرفا وكان يطيعهما"3.

قلت: هذا الكلام والذي قبله يشير إلى تقيد المسيح بشريعة موسى عليهما السـلام، وأنـه وغـير شـرع في الشرع، ورتبة التابع دون رتبة المتبوع وفي ذلك دلالة على عبوديته، فأما اعتقاد الربوبية في صبي يتعلم أحكام / (1/28/أ) التوراة ويسأل اليهود عما أشكل عليه منها فـذلك عين الجنـون، وهـذا لوقـا أَحـدُ مُـدَوِّني الإنجيل يشهد بأن المسيح عبد من عباد الله، وأنه صبي منت صبيان بني آدم، وأنه كان يتَزيد مواقـع النعمـة من الله شيئاً فشيئاً ويتعلم العلم ويسأل عما جهل ويستفيد

---

1 لوقا 2/1-24، في سياق طويل وقد ذكره المؤلف مختصراً.

2 قال تعالى: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَـقَّ قَـدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعـاً قَبْضَـتُهُ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ وَالسَّـمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ}. [سورة الزمر، الآية: 67].

3 لوقا 2/39-51، في سياق طويل ذكره المؤلف مختصراً.

==

ممن هو أعلم منه، ويخبركم أن الله معطيه ومنعم عليه، فكيف لم ترضوا له مـا وصـفه بـه لوقـا من صـفته؟ أأنتم أعلم بمـا يجب لـه من لوقـا؟! ألم تسـمعوا إلى قولـه: "وأبـواه يمضـيان بـه كـلّ سـنة إلى أورشليم". ألا يعجبوا من جلوسه بين العلمـاء للاسـتفادة والتعليم؟ فالنجـاء النجـاء من وبـال هـذا المـذهب الذميم، والوحا الوحا1 في حلّ عقد هذا التصميم.

16- دليل آخر على عبودية المسيح وضعفه وافتقاره إلى خالقه وتبرئه ممّا يدّعيه النصارى فيه، قـال لوقا: "قال رجل ليسوع: أتبعك إلى حيث تمضي يا سيد، فقال لـه يسـوع: للثعـالب أجحـار ولطيـور السـماء أوكار، وابن الإنسان فليس له موضع يسند رأسه"2.

قلت: الزهـد شـعار الأنبيـاء ودثـار المتقين ونعت المؤقـنين، يفـرغ القلب منت الهمـوم / (1/28/ب) ويقشع عن الفكر غيوم الغمون، ويعرب عن قوة الإيمان والوثوق بضمان الرحمن، اشـتغل المسـيح بالزهـد والنسك وتفرغ لخدمة ربه فرفض الملك، ورضي فقره فسكن الفقر3 وحقّق صبره، فتوسد الحجر وافترش العفر4. فكيف تعبد النصارى من لا يحوي مسقط رأسه فقراً؟! وتأمل من لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً.

وإذ قد رووا عن الصادق المسيح أنه ليس موضع يسند رأسه، ورووا عنـه أنـه لا صـالح إلاّ اللـه وحـده، وحكوا عنه أنه قال: إنّ الله الإله الحقّ وحده، وأخبروا عنه أنه صام وصلى وانقطع لعبادة ربـه وتخلَّى، فقـد أكذبوا الأمانة التي

---

1 الوحا: السرعة. يمد ويقصر، ويقال: "الوحا الوحا"، أي: البدار البدار. ر: مختار الصحاح ص 713.

2 لوقا 9/57، 58.

3 القفر: مغازة لا نبات فيها ولا ماء، والجمع:قفار. ر:مختار الصحاح ص 545.

4 العفر: التراب. المرجع السّابق، ص: 441.

ألفها قدماؤهم إذ تقول: "إن المسيح إله حقّ وأنه خالق كلّ شيء وأن بيديه أتقنت العوالم". وتعيَّن عليهم العمل بمقتضى قول المسيح وفتاوى تلاميذه الأبرار، وشهادة الأنبياء الذين تقدموه مثل: موسى، وداود. "فقد قال المسيح ورفع وجهه إلى السماء: إلهي أنت الإله الحقّ الذي أرسلت يسوع المسيح"1.

وقال موسى في التوراة: "لا إله إلاّ إلهنا إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب الرّبّ الأزلي الذي لم يزل"2.

وقال داود في مزموره3: "إن الله أقسم / (1/29أ) إن المسيح رجل كاهن يشبه في عبادته وتقواه ملكي صادق". الكاهن الذي كان يخدم البيت المقدس على عهد إبراهيم4.

17- وقال سمعون الصفا رئيس الحواريين: "إن المسيح رجل أظهره الله بالأيد والقوة والمعجزات" 5. وقال المسيح: "إنه لا يقدر على عمل شيء

---

1 يوحنا 17/1، 3.

2 خروج 3/15.

3 مزمور 110/4.

4 ملكي صادق: اسم سامي معناه: ملك البر، وتزعم المصادر اليهودية، بأنه كان ملك أورشيلم وكاهن الله العلي، وكان معاصر لإبراهيم عليه السلام الذي باركه ملكي صادق، وأعطاه إبراهيم زكاة العشر. أما المصادر النصرانية فتصفه بأنه بلا أب ولا أم وبلا نسب. ولا بداءة أيام له ولا نهاية حياة بل هو مشبه بابن الله ويبقى كاهناً إلى الأبد.ر:تكوين14/18-20، السنن القويم1/50،الرسالة إلى العبرانيين 7/1-4، قاموس ص 922.

قلت: وهذا غلوٌّ ممقوتٌ من أهل الكتاب في وصفهم ملكي صادق بهذه الصفات المستحيلة عليه؛ لأنه ليس هناك من هو بلا أب وبلا أم إلاّ آدم عليه السلام، ولا بُدّ لكل مخلوق من أن تكون له بداية ونهاية. وأما قول المؤلّف - رحمه الله - : "بأن ملكي صادق كأن يخدم البيت المقدس"، فمناه: بأنه كان ملكاً على أورشليم.

5 سفر أعمال الرسل 2/22.

ولا يتفكر فيه حتى يكون الله هو الذي يعمله"1. وسئل عن القيامة، فقال: "لا يعرفها إلاّ الله وحده" 2.

وهذه أقوال دالة وروايات متظاهرة على أن المسيح عبد مربوب، وأن له رباً يضـرع إليـه، ويعـول في مصادره وموارده عليه لا إله غيره ولا رب سواه.

فهلموا معشر النصارى إلى عبادة ذي الجلال، وقدسوا القديم عن تشبيهه بالرجال، واستحيوا من ذوي الحجى أن تعبدوا إنساناً قد حملت به أمه كما تحمل النساء بالأجنة، وترددت عليه أطوار الخلـق وتنقلت بـه الحال إلى أن ناهز الثلاثين من السنين، ينسب إلى أُبوَّة يوسف مـرة وداود أخـرى، يتغـذى بالطعـام ويـتردد بين الأنام، ثم تعتوره عوارض الحيوان فيعافى ويكـرب، ويحـزن ويطـرب، ويعيـا فـيركب، ويسـتريح ويتعب، ويجـوع ويعطش،/ (1/29ب) فيأكـل ويشـرب، ويسـتتر من عـدوّه ويطلب، ويقـرن باللصـوص كمـا زعمتم ويسحب، ويحمل صليبه فيقتل بقولكم ويصلب، ويدفن في المقابر فيبكى عليه ويندب، وقولوا بنا جميعاً كما قال المسيح في الإنجيل: "لِلرّبِّ إِلاَهِكَ اسجد وله وحده اعبد"3. قصم بذلك ظهر الخبيث وفصم عرى أهـل التثليث وأثبت لربه الوحدة، وسجد لله وحده، ولم يعبد إلهين اثنين، ولا ثالث ثلاثة، ولا رأى ادِّراع ولا أقســم بالذراع، ولا اعتقد اتّحاد اللاهـوت بالناسـوت، ولا أقسـم بصـليب الصـلبوت، ولا عظَّم الصّـور والصـلبان، ولا نطق بقولكم (كُرْياليصان)4 بل عبد الله،

____

1 يوحنا 5/9، 8/28، بالمعنى.

2 مرقص 17/32.

3 متى 4/10.

4 كلمـة كرياليصـون: اصـطلاح يونـاني معنـاه: يـا ربّ ارحم، يتلى في القـداس وفي صـلوات عديـدة بصيغته اليونانيـة في الكنيسـتين:الشـرقية والغربيـة على السـواء، وبهـذه الكلمـة يسـتفتحون بهـا صـلواتهم وأدعيتهم. ر: ترانيم ومدائح منتخبة للكنيسة القبطية، كتاب: قائمـة المصـطلحات الكنسـية في العربيـة، ص 49، باللغة الألمانية جورج غراف، الموسوعة العربية 2/1458.

==

الباب الأول: في كون المسيح عبدا من عبيد الله بقوله وفتواه

ودعـا إليـه وعـول فيمـا يأتيـه ويـدره عليـه، قـال اللـه تعـالى في الإنجيـل: "هـذا فتـاي" سـمّاه عبـداً وسمّيتموه ربّاً، وقال: "هذا رسولي"، سمّاه نبيّاً وجعلتمـوه أنتم إلهـاً، وقـال المسـيح: "لا أعمـل بمشـيئتي" وقلتم إنه خالق كل شيء حـتى كـأنكم قـد تتـابعتم على خلافـه بـدليل أو تبـايعتم على رفضـه بـرهن ثقيـل، فاستدركوا الغلط واهجروا الهُجر اللغط وتعلقوا بذمام قول الإسلام: {مَا المَسِيحُ ابْنُ مَـرْيَمَ إِلاَّ رَسُـولٌ قَـدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأَمُّه1 صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ}. [سورة المائدة، الآيـة: 75]. ولا تغلـوا في دينكم بغير دليل، واعتقدوا عبودية المسيح كما نطق به الإنجيل.

18- دليل آخر على عبودية المسيح ومساواته البشر قال مرقس في إنجيله: "قال يسوع: إن نفسي حزينة حتى الموت، ثم خرّ على وجهه يصلي لله وقال: أيها الأب كلّ شيء بقدرتك، أخّـر عـني هـذا الكـأس لكن كما تريد لا كما أريد أنا"2. فها هو سائل والله مسؤول. وأي عبودية تزيد على هذا؟!

19- دليل آخر على عبوديته، قال يوحنا: "وقف يسوع على بئر من آبار [السامرة]3 فقالت: له امرأة من نسل يعقـوب: إن آبائنـا سـجدوا في هـذا الجبـل وأنتم تقولـون إنـه أورشـليم؟! فقـال لهـا يسـوع: أنتم تسجدون لمن لا تعلمون ونحن نسجد لمن نعلم"4.

قلت: هذا يوحنا التلميذ حبيب المسيح يشهد على المسيح أنه معترف بربّ لا تجزئه العبـادة لغـيره ولا تنبغي الربوبية لسواه سبحانه، ولو كان الأمر على ما

____

1 / 1/30/أ.

2 مرقس 14/34-36.

3 في ص: السمرة، والتصويب من النصّ. والسامرة: اسم عبراني معناه: مركـز الحـارس، وهي اسـم المملكة الشمالية مملكة إسرائيل التي أقامتها الأسباط العشرة من بـني إسـرائيل، ويضـم إقليم السـامرة وسط فلسطين ويقع بين الجليل في الشمال واليهودية في الجنوب. قاموس الكتاب ص 448، 449.

4 يوحنا 4/19-22.

==

يهتـف بـه النصـارى لأرشـدها، وقـال: اضـربي عن معتقـد أسـلافك العـواة واسـجدي لي ولأبي وروح القدس، فإني ثلث الإلـه، كلا ولكنـه / (1/31/أ) أخـبره أنـه عبـد مـذلَّلٌ تحت رقّ العبوديـة وأنـه يسـجد للـه مستحق الربوبية.

وأعلم أن المسيح قد كان يصـلي إلى أورشـليم1 وهي الـبيت المقـدس قبلـة الأنبيـاء قبلـه، ولم يـزل يتوجه إليها مدة مقامه إلى حين رفع فكان مما أحدث النصارى بعده الصلاة إلى جهة الشرق، وتركوا القبلة التي كان المسيح يتوجه إليها. فـإذا عيب عليهم ذلـك اعتـذروا بـأن صـاحبهم صـلب إلى تلـك الجهـة، قـالوا: فتعين علينا التوجه إلى حيث صلب2.

فيقال لهم: أرأيتم لو صـلب إلى جهـة المغـرب أوصـلب منكسـاً إلى أسـفل مـاذا كنتم تصـنعون؟ وإذ تركتم قبلة المسيح والأنبياء وحسـن عنـدكم خلافـه فهلا تـوجهتم إلى الناصـرة3 الـتي هي بلـد ربكم أو إلى مصر التي هرب إليها بزعمكم خوف القتـل، وتعلقتم بشـبهتين من الإنجيـل: إحـداهما: قولـه: "إنـه كتب أن يدعى المسيح ناصرياً"4. والأخرى قوله: "من مصر دعوت ابني"5.

____

1 أورشليم: معناه: أساس السلام، وكانت تسمى يبوس وأريئيل، وأما بالعربية فتسـمى بيت المقـدس والقدس الشريف، والقدس. ر: قاموس ص 129. وهي مدينة مقدسة منذ عصر إبراهيم عليه السـلام. قـال تعالى: {وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الأرْضِ الَّتِي بَارَكْنَـا فِيهَـا لِلْعَـالَمِينَ}. [سـورة الأنبيـاء، الآيـة: 71]. قـال أبي بن كعب، وقتادة وغيرهما: إنها أرض الشام. ر: تفسير ابن كثير 3/194.

2 ذكر ذلك القاضي عبد الجبار المعتزلي في كتابه: تثبيت دلائل النبوة 1/197، وابن القيم في: هدايـة الحياري ص 264.

3 الناصرة: اسم عبري ربما كان معناه: القضيب أو المحروسة، وهي مدينة في الجليل في شمال فلسطين إليها ينسب المسيح يسوع الناصري كما ورد في الأناجيل، فهي قرية أمه، وفيها نشأ المسيح في صغره، وإليها ينسب النصارى ودينهم النصرانية. ر: قاموس ص 946، المنجد في الأعلام ص 704.

4 متى 2/32.

5 متى 2/15.

==

فكيف تركتم هاتين الجهتين ولكم فيهما مستمسك وتوجهتم إلى جهة ارتضاها اليهود الملاعنين للتنكيل بإلهكم كما زعمتم؟!.

ولو كنتم ذوي نظر وعبر لكانت هذه الجهة حرية عندكم بالمقت / (1/31/أ) فإنها الجهة التي هلك فيها معبودكم وقبلت دم ربّكم.

وأخبرونا عن توجه هذا المصلوب إلى هذه الجهة أكان في ذلك طائعاً أو كارهاً؟! فإن كان كارهاً لم يكن لكم أن تصلوا إلى جهةٍ لم يخترها صاحبكم ولم يرضها وإنما حُمِل عليها مجبراً، وإن كان قد توجه إليها طائعاً راضياً، فَلِمَ [تلعنون]1 اليهود الذين صلبوه [وتكفرونهم]2 والذي فعلوه به إعانة له ومساهمة في حصول محبوبه وقرة عينه، ولاسيما أنهم نهجوا لكم قبلة تصلّون إليها؟! فتحننوا الآن على اليهود وتبركوا بهم إذاً، إذ كانوا قد فعلوا ما هو قرّة عينكم وعين صاحبكم.

وكذلك يهوذا الإسخريوطي3 الذي ارتشى عليه وألقاه في أيدي اليهود حتى قتلوه وصلبوه بزعمكم فصلّوا عليه وترحموا وتبركوا باسمه وصَوِّبُوا فعله، فإنه صار وسيلة إلا خلاصكم، وإذ قلتم: إن أسلافكم في دركات النيران ولا خلاص لهم من ذلك إلاّ بقتل ربكم، وإنما قتل وصلب بدلالته وبركة سفارته

---

1 في ص تلعنوا، والصواب ما أثبته.

2 في ص وتكفروهم، والصواب ما أثبته.

3 يهوذا: اسم عبري، معناه: حمد، ولقب بالإسخريوطي تمييزاً له عن يهوذا آخر، وكان أحد الحواريين الاثني عشر، وأميناً للصندوق، وبرغم ذلك فقد خان يهوذا المسيح ووشى بمكانه لليهود مقابل ثلاثين مثقالاً من الفضة، ثم قيل: بأنه خنق نفسه شنقاً ندماً على خيانته.ر: متى إصحاح 27، قاموس الكتاب ص 1089-1091. وقد ورد أن الله عاقبه على خيانته فألقى شبه المسيح على يهوذا فقبض الحراس عليه، ثم قتلوه صلباً بدلاً من المسيح الحقيقي الذي نجّاه الله عزوجل ورفعه إليه. ر: إنجيل برنابا إصحاح 215، 216.

==

وليس في النصارى - يرحمك الله - / (1/31ب) من يُقِلُّ اللعن عن اليهود أو يقدر يسمع باسم الإسخريوطي، وهذه المؤاخذات واردة على الأصل الفاسد الذي أَصَّلوه، فإن أَبَوْا إلاّ لعن اليهود ومقت يهوذا فليتطيَّروا بجهة المشرق لكونها عَمَّتْهم بالشر وسقتهم بالكأس المرّ، وإلاّ فكيف يذمّ اليهود وتمدح الجهة وكلاهما مشؤوم؟! وما أحسن لعن [إله]1 تقتله اليهود،[ورب]2 تغلبه إخوان القرود.

20- دليل آخر على عبوديته وحدثه وأنه آدمي محض وإنسان صرف: اعلم أوّلاً أن تعاقب الأحوال من التغير والزوال والتفريغ والإشغال، والسكون والحركات والاختصاص بالمقادير والهيئات، هي الأدلة على حدث أجسام العالم.

ولا خلاف بين النصارى أن المسيح عليه السلام ولدته أمه في بيت لحم في أرض يهوذا ولفتة ووضعته في الخرق في معلف وأرضعته ثديها وأفرشته حجرها وتولت تأديبه ونشأ نشوء الآدميين، لم يتميّز عنهم في حال من الأحوال من صغره إلى حين ابتداء الدعوة، قد عُرف طوله وقدره ولونه وكميته واعتذى بالطعام وانتقل من مكان إلى مكان ونحن نعلم / (1/32أ) أنه كان إذا نزل أورشليم فقد فارق الناصرة، وإذا أقام بالناصرة فقد خلت منه أورشليم، وأنه ولد في دولة هيرودس ملك اليهودية، وأن مريم فرت به إلى مصر خوفاً من هيرودس ثم أعادته إلى الشام حين هلك أعداؤه، وأنه عاش نيفاً وثلاثين سنة يتعلم العلم ويقرأ التوراة ونبوات الأنبياء ويركب الحمير ويزجي3 الأوقات من الأقوات باليسير الحقير ويلجأ إلى الله في حوائجه ومآربه. ويدعوه إذا أعوزته وجوه

____

1 في ص إلهاً وما أثبته الموافق لقواعد النحو.

2 في ص ورباً، وما أثبته الموافق لقواعد النحو.

3 زَجَّى الشيء: دفعه برفق، يقال: كيف تُزَجِّي الأيام؟ أي: كيف تدافعها، وتَزَجَّى بكذا: اكتفى به. ر: مختار الصحاح ص 269.

==

مطالبه، ويفرح ويغتم ويلبس ويعتم، ويفرّ من السلطان ويناظر الشيطان.

وإذا كان حال المسيح على ما وصفنا فقد ثبت أنه مخلوق ومحدث، وعبد، وأن الله إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب هو خالقه ومحدثه، فإن تحامق النصارى فزعموا أنه هو الله أو صفة من صفاته، أو أن الله ساكن فيه وحال في إهابه، فقد حكموا أن القديم الأزلي ولدته امرأة، وخرج من فرجها، ولفته في الخرق، وألقته في مذود ثور، وسقته ثديها وقومته بتأديبها، وهربت به من خوف من يقصده من الأعداء وعلَّمته وهذّبته / (1/32ب). وأنه كان يتردد إلى اليهود، يتعلم منهم وأن الله الأزلي كان له إلهاً يدعوه ويرجوه، وهذا كلّه لازم للنصارى على الأصل الذي أصلوه، وإذا كان ذلك محالاً فقد ثبت بما قدمناه أن المسيح عبد من عباد الله بقوله وفتواه.

==

الباب الثّاني: في إثبات نبوّته وتحقيق رسالته

الدلالة على نبوّة المسيح: اعلم أن في إثبات نبوّة المسيح عليه السلام [إرغاماً]1 لليهود والنصارى جميعاً، وذلك أنهم ارتكبوا في طرفي نقيض.

أما اليهود - خذلهم الله - فإنهم يرمونه بالكذب والسحر والنيرنجات2 واستخار الشياطين في أغراضه ومآربه، فقالوا: "إنه إنما يخرج الشياطين من الإنسان ببعلزبول3 رئيس الشياطين، وقالوا: إنه لم يحي ميتاً قط ولا أبرأ ذا علة وعاهة، ولكنه واطأ صديقاً له يقال له ألعازر4 فتماوت ثم إنه دخل عليه في جماعة معه فوجد أمه تبكي، فقال لها: لا تبكي، ثم وضع يده عليه فقام وادعى في البلد أن المسيح أحياه، وكانت أمه تهتف بذلك لشغفها بولدها5. وقالوا: وواطأ آخر فجلس على الطريق كأنه زمن فلما طال مقامه / (1/33/أ) وعُرِف بالزمانة والاستعطاء مَرَّ به في أناس معه كأنه لا يريد فناداه: ارحمني يا ابن داود. فأجابه: ما الذي تريده؟ فقال: أريد أن أنهض. فأخذ بيده وأقامه فقام وقد تعقدت رجلاه من طول الجلوس، فكانت أمه تشيع أن يسوع أقامه".

واستبشع آخرون منهم هذا واستعبدوه فقالوا: لا. ولكن لَطُفَت معرفته بالطبّ حتّى أبرأ الأرض والأكمه وأقام الزمنى والمخلعين. وهم بأسرّهم

---

1 في ص (إرغام) والصواب ما أثبته.

2 النَّيْرَنج: أَخْذٌ كالسحر وليس به. (ر: القاموس المحيط ص265).

3 متى 12/24، مرقس 3/22، لوقا 11/15.

وبعلزبول: اسم كنعاني ومعناه: (بعل الأقذار)، وأصل هذا الاسم (بعلزبوب) وقد غيره اليهود، وأما بعلزبوب، فمعناه: (إله الذباب) وهو أكبر آلهة الوثنيّين ولذلك دعي رئيس الشياطين. (ر: قاموس ص 183).

4 العازر: معناه: (من يعيه بهوه)، وهو رجل من بيت عينا، وكان من نصيبه أن يقيمه المسيح من الأموات، ولا يعرف بعد ذلك مكان وزمن وفاته. (ر: المرجع السّابق، ص: 816).

5 هذا ادعاء اليهود وتفسيرهم لما ورد في إنجيل يوحنا، الإصحاح (1)، لمعجزة المسيح عليه السلام في إحياء الميت واسمه العازار.

==

ينسبونه إلى بنوّة الزنى كا يشهد به الإنجيل1، "إذ يقولون له في محاوراتهم: أما نن فلسنا من أولاد الزنى"2.

فإذا أثبتنا معجزاته وآياته بالطرق الـتي ثبتت بهـا معجـزات موسـى وغـيره من الأنبيـاء لم يبـق إلى القدح في نبوّته سبيل، وكان ما يعترضـون بـه على المسـيح منعكسـاً عليهم في معجـزات أنبيـائهم3، وكـلّ سؤال انعكس على سائله فهو باطل من أصله.

1 يوحنا 8/41.

2 ورد في كتاب التلمود - وهو كتاب فقه اليهود المقدس لديهم، إذ يعتبرونه التوراة الشـفوية من اللـه لموسى عليه السلام ولكنه في حقيقته ليس إلاّ تفسيرات واسـتنباطات حاخامـاتهم لنصـوص التـوراة؛ فقـد ورد فيـه: "أن يسـوع الناصـري موجـود في لجـات الجحيم يبن الـزفت والنـار، وأن أمـه مـريم أتت بـه من العسكري باندارا بمباشرة الزنى، وأن الكنائس النصرانية بمقام قـاذورات، وأن قتـل المسـيحي من الأمـور المأمور بها".

وجاء في التلمود وصف المسيح بأنه كان ساحراً وثنياً ومجنوناً ومرتداً كافراً وشريراً. وبأنه صنم عبـده أتباعه بعد صلبه. وبأن تعاليمه كذب وهرطقة ومستحيلة الإدراك. (الكنْـز المرصـود في قواعـد التلمـود - د. روهلنج - ترجمة د. يوسف نصر الله ص 27، 105، فضح التلمود - للأب براناتيس ص 55-76).

3 لما لم يؤمن اليهود بالمسيح عليه السلام وكفروا بدعوته؟ لقد ذكر الباحثون لذلك عدة أساب نجمل أهمها كالآتي:

1- أن اليهود كانوا ينظرون ظهـور نـبيّ يكـون ملكـاً عليهم ويخلصـهم من أعـدائهم بالسـلاح، ولكنمهم فوجئوا بنبيٍّ يدعو إلى الصبر الإيمان بالله ولم تتحقـق فيـه الشـروط الـتي وردت عنـد الأنبيـاء السـابقين - حسب زعمهم - حول المسيح المنتظر وزمانه كنُزول إيليا مرهصاً لـه، ومجيء الخـير والقضـاء على الشـرّ، فلذلك انفضوا من حوله وأظهروا له العدواة.

2- إن علماء الدين عند اليهود رأوا في المسـيح رجلاً جـاهلاً يتطـاول عليهم، وعنـد طائفـة منهم كـانوا يعتبرونه أكثر الفوضويّين خطورة وأضرهم بمصالحهم الدنيوية، فكان أعداؤه ينشـرون أن الأعمـال الخارقـة التي يعملها المسيح مرجعها الشيطان.

3- لأن المسيح عليه السلام قد خـالف بعض تشـريعات اليهـود الـتي تـوجب مخالفتهـا الـرّدّة والكفـر-حسب زعمهم-وذلك كقدسية يوم السبت وتحريم العمل فيه. (ر: سـفر الخـروج (20)، وسـفر العـدد (15). وكالأكل بـدون غسـل الأيـدي. (ر: مـرقس (2)، و(7)، وكالـدعاء على أورشـليم بـالخراب، (لوقـا (21). (ر: المسيحية نشأتها وتطورها ص 44،ـ 45، شارل جنيبر، الفكر الديني اليهودي ص 110-12، د. حسن ظاظـا، اليهودية ص41،42، د. شلبي، محاضرات في النصرانية ص 32، أبو زهـرة، اليهوديـة والمسـيحية ص 250-254، د. محمّد الأعظمي).

===

وأما النصارى فإنهم مجمعون1 على ألوهية المسيح واعتقاد ربوبيته وأنه الإله الذي خلق العـالم وجبـل بيديه طينة آدم.

فـإذا أثبتنـا نبوّتـه وأوضـحنا رسـالته عُـرِف أن الإلـه غـيره، والـرّبّ سـواه، ونحن نثبت ذلـك من كتب النصارى التي بأيديهم ونوضحه من قول المسيح / (1/33/ب) وأقوال تلاميذه الذين صحبوه:

1- قال يوحنا التلميذ: "قال المسيح لتلاميذه: من قَبِلكم وآواكم فقـد قبلـني وآواني ومن قبلـني فإنمـا يقبل من أرسلني. ما من عبد أفضل من سيّده"2.

فهذا يوحنا حبيب المسيح يشهد بأن المسيح لم يَدَّع سوى الرسالة وأن من يقبل منـه فإنمـا يقبـل من الله الذي أرسله، ويذكر أن الله غيره وأن الرّب سواه، وأنه رسول من عند الله وها هـو معـترف بالعبوديـة في قوله: "ما من عبد أفضل من سيّده"، وذلك موافق للكتاب العزيـز إذ يحكي منـه: {قَـالَ إِنِّي عَبْـدُ اللـهِ آتَانِي الكِتَابَ وَجَعَلِنِي نَبِيّاً}. [سورة مريم، الآية: 30].

فإن زعم النصارى أنه سيد الحواريين وأنهم عبيده وأنه عناهم بقوله: "ما من عبد أفضل من سيّده" أكذبهم الإنجيل إذ يقول فيه: "إن الحواريين إخوته". "فقال له قائل: قابل إخوتـك بالبـاب يطلبونـك، فأشـار إلى تلاميذه وقال: هؤلاء إخوتي"3. "وقال له أحدهم: يا سيّد. فقال: لست أدعوكم عبيد بل أنتم

____

1 إن النصارى لم يتفقوا على ألوهيـة المسـيح، إلاّ في القـرن الرابـع الميلادي بعـد مجمـع نيقيـة عـام 325م، بعد أن فـرض الإمـبراطور قسـطنطين على المسيحيين القـول بـذلك بالوعـد والوعيـد والبسـلطة. وبـالرغم من ذلـك فقـد بقيت طوائـف كثـيرة على الاعتقـاد بعـدم ألوهيـة المسـيح. ومن أبرزهـا: طائفـة الأريوسية، وفي العصر الحديث نجـد الكثـير من البـاحثين ومفكّـري النصـارى ينكـرون ألوهيـة المسـيح. (ر: المسيح في مصادر العقائد المسيحية - لأحمد عبد الوهّاب).

2 يوحنا 13/16، 20.

3 متى 12/46-49، مرقس 3/31-34، لوقا 8/19-21.

==

إخوتي"1. "وقال بعد قيامه: قل لإخوتي يسبقوني إلى الجليل"2.

فقد ثبت بقوله رسالته وأن الله غيره وأنه غير الله، والرسول نبي بسفر بين الله وبين خلقه.

فإن قالوا: نسلم أن الله أرسله ولا غرو / (1/34/أ) أن يرسـل اللـه كلمتـه رحمـة لخلقـه ولطفـاً بهم، وذلك أنه لما أرسل الله أنبياءه، فكـذّبوهم وقتلـوهم بعث إليهم ابنـه الـذي هـو كلمتـه فتجسـدت من مـريم البتول ليتهيأ للناس السماع منها والأخذ عنها.

فنقول: هذا تعريج على ثدنات3 الحمق وترويج بِنُنيَّات4 الطرق، وذلك لأن الكلمة عندكم قديمـة، وهي علم اللـه على رأي بعضـهم، ونطقـه على رأي آخـرين. وإذا كـانت الكلمـة قديمـة، فكيـف يصـح إرسـالها؟! أفتقولون إن الأب بعد إرسالها بقي أخرسـاً جـاهلاً بغـير علم ولا نطـق؟! ثم الكلمـة هي صـفة العلم فكيـف تفارق الصفة ذات الباري والصفة لا تفارق موصوفها؟! أو تقولون إن الصفة تقوم بمحلين؟!.

وأخبرونا كيف قَدِر الخلائق على رؤية الكلمة القديمة وثبتوا عند مواجهتها؟! والتوراة تشهد أن موسى بن عمران عليه السلام لم يثبت عند جلال التجلي بل خَرَّ صعقاً وصار الجبل يضطرم ناراً5 وكذلك السبعون شيخاً ماتوا لوقتهم عند سماع كلام الله6.

---

1 يوحنا 15/15، بألفاظ متقاربة.

2 متى 28/10.

3 ثَدِنَ اللحم: تغيرت رائحته. وفلان كثر لحمه وثقل فهو ثَدِن، وأمرأة ثَدِنة:ناقصة الخلق. المراد به هنا: نواقص الحمق. (ر: القاموس ص 1528).

4 بُنَيَّات الطرق: الترهات. (ر: القاموس ص 1633).

5 خروج 16/19-19، تثنية 23/5.

6 خروج 20/19-25، 9/24-18، تثنية5/24، ولم يرد فيها أنهم ماتوا عند كلام الله.

==

الباب الثاني: في إثبات نبوته وتحقيق رسالته

أتقولون إن موسى وصلحاء أصحابه لم يبلغوا من التمكين مبلغ / (1/34/ب) الحواريين الذين زعمتم أنهم شاهدوا الكلمة وخدموها؟! على أن اليهود الملاعنين أيضاً قد شاهدوا المسيح وقاوموه. أفتقولون إن موسى ومن معه من الأشياخ لم يبلغوا من التمكين والقوة مبلغ اليهود؟! هذا وأنتم تروون في التوراة: "إن قوم لوط لما دنوا من الباب يريدون ضيفه برقت من بعض من الملائكة بارقة أعشت أبصارهم، فلم يقدروا على رؤية الملائكة"1.

فمن لم يستطع رؤية مخلوق مثله، كيف استطاع رؤية الرّبّ العظيم والإله القديم؟!

وأخبرونا كيف تقوم الكلمة تتردد بين اليهود في الأرض نيفاً وثلاثين سنة لا يسطع منها نور يغشى الأبصار ويذهل العقول ويزعزع القلوب؟!.

وكيف لم [تتناوبها]2 الملائكة ويترددون إلى خدمتها؟! وهذه التوراة تنطق: "أن ابني هارون حين دنوا من قبة الزمان وبخَّرا بنار غريبة لم يؤذن فيها، نزلت من السماء نار فأحرقتهما بين يدي موسى وهارون وسائر بني إسرائيل"3. "وقد كلم الله موسى من صوب العوسجة فأضاء له الوادي"4.

"وأرسل [أخزيا]5 الملك الكافر خمسين رجلاً ليأخذوا الياء / (1/35/أ) النبي فنَزلت نار من السماء فأحرقتهم ثم بعث آخرين فنَزلت النار فأحرقتهم ثلاث مرات"6.

---

1 تكون 1/19-11.

2 في ص (تنتابها) ولعل الصواب ما أثبته.

3 لاويين 1/10-3.

4 خروج 2/3-4.

5 في ص: (آحاب) والتصويب من النص.

6 الملوك الثاني 1/1-14.

"وألقى بختنصر ثلاثة من أرقاب دانيال النبي في نار عظيمة1 فلم تعد عليهم" "وطرح بختنصر دانيال إلى السباع فلم تهجه"2.

وهؤلاء عبيد لله تعالى، فكيف نكص عنهم الشيطان وتمكن من ربّهم على زعم النصارى حتّى أغرى به شرذمة من أَخَسَّ جنده وهم اليهود فقتلوه وصلبوه؟!إذكان المسيح عندهم هوالله أومتّحداًبه وساكناًفيه.

وأخبرونا كيف تتجسدالكلمةفتصيرلحماًودماًوعروقاً شعراًوظفاراً؟!

أذلك شيء شاهدتموه عياناً فساغ لكم أن تخبروا به الناس وتدعوهم إلى اعتقاده والقول بـه، فـادَّعوا ما بدا لكم، فمن الذي يمسخ الله عقله ويسلخ لبه فيجيبكم إلى دين اعتقـاد أهلـه أن اللـه ولـد علمـهُ، وأن علمه صار إنساناً، وصار ذلك الإنسان إلهاً خالقاً، وأن ذلـك الإلـه قتلـه خلقـه وصـلبوه ونكلـوا بـه؟!! فمـتى تُساعدون على هذه الخرافات التي يأنف منها النوكى والمغفلون والعجائز المثكلون؟

وأخبرونا أليس المسيح عندكم / (1/35/ب) هو الكلمة، والكلمة هي المسـيح؟ فـإذا قـالوا: نعم. قلنـا: فنحن وأنتم نعلم أن المسيح كان يكون منه يكون من الآدميين، أفتصفون الكلمة بأنها كانت بائلة غائطة؟!.

فإن قالوا: البائل الغائط هو الناسوت أبطلوا الاتّحاد وأزروا على يوحنـا الإنجيـل الـذي زعم أن الكلمـة صارت جسداً وحلّت في الناسوت.

وكذَّبوا فولس الذي يسمونه رسولاً في قوله: "إن المسيح ابتاعنا من لعنة الخطيئة بصلبه وقتله فصار لعنة بدلنا"3.

---

1 سفر دانيال إصحاح (2).

2 سفر دانيال إصحاح (6).

3 رسالة بولس إلى أهل غلاطية 3/13.

وسفّهوا إفريم في قوله: "إن اليـدين الـتي جبلت آدم هي الـتي سـمرت بالمسـامير وإن الشِّـبر الـتي مسحت السماوات هي التي علقت بالصليب".

فإذا قالوا: "إن الآكل الشارب البائل الغائط هو الناسوت فقد كفروا بـإفريم وفـولس الرسـول وغـيره من مشائخهم".

وقد نقل عن أكابرهم أنهم قالوا: "من لم يقل إن مريم ولدت الله فهو محروم من ولاية الله"1.

وهم يقرؤون في صلواتهم: "يا والدة الله افتحي لنا أبواب الرحمة، يا من سمرت يده على الصليب لا تضيع من خلقت بيدك".

وإذا كان هذا اعتقادهم فقد اعترفوا بأن الآكل الشارب المقتول المصلوب هو الله، تعالى عن كفرهم علوّاً كبيراً.

فإن قالوا: هذا لازم / (1/36/أ) لكم أيضاً فإنكم موافقون على أن المسيح كلمة الله وقد نطق به قرآنكم.

قلنا: لسنا سواء، فإنا نقول إن الله تعالى شرّفه بتسمية سمّاه بها كما سمّى إبراهيم خليلاً، وسمّى موسى كليماً، وسمّى إسرائيل ابناً بكراً بزعمكم، وسمّى موسى رجل الله، وسمّى عصاه قضيب الرّبّ، وسمّى قبة الزمان خباء الله، كلّ ذلك قد نطقت به كتبكم. والتسميات لا اختلاط لها بالذوات.

---

1 قائل هذا القول هو: غريغورس، وهو من أكابر علمائهم، ويعتقدون أنه يتكلم بروح القدس. (ر: النصيحة الإيمانية ص 19، للمهتدي نصر بن يحيى المتطبب). وهذا الاسم يطلق على أكثر من عالم لاهوتي عند النصارى. من أبرزهم: غريغوس العجائبي (213-270)، أسقف قيصرية، غريغورس المنور (ت 332م) أسقف أرمينيا، غريغورس النازينزي (ت 389م)، بطريرك القسطنطينية، غريغورس النيصي (ت 395م)، أسقف نيسا ومن أشهر معلمي التصوف المسيحي. كما أن هناك (16) باباً من باباوات الكنيسة يحملون هذا الاسم. (ر: فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية 2/272، المنجد في الأعلام ص 505).

==

ألا ترون الشخص الواحد والعين1 الواحدة تسمّى باسمٍ عند قوم وتسمّى باسمٍ آخر عند آخرين، وإذا كان المسيح عندنا قد سمّاه الله: (كلمة) لم يلزمنا ما لزمكم، فأما أنتم أيها الضلال فتقولون: إن كلمة الله انقلبت لحماً ودماً، فأكلت الخبز وشربت الماء وذلك هو الحَيْرة والعماء.

فإن رجعتم إلى الطريقة المثلى وأضربتم عن هذه المقالة الشوهاء، وقلتم: إن النقائص يستحيل دخولها على الله وعلى صفته، فقد تركتم القول بألوهية المسيح وأبطلتم الاتّحاد، وذلك هو المراد؛ ووافقتم المسلمين والأنبياء المتقدمين. قال الله تعالى حكاية عن المسيح {قَالَ إِنِّ عَبْدُ اللهِ}. [سورة مريم، الآية: 30].وقال تعالى في المزامير:"إن المسيح يشبه/(1/36/ب) ملكي صادق"2."ملك عادل الذي كان ببيت المقدس"،وقال الحواريون: "إن يسوع يشبه موسى"،وقال بعضهم:"إن المسيح أفضل من موسى"3.

وقال في الإنجيل: "أنا أفضل من يونس"4.

وقال المسيح: "أتيتم من آفاق الأرض لتسمعوا من حكمة سليمان، وهاهنا أفضل من سليمان"5. يريد نفسه.

وقال في الإنجيل: "إلهي لم تركتني"6؟!.

---

1 العين تقع بالاشتراك على أشياء مختلفة، والمراد هنا: الشيء نفسه.

2 مزامير 110/4. وقد تقدم التعليق. (ر: ص). أن هذا النصّ وغيره من نصوص كتب أهل الكتاب مما لا ينبغي الجزم بنسبته إلى الله عزوجل وإنما تنسب إلى كتبهم.

3 رسالة بولس إلى العبرانيين 1/3-6.

4 متى 1/41، لوقا 11/32.

5 متى 12/32، لوقا 11/31.

6 متى 27/46، مرقس 15/34.

==

وقال في خاتمة إنجيل يوحنا: "إني ذاهب إلى إلهي وإلهكم"1.

فاعترف بأن له إلهاً ورباً فقد ثبتت عبوديته ونبوّته ورسالته.

2- دليل آخر على نبوّته عليه السلام، قال يوحنا التلميذ: "قال يسوع: أنا هو الراعي الصالح وأنا عارف برعيتي وهي تعرفني"2.

وجه الدلالة من ذلك ما اشتملت عليه التوراة والكتب من رعاية إبراهيم ولوط وإسحاق ويعقوب والأسباط وموسى - عليهم السلام - تقدمت لهم مقدمات في رعاية النعم ثم أُهِّلُوا بعد لسياسة الأمم، فالنبي راعٍ من الرعاة، وداعٍ من الدعاة، يذودهم بالإنذار عن مراتع الهلاك ويريهم بأنوار الإيمان أشراك الإشراك، ولو كان الأمر على ما يهتف به النصارى من ربوبيته لم يقل في مجلس محشود ومحفل مشهود: أنا الراعي الصالح، بل كان يرفع / (1/37/أ) الالتباس ويقطع عن الناس الوسواس، ويقول: اعملوا أني أنا الله خالق السماء والأرض وجامعكم ليوم العرض، أو أنا ابن الله أو ثالث ثلاثة، أو أنا الكلمة القديمة اتّحدت بجسم إنسان.

وحوشي3 عليه السلام عن هذا الذيان، بل الذي نصّ عليه ودعا تلاميذه إليه قوله في الإنجيل: "لا صالح إلاّ الله الواحد"4. وقوله: "إن الله لا يأكل ولا يشرب ولا رآه أحد". وقوله: "إني لا أعمل بمشيئتي بل بمشيئة من أرسلني"5. وسئل عن القيامة فقال: "لا يعرفها إلاّ الله وحده، فأما أنا فلا أعرفها"6.

---

1 يوحنا 20/17.

2 يوحنا 10/14.

3 في ص (حوشي).

4 مرقس 10/18، لوقا 18/18.

5 يوحنا 6/38.

6 مرقس 13/32.

==

فقوله: "أنا هو الراعي"، تكذيب للنصارى في دعوى ربوبيته؛ لأن الراعي ليس إليه ملك الغنم بل ملكها لغيره وليس له سوى الرعاية.

وقوله: "وأنا عارف برعيتي وهي تعرفني". فيه دليل على أن الخلائق ليسوا بمعمومين بدعوته، بل لم يبعث إلاّ إلى طائفة من بني آدم لا غير. وقد كشف هذا وأوضحه في موضع آخر: "وهو أن أصحابه سألوه أن يقضي حاجة امرأة من الكنعانيين، فقال: لا يحسن أن يؤخذ خبز البنين فيلقى للكلاب إني لم أرسل إلاّ إلى الذين ضلّوا من آل إسرائيل"1.

فهذه نصوص الإنجيل الناجية من التبديل، وكلها دالة على نبوته ومفصحة برسالته / (1/37/ب) صلى الله عليه وعلى إخوانه من النبيّين والمرسلين.

3- معجزة دالة على نبوّته، قال متى: "جاء رجل أبرص إلى يسوع وسجد له وقال: يا ربّ طهِّرني، فقال: طهرتك. فزال برصه لوقته، فقال له يسوع: اذهب وقرب قرباناً كما أوصى موسى"2.

إن طعن اليهود في هذه الآية وجحدوها ولم يؤمنوا بها، قلنا لهم: ما الدليل على أن هارون وبنيه كانوا يزيلون البرص عن الأبرص3 وذلك شيء لم تشاهدوه؟

فإن قالوا: نقل إلينا بطريق التواتر التي توجب العلم ويقتضي القطع ولا يبقى معها شكّ.

قلنا لهم: فكذلك تواتر واشتهر وانتشر أن المسيح كان يفعل

---

1 متى 15/21-26، مرقس 7/24-28.

2 متى 8/2-4.

3 لاويين 13/1، 2.

==

ذلك، فإن حاولوا طعناً في آية المسيح انعكس عليهم في آية هارون وسائر الرسل، وإذا كانت هذه الآية لا سبيل إلى ردها وجحدها فقد لزم اليهود القول بنبوّته وترك ما هم عليه من التهود1.

وإن حاولوا إسناد ذلك إلى معرفته بالطبّ ووقوفه على خواص تزيل البرص بسرعة، قيل لهم: فلعل موسى أيضاً حين طهر أخته مريم من برصها2 كان قد لطف في علم الطبّ ووقف على خواص فعل بها ما فعل دون أن يكون ذلك معجزة له، وحيث / (1/38/أ) بطل ذاك بطل هذا، وكان ما صدر منهما معجزة من عند الله تعالى.

وإن قال النصارى: بذلك نستدل على ربوبيته إذ سجد له الأبرص، وقال له: يا رب، فلم ينكر عليه، ولو كان ذلك غير جائز لأرشده وقوّم أوده، فإقراره على ذلك وإزالة برصه دليل على ربوبيته.

---

1 الهَود: الرجوع برفق. ومنه: التهويد، وهو مشي كالدبيب، وصار الهود في التعارف التوبة، قال تعالى: {إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ} أي: تبنا.

قال بعضهم: يهود في الأصل من قولهم: هدنا إليك. (ر: المفردات للراغب الأصفهاني ص 546).

وقيل: إنهم سمّوا بذلك لأنهم يتهودون، أي: يتحركون عند قراءة التوراة.

وقيل: إنهم سمّوا يهوداً نسبة إلى يهوذا الابن الرابع ليعقوب عليه السلام.

وجاء في قاموس الكتاب ص 1084: أن كلمة (يهود) أطلقت أوّلاً على سبط أو مملكة يهوذا تميزاً لهم عن الأسباط العشرة الذين سمّوا إسرائيل فصارت تشمل جميع من رجعوا من الأسر من الجنس العبراني ثم صارت تطلق على جميع اليهود المشتتين في العالم. اهـ

وقال البيروني: "إنه قد أبدلت الذال المعجمة دالاً مهملة (يهوذا - يهود). لأن العرب كانوا إذا نقلوا أسماء أعجمية إلى لغتهم غيّرا بعض حروفها". اهـ

وذكر أن الفرس قد أطلقوا على شعب يهوذا اسم اليهود وعلى عقيدتهم اليهودية. فلفظة يهود أعم من بني إسرائيل؛ لأن كثيراً من أجناس العرب والروم وغيرهم دخلوا اليهودية وليسوا من بني إسرائيل. (ر: صبح الأعشى 13/253، الخطط للمقريزي 3/503، قصة العقائد - سليمان مظهر ص 318، اليهودية - د. شلبي ص 92، بنو إسرائيل في القرآن والسنة - د. طنطاوي ص 19، أثر أهل الكتاب - د. جميل المصري ص 25).

2 سيأتي ذكر هذه القصة.

==

الباب الثاني: في إثبات نبوته وتحقيق رسالته

قلنا: ليس في ذلك دلالة على ما انتحلتموه، أما السجود[1] فهو كان سلام القوم وتحيّتهم فيما بينهم، يعرف ذلك من طاع كتبهم وقرأ تواليف المتقدمين منهم.

والدليل على ذلك ما اشتملت عليه توراتهم من "سجود[2] إبراهيم ولوط للملائكة الذين مرّوا بهم لهلاك سدوم"[3]. "وسجود إبراهيم لقم ساومهم في قطعة من الأرض لدفن زوجته سارة فسجد لهم مرتين حين فاتحهم فيها"[4].

والتوراة تشهد أيضاً: "إن إسرائيل حين دخل على يوسف بمصر سجد له هو وأولاده"[5]. وكذلك التوراة: "تشهد أن إفرام ومنشا[6] سجدا ليقعوب جدهما

---

1 ورد في قاموس الكتاب المقدس ص 459، أن السجود يدل عل تقديم الاحترام والإكرام والتحية المتواضعة. (تكوين 37/10، الملوك 1/53، متى 9/18). وهذا النوع من السجود لا يزيد عما يقدمه الناس لمن يكرمونه من الأمراء أو الحاكم ولا يزيد على الانحناء أمامهم، ويوجد سجود آخر يفهم من القرينة أنه تقديم التعبد لله. (تكوين 24/48، ويوحنا 4/24). اهـ

2 تكوين 18/1، 2، 19/1.

3 سدوم، أرض قول لوط الذين أهلكهم الله، وهي إحدى مدن السهل الخمسة وتقع الآن تحت الماء في جنوب البحر الميت، وقد صارت خطيئة سدوم ومصيرها مضرب الأمثال، كما أن خطيئة "السدومية" أو الشذوذ الجنسي أخذت اسمها من سدوم. (ر: قاموس ص 460، 461).

4 تكوين 12-23/2، وفيه: (...فقام إبراهيم وسجد لشعب الأرض لبَنِي حِتٍّ).

5 لم أجد في التوراة المحرفة أن يعقوب (إسرائيل) وأولاده سجدوا ليوسف حينما دخلوا عليه بمصر. (ر: تكوين 31-46/28). ولكن ذكر فيها أن إخوة يوسف قد سجدوا له عندما جاءوا يطلبون الطعام منه أوّل مرة. (ر: تكوين 43/28).

وقد وصف القرآن الكريم دخول يعقوب وبنيه على يوسف بقوله: {فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً...}. [سورة يوسف، الآيتان: 99-100]. قال ابن كثير في تفسره 2/509: "وقد كان هذا سائغاً في شرائعهم إذا سلموا على الكبير يسجدون له. ولم يزل هذا جائزاً من لدن آدم إلى شريعة عيسى عليه السلام، فحرم هذا في هذه الملة وجعل السجود مختصاً بجناب الرّبّ سبحانه وتعالى. هذا مضمون قول قتادة وغيره".

6 منسى وإفرايم: اسمان عبريان معناهما: (من ينسى)، و(الأثمار المضاعفة) وهما ابنا يوسف عليه السلام، وقد ولدا بمصر. (ر: قاموس ص 90، 924).

==

بحضرة أبيهما يوسف فدعا لهما وبارك عليهما"1. ولم ينكر فعلهما.

وأما قوله: "يا ربّ"، فسيأتي الكلام عليه - إن شاء الله - في باب تأويل ظواهر الإنجيل ونبيّن / (1/38/ب) أنه لفظ يخاطب بها الأكابر والعظماء من الناس، وذلك مشهور في كلّ ملة.

فأما تطهير الأبرص فليس فيه دلالة على ربوبية عسى عليه السلام وألوهيته، بل ينتهض ذلك دليلاً على تقريبه من ربّه ومزيته، ولو جاز أن يتخّذ المسيح بذلك ربّاً لجاز ذلك في حقّ اليسع عليه السلام؛ إذ قد روى النصارى واليهود في كتاب سفر الملوك من كتبهم: "أن نعمان2 الرومي برص فرحل إلى اليسع من بلده واستأذن عليه فلم يأذن له، بل قال لرجل من أصحابه: "قل له ينغمس في الأردن سبع مرات"، ففعل الرجل فبرأ من برصه لوقته ورجع إلى بلده معافى فاتبعه غلام للمسيح يقال له: (حِجْزا)3 وأوهمه أن المسيح أرسله يطلب منه مالاً ففرح نعمان بذلك وأعطاه مالاً وجوهراً ثميناً فأخفاه الغلام وجاء إلى اليسع، فقال له اليسع: تبعت نعمان وأوهمته عني كذا وكذا، وأخذت منه كذا وخبأته في موضع "كذا، إذ فعلت ذلك فليصر برصه عليك وعلى نسلك. فبرص الغلام مكانه"4.

فهذا نبيّ الله اليسع قد فعل ما هو أعجب من فعل المسيح / (1/39/أ) لأنه أبرأ نعمان وبرَّص الغلام ونطق بالغيب، وقد أشار الإنجيل إلى طرف من القصة.

---

1 تكوني 21-48/8.

2 نعمان الرومي: رئيس جيش بنهدد ملك الآراميين في أواسط سورية. (ر: قاموس ص 973).

3 حيجزى: اسم عبري معناه: "وادي الرؤية"، غلام النبي المسيح ورفيقه. (ر: ص:279).

4 سفر الملوك الثاني، الإصحاح الخامس.

فأما التوراة فهي تنطق: "أن مريم ابنة عمران[1] أخت موسى وهارون تَغَرَّبت على موسى في أمر من الأمور فلما صعدوا إلى قبة الزمان وكلّمهم الله سبحانه تهدد مريم جدا وغضب عليها، فلما خرجت من القبة نظر إليها هارون أخوها فإذا هي قد ضربت بالبرص من قرنها إلى قدمها، فرق لها هارون وسأل موسى أن يدعو الله لها فدعا لها فشفيت"[2].

وهذه الأنبياء قد فعلت ما هو مثل فعل المسيح وأعجب منه.

فإن قال النصارى: "إن موسى واليسع وغيره كانوا يفعلون ذلك ولكن بعد ابتهال إلى الله ودعاء وطلب ورغبة، فأما المسيح فإنه كان يخترع ذلك اختراعاً من نفسه من غير دعاء ونداء.

قلنا لهم: من سلم أن المسيح كان يفعل ما يفعل غير مبتهل إلى الله ولا طالب إليه، والدعاء لا يشترط لإجابته الإعلان، فإن الداعي يناجي بحوائجه من استوى عند السر والجهر، ومن أين لكم أن المسيح كان لا يدعو ربه / (1/39/ب) سرّاً؟! على أنا نريكم عدة مواضع من الإنجيل الذي بأيديكم يشهد أنه كان لا يفعل معجزاً إلاّ بعد أن يسأل الله ويضرع إليه ويُعَوِّل في نُجْح مطالبه ومآربه عليه، قال في الإنجيل: "عندما أحيا حبيبه العازر ورفع بصره إلى جهة السماء: يا

---

1 مريم ابنة عمران - أخت موسى وهارون - يذكر عنها قاموس الكتاب ص 856 أن اسمها عبري معناه: (عصيان)، ويظن أنها أكبر من موسى نحو عشر سنين، وقد ماتت ودفنت في قادش. (وهي على مسافة (50ميلاً) من بئر سبع إلى الجنوب" اهـوكانت في نظر اليهود والنصارى نبية من الأنبياء. (ر:سفر الخروج15/20).

2 قبة الزمان هي ما يسمى في التوراة بـ: "خيمة الاجتماع"، وأطلق عليها اسم علم: "بيت الرّبّ"، وتسمّى أيضاً بـ: "المسكن"، و"ومسكن الشهادة"، وقد أمر الله موسى عليه السلام ببنائها في البرية وتنقسم إلى ثلاثة أجزاء: المسكن، والخيمة، والغلطاء. (ر: سفر الخروج: إصحاح (30) ـ (35)، وقد كانت مركز عبادة بني إسرائيل وتقديم قرابينهم. (ر: قاموس ص 352-354).

[أبت][1] أشكرك لتستجيب لي وأنا أعلم أنك تستجيب لي في كلّ حين، ولكن أشكرك من أجل هؤلاء الفئام ليعلموا أنك أرسلتني"[2]. فها هو قد أكذب النصارى في دعواهم أنه كان يخترع من تلقاء نفسه من غير دعاء وابتهال. وقال فيما حكاه النصارى عنه: "إلهي إن كان يحسن صرف هذا الكأس فاصرفها عني كما تشاء أنت لا كما أشاء أنا"[3].

وهذا شيء لم نسمعه إلاّ منهم فقد وضح كذب مورد السؤال.

فأما موسى عليه السلام فالتوراة تشهد بأنه كان يلقي عصاه فتصير ثعباناً ثم يأخذها فتعود خشبة4 ثم يلقيها فتعود شجرة وتمد أغصاناً وتثمر لوزاً5 ثم يتناولها فتعود عصا ثم يضرب بها النيل فينقلب دما ثم يضربه / (1/40/أ) فيرجع ماء6 كل ذلك من غير سؤال ولا استغاثة.

وقد أحيت تربة قبر اليسع ميتا7، وأبرأ يوسف عيني أبيه من غير سؤال ولا

---

1 في ألأصل: يأبه، والتصويب من النص.

2 يوحنا 11/41-43، بألفاظ متقاربة، وقد ورد في الأناجيل ذكر معجزة إحياء المسيح عليه السلام للموتى ثلاث مرات هي:

الأولى: إحياء ابنة يَايِرُس - رئيس المجمع - ورد ذلك في إنجيل متى 9/18-39، وإنجيل مرقس 5/21-43، ولوقا 8/40-56.

الثانية: إحياء ابن الأرملة - انفرد بذكرها لوقا 7/11-17.

الثالثة: إقامة العازر - انفرد بذكرها يوحنا.

3 متى 26/39، بألفاظ متقاربة.

4 ر: سفر الخروج الإصحاح السابع.

5 إن ما ورد في التوراة سفر العدد 17/8-10، يفيد أن عصا هارون هي التي أصبحت شجرة وأزهرت وأنتجت لوزاً وليست عصا موسى كما ذكره المؤلف.

6 ر: سفر الخروج الإصحاح السابع.

7 سفر الملوك الثاني 13/20، 21.

==

دعاء1، وأحرق إيليا ثلاثة عساكر بنار نزلت من السماء2 ولم يتقدم منه دعاء ولا طلب فعل ذلك عدّة من الأنبياء، فأما المسيح فقد بينا أنه كان في غالب أمره يدعو ويضرع كما قدمناه، ولم ينقل أن واحداً ممن سَمَّينا ضُرب ولا غُلب، فأما المسيح فالنصارى تزعم أنه قتل وصلب.

والعجب منا ومنهم فإنا نعتقد نبوّته وسلامته وهم يعتقدون ربوبيته وعطبه، لقد تباعد ما بيننا وبينهم.

4- معجز دال على نبوته، قال مى: "جاء رئيس من الرؤساء إلى يسوع فقال: إن ابني قد ماتت فلعل تأتي إلينا فتضع يدك عليها، فمضى معه ووضع يده عليها، فعاشت ابنة الرجل"3.

فإن أنكر اليهود ذلك مع تواتره وأكذبوا التواتر انعكس عليهم في نبوة أنبيائهم وإن زعموا أنه فعل ذلك تخييلاً، قيل لهم: ولعل قلب العصا حيواناً يسعى كان أيضاً تخييلاً / (1/40/ب) وشعبذة4 ودكا، فقد لزمهم القول بنبوة المسيح بالطريق التي لزمهم القول بنبوة موسى وغيره. ولو تطرق التشكيك إلى نبوة المسيح مع ظهورها لم يثبت نبوة نبيٍّ ولا استقرت رسالة رسول.

---

1 قال تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام: {اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لأجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلا أَنْ تُفَنِّدُونِ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلالِكَ الْقَدِيمِ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ}. [سورة يوسف، الآيات: 93-96].

2 سفر الملوك الثاني إصحاح (1).

3 متى 9/18-26.

4 شعوذ الرجل شعوذة ومنهم من يقول: "شعبذة شعبذة"، وليس من كلام أهل البادية. وهي لعب يري الإنسان منه ما ليس له حقيقة كالسحر. (ر: المصباح ص: 314).

==

وإن قال النصارى: ذلك دليل على ربوبيته إذ لا قادر على إحياء الموتى سوى الله تعالى، قال الله: {وَالمَوْتَى يَبْعَثُهم الله...}. [سورة الأنعام، الآية: 36].

قلنا: فيلزم على ذلك أ، تعتقدوا ربوبية كل من أحيا ميتاً وتتخذوه ربّاً، وقد قال عندكم في كتاب سفر الملوك إن إلياس أحيا ابن الأرملة1، وأن اليسع أحيا ابن الإسرائيلية2 وأن حزقيال أحيا بشراً كثيراً يقال إنهم ستّون ألفاً أحياهم في ساعة واحدة3، وهذا أعجب من إحياء المسيح نفسين أو ثلاثة.

والتوراة تشهد إن موسى كان يقلب عصاه ثعباناً، فبينما هي خشبة إذ عادت حيواناً ذا عينين يأكل ما مرّ عليه4، وقلب الخشب حيواناً أبدع من إعادة الروح إلى ميت.

5- معجز دال على نبوة المسيح، قال متى: "حضر إلى يسوع أعميان فقالا: ارحمنا يا ابن داود، فقال: أتؤمنان؟ قالا: نعم. فلمس أعينهما وقال: / (1/41/أ) كإيمانكما يكون لكما. فانفتحت أعينهما، فقال: لا تقولا لأحد شيئاً"5.

فإن أنكر اليهود هذه الآية وطرقوا إليها المطاعن، قيل لهم: بأي طريق ثبت لكم "أن موسى عليه السلام شكا إليه [بنو]6 إسرائيل الحيات التي لدغتهم في

____

1 الملوك الأوّل 17/17-24.

2 الملوك الثاني 4/18-37.

3 حزقيال 37/1-10.

4 الخروج 7/10-13.

5 متى 9/27-30، بألفاظ متقاربة.

6 في ص (بنوا) والصواب ما أثبته.

==

التيه فاتّخذ لهم حيةً من نحاس ونصبهم على خشبة وقال: من لدغته أفعى فلينظر إلى تلك، ففعلوا وصحوا"1.

فإذا قالوا: "التواتر والنقل المستفيض يشهد به. قيل لهم: فاقتعوا منا بهذا الجواب.

وإن قال النصارى: ذلك دليل على ربوبية المسيح.

قلنا لهم: لو جاز ادعاء ربوبيته بذلك لجاز لآل يوسف أن يدّعوا ربوعيته بمثله؛ إذ التوراة تشهد أنه أبرأ عيني والده يعقوب بعد ذهابهما، ولما لم يجز التمسك بذلك في الربوبية لم يجز هذا، والمسيح أمرّ بستر ذلك، ويوسف لم يأمر به، فيدل على أنه أقوى حالاً وأعظم تمكيناً من غيره.

ومعلوم عندكم: "أن موسى قد ضرب بعصا كثيب رمل فانهال قملاً لكل واحدة عينان تبصر بهما"2. وهذا أعجب من فعل المسيح؛ لأن فيه خلق الحيوان كله، وذلك رد الصحة على جارحة من جوارحه بعد ذهابها.

وقد / (1/41/ب) شهد متى صاحب المسيح أن المسيح لا يعلم المغيبات "إذ يقول للرجلين: أتؤمنان؟ فقالا: نعم". وأنه لم يعلم بإيمانهم بعد قولهما حتى علق الشفاء على إينمانهما، "فقال: مثل إيمانكما يكون لكما". فضاهى ذلك قوله: "وقد

---

1 العدد 21/6-9، وقد آل أمر هذه الحية النجاسية في بني إسرائيل في السنين التالية أنهم عظموها وغلوا في أمرها حتى عبدوها وأصبحت صنماً إلى أن حطمها حزقيا. (ر: سفر الملوك الثاني إصحاح (18)، وقد كان التطرف والانحراف عن الشريعة الإلهية عادة في بني إسرائيل ثم أصبحت هذه الحية شعاراً ورمزاً لليهود ولجمعياتهم السّرية الصهيونية كالماسونية وغيرها. كما أنهم يشبهون أن أحلامهم في السيطرة على العالم بالأفعى التي تلف حول الكرة الأرضية فيلتقي رأس الحية بذنبها في فلسطين المحتلة.

2 الخورج 8/16، 17، و القُمَّل: صغار الذباب، قال تعالى: {وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ}. والقمل معروف. (ر: المفردات للأصفهاني ص 413).

==

سئل عن يوم القيامة فقال: لا أعلمها. بل الله وحده هو الذي يعلم ساعته ووقتها".

وبذلك نرد على من زعم أنه من جوهر الأب، حيث قالوا في الأمانة: "المسيح إله حقّ من إله حقّ من جوهر أبيه". وهذه الفصول من الإنجيل تكذب تلك الأمانة وتُخطِّئ من ألفها إذ لو كان من جوهر الأب لكان علمه من جوهر عمله، ومشيئته من جوهر مشيئته، وسائر صفاته من صفاته، ولم يكن جسماً ذا شعر وبشر، بل المسيح من جوهر أبيه داود وإبراهيم فهو إنسان حقّ من إنسان حقّ من جوهر أبيه، والعجب أن المسيح عليه السلام رضي من الرجلين أن نسباه إلى داود وقضى حاجتهما ولم ترضَ النصارى له بما رضيه

لنفسه حتى نسبوه نسبة خالفوه فيها وأسخطوا الله وأضحكوا منهم سائر / (1/42/أ) طوائف آدم، على أن قول الرجلين له: "يا ابن داود" لوكان خطأ منهما، لم يقرّهما المسيح على الخطأ، ولاسيما خطأ هو كفر!1.

وكيف يسمعهما ينطقان بالكفر وهو إنما جاء ليخلص الناس منه؟! بل قد سمع ذلك منهما فأقرهما عليه وشفاهما، وذلك منه بما نسباه إليه من نبوة داود، وكيف لا يرضى بذلك منهما وهي النسبة الجليلة التي نسبه بها جبريل الملك حين بشر به مريم بالناصرة كما شهد به لوقا في إنجيله: "إذ يقول لها: إنك تقبلين حبلاً بولد اسمه يسوع يجلسه الرّبّ على كرسي أبيه داود"2. فالويل للنصارى، لم يرضوا له النسبة التي نسبه بها الحواريون، وارتضاها المسيح من أهل زمانه، وجاء بها جبريل من عند الله.

---

1 يعني: أن قول الرجلين للمسيح عليه السلام: "يا ابن داود"، كفر على مقتضى اعتقاد النصارى بأنه ابن الله، فكيف يقرّهما المسيح عليه السلام على ذلك ولا ينكر عليهما؟! وهذا من باب إلزام النصارى الحجة ببشرية المسيح وعبوديته.

2 لوقا 1/30-32.

==

فمن عذيري1 من قوم لبسوا عقولهم مقلوبة يتنكبون السبيل ويرتكبون خلاف ما في الإنجيل؟!.

نكتة: قال متى: "سمع يوحنا وهو السجن بأعمال المسيح فأرسل إليه اثنين من تلاميذه، وقال: قولوا له أأنت الآتي أو يرجى آخر؟ فقال يسوع: اذهبا وأخبرا يوحنا بما رأيتما وسمعتما العمي يبصرون والعرج يمشون، والبرص يطهرون،/(1/42/ب) والصمّ يسمعون، والموتى يقومون، فطوبى لمن لم يشك فِيَّ، فلما ذهب التلميذان قال يسوع: هذا الذي كنت من أجله، هو ذا أنا مرسل ملاكي قدام وجهك ليستهل طريقك، الحق أقول لكم، إنه لم تلد النساء أفضل من يوحنا، والصغير في ملكوت الله أفضل منه، بماذا أشبه هذا الجيل الشرير؟ أشبهه بصبيان يصيحون بإخوانهم قائلين: زمنا لكم فلم ترقصوا، ونحنا لكم فلم تبكوا، جاء يوحنا لا يأكل ولا يشرب، فقالوا: به شيطان، جاء ابن الإنسان يأكل ويشرب، فقالوا: إنسان أكول شريب خمر خليل العشارين والخطاة، فتبررت الحكمة في بينها"2.

قلت: كيف يعتقد في المسيح الربوبية وهذا نبي الله يحيى بن زكريا يرسل إليه: "أأنت الآتي أو يرجى آخر؟". فإن كان هذا الشّكّ من يوحنا لا يقدح في إيمانه ونبوته فالمسيح ليس بإله؛ لأن الشّكّ في الإله كفر.

وإن كان المسيح إلهاً كما يهذي به النصارى فقد كفَّروا يوحنا هذا. أفتدعي النصارى - ويلهم - أن يحيى بن زكريا كان جاهلاً بربّه مع قول المسيح: "إن النساء لم تلد أفضل منه؟". فشهادة المسيح / (1/43/أ) ليوحنا بأنه أفضل أهل زمانه دليل

---

1 أي: من يلومه على فعله وينجي باللائمة عليه ي بيان فضائح النصارى وسخافاتهم وضعف عقولهم؟ (ر: المصباح المنير ص 399).

2 متى 11/2-19، بألفاظ متقاربة وقد اختصر المؤلِّف بعض النصوص.

==

على غلط النصارى في دعوى ربوبية المسيح، إذ لو كان كما قولوا لكان الأولى باعتقاد ذلك يوحنا، وإنما أرسل يوحنا يسأل عن النبوة والرسالة، فلما أحاله على رؤية الخوارق والتي هي أعلام النبوة زال تردده في نبوته.

وأما قول المسيح: "والصغير في ملكوت الله أفضل منه"، فيعني بالصغير نفسه جرياً على عادته في سلوك التواضع، وفي ذلك دلالة على نبوته من قوله؛ لأن الأفضلية لا تثبت إلاّ بين فاضلين اشتركا في أصل الفضل ثم ترجح أحدهما على الآخر بمزيد من الفضل، ولا يحسن أن يقال: إن الباري جل وعلا أفضل من زيد أو عمرو.

مناقشة: قلب النصارى الحكمةَ وأبدلوها وحرفوا كتب الله وبدلّوها، وصفوا يوحنا بصفة الأرباب في استغنائه عن الطعام والشراب، فقالوا: "كان يوحنا لا يأكل ولا يشرب". واعتقدوا في المسيح الربوبية مع وصفهم له بنقص العبودية، فقالوا: "كان المسيح إنساناً أكولاً شريب خمر"1. فسخر / (1/43/ب) منهم ذووا الألباب وآضوا2 سُبَّةً على ممرّ الأحقاب.

مناقشة: زعم النصارى أن المسيح كان يتردد إلى أورشليم للاستفادة والتعليم ويسائل الأحبار عن الأخبار3 ثم اعتقدوا أنه الذي أنزل التوراة على الكليم وفدى الذبيح من يد إبراهيم، فيقال لهم: يا ممسوحي الحلوم ومسلوخي الفهوم، كيف يتعلم كتاباً هو الذي أنزله أو يتلمذ لرسول هو الذي أرسله؟!.

6- معجزة دالة على نبوته عليه السلام، قال متى: "حضر إلى يسوع رجل يابس اليد، وذلك بحضرة جماعة من اليهود، فسألوه: هل يحل أن تداوي في

---

1 متى 11/، 18، 19.

2 أي: صاروا، آض كذا: صار وفعل ذلك. (ر: القاموس ص 821).

3 لوقا 2/41-50.

==

السبت؟! لكي [يَنُمُّوا]1 عليه، فقال لهم يسوع: "أي رجل منكم يسقط خروفه في بئر في يوم السبت فلا يقيمه؟!، فالإنسان أولى من الخروف، ثم قال للرجل: امدد يدك، فمدّها فصحت وعادت كالأخرى، فخرج اليهود متآمرون في إهلاكه، فعلم يسوع سرّهم، وانتقل من هناك فتبعه مرضى فشفاهم" 2.

قلت: هربه وتواريه غير قادح في نبوته ولا غاض من رسالته، فذلك كثير ما اتّفق لأنبياء الله وصوفته / (1/44/أ) غير أنه لا يليق بجلال الربوبية، وهو يقدح في قول النصارى إن المسيح إنما نزل من السماء وتجسد من روح القدس وولدته مريم وحلّ في هذا العالم لخلاص آدم وذريته م الجحيم ببذل دمه حتى يكون مؤدياً ما وجب على آدم بأكله الشجرة، فلو كان الأمر على ما يهذون به لما فرّ من ذلك وتوارى وتَحَوَّل من بلدة إلى بلدة أخرى من أمر إنما جاء وتَعَنَّى بسببه، إذ في تأخير قتله استدامة آدم وذريته في العذاب.

فإن قال النصارى:"إنما تَحوَّل واختفى لأن ساعة أجله لم تحضربعد".

قلنا: فكان الأولى أن لا يتحول إذاً، إذ كان لبثه لا يجر إليه مكروهاً ولا يسلط عليه سفيهاً، وما أحسن3 إلهاً له ساعة ترتقب وأجل ينقرض وينقضب.

7- مضاهاة كلام المسيح لكلام الرسل - عليهم السلام -، قال متى: "أتي يسوع بأعمى به شيطان أخرس فأبرأه، فعظم الجمع ذلك، فقال الفريسيون: "إنما يخرج الشياطين ببعل زبول رئيس الشياطين، فعلم يسوع سرهم، فقال: لا يستطيع أحد أن يدخل بيت القوي وينهب متاعه / (1/44/ب) إلاّ أن يربط القوي أوّلاً ثم يأخذ متاعه، من ليس معي فهو عليّ، ومن لا يجمع معي فهو يفرق، إن كلّ

1 في ص (ينمو)، الصواب ما أثبته.

---

2 متى 12/10-15، بألفاظ متقاربة.

3 أسلوب التهكم والسخرية من معبود النصارى.

==

تجديف يترك للناس، والتجديف على روح القدس، لا يترك في هذا الدهر ولا في الدهر الآتي"1.

قوله: "كل تجديف يترك للناس والتجديف على روح القدس لا يترك"، مواطئ لقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن كذباً عليّ ليس ككذب على أحد، فمن كذب عليَّ متعمداً فليتبوّأ مقعده من النار"2. غير أن بين الكلامين في المقدار ما بين الدرهم والدينار.

8- دليل على نبوته من قوله: قال متى: "قال له قوم من الكتبة: يا معلم نريد أن ترينا آية، فقال: الجيل الشرير الفاسق يطلب آية فلا يعطى إلاّ آية يونان النبيّ؛ لأن يونان أقام في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال، كذلك ابن الإنسان يكون في قلب الأرض وبطنها ثلاثة أيام وثلاث ليال. رجال نينوى يقومون في يوم الحكم ويحاكمون هذا الجيل لأنهم تابوا بدعوة يونان وها هنا أفضل من يونان"3.

قلت: هو ذا المسيح قد صرح بنبوته في عدة / (1/45/أ) مواضع من هذا الكلام:

- أحدها: تقرير الكتبة على قولهم له: يا معلم، ولم ينكر عليهم ويقول: كذبتهم بل أنا ربكم أو ابن إلهكم، كما لفق النصارى في أمانتهم التي بأيديهم.

---

1 متى 12/22-32.

2 حديث متواتر أخرجه البخاري عن علي والزبير بن العوام وأنس بن مالك وسلمة ابن الأكوع وأبي هريرة وغيرهم رضي الله عنهم. (ر: فتح الباري 1/200-203، ومسلم 1/9،. 10-4/2298) عن أبي سعيد وغيره، وأخرجه أبو داود 3/319، والترمذي 4/454، وابن ماجه. (ر: صحيح ابن ماجه 1/11-13)، وغيرهم.

واللفظ الذي أورده المؤلّف أخرجه البخاري في كتاب الجنائز باب (33). (ر: فتح الباري3/160، ومسلم 1/10، وأحمد 4/245)، من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

3 متى 12/39، 40.

==

الباب الثاني: في إثبات نبوته وتحقيق رسالته

وكيف يجوز إقرارهم على الخطأ في ذات الله، بل إنما أقرهم على الصواب، إذ قال لهم في الإنجيل غير مرة: "إن الأنبياء كلهم [معلِّمون]1").

- والثاني: تسويته بين نفسه وبين يونان النبي في جريان المقدور، ويونان2 هو يونس3 بن متى عليه السلام، ومحاكمة أمة يونس لأمته يوم القيامة.

- والثالث: تفضيله نفسه على يونان، وقد قلنا: إن التفضيل إنما يكون بين فاضلين رجح أحدهما على الآخر، ولا يحسن بين الملك والأتوني4، فكيف يحسن بين الله وعبد من عبيده، قال تعالى: {وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ}.[سورة الإسراء، الآية: 55].ولا غرو أن يفضُل المسيح يونس كما فضُل محمّد سائر الرسل على ما نوضحه إن شاء الله في الباب العاشر من هذا الكتاب.

فأما قوله: "إن ابن الإنسان يكون في قلب الأرض وبطنها ثلاثة أيام وثلاث ليال"، إن سلم عن الاختلاق فذلك محمول على الشبه / (1/45/ب) الذي قتله اليهود وصلبوه فإنه ابن الإنسان، فأما المسيح فهو عندكم معشر النصارى ابن الله، وإلاّ فما بالكم في صلواتكم وبيعكم لا تدعون المسيح ابن الإنسان، فتقولون في أدعيتكم وقراءتكم: يا ابن الإنسان اغفر لنا، يا ابن الإنسان ارحمنا، هذا شيء لا تقولون به ولا تستجيزون إطلاقه، فكيف صرتم إذا لدغتكم حجاج

____

1 في ص (معلمين) الصواب ما أثبته.

2 يونان: الصيغة السريانية للاسم العبري (يونه) ومعناه: حمامة، وهو ابن متاي من سبط زبولون، وقد تنبأ في أيام يربعام الثاني ملك السامرة، وينسب إليه. (سفريونان) مكون من أربعة إصحاحات. (ر: سفر يونان، قاموس ص 1126-1128).

3 يونس بن متى عليه السلام، وردت نسبته إلى أبيه في حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ما ينبغي لعبد أن يقول: إني خير من يونس بن متي". "ونسبه إلى أبيه". أخرجه البخاري. (ر: فتح الباري 6/450)، ومسلم 4/1846.

4 الأتان: الأنثى من الحمير، والأتون وزان رسول، قال الأزهري: هو للحمام والجصاصة. وجمعه: أتاتين. (ر: المصباح ص 3).

الحقّ تستروحون إلى ما لا تقولون به؟! هل ذلك إلاّ حيرة وضلال وغلو في عبادة الرجال؟! على أنا نريكم من الإنجيل ما يسيء ظنكم بهذا الفصل وينفركم من القول بصحته وذلك أن الإنجيل الذي بأيديكم يشهد أن المصلوب لم يمكث في بطن الأرض وقلبها سوى يوم واحد وليلتين لا غير، لأن الإنجيل يشهد: "إن يوسف الرامي1 استوهب الجسد من فيلاطس2 القائد عَشية الجمعة ودفنه في قبر كان قد اتّخذه له ليلة السبت، وبقي يوم السبت مدفوناً، وطلب بكرة يوم الأحد غلساً فلم يوجد سوى الأكفان في القبر موضوعة بشادة مريم المجدلانية3 خادمة المسيح وغيرها"4.

فلم يلبث سوى يوم / (1/46أ) وليلتين، فقد اختلف قولكم أنه يقيم في قلب الأرض وبطنها ما أقام يونان في بطن الحوت وهو ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ5.

فأي وثوق بقي يحصل لعاقل بكم؟ وأي طمأنينة تتفق بنقلكم؟ وأية حجّة

---

1 يوسف الرامي: من الرامة وكان صالحاً غنياً، ولقد كانت الشريعة اليهودية تقضي بألا تبيت جثة المحكوم عليه بالإعدام على آلة التعذيب، والقانون الروماني يجيز لذوي المحكوم عليه بالإعدام أن يطالبوا بجسده ويأخذوه وهذا مما حفز يوسف على طلبه جسد المسيح من القائد بيلاطس. (ر: قاموس الكتاب ص 1119).

2 بيلاطس النبطي: الحاكم على فلسطين من قبل الحكومة الرومانية سنة 29م، وكانت قيصرية مركز ولايته، وقد أقيل من وظيفته لقسوته ونفي إلى فرنسا ومات هناك، ويعتقد النصارى بأنه تمت على يده محاكمة المسيح. (المرجع السّابق، ص: 207، 208).

3 مريم المجدلية: وكان المسيح قد أخرج منها سبعة شياطين، فلذلك اتبعته، وكانت معه وقت الصلب والدفن - على حدّ زعمهم - وقد شرفها المسيح بحديثه معها بعد قيامته. (المرجع السّابق، ص: 207).

4 إنجيل مرقس إصحاح 15، 16.

5 سيأتي بيان المزيد من التناقض في قضية دفن المسيح ومكثه في القبر - حسب زعم النصارى - في الباب الرابع من هذا الكتاب إن شاء الله.

لكم على تصحيح مذهبكم في القتل والصلب بعد صدور هذا الكذب الشنيع؟!.

فإذا كان هذا تحريفكم في أمر يتعلق بالعدد مما لا تعظم فيه المؤنة ولم تشتد الكلفة، فكيف يوثق بكم فيما وراءه؟! ونحن إذا انتهينا معكم إلى ذكر القتل والصلب أريناكم غلطكم في دعوى قتل المسيح وصلبه وأبدينا لكم من الأناجيل التي بأيديكم ما يدل على خلاف ما صرتّم إليه وأرشدناكم إلى وجه

الاستنباط منه؛ رجاء الأجر فيكم والمثوبة في هداية بعضكم، وتبصرة وإيضاحاً لإخواننا المسلمين،وتعريفاً لهم مصداق قول ربنا جل اسمه: {وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُم}. [سورة النساء، الآية: 157].

9- معجزة دالة على نبوة المسيح عليه السلام، قال متى: "حضر إلى يسوع جمع كثير وليس عنده إلاّ / (1/46/ب) خمس خبزات [وحوتان]1 فرفع بصره إلى السماء ودعا وبارك على الطعام فأكل الجمع وشبعوا وفضلت كسر كثيرة"2.

إن قدح اليهود في هذه الآية وزعموا أنها قُيدت في الإنجيل هي وأخواتها من غير أن يكون لها صحة، فيقال لهم: فما يؤمنكم أن يكون أيضاً قد قيل في كتاب التوراة التي بأيديكم ما ليس له صحة ولا تحقيق؟ فإن زعموا أن أسلافهم الذين نقلوا إليهم خوارق التوراة انتهوا في الثقة والديانة والصدق والأمانة إلى حدّ أمنوا معه هذه الغائلة، أجيبوا بمثل ذلك، وقيل لهم: الناقلون لمعجزات المسيح أيضاً انتهوا من الدين والتقى والعفاف إلى غاية انتفت عنهم أسباب التهم.

____

1 في ص (حوتين) الصواب ما أثبته.

2 متى 13/14-21.

==

الباب الثاني: في إثبات نبوته وتحقيق رسالته

وإن قال النصارى: هذه الآية تدل على ربوبية المسيح، قلنا: كيف ذلك، وها هو قد رفع وجهه إلى السماء وحرك أخلاف الإجابة بأنامل الدعاء، وهذا هو دأب الأنبياء وسنة الأولياء إذ دُفِعوا لبثِّ الحقّ وإرشاد الخلق رغبوا إلى معبودهم وطبلوا إليه ما يحقق قصدهم ويعرف أممهم / (1/47/أ) صدقهم والخلائق عيال الله، والنبي نائب عنه في إيصال رزقه إلى خلقه، وبالجملة فلو جاز أن يعتقد في المسيح الربوبية بمثل هذه الدعوى لجاز أن يعتقد في موسى: "بإطعام قومه المن والسلوى وهم يزيدون على ستمائة ألف نفس سوى النساء والصبيان. فأما المن فكان يسقط على الأرض الليل كله كصفائح الجليد أبيض كحب الكزبرة وطعمه كشهد العسل، وأما السلوى فطائر السمان كان يتراكم على الأرض في عسكر بني إسرائيل حتى ملأ الرحاب"1. وهذا أعجب من فعل المسيح في الحوتين والخمسة الأرغفة؛ إذ آية المسيح تكثير خبز موجود، وآية موسى إيصال خير مفقود وقد اشتملت التوراة على عدة من الخوارق لم يأت المسيح بنظيرها فنسمح بشطرها.

10- بعد ذوي اليسار2 عن مقام الأبرار، قال متى: "قال رجل ليسوع: يا معلم ما أعمل من الصلاح لأرث الحياة الدائمة؟ فقال: احفظ الوصايا، قال: وما هي؟ قال: لا تقتل. لا تزن، لا تسرق، لا تشهد بالزور / 1/47/ب)أكرم أباك وأمك، وأحبب قريبك مثلك، فقال الرجل:كل هذا قد عرفته منذ صباي. فما الذي بقي علي؟ فقال المسيح: إن كنت تريد أن تكون كاملاً فاذهب وبع كلّ شيء لك وأعطه للمساكين ليكون لك كنْزاً في السماء وتعال اتبعني. فلما

____

1 سفر العدد إصحاح (11)، وكذلك فعل غيره من أنبياء بني إسرائيل في إطعام الخلق الكثير من الشيء اليسير كـ إليا و اليسع، حيث ذكر ذلك في سفر الملوك إصحاح (17)، والملوك الثاني إصحاح (4).

2 الغنى واليسر.

==

سمع الرجل هذا الكلام مضى حزيناً؛ لأن ماله كان كثيراً، فقال المسيح: الحق أقول لكم، إن دخول الجمل في سم الخياط أيسر من دخول الغني ملكوت الله، فقال التلاميذ: من يقدر على هذا؟ فقال لهم: أما عند الناس فما يستطاع هذا، وأما عند الله فكل مستطاع. الأنبياء إنما بعثوا بالزهد في الدنيا والتفرغ للمولى والتزود للعقبى"1.

وهذا الكلام من المسيح دال على نبوته ورسالته وفيه ما يهدم قاعدة من قواعد النصارى وهو: جعله حفظ وصايا الله المذكورة في هذا الفصل سبب الخلاص وإرث الحياة الدائمة من غير حاجة إلى قتل المسيح وصلبه. وعند النصارى أن الناس لا يخلصهم من الخطيئة إلاّ قتل المسيح وسفك دمه إذ يقولون في الأمانة / (1/48/أ): "من أجلنا معشر الناس ومن أجل خلاصنا نزل المسيح من السماء وتجسد وولد وقتل وصلب". وهو ذا المسيح يكذب تلك الأمانة ويزري على من أَلَّفها إذ جعل الخلاص منوطاً بحفظ وصايا الله وأتباع أمره، ولم يوقف الخلاص على ما هذوا به في الأمانة التي هي في الحقيقة خيانة، والشريعة التي هي لإضاعة الشريعة ذريعة، فهلاَّ قال المسيح للرجل: لا ترث الحياة الدائمة حتى تعتقد ربوبيتي وتدين بألوهيتي وتعتقد أني إله حقّ من إله حقّ من جوهر الله، وتعترف بأني أتقنت العوالم وخلقت كل شيء وأني إله مسجون في إنسان أو متّحد به - كما لفقوه في شريعة إيمانهم وتسبيحة دينهم؟!.

وحاشاه حاشاه أن يناط به هذا الوضَر2 ويغشاه؛ إذ هو القائل في إنجيله وفي أدعية ربّه تعالى: "أنت الإله الحقّ وحدك الذي أرسلت يسوع المسيح"3.

____

1 متى 16/9-27.

2 الوضر:الوسخ، وما تشمه من ريح تجدها من طعام فاسد. (ر:القاموس ص 634).

3 يوحنا 17/3.

==

وقال: "لا صالح إلاّ الله وحد"1. وقال لرجل وهو يوصيه: "أحب الله من كلّ قلبك ومن كل قوتك ففي هذه الوصية جميع وصايا الأنبياء"2 / (1/48/ب). وقال:"أنا ذاهب إلى إلهي وإلهكم"3. يقول ذلك للحواريين. فهذه نصوصه في التوحيد ونفي التثليث4. فمن أين جاءت النصارى هذه الداهية؟!5. أسأل الله العصمة.

1 ورد النص في متى: 19/16، 17، مرقص 10/17، لوقا 18/18.

2 ورد النص في إنجيل متى 22/35-37، وورد أيضاً فيه 23/9، أن المسيح قال: "إن أباكم واحد في السماوات". ويؤكّده ما ورد في إنجيل مرقص 12/30، قول المسيح: "الرّبّ إلهنا إله واحد، وليس آخر سواه".

3 يوحنا 20/17.

4 لقد وردت في أسفار العهد القديم أيضاً - التي يؤمن النصارى بقدسيتها - نصوص كثيرة تصرح بوحدانية الله وتنفي الشرك عنه. منها: ما ورد في التوراة سفر الخروج 20/1، 2، قول الله لبني إسرائي: "أنا الرّبّ إلهك الذي أخرجك من أرض مصر بيت العبودية لا يكن لك آلهة أخرى أمامي". وفي سفر التثنية أيضاً قول موسى: "الرّبّ إلهنا ربٌّ واحدٌ". وقد ورد التوحيد في سفر أشعياء 45/5، وسفر ملاخي 2/10، وغير ذلك كثير.

وبعد ذلك التصريح بوحدانية الله في التوراة وأسفار الأنبياء و الأناجيل، فإنّ للمؤلِّف وغيره أن يستاءل مندهشاً ومنكراً على النصارى - من أين تسرب التثليث إلى دين التوحيد الذي جاء به المسيح عليه السلام مع عدم الدليل عليه؟!.

5 للإجابة عن تساؤل المؤلّف ودهشته ينبغي لنا أن نتعرف تاريخ الديانات الوثنية وتعدد الآلهة وتاريخ النصارى وأسباب انحرافهم، وخلاصة ذلك ما يأتي:

1- أن ظهور التثليث كان تحديداً لتعدد الآلة المبالغ فيه أحياناً عند الديانات الوثنية القديمة، ولعل البابليين هم أوّل من قال بالثالوث في الألف الرابع قبل الميلاد.

2- نشأ مذهب عند الهنود وسط بين التوحيد والتثليث هو: "التعدد في وحدة، والوحدة في تعدد"، وقد قالوا به قبل ظهور المسيح بأكثر من ألف عام، فكان عندهم: "براهما وفشنو وسيفا". ويعدونهم ثلاثة جوانب لإله واحد.

3- وظهر في الإسكندرية - زمن بطليموس الأوّل - عبادة الثالوث المصري المكون من: "سيرابيس وإيزيس وحورس" وكان هيئات ثلاث لإله واحد.

4- الاضطهادات التي نزلت بالنصارى من اليهود والرومان أدت إلى قتل علماءهم وتحريق كتبهم ومنع قراءتها وتفريقهم واستتارهم، كل ذلك كان من أسباب انحرافهم ونفوذ الأهواء والأساطير والبدع إلى قلوبهم لتحل - مع الزمن - محل العقائد الصحيحة.

5- ظهور بولس اليهود وتظاهره بالنصرانية - وقد كان عارفاً بالفلسفة الإغريقية ومدرسة الإسكندرية- ووضعه بذور التثليث بالدعوةإلى تأليه المسيح وبنوته لله.

6- ظهر في مدرسة الإسكندرية تجديد مذهب أفلاطون على يد أفلوطين وخلاصة فلسفته التي اعتنقها الكثيرون من الرومان:

أ- قمة الوجود هو الواحد أو الأوّل.

ب- الشيء المحدث عند (عقل) شبيه به.

ج- وهذا يفيض بدوره فيحدث صورة منه هي (نفس). وبعبارة أخرى سهلة: "ثلاثة في واحد وواحد في ثلاثة".

ثم إنّ التاريخ يروي لنا أنه في القرن الثاني والثالث والرابع الميلادي قد دخل الرومان والمصريون أفواجاً في النصرانية، وكثير منهم دخل النصرانية وفي رأسه تعاليم الوثنية الرومانية، والفلسفة الأفلاطونية الحديثة لم تخلع منه، وهؤلاء ولا شكّ أثر تفكيرهم في النصرانية.

1- انعقاد مجمع نيقية المسكوني عام 325م وتقريره لألوهية المسيح والتثليث، ثم انحياز الإمبراطور قسطنطين - الذي كان وثنياً - إلى ذلك الرأي وتأييده بجاه السلطان وقوة السنان. وكان لنشره تلك العقيدة أكبر الأثر في انتشارها واعتبارها الدين الرسمي للإمبراطورية الرومانية.

بذلك يتبيّن لنا الترابط الوثيق بين النصرانية المنحرفة والديانات الوثنية والفلسفية السابقة عليها كما حكم القرآن الكريم عليهم من قبل، فقال تعالى: {وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ}. [سورة التوبة، الآية: 30].

(ر: للتوسع - تاريخ الفلسفة ص 6-19، لإبراهيم مدكور، محاضرات في النصرانية ص 33-39، 154، لأبي زهرة، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية - محمّد طاهر التنير، المسيحية ص 108، 130-133، د. أحمد شلبي، أقانيم النصارى ص 88، 89، أحمد السقا، النصيحة الإيمانية ص 135-140، للمهتدي نصر المتطبب وتعليقات الطالب المحقِّق عليها".

==

11- اعتراف أهل زمانه بنبوته واستجابتهم لدعوته: انقسم الناس في وقته أقساماً، فمنهم من يرميه بالخنا وبنوة الزنى، ومنهم من اعترف بنبوته واستجاب لدعوته، ومنهم من أدركته النفاسة وخشي أن يستلب الرئاسة، وداء الحسد متى استولى على الجسد فسد، وهو داء قديم من يوم: (أخرج منها فإنك رجيم)[1]. قال رجل من الصحابة[2]: يا رسول الله أرفق بعبد الله بن أبيّ،

____

1 اقتباس من الآية الكريمة: {قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ}. [سورة الحجر، الآية: 34].

2 هو سعد بن عبادة رضي الله عنه.

==

فوالله لقد جاء الله بك وإنا لننظم له الخرز لنملكه علينا، فإنه ليرى أنك استلبته ملكاً[1]، فرفق به عليه السلام كما علم ولم يعرض له حتى اخترم.

قال متى: "لما دنا يسوع وأصحابه من أورشليم أرسل من جاءه بأتان وجحش فركب وفرش الناس له ثيابهم فارتجَّت المدينة لدخوله وقال الجمع:هذا يسوع النبي الذي من ناصرة الجليل، فدخل إلى / (1/49/أ) هيكل الله وأخرج الباعة الذين فيه وأمر برفع موائد الصيارف وكراسي باعة الحمام وقال: مكتوب أن بيت الله بيت الصلاة يدعى، وأنتم صيَّرتموه مغارة للصوص وكل مفسد"[2].

قلت: هذا الفعل من المسيح قريب من قوله عليه السلام حين بال الأعرابي في المسجد: "صبوا عليه ذَنُوباً من ماء، إن المساجد لم تُبنَ لهذا، إنما بُنِيت للصلاة والذكر"3.

وفي الفصل: أن أحسن أقوال الناس فيه كان قول من يقول: هو نبي من الأنبياء. وفيه: أن المسيح احتاج أن يركب حماراً من التعب والإعياء وذلك يكذب الأمانة إذ تقول: "إن المسيح من جوهر الله". وقد خلق الله الخلق في ستة أيام وما مسَّه من لغوبٍ، فكيف يفتقر مَنْ هو مِن جوهره إلى المركوب؟! وإنما هو على الحقيقة من جوهر أبيه يعقوب، كما نطق به الإنجيل عن جبريل.

12- ومن الدلالة على نبوته إقراره من ينطق بنبوته على ذلك وترك الإنكار عليه:

---

1 أخرجه ابن إسحاق مختصراً. (ر: السيرة النبوية 2/270). والبخاري في كتاب التفسير باب (15)، (ر: فتح الباري 8/230)، ومسلم 3/1422 في ساق طويل، والبيقهي في الدلائل 2/576، كلهم من طريق الزهري عن عروة بن الزبير عن أسامة بن زيد رضي الله تعالى عنهما.. فذكره بنحوه.

2 متى 21/1-14.

3 أخرجه البخاري في كتاب الوضوء باب (57، 58)، (ر: فتح الباري 1/322، 323)، ومسلم 1/236، 237، وأحمد 3/111، عن أنس بن مالك رضي الله عنه. واللفظ لمسلم.

==

قال لوقا في إنجيله: "صحب يسوع بعد قيامه رجلين/ (1/49/ب) وهما يتحدثان في أمره وأمر اليهود فقال لهما: مَن تذكران؟ وكانت أعينهما ممسوكة عن معرفته، فقالا: يسوع الناصري كان رجلاً نبياً قوياً بالأعمال، فلم ينكر عليهما وسار معهما فأضافاه وبات عندهما"1.

فكيف يُقرِّهما على الكفر أنه إله وربّ كما يقول النصارى؟ وهَلاَّ نبههما وعرَّفهما خطأ ما قالا. فكيف يسكت على ما لا يجوز؟! فقد كان يقاوم اليهود في المحافل ويخزيهم ويلعنهم فيالمجالس ولا يغتفر لهم الزلل ولا يغطي منهم على الخطأ والخطل2 ويحاققهم فيما لا تعم به البلوى، فكيف يجوز أن يسامح في أمر يتعلق بالربوبية؟! وكيف يداهن الرجلين ويسمح لهما في أن يعتقدوا نبوته وهو ربهم وخالقهم وإلههم ويؤخر البيان عن وقت حاجتهم إليه، وهو في الساعة التي أزمع فيها على مفارقة أهل الأرض وقد صار لهما عليه مع حقّ العبودية حقّ الرفاقة واسترسال الصحبة والمبايتة وهو يسمعهما يشهدان أن المشيح كان نبيّاً قويّاً بالأعمال؟! / (1/50/أ). والمداهنة في الدين لا تليق بمثل المسيح مع أنه لا حاجة به في تيك الساعة إليهما، فإقرارهما على ما قالا ومسايرته لهما ومبيته عندهما تناوله طعامهما رضا بقولهما فيه وحكماً بصحة ما ذهبا إليه من نبوته، فكيف لم ترض النصارى له بما رضي هو لنفسه من أهل زمانه؟!.

13- دليل على نبوته من مفهوم قوله: قال متى: "جاء إلى يسوع رؤساء الكهنة فقالوا: بأي سلطان تفعل هذا؟ ومن الذي أعطاك هذا السلطان؟ فقال يسوع: وأنا أسألكم عن كلمة واحدة: معمودية يوحنا من أين هي؟ أمن الله أم

---

1 لوقا 24/13-29، وقد أرد المؤلِّف النص بالمعنى، ولكن لم يُذكر في لوقا أو غيره أن المسيح بات عند الرجلين.

2 الخطل: المنطق الفاسد المضطرب. (ر: مختار الصحاح ص 181).

==

من الناس؟ فقالوا: لا نعلم. فقال: وأنا أيضاً لا أعرفكم بأي سلطان أفعل ما أفعل، ثم قال: الحق أقول لكم إن الزناة والعشارين سيسبقونكم إلى ملكوت الله، جاءكم يوحنا بطريق العدل فلم تؤمنوا به والعشارون والزناة آمنوا"1.

هذا القول بمفهومه يدلّ على بنوته إذ جعل أفعاله وأفعال يحيى بن زكريا تخرج من مشكاة واحدة، وفي هذا الكلام ما يهدم على النصارى قطباً من أقطاب كفرهم، وهو ما حكيناه عنهم / (1/50/ب) من أنه لا يخرجهم من الخطيئة التي ورطهم فيها أبوهم آدم إلاّ قتل المسيح، وها هو يقول إن الزناة والعشارين يسبقون اليهود إلى الملكوت بالتوبة والانصباغ في معموديته ومعمودية يوحنا، ولم يحوجهم إلى غير ذلك، ولم يُرجِ خلاصهم إلى قتله وصلبه كما يهتف به النصارى، بل جعل التوبة وحسن الاتباع كافياً في ذلك.

14- ومن الدليل على نبوته دعاؤه إلى الله سبحانه أسوة غيره من الرسل: قال متى: "قال له قائل: يا معلم، أيما أعظم الوصايا في الناموس؟ قال: أعظم الوصايا في الناموس أن تحبّ الربّ إلهك من كلّ قلبك ومن كلّ نفسك ومن كلّ فكرك ومن كل قوتك ففي هذا جميع نواميس الأنبياء"2.

قلت: لو كان الأمر على ما يعتقد أهل الضلال لقال للرجال: "أعظم الوصايا في الناموس أن تحب الثالوث والصليب، كلا والله، وأين هذا الهذيان من نواميس الأنبياء؟! وأعظم النواميس تورلة موسى ثم داود ثم أشعيا وقد فليناها طرقاً تترى وتصفحناها بطناً وظهراً، فلم نر فها / (1/51/أ) ما يدعيه النصارى أصلاً البتة، ولقد شددت على من تنكب التوحيد أشد تشديد حتى قالت: "أيما

---

1 متى 21/23-33.

2 متى 2/34-40. وفيه: "قال له يسوع: تحب الرّبّ إلهك من كل قلبك ومن كلّ نفسك ومن كلّ فكرك - هذه هي الوصية الأولى والعظمى - والثانية مثلها تحب قريبك كنفسك، بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء".

==

نفس أشركت مع الله غيره في حبها فأهلكوا تلك النفس من شعبها"1.

15- دليل صحيح على نبوة المسيح، قال متى: "قال يسوع المسيح وهو يخطب البلد: يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها كم من مرة أردت أن أجمع بنيك حولك كما تجمع الدجاجة فراريجها فلم يريدوا"2.

وجه الدلالة من هذا الكلام أنهم كانوا يتوثبون عليه في المجالس بأورشليم يريدون قتله، إذ كان يفحمهم بالحجج فربما تناولوا الحجارة ليحصبوه فيتوارى ويخرج من بينهم ويذهب. وقد قتلوا عدة من أنبيائهم بها، فكأنه يقول: "تريدون قتلي كما فعلتم بمن تقدمني"، والخطاب للبلد والمراد أهلها، والقول بنبوته ألزم على قول النصارى إنه قتل بأورشليم؛ لأنه سماها قاتلة الأنبياء ولم يقل يا قاتلة الإله، وفي الكلام ما يمنعهم من اعتقاد ربوبيته؛ لأنه أراد جمعهم على الإيمان فلم تنفذ إرادته، ومَنْ هذا / (1/51/ب) سبيله فلا يصلح للربوبية؛ فقد شهد على نفسه بالعجز عن جمعهم على الدين والهدى، وأولى ذلك لربّه عزوجل إذ يقول في دعائه: "أيها الأب كلّ شيء بقدرتك اصرف عني هذا الكأس". كما تقدم.

والعجب أن المسيح أراد وأراد اليهود فنفذت إرادتهم وقصرت إرادته، إذ قال: إنه أراد أن يجمعهم، فلم يريدوا هم، وإله تقصر إرادته وتنفذ إرادة عدوّه إله ضعيف. وهذا فاعلم حال الأنبياء مع كفار قومهم، قال الله تعالى لنبيّه عليه السلام: {لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُم وَلَكِنَ الله يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ}. [سورة البقرة، الآية: 282]. وقال:

---

1 ورد حكم القتل على المرتد المشرك في سفر الخروج إصحاح (20، 34)، وفي شفر التثنية إصحاح (13، 17).

2 متى 13/37.

===

{أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}. [سورة يونس، الآية: 99].

وفي هذا الكلام إثبات مزية لموسى عليه السلام، وذلك أن موسى عليه السلام أراد جمع قومه على الإيمان فاستجابوا وأذعنوا، وأمرهم بالنفر معه فسارعوا وظعنوا، فأخرجهم من مصر وجلَّلهم النصر، وشقّ بهم البحر، ورفع عنهم السيف بعد أن بلغ النحر، وقاتل بهم الملوك فلم يغلب، وقهر العمالقة والجبابرة ولم يقتل ولم يصلب. فما نرى موسى إلاّ كان أحقّ أن يُدَّعى له ما ادُّعي في المسيح. / (1/52/أ). فلو أن النصارى جمعت بين قوله للبلد: "يا قاتلة الأنبياء" وبين دعواهم أنه قتل بها لما وسعهم إلا القول بنبوته ولكن أفهام القوم بعيدة عن هذا النمط، قريبة من السقط والغلط. ألا ترهم كيف جمعوا في الاعتقاد بين الأضداد فقالوا في تسبيحة أمانتهم: "نؤمن بالرّبّ أيسوع المسيح الذي أتقنت العوالم بيده وخلق كلّ شيء وقتل وصلب أيام هيردوس؟!". فبينا هم ينعتونه بالرّبّ المجيد إذ وصفوه بذُلٍّ ما عليه مزيد!.

16- شهادة أشعيا للمسيح عليهما السلام بالنبوة والرسالة وتكذيب اليهود فيما قرفوه به. قال لوقا: "جاء يسوع إلى الناصرة حيث تربى ودخل كعادته في مجامعهم يوم السبت ليقرأ فدفع إليه سفر أشعيا النبي فلما فتحه إذ فيه مكتوب: "روح الرّبّ عليّ من أجل هذا مسحني وأرسلني لأبشر المساكين، وأشفى

منكسري القلوب، وأنذر المأسورين بالتخلية، والعميان بالنظر، وأبشر بالسنة المقبولة". ثم طوى السفر ودفعه إلى / (1/52/ب) الخادم فجعلوا ينظرون إليه، فقال: اليوم كمل هذا المكتوب في سماعكم. فجعلوا يقولون: أليس هذا ابن يوسف؟!

فقال: الحقّ أقول لكم إنه لا يقبل نبي في مدينته وعند عشيرته"1.

فهذه بنوة من أشعيا على تصديق المسيح في دعوى النبوة والرسالة، وقد ذكر أن روح الرّبّ عليه، وهو نزول روح القدس الذي هو العلم والحكمة والواصلة إليه مع الملك، كقول الله في التوراة لموسى: "يصنع لك قبة الزمان بصلئيل2 الذي من سبط يهوذا ورفيقه الذي من سبط دان وهما اللذان ملأتهما روح الله بالعلم والحكمة"3. وكقول الإنجيل: "إن يوحنا بن زكريا امتلأ من روح القدس وهو في بطن أمه"4.

وكقول المسيح في الإنجيل: "إن سمعان5 كان ينتظر عزاء إسرائيل وكانت روح القدس تحل عليه"6. فهذه الروح متى حلت على آدمي تنبأ أو نطق بالحكمة وذلك مشهور عند أهل الكتاب. وقد حكينا قول الله في الكتاب العزيز في حقّ المؤمنين: {وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ}. [سورة المجادلة، الآية:22].

وقال أشعيا النبي في كتابه: "قال الله لي: اخرج إلى بقعة كذا وكذا، فخرجت / (1/53/أ) فجاءت الروح فدخلت فيَّ فأقامتني على رجلي"7. فهذه الروح متى جاءت نبياً كانت وحياً، ومتى جاءت ولياً من أولياء الله أكسته إلهاماً عن الله

____

1 لوقا 4/16-24، بألفاظ متقاربة.

2 في الأصل: (يصل أل) والتصويب من نص التوراة.

3 خروج 35/30-32.

4 لوقا /15.

5 هو سمعان الشيخ: رجل تقي سكن أورشليم، وأوحي إليه أنه سيعيش حتى يرى المسيح. (ر: قاموس ص 483).

6 لوقا 2/25.

7 ورد النص في سفر حزقيال 3/22-24 منسوباً إليه، وقد وهم المؤلِّف رحمه الله في نسبته القول إلى أشعيا وكتابه، ولعله من الناسخ. والله أعلم.

وجودة وفراسة وصدق توسم قال الله في كتابه العزيز: {...إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ}. [سورة الحجر، الآية: 75].

وقال سيّدنا محمّد رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن من أمتي [محدثين]"1 2.

وقد قال النصارى: قال المسيح لأصحابه: "لا تهتموا بها تقولون إذا حضرتم المجالس فـإن روح أبيكم الحال فيكم هي تنطق عنكم بالعلم والحكمة"3.

فأما قول المسيح في آخر الكلام عندما وخزه الناس بأبصارهم: "إنه لا يقبل نبيّ في بلدته وعند عشيرته"4، فذلك واضح في نبوته لمن أراد الله هدايته.

واعلم أن من لاحظ هذا الفصل بعين الإنصاف لم يتخالجه الشكوك في نبوة المسيح وأن اعتقادها هو الاعتقاد الصحيح، ولهذا تجد كثيراً من عقلاء النصارى يضمرون اعتقاد نبوته دون ربوبيته، ولكن لا يبوحون بذلك خشية الجمهور مع الأُنس بالمَرْبَى، إذ كل مولود يولد على الفطرة / (1/53/ب) فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه5.

____

1 في ص (محدثون) ولعل الصواب ما أثبته.

2 أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب (54)، (ر: فتح الباري 6/512)، وأحمد 2/339 عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي قال: "إنه كان فيما مضى قبلكم من الأمم محدثون، وإنه إن كان في أمتي هذه منهم فإنه عمر بن الخطاب". وأخرجه مسلم 4/1864، والترمذي 5/581، عن عائشة رضي الله تعالى عنها بنحوه، قال ابن وهب: "تفسير: محدثون: ملهمون".

3 مى 10/17-20.

4 متى 13/57، لوقا 4/24.

5 اقتباس من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من مولود إلاّ يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة جمعاء هل تحسّون فيها من جدعاء؟..". أخرجه البخاري في كتاب الجنائز. (ر: ف:3/219)، ومسلم 4/2048، وأحمد في مسند 2/315.

17- خارق من خوارق نبوته يتحقق به كذب اليهود وبهتهم فيما نسبوه إليه: قال لوقا: "رأى يسوع جنازة شاب واحد لأمه ومعها جمع من أهل المدينة ورآها تبكي وراءه، فَرَقَّ لها وتحنن عليها، وقال لها: لا تبكي. ثم تقدم ومس النعش فوقف الحاملون، فقال يسوع للميت: لك أقول يا شاب قم فاجلس. فجلس الميت وتكلم فدفعه لأمه ومجدوا الله، فقال الناس: لقد قام فينا نبيّ عظيم وتعاهد الله شعبه بصلاح. فذاع ذلك اليهودية"1.

فإن أنكر اليهود دلالة هذه المعجزة على النبوة وصلاحيتها لدعوى الرسالة، قلنا لهم: فلعل انقلاب العصا حيواناً ذا عينين لا يدل أيضاً على النبوة، وحيث بطل القول بذلك بطل هذا. على أن آية المسيح أوضح في الدلالة وذلك أن إحياء من مات أوثق في النفوس من اضطراب خشبة وتحركها، مع احتمال السحر والشعبذة، كيف واليهود يزعمون أن سحرة / (1/54/أ) فرعون عارضوا موسى وفعلوا مثل فعله

على ما يشهد بذلك توراتهم2؟ وذلك متعذر في إحياء الميت، فقد وضحت نبوته، وأكذب الله اليهود وأخزاهم بظهور صدقه.

وقد شهد له الجمع العظيم بالنبوة وبقولهم: (لقد قام فينا نبي عظيم". وذلك حجة على النصارى، إذ صَحَّ عن خيار أسلافهم أنهم شهدوا له بالنبوة، فكيف يدعي المتأخرون ألوهيته؟! وإنما طريق من غاب الأخذ عمن حضر، فإن زعم النصارى اليوم أن قول ذلك الجمع ليس بحجة في إثبات نبوته، قلنا لهم: الحجة القاطعة تقريرهم على ذلك والرضا منهم به وترك الإنكار عليهم.

أفتقول النصارى - ويلهم - إن المسيح عليه السلام أقرّهم على الكفر وقول الباطل؟! وهل تسمية الله نبيّاً إلاّ كتسمية النبيّ إلهاً؟! وكيف يعتقد في المسيح

____

1 لوقا 7/12-17، بألفاظ متقاربة.

2 انظر: سفر الخروج الإصحاح السابع.

==

أن يسمعهم ينطقون بالمحال ولا يرشدهم؟! وهو القائل في إنجيله: "لا تدعوا لكم معلماً على الأرض فإن معلمكم هو المسيح"1. والأنبياء كلهم معلمون. "ولا تدعوا لكم مدبراً في الأرض فإن مدبركم هو المسيح". / (1/54/ب) وإذا كان المسيح هو معلمهم ومدبرهم، فكيف تقولون إنه أهملهم وتركهم يخبطون في عمياء ويتيهون في ظلماء ويخاطبون ربّهم بأنه نبي من الأنبياء ثم لا يرشدهم إلى اعتقاد الحقّ وقول الصدق؟!.

فإن استروح النصارى في دعواهم ربوبيته إلى إحياء الميت أريناهم من كتبهم التي بأيديهم جماعة من أنبيائهم قد أحيوا الموتى مثل: إلياس واليسع وحزقيال وغيرهم ولم يخرجهم هذا الصنع عن كونهم عباداللـه تعالى.

فإن قال النصارى: إن أولئك كانوا إذا راموا شيئاً من ذلك تضرعوا إلى المسيح وسألوه وطلبوه منه المعونة ودعوه، قلبنا عليهم السؤال وقلنا. فلعل المسيح كان إذا رام شيئاً من هذه الآيات تضرع إلى أحد من ذكرنا وسأله ودعاه وطلب منه فهم متقدمون عليه وأرواحهم في حضرة الملكوت قبله، وهو متأخر عنهم فهو أحقّ أن يسألهم من أن يسألوه. فقد وضح بذلك نبوته واستوى حاله وحال من تقدمه من إخوانه الأنبياء صلوات الله عليهم أجعين.

18- شهادة فولس بنبوة المسيح ورسالته / (1/55/أ) وأنه واسطة بين الله وبين عبادة أسوة غيره من الأنبياء. قال في الرسالة الرابعة عشرة إلى العبرانيين: "أما أنتم فاقتربتم من جبل صهيون ومن مدينة الله أورشليم التي في السماء ومن ديوان الملائكة ومن الله ديّان الجميع ومن يسوع المسيح واسطة الوصية الحديثة الذي هو أفضل من هابيل"2.

____

1 متى 23/8/10، بألفاظ متقاربة.

2 رسالة بولس إلى العبرانيين 22/12-24، بألفاظ متقاربة.

فهذا فولس لم يدع للمسيح ما يتقوله النصارى من ربوبية المسيح وألوهيته، بل يشهد بأنه سفير وواسطة بين الله وبين عباده في الوصية1. ويخبر بأنه أفضل من هابيل، وكلّ تصريح منه بخلاف ما ذهب النصارى إليه.

19- بيان أنه كان يضيف ما يفعله إلى الله تعالى، قال لوقا: "أُتي المسيح بمجنون لا يسكن إلاّ المقابر لا يلبس ثوباً فلما رأى يسوع خرّ بين يديه وقال: يا يسوع سألتك بالله ولا تعذبني. فأمره أن يخرج من الرجل فخرج، ثم أفاق الرجل وسأل يسوع الصحبة فقال له: اذهب وأخبر بالذي صنع الله بك. فذهب فجعل ينادي بذلك في المدينة"2.

قلت: طلب الرجل صحبة المسيح فصرفه وعرفه أن الشفاء من الله وأمره بإشاعة / (1/55/ب) شكر الله، فقال: أخبر بالذي صنع الله بك. ولم يقل: بالذي صنعت بك. فإن قال النصارى: لا فرق بينهما، إذ كان المسيح هو الله، والله هو المسيح.

قلنا لهم: فالمجنون إذاً أعقل وأعرف بالله منكم؛ إذ يقول: يا يسوع أسألك بالله، فقد عرف الله تعال على [حدً]3 وعرف المسيح على [حدٍ]4 وأدرك التفرقة بين الإله المقسم به وبين الإنسان المقسم عليه. وأنتم تقولون إن الإله هو الإنسان والإنسان هو الإله، فأيكم أولى بالجنون؟!.

____

1 في ش: الوصية الحديثة هي: الإنجيل؛ لأن الوصية القديمة هي: "للتوراة فاعلمه". اهـ قلت: التعبير المعاصر هو: العهد القديم، والعهد الجديد.

2 لوقا 27/8-39، في سياق طويل. وقد ذكره المؤلِّف بالمعنى.

3 في ص: (حدن).

4 في ص: (حدن).

إن طرق اليهود إلى هذا شيئاً من الطعن انعكس عليهم في [حية]1 النحاس وغيرها؛ إذ طريق ثبوت الكلّ واحد، فالاعتراض على نوع منها يعود على سائرها، ولا سبيل إلى ردّ شيء منها.

20- دليل على رسالته من لفظه، قالو لوقا: "اختار يسوع سبعين [رجلاً]2 وبعثهم إلى كلّ موضع أزمع أن يأتيه، وقال: الحصاد كثير والحصادون قليل، اطلبوا إلى صاحب الزرع أن يرسل فَعَلَة لحصاده ثم قال: من سمع منكم فقد سمع مني، ومن شتمكم فقد شتمني، ومن شتمني فإنما يشتم / (1/56/أ) مَنْ أَرْسلني"3.

فإن قال النصارى: ذلك دليل على الربوبية لأن إرسال الرسل إلى الخلق دليل على ما قلناه.

قلنا لهم: أما بعث السبعين فليس فيه مستروح لكم، فقد اختار موسى سبعين رجلاً من قومه ونــدبهم لإبلاغ بني إسرائيل فنبأهم الله ببركة اختياره فصاروا أنبياء4.

فأما السبعون الـذي اختـارهم المسـيح فمن سـلم لكم أنهم كـانوا أنبيـاء مؤيّـدين بـالمعجزات؟ ولعـل المسيح عليه السلام إنما اقتدى بسنة موسى في الإرسال والعدد، فالمسيح عليه السـلام نـبي ورسـول ولا يمتنع أن يكون [للرسول]5 رسول، فقد أرسل رسول الله صلى الله عليـه وسـلم جماعـة من أصـحابه إلى ملوك الأرض.

فإن قال النصارى: قوله: "من شتمني فإنما يشتم من أرسلني". دليل على

---

1 في ص (الحية) والصواب ما أثبته.

2 في ص (رجل) والصواب ما أثبته.

3 لوقا 10/، 2، 16.

4 يعتقد النصارى أن الحواريين والسـبعين رسـولاً الـذين اختـارهم المسـيح لتبليـغ دعوتـه كـانوا أنبيـاء ورسلاً. وكذلك بولس الملقب بالرسول. أمـا نحن المسـلمين فنعتقـد أنـه ليس بين النـبيّ صـلى اللـه عليـه وسلم وبين المسيح عليه السلام نبيّ أو رسول. كما ورد ذلك الحديث الصحيح الذي أخرجه مسلم 4/1837 عن ابن هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "أنـا أولى النـاس بـابن مريم؛ الأنبياء أولاد علات وليس بيني وبينه نبيّ".

5 إضافة يقتضيها السياق.

==

الاتّحاد1 الذي نقول به.

قلنا:وقوله:"من شتمكم فقـد شـتمني"،دليـل على اتّحـادهم بالمسـيح. أفتقولـون إن السـبعين اتّحـدوا بجسد المسيح؟فإن تراعنواوادعوا ذلك.

قلنا لهم: فيلزم على ذلك أن يكونوا قد اتّحدوا / (1/56/ب) بذات الله إذ اكانوا قد اتّحدوا بمن اتّحد به المسيح. فإن التزموا ذلك.

قلنا: فالسبعون هم الله تعالى، والله هو السبعون، والرسول هو المرسِل والمُرسِل هو الرسول، وهذا هو الجنون. ثم نقول للنصارى: أليس قد اعترف المسيح بأن غيره أرسله؟! فكيف تقولـون إنـه هـو نفسـه؟ فإن قالوا: هذا اعتقاد طائفة2 منّـا ونحن لا نلتزمهـا فيلزمنـا الـذّبّ عنهـا ولكن الاعتقـاد المرضـي عنـدنا أن المسيح ابن الله3 ولا نقول هو الله نسفه ولا يعبد أن يرسـل الـه ابنـه إلى عبـاده. فحينئـذ يحسـن أن نعيـد عليهم بعض ما مضى لنا ونقول: "ألم تقولوا في الأمانة: "نؤمن بالمسيح الإله الحقّ الذي أتقن العوالم بيده وخلق كلّ شيء الذي نزل من السماء وتجسد وولدته مريم وقتل وصلب؟!". ألم تقرؤوا في صـلواتكم: "يـا ربنا المسيح الذي ذاق الموت من أجلنا ونزل من السماء لخلاصنا لا تضيع من خلقت بيديك؟!".

ألم ينقلوا عن إفريم من أسلافكم وكبار مشـائخكم قولـه: إن / (1/57/أ) اليـدين الـتي جبلت طينـة آدم هي التي سمرت على الخشبة، وإن الشَّبر التي مسحت السماوات هي التي عُلقت على الصـليب، وإن من لم يقـل إن مـريم ولـدت اللـه فهـو محـروم من ولايـة اللـه؟! وإذا كـانت صـلواتكم وأمـانتكم وأقـوال مشاخئكم

---

1 يقصدون به اتّحاد اللاهوت بالناسوت في المسيح عليه السلام.

2 هي طائفة اليعقوبية وسيأتي الحديث عنها، وقد أشار القرآن الكريم إلى اعتقاد هذه الطائفة بقولــه تعالى: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ}.[سورة المائدة، الآية:17].

3 هذا اعتقاد طائفة النسطورية، وقد أشار القرآن الكريم بقوله تعالى: {وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ...}. [سورة التوبة، الآية: 30].

==

مصرحة بذلك فقد كذبتم في هربكم مما ألزمناكم وصدق المسيح في قوله: "إن الله نبأه وأرسله".

وأما قولهم: "فلا يبعد أن يرسل الله ابنه، وتسمية الله أبّاً والمسيح ابناً، فنحن نسألهم ما تعنـون بهـذه النبوة؟ أمجرد تسمية وتشريف أم لما خصّه به من الآيات والخوارق أم تريدون البنوّة المعروفة المألوفة؟

فإن قالوا: إنّ ذلك مجرد تسمية وتشريف، قلنا: فلا اختصـاص للمسـيح بهـذا التشـريف والتسـمية. ولا مزية له على غيره؛ فقـد سـمّى اللـه يعقـوب ابنـاً وسـمّى داود ابنـاً وسـمّى الصـالحين وأولاد الأنبيـاء أبنـاء بزعمكم.

فرويتم أنتم لنا عن الله في التـوراة قولـه: "إسـرائيل ابـني بكـري"1. يقـول ذلـك لفرعـون في عـدّة مواضع.

وقال في السفر الأوّل: "لما رأى بنو الله بنات النـاس حسـاناً / (1/57/ب) جـدّاً نكحـوا منهم على مـا أحبوا وأرادوا فغرقهم الله بالطوفان"2.

وقـال في المزامـير: "داود حبيـبي"3. وقـال المسـيح: "أنـا ذاهب إلى أبي وأبيكم"4. فقـد اسـتوى المسيح وغيره في هذا التشريف وترجح إسرائيل بالبكارة عليـه. وإن أردتم البنـوة المعروفـة المألوفـة بين الناس وهي المتّخذة من الزوجية والمملوكة، على معنى أن المسيح انفصل من من الله، فكيف يصحّ هـذا؟ وإنما ينفصل الجسم من جسم مثله والبـاري منَـزَّه عن الجمسـية؟! ثم ذلـك باطـل بنصّ الإنجيـل؛ إذ قـال لوقاً: "إن المسيح من روح القدس"5. فكيف تقولون

---

1 سفر الخروج 4/22.

2 تكوين 6/1، 2.

3 مزمور 2/7.

4 يوحنا 20/17.

5 لوقا 1/35.

==

إنّه منفصل من ذات الله؟! فقد بطل مقصودكم من البنوة على كلا القسمين.

وإن قالوا: إنما استحق المسيح البنوة لما اتّحدت به الكلمة فصار بها ابناً على[1] الحقيقة، وغيره ممن ذكرتم لم يتّحد به فبقي ابناً على سبيل التشريف.

قلنا: أخبرونا عن هذه الكلمة، ما هي؟ وما الذي تعنون بها؟ فإنهم يقولون: الكلمة هي العلم أو النطق ولا يعدلون عن ذلك، فيقال لهم: أليس من حكم الصفة أن لا تفارق الذات / (1/58/أ) الموصوفة بها فإذا كان العلم أو النطق هو صفة لذات الباري تعالى فلا تفارقه إلاّ ويخلفها ضدّها وهي الجهل أو الخرس.

فإن كان علم الباري قد انفصل أو نطقه وقام بغيره فقد صار القديم ماوقاً[2] ناقصاً وذلك مستحيل على الله سبحانه. وإن كان علم الله لم يزايله وكلامه لم يفارقه، فلا حقيقة لهذا الاتّحاد الذي تدَّعونه.قد أطلبت النفس قليلاًفلنرجع إلى إيثار الاختصار؛فإن هذه الفرقة أنزر شأناً من أن يحتفل لها.

21- إيثاره الله على ما سواه وذلك دأب النبيين من إخوانه عليه السلام قال لوقا: "جلس يسوع يوماً يتكلم على تلاميذه فرفعت امرأة من المجلس صوتها وقالت: طوبى للبطن التي حملتك [وللثديين][3] التي أرضعتك. فقال لها المسيح: مهلاً طوبى لمن يسمع كلام الله فيحفظه"[4].

____

1 يشير النصارى - في قولهم ذلك - إلى ما ورد في إنجيل يوحنا 1/1-2، 14، ونصّه: "في البدء كان الكلمة، والكلمة كان من عند الله، وكان الكلمة الله، هذا كان البدء عند الله... والكلمة صار جسداً، وحلّ بيننا، ورأينا مجده مجداً كما لو حيد من الآب مملوءاً نعمة وحقاً".

2 المُوقُ: حمق في غباوة، يقال: أحمق مسائق، والجمع: (مَوقَى) مثل: حمقى ونَوْكى. (ر: الصحاح للجهوري 4/1557).

3 في ص (وللأيدي) والتصويب من النّصّ.

4 لوقا 11/27، 28.

==

قلت: هذه امرأة اشتغلت بمدح المخلوق فأرشدها لمدح الخالق جل وعلا. انظر إلى هذا الكلام الصادر من هذه المرأة، هل خرج من قلب معتقد ربوبية المسيح وألوهيته؟ وإلاّ فما أحسن رباً في بطن وإلهاً على أيدي المراضع! أعوذ / (1/58/ب) بالله من الضلال والتعبد للأطفال.

22- شهادة يوحنا الإنجيلي على المسيح بالنبوة، قال يوحنا: "كان الناس إذا رأوا يسوع وسمعوا كلامه يقولون: هذا النّبيّ حقّاً"[1]. وقال يوحنا أيضاً: "تفل يسوع على طين ووضعه على عيني أكمه وقال: اذهب

فاغتسل في عين شلوخاً. ففعل فانفتحت عيناه. وذلك في يوم السبت فوقع بين اليهـود فيـه خلـف، فمنهم من يقول: ليس هذا الرجل من الله إذ لا يحترم السـبت. ومنهم من يقـول: إن اللـه لا يسـتجيب للخـاطئين، ومنهم من يقول: هو نبيّ"2. "ومنهن من يقول: إنه لا يجيء نبيّ من الجليل"3.

قلت: هذا هو يحونا الإنجيلي الذي يُسمّى حبيب المسيح يشهد بنبوته، وهـو أحسـن أقـوال زمانـه فيـه، وذلك يكذب اليهود والنصارى.

أما اليهود ففي جحد نبوته، وأما النصارى ففي ادّعاء ربوبيته.

23- موعظة مشابهة لمواعظ الأنبياء عليهم السلام قال المسيح لمن حضـره: "لِمَ لَمْ تحكمـوا بـالحقّ من نفوسكم؟! فإذا ذهب أحدكم مـع خصـمه إلى الـرئيس فليـدفع مـا / (1/59أ) يجب عليـه في الطريـق فيخلص كيلا يذهب به إلى الحاكم فيدفعه الحاكم إلى المستخرج فيلقيه المستخرج في السجن، الحقّ أقول لكم إنه لا يخرج منه حتى يؤدي آخر فلس عليه"4.

---

1 يوحنا 4/19، 6/14، 7/40، 9/17.

2 يوحنا 9/13-17.

3 يوحنا 7/52.

4 لوقا 13/57-59، وبنحوه متى 5/25، 26.

قلت: الموعظة بليغة ومعناها رائق وقاعدتها مبنية على رأس من الحقائق، غير أن قول خـاتم النّـبيّين "حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا"1. أبلغ من ذلك وأخصر وأضبط لشوارد فرائد الفوائد وأحصر.

24- قال المؤلِّف - عفا الله عنه - : قد شهد يوحنا الإنجيلي أن المسيح ليس إلهـاً، ولكنـه نـبيّ بـار ذو شفاعة مقبولة عند الله، فقـال في الفصـل الأوّل من رسـالته الأولى: "أيهـا الأبنـاء لا تخطـؤوا، فـإن أخطـأ أحدكم فلنا شفيع عند الأب يسوع المسيح البار"2.

فهذا - رحمكم الله - يوحنا الحواري مفارق لمقالة النصارى في المسيح موافق لاعتقاد الملة الحنيفيـة في بنوته عليه السلام.

25- دليل صحيح على نبوة المسيح، قـال لوقـا: "قـال الفريسـون ليسـوع: أخـرج من هاهنـا فـإن هيرودس يريد قتلك، فقال امضوا وقولوا لهذا الثعلب أني

---

1 أخرجه الحافظ ابن أبي الدنيا في كتابه: (محاسـبة النفس) بتحقيـق المستعصـم باللـه مصـطفى بن عليّ ص 22، وعنه ابن كثير في تفسيره 4/442، قال: ثنا إسـحاق بن إسـماعيل، ثنـا سـفيان بن عيينـة عن جعفر بن برقان عن ثابت بن الحجاج قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "حاسبوا أنفسـكم قبـل أن تحاسبوا وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا...".

قلت: وهذه الرواية موقوفة على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكل رواتها ثقات. والخبر قد رواه الترمذي 4/550 مختصراً بلفظ: يروى عن عمر.

2 ورد النص في رسالة يوحنا الأولى 2/1، كالآتي: "يا أولادي أكتب إليكم هذا لكي لا تخطؤوا وإن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الأب يسوع المسيح البار، وهو كفارة لخطايانا، ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كلّ العالم أيضاً".

قلت: إن استدلال المؤلِّف بهذا النص على نبوة المسيح وعدم ألوهيته صحيح؛ لأن الشفاعة تقتضي خضوع طرف لآخر وتذلله، والمسيح هنا مصرح بأنه يطلب الشفاعة من الله، فهو إذن عبد من عبيد الله أكرمه بالرسالة والنبوة.

وأما بقية النص فإنه لا يسلم للنصارى بأن المسيح جاء كفارة لخطايا العالم. فهذه دعوى للنصارى لا دليل صحيح لهم عليها. لاسيما وأن ذلك يتعارض - بجانب العقل - مع ما جاء في كتابهم المقدس مصرحاً بـ: "النفس التي تطخئ هي تموت، الابن لا يحمل من إثم الأب، والأب لا يحمل من إثم الابن، برّ البار عليه يكون، وشرّ الشرير عليه يكون". سفر حزقيال 18/20.

==

/ (1/59/ب) أقيم هاهنا اليوم وغدا وفي اليوم الثالث أكمل لأنه لا يهلك نبي خارجا عن أورشليم"1.

قال المؤلِّف - عفا الله عنه - : "لو اجتمع علماء النصرانية وراموا صرف هذا الكلام عن صلاحيته لنبوة المسيح إلى إثبات ما يدعونه من الربوبية لأعوزهم2 ذلك. فمن أبدى من النصرانية في بنوته نزاعاً. ورام لهم دفاعاً فهذا الفصل وأمثاله حجّة عليه. فإن قال النصارى: هب أن هذا الفصل يدل على نبوته، أليس قد شهد عليكم معشر المسلمين بأنه في اليوم الثالث يقتل ويصلب؟

قلنا: لم يقل ذلك وحاشاه منه، إنما قال: إنه في اليوم الثالث يكمل، يريد أنه تتم مدة إقامته في هذا العالم الناقص ثم يرتفع، وكيف أراد ما ذكرتم من القتل والصفع والصلب وذلك غاية النقص؟! لأنكم زعمتم أنه ضرب وسحب ثم قتل وصلب وسلب وذلك لا يعد كمالا، بل الكمال الذي أراده هو الذي يقول به المسلمون من أن الله حماه من أعدائه حين طلبوه ورد طلبتهم منه بالحرمان، فما / (1/60/أ) قتلوه وما صلبوه، ونحن إن شاء الله إذا انتهينا إلى ذكر القتل والصلب أبدينا فيه العجب العجاب وأقررنا عيون أولي الألباب.

26- وصية مناسبة لكلام الرسل: "قال المسيح عليه السلام: "إذا دعاك أخوك فلا تجلس في صدر المجلس؛ فلعله قد دعا هناك من هو أكرم عليه منك، فليأتي المدعو فيقال لك: دع المكان لهذا، فتقوم فتجلس في آخر باب الناس فتخزى أمام الحاضرين، ولكن إذا دعيت فاجلس في آخر موضع حتى إذا جاء الذي دعاك يقول لك: يا حبيب ارتفع عن مجلسك هذا فيكون لك مجد أمام

---

1 لوقا 13/31-33.

2 في ش: أعوزه الشيء: إذا احتاج إليه فلم يقدر عليه.

الحاضرين، فمن اتضع ارتفع ومن ارتفع اتضع. وإذا صنعت وليمة فلا تدع أحباءك وأغنياء جيرانك لكي [يكافئوك]1 ولكن ادع المساكين والضعفاء والزمنى والمقعدين؛ فطوبى لك إذ ليس لهم ما يكافئونك به ومجازاتك تكون في قيامة الصِّدِّيقين - ثم عَرَّض بالعلماء - فقال: جيدٌ هو الملح فإذا فسد فبماذا يملح؟"2. من كانت له أذنان سامعتان فليسمع هذه الوصية وما / (1/60ب) شاكلها لم تمتد إليها يد التغيير سوى ما عبق بها من قصر التعبير. وهي بطولها مندمجة في قوله عليه السلام: "شرّ الطعام طعام الوليمة يدعى إليها الأغنياء ويترك الفقراء"3. وقال عليه السلام: "من تواضع لله رفعه الله"4. وفي قوله: "إنكم أئمة يقتدى بكم"5. يقول ذل لأصحابه - رضي الله عنهم - .

اشتمال الجنة على الأكل والشرب والنكاح:

وذلك على خلاف معتقد أهل الكتاب، قال المسيح عليه السلام: "كان رجل من الأغنياء يلبس [البز] 6 والأرجوان7 ويتنعم كلّ يوم ويلتذ. وكان ببابه رجل مسكين يسمّى اليعازر مضروب بالقروح، وكانت الكلاب تأتي فتلعق قروحه ويود لو ملأ بطنه من الفتات الذي يسقط من مائدة ذلك

---

1 في ص (يكافئونك) والصواب ما أثبته.

2 لوقا 14/7-14، 34، 35.

3 أخرجه مسلم 2/1055، عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وأخرجه البخاري في كتاب النكاح باب (72). (ر: فتح الباري 9/244)، وأبو داود /125، وابن ماجه. (ر: صحيح ابن ماجه 1/323)، موقوفاً على أبي هريرة رضي الله عنه.

4 أخرجه مسلم 4/2001، الترمذي 4/330، وأحمد 2/386، كلمهم من طريق العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:... فذكره.

5 تقدم تخريجه. ر: ص: 104.

6 في ص (البرفية) والتصويب من نصّ الإنجيل.

7 لون صباغة يشمل البنفسجي والقرمزي أو الأحمر. وكانت ثياب الأرجوان غالية الثمن يلبسها الأغنياء وذوو المكانة الرفيعة. (ر: قاموس ص 45).

الغنى، فلما مات ذلك المسكين أخذته الملائكة إلى حضن إبراهيم. ومات ذلك الغني فقر في الجحيم ففتح عينيه وهو في العذاب فنظر إلى اليعازر في حضن إبراهيم يتنعم ويلتذ فنادى: يا أبتاه إبراهيم ارحمني وأرسل اليعازر ليبل طرف إصبعه بماء يبرد لساني من هذا / (1/61أ) اللهيب، فقال إبراهيم: يا بني اذكر

أنك أفنيت خيراتك في حياتك واليعازر إذ ذاك في بلائه، والآن فهو ها هنا يستريح وأنت تعذب، ومع ذلك فبيننا وبينكم هوة بعيدة لا يقدر أحد منا على العبور إلى الآخر"1.

قلت: قال الله فيمن حاله بحال ذلك الغني: {أَذْهَبْتَم طَيِّبَاتِكُم فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا واسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَاليَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الهُوْنِ بِمَا كُنْتُم تَسْتَكْبِرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيرِ الحَقِّ وَبِمَا كُنْتُم تَفْسُقُونَ}. [سورة الأحقاف، الآية: 20].

واعلم أن اليهود والنصارى2 ينكرون أن يكون في الجنة طعام أو نكاح أو شراب، وهو الكلام من المسيح حجّة عليهم، وقد قال المسيح: "إن اليعازر هذا في كفالة إبراهيم يتنعم ويلتذ في الآخرة". كما قال: "إن ذلك الغني كان كلّ يوم يتنعم في دنياه ويلتذ". والذي يبتدر إلى الأفهام منه التنعم بالطيبات المألوفة المعروفة؛ إذ الإنسان إنما يشتاق لما عرف جنسه ونوعه وقد جاء ذلك في

---

1 لوقا 16/19-26، بألفاظ متقاربة.

2 قال الإمام ابن تيمية: "واليهود والنصارى والصابئون من المتفلسفة وغيرهم فإنهم ينكرون أن يكون في الجنة أكل وشرب ولباس ونكاح ويمنعون وجود ما أخبر به القرآن.

والرّدّ عليهم هو أن ما ورد في القرآن الكريم من وصف ملذات الجنة أن حقيقتها ليست مماثلة لما في الدنيا، بل بينهما تباين عظيم مع التشابه في الأسماء، فنحن نعلمها إذا خوطبنا بتلك الأسماء من جهة القدر المشترك بينهما ولكن لتلك الحقائق خاصية لا ندركها في الدنيا، ولا سبيل إلى إدراكنا لها لعدم إدراك عينها أو نظيرها من كلّ وجه، وتلك الحقائق على ما هي عليه". (ر: رسالة الإكليل من مجموعة الرسائل الكبرى - لابن تيمية 2/11).

==

الإنجيل [كثيراً]1 ولكن النصارى2 محجوبون بالتقليد عن النظر في أقوال الأنبياء، قال قولقا: "قال يسوع: إذا صنعت وليمة فادع المساكين والضعفاء لتكون / (1/61/ب) مجازاتك في قيامة الصديقين. فقال من حضر: طوبى لمن يأكل خبزاً في ملكوت الله"3.

وقال حملة الإنجيل: "قال يسوع لتلاميذه: إني ذاهب أعد لكم مائدتي في الملكوت [لتأكلوا وتشربوا وتجلسوا]4 على كراسي المجد"5. وقال الإنجيل: "إن المسيح شرب مع تلاميذه عصيراً ثم قال: إني لست شارباً من هذه الكرمة حتى أشربها معكم حديثاً في ملكوت السماوات"6. وقال المسيح في الإنجيل: "إنكم ستأكلون وتشربون على مائدة أبي"7. وقال المسيح في الإنجيل: "بحقّ أقول لكم إنه سيأتي قوم من المشرق والمغرب [فيجلسون]8. مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب في ملكوت السماء وتخرج بنو الملكوت إلى الظلمة البرانية، هنالك يكون البكاء وصرير الأسنان"9. وقال المسيح في الإنجيل: "طوبى

---

1 في ص (كثير) والصواب ما أثبته.

2 يقول القسيس حنا مقار العيسوي في رسالته إلى أبي عبيدة الخزرجي: "إننا إذا حشرنا يوم القيامة حشرنا بأجسادنا ونفوسنا ولكن لا نأكل هناك ولا نشرب". اهـ. (ر: مقامع هامات الصلبان ص 106، للخزرجي، تحقيق د. محمّد شامة).

ونقل ذلك عنهم ابن كمونة اليهودي في تنقيح الأبحاث ص 53، وانظر أيضاً خلاصة الأصول الإيمانية في معتقدات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية - لحبيب جرجس ص 156-157، ويلاحظ أن ذلك الاعتقاد في أمور الآخرة بشبه اعتقاد الفلاسفة والملاحدة في ذلك مما يدل على تأثر اليهود والنصارى بالأفكار الوثنية الفلسفية.

3 لوقا 14/12-15.

4 في ص (لتأكلون وتشربون وتجلسون) والصواب ما أثبته.

5 لوقا 22/29، 30.

6 متى 26/29، مرقس 14/25، لوقا 22/18.

7 لوقا 22/30.

8 في ص (فيتلون) والتصويب من نصّ الإنجيل.

9 متى 8/10-12.

==

للجياع العطاش فإنهم يشبعون، طوبى للرحماء فإنهم يرحمون"1.

فهذا المسيح يشهد أن في الجنة أكلاً وشرباً وشبعاً وأن المساكين يتملكون ذلك وفي الإنجيل يقول المسيح: "بيعوا أمتعتكم وتصدقوا، اجعلوا لكم أكياساً لا تبلى وكنوزاً في السماء لا تفنى حيث لا يصل إليها سارق ولا يفسدها / (1/62/أ) سوس فحيث تكون كنوزكم هناك تكون قلوبكم معلقة"2.

وقال المسيح عليه السلام لأصحابه: "أنتم تقولون إن الحصاد يأتي بعد أربعة أشهر، وأنا أقول لكم ارفعوا أعينكم فانظروا إلى الكور قد ابيضت وبلغت الحصاد، والذي يحصد يأخذ الأجرة ويجمع ثمار الحياة الدائمة"3.

وقال المسيح عليه السلام لتلاميذه: "اعملوا لا للطعام الفاني، بل للطعام الباقي في الحياة المؤبّدة لأن ذلك قد ختمه الله"4.

فقد ثبت عن المسيح اشتمال الجنة على الأكل من الطيبات والتنعم بالذات والتفكه في الشهوات.

فإن قيل: وأين ذكر الجماع في الجنة؟!.

قلنا: قال المسيح عليه السلام في الإنجيل: "من ترك زوجة أو بنين أو حقلاً من أجلي فإنه يعطى في الجنة مائة ضعف ويرث الحياة الدائمة"5.

فقد صرح المسيح بأن الرجل المؤمن يعطى في الجنة مائتي زوجة كما يعطى مائتي حقل. والحقل الكرم والبستان. وذلك مكذب للنصارى واليهود فيما صاروا إليه.

____

1 متى 5/6-7.

2 متى 6/19-21، لوقا 12/33، 34.

3 يوحنا 4/35، 36.

4 يوحنا 6/27.

5 متى 19/25، مرقس 10/29، 30.

==

فإن قيل: هذا فيه الحجة الواضحة على النصارى، فما الحجة فيه على اليهود1 مع إنكارهم / (1/62/ب) شرع الإنجيل؟

قلنا: قال الله تعالى في السفر الأوّل من التوراة وهو الذي يدعى سفر الخليفة: "إن الله غرس فردوساً في جنة عدن وأسكنه آدم وغرس له من كل شجرة طيبة المأكل شهية الطعم وتقدم إليه: إني قد جعلت كل شجر الجنة لك مأكلاً سوى شجرة معرفة الخير والشرّ، ثم قال الله سبحانه: لا يحسن أن يبقى آدم وحده. فألقى عليه سباتاً ونزع ضلعاً من أضلاعه ثم أخلف له عوضه لحماً ثم خلق الله من ذلك الضلع حواء فزوجها آدم فلما أكلا من الشجرة التي [نُهيا]2 عنها انفتحت أعينهما وعرفا أنهما عريان فكلمهما الله وتوعدهما على المخالفة، ثم صنع سبحانه لآدم وزوجته سرابيلات من الجلود فألبسهما ثم أرسلهما من جنة عدن وأهبطهما إلى الأرض ليحرث فيها"3.

وقال في السفر الأوّل أيضاً: "كانت سدوم قبل أن يخسف الله بها تشبه فردوس الله وأرض مصر"4.

وقال في السفر الأوّل أيضاً: "أما هابيل الشهيد فإنه يجزى بدل الواحد سبعة"5.

---

1 يقول ابن كمونة اليهودي في تنقيح الأبحاث ص 27: "واعتقدت اليهود أن ثواب الطاعة هو الخلود في نعيم الجنة والعالم الآتي، وعقاب المعصية هو العذاب في جهنم من غير خلود لمعتقد هذه الشريعة وإن كان عاصياً. ومنهم من اعتقد أن بعث الأموات يحصل مرتين، مرة في زمن المسيح المنتظر عندهم وذلك البعث مختص بالصالحين من الأمة... وتارة يبعث الموتى في القيامة العامة لكافة الناس، الصالحين منهم والطالحين للجزاء بالثواب الأبدي على الطاعة وبالعقاب على المعصية. واعتقدوا أيضاً بقاء الأنفس بعد فساد الأجساد، وأنها لا تعدم أبداً. ونبغ منهم من زعم أن العالم الآتي هو ما بعد الموت فقط، وأن الثواب الأبدي والعقاب إنما هو للأنفس المجردة بعد خراب أجسادها، وليسا بجسمانيين بل هما روحانيان فحسب، والنصوص الكثيرة المنقولة عن علمائهم وحملة شرعهم ناطقة بالمجازاة بالثواب والعقاب بغير عود الأنفس إلى الأبدان. وهي غير محتملة التأويل عند كل عاقل يتأملها جميعاً". اهـ بتلخيص.

2 في ص (نهي) والصواب ما أثبته.

3 سفر التكوين الإصحاح الثاني والثالث.

4 سفر التكوين 13/10.

5 سفر التكوين 4/15.

وهذا دليل أن الجزاء جنس المنفق في الدنيا تقرباً / (1/63/أ) إلى الله، فإن هابيل كان قد قرب من أبكار غنمه فتقبله الله منه ووعده الجزاء على الواحد سبعة.

فهذه التوراة والإنجيل مصرحة بموافقة الكتاب العزيز، وبذلك تتم اللذة وتجتمع المسرة وتحصل الدعة، فمن أعظم جرماً وأشد إثماً وأثقل وزراً وأضعف أزراً ممن يقرأ هذه النصوص من التوراة والإنجيل ثم يكفر بها ويردها؟!.

ولو أن اليهود والنصارى إذ حرموا لذة الاستنباط والاستخراج قلدوا أنبياء الله في ذلك لأخذوا بحظهم من الخير، فقد قال النبي أشعيا في نبوته: "يا معشر العطاش الجياع توجهوا إلى الماء والورود ومَن ليس له فضة فليذهب يمتار ويستقي ويأكل ويتزود من الخمر واللبن بلا فضة ولا ثمن"1.

قلت: وذلك موافق لقول الله تعالى في الكتاب العزيز في وصف الجنة: {فِيهَا أَنْهَارٌ مِّنْ مَاءٍ غَيرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خِمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّن عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُم فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ}[سورة محمّد، الآية:15].

وقال دانيال عليه السلام: "سيبعث من الأجداث قوم كثير بعضهم إلى الحياة الدائمة وبعضهم إلى البوار"2.

وقال / (1/63/ب) داود: "الله باعثهم وناشرهم من بين أنياب السباع ومن لجج البحار"3. وقال أيضاً في المزمور الخامس والثلاثين: "يا ربّ البشر بظلال بيتك يستترون ومن نعيم بيتك يشبعون ومن وادي نعمك يترعون؛ لأن ينبوع

---

1 سفر أشعيا 55/1.

2 سفر دانيال 12/2.

3 ورد معنى النص في مزمور 96/10-13.

الحيلة عندك"1. وقال في [المزمور]2 الثمنين: "لو سمع مني شعبي وسلك سبلي لأذللت أعلاه ومحوت سيئاته وأطعمته من طيباتي"3.

وقال في المزمور الرابع والعشرين والمائة: "المتوكلون على الله مثل جبل صهيون الذي بأورشليم لا يزول إلى الأبد. والذين يزرعون بالدموع يحصدون بالفرح كانوا ينطلقون باكين ويقبلون بالتهليل وقد حملوا غلاتهم"4.

فهذه نبوات أنبياء بني إسرائيل والتوراة والإنجيل قد تظاهرت وتضافرت[5] بما نطق به الكتاب العزيز من اشتمال دار الثواب على الطعام والنكاح والشراب.

فإن قال اليهود: ما حكيته عن التوراة من الجنة محمول على بستان من بساتين الدنيا ولا ينكر تسمية الجنة بستاناً، والبستان جنة.

قلنا: يا إخوان القرود ومشاركي ثمود إنما قالت التوراة: إن الله / (1/64/أ) أسكن آدم فردوساً في جنة عدن وجعل فيه من كل شجرة طيبة المأكل وقال لآدم: جعلت لك كل شجر الجنة مأكلاً. والله تعالى يقول: إنه فردوس في الجنة وأنتم تقولون: بل بستان وحديقة في الدنيا، ألم تسمعوا إلى قوله في بقية الكلام: إن الله كلمهما وتهددهما ثم صنع لهما سرابيلات من الجلود وأرسلهام من جنة عدن إلى الأرض التي أخذ منها آدم وأهبطهما للحرث؟!.

____

1 مزمور 36/7-9.

2 في ص (مزمور) والتصويب من المحقِّق.

3 مزمور 81/13-16، وهو منسوب إلى إمام المغنين (آساف).

4 مزمور 125/1-2، 136/5، 6.

5 في ص: تطافرت.

==

وإن تعلق النصارى بقول أسلافهم: إن أهل الجنة لا يتزوجون[1]. قلنا لهم: يا عباد الرجال وربات الحجال، لو قدرنا صحة ما نقلتموه عن أسلافكم من ورود هذا اللفظ بعينه لم يلزم نفي ما صرنا إليه من التنعم بالنسوان في الجنان، إذ يحتمل أن يراد به أنهم لا يتزوجون الزواج المعروف المألوف من قاعدة النكاح والزواج الدنيوي وهو تقدم الخطبة وبذل الصداق والعقد والشروط وغير ذلك مما فيه حرج وكلف على الناكح، بل يمنحون ذلك ويتملكونه ويرثونه وراثة وتملكاً والدليل عليه من الإنجيل قول المسيح:"من ترك زوجة من أجلي في الدنيا فإنه/(1/64/ب) يعطى مائة ضعف ويرث الحياة الدائمة"[2]. وفي ذلك موافقة الكتاب العزيز حيث يقول: {تِلْكَ الجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُم تَعْمَلُون} [سورة الزخف، الآية: 72]. ولفظة الميراث كثيرة مستعملة في الإنجيل والتّنْزِيل، ولهذا شمر كثير من أتباع المسيح في طلب هذا التضعيف فترهبنوا وانقطعوا عن النساء والشواغل، فإذاً قولكم: إن أهل الجنة لا يتزوجون منافاة بينه وبين قوله في الإنجيل: "من ترك زوجة فإنه يعط للواحد مائة ضعف". والأصل المعتبر عند أرباب النظر الجمع بين الأدلة، لا تعطيل بعضها واستعمال بعض؛ فقد ثبت - بعون الله ومنه - ما

____

1 يستدل النصارى على ذلك بما ورد في إنجيل متى 22/22-30، ومرقس 12/18-25، ولوقا 20/27-35: "حين جاء إلى المسيح صدوقيون - وهم فرقة من اليهود - يسألونه عن امرأة تزوجت بسبعة أزواج واحداً تلو الآخر فلمن من السبعة تكون زوجة في يوم القيامة؟

فقال المسيح: "تضلون إذ لا تعرفون الكتب ولا قوة الله؛ لأنهم في القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون بل يكونون كملائكة الله في السماء". وهذا النصّ لا نسلم بصحته ونجزم بتحريفه وكذبه ناقله؛ فإن الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - قد بشروا المؤمنين بالجنة وما فيها من الملذات والنعيم.

2 ورد النص في إنجيل متى 19/29، كالآتي: "قال لهم يسوع:...وكل مَن ترك بيوتاً أو إخوةً أو أخوات أو أباً أو أماً أو امرأة أو أولاداً أو حقولاً من أجل اسمي يأخذ مائة ضعف ويرث الحياة الأبدية". وبنحوه ورد في إنجيل مرقس 10/30.

==

ضمناه من اشتمال الجنة على الملاذ الروحانية والجسمانية جميعاً1.

لزوم الاستقامة خوف هجوم القيامة:/(1/65/أ)"قال المسيح يشبه ملكوت الله-عشر عذارى أخذن مصابيحهن وخرجن للقاء العروس، خمس منهم جاهلات وخمس حكيمات، فأما الجاهلات فأخذن مصابيحهن ولم يعددن زيتاً، وأما الحكيمات فأعددت الزيت مع مصابيحهن، فلما أبطأ العروس نعسن ونمن أجمع وانتصف الليل وصرخ الصوت: قد جاء العروس فاخرجن للقائه. فقال الحكيمات وزيّتن مصابيحهن فقال الجاهلات للحكيمات: أعطونا من زيتكن فإن مصابيحنا قد طفئت. فقلن: ليس معنا ما يكفينا وإياكن فاذهبن وابتعن لكن زيتا. فلما ذهبن لذلك جاء العروس ودخل مع المستعدات إلى العرس وأغلق الباب، وجاء الجاهلات فقلن: يا ربّ يا ربّ. فقال: الحقّ أقول لكن إني لست أعرفكم، ثم قال لتلاميذه: اسهوا الآن وصلوا فإنكم لا

---

1 ونؤكد ما ذكره المؤلِّف من الأدلة في إثبات البعث الجسماني والتنعم من الأكل والنكاح واللباس وغيره - بذكر دليل سمعي وآخر عقلي - كالآتي:

أما الأوّل: وهو الذي نعتمد عليه - أن السمع قد قام على أن الله عزوجل خلق الأشياء واخترعها مبتدعاً لها لا من شيء ولا على أصل متقدم، وإذ هو كذلك فلا متوهم يتعذر عليه إذ ما شاء كان. وقد أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قامت به الدلائل الضرورية على صحة نبوته وأنه عن الله عزوجل يخبرنا أن الأكل والشرب والنكاح واللباس هنالك، وهذا قبل أن يخبر به الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم داخل في حد الممكن. ثم قام دليل على صحته فصار في حد الواجب.

وأما الدليل العقلي، فإن الله تعالى خلق جواهرنا وطباعنا تلتذ بالمأكل والمشرب والروائح والملابس والأصوات الموافقة لجوهرنا والوطء، وقد علمنا أن النفس هي الملتذة بذلك، وأن هذه الحواس الجسدية هي الموصلة لهذه الملاذ إلى النفس، فهذه طبيعة جواهر أنفسا التي لا سبيل في وجودها دونها، فإذا جمع الله عزوجل يوم القيامة في دار الجزاء بين أجسادنا بعد تصفيتها من كل كدر وبين أنفسنا عادت الطبيعة كما كانت فجوزيت هنالك ونعمت بملاذها وبما تستدعيه طباعها التي لم توجد قط إلاّ لذلك، إلاّ أن ذلك الطعام غير معاني بنار ولا ذو آفات ولا مستحيل كما أخبرنا تعالى: {لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلا يُنْزِفُونَ}. (ر: الأصول والفروع ص 78، لابن حزم. مقام هامات الصلبان ص 280، 281، للخزرجي باختصار).

تعرفون ذلك اليوم ولا تلك الساعة"1.

قلت: قال ربنا جل اسمه: {يَومَ يَقُولُ المُنَافِقُونَ وَالمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُم قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُم فَالتَمِسُوا نُوراً فَضُرَبَ بَينَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ العَذَابُ يُنَادُونَهُم أَلَمْ نَكُن مَّعَكُم قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُم فَتَنْتُم أَنْفَسَكُم وَتَرَبَّصْتُم وَارْتَبْتُم وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللهِ وَغَرَّكُم بِاللهِ الغَرُورُ}. [سورة الحديد، الآياتان: 13-14].

انظر - رحمك الله - إلى هذا الكلام الرفيع القدر، الطيّب النّشر، الحسن البشر، وقسمه بفصل العذارى العشر لتعلم / (1/65/ب) قدر ما أوتيت الأمة المحمدّية، وتقف على سِرِّ قوله عليه السلام: "لقد جئتكم بها بيضاء نقية"2.

27- شهادة يوحنا الإنجيلي للمسيح عليه السلام بالنبوة، وفي ذلك تكذيب للمتأخرين من النصارى في دعوى ربوبيته؛ قال يوحنا تلميذ المسيح وحبيبه وهو أحد مدوني الإنجيل: (لما أطعم يسوع خمسة [آلاف]3 رجل من خمسة أرغفة وحوين من السمك قال الناس: حقا إن هذا لهو النبيّ الآتي إلى العالم. فلما علم أنهم يريدون يخطفونه ويصيرونه ملكاً عليهم خرج من بينهم وذهب وحده إلى الجليل"4.

فهؤلاء خمسة آلاف رجل ممن شاهد المسيح يشهدون له بالنبوة وهو مقرّهم على شهادتهم، حاكم بصحة إيمانهم، راضٍ بهذا المعتقد منهم. ولو أنكر عليهم قولهم لنقل إلينا كما نقلت منهياته وأوامره على ما سيأتي، وما أحسن إلهاً يخاف من العبيد أن [يخطفوه ويصيروه ملكاً عليهم ويغلبوه]5 على رأيه في ذلك!!.

---

1 متى 25/1-13.

2 تقدم تخريجه ص 104.

3 في ص (ألف) والتصويب من النص.

4 يوحنا 6/10-15.

5 في ص (يخطفونه ويصيرونه...ويغلبونه) والصواب ما أثبته.

وقد نقلوا عن لوقا أن جبريل حين بشر مريم أم المسيح بالناصرة قال لها: "إن ولدك يجلسه الرّبّ على كرسي / (1/66/أ) أبيه داود ويملكه على بيت يعقوب"1.

فإن كان ما حكوه عن لوقا عن جبريل صحيحاً فقد كـذبوا في هربـه من التمليـك عليهم، وإن كـان مـا نقلوه هاهنا في الهرب صحيحاً فقد كذبوا في نقلهم عن لوقا عن جبريل، وإلاّ فكيـف يتقـدم اللـه إليـه على لسان جبريل بسياسة عباده والتملك عليهم ثم يأبى ذلك ويخالف أمره وينكص عنه فلا يمتثله؟!

هذا مما يورِّك فيه على النقلـة وبهـذا الاضـطراب وشـبهه ردّ العلمـاء كتب هـؤلاء القـوم وأضـربوا عن الاحتفال بها؛ فإن شغب النصارى بذكر هذه الآية أعـدنا عليهم آيـة موسـى وقلنـا: قـد نقلنـا من التـوراة أن موسى أطعم قومه وهم ستمائة ألف رجل سوى الصبيان والنسوان والغربـاء مَنّاً وسـلوى وأدامـه عليهم2، ومن صنع خيراً كثيراً وأدامه أفضل بلا شكّ ممن صنع قليلاً منه وقطعه.

وبالجملة فآيات الأنبياء ليست نمطاً واحداً؛ إذ المقصود منها الإعجاز.

28- معجزة دالة على صدق نبوته عليه السلام. / (1/66/ب) قـال يوحنـا التلميـذ: "دعي المسـيح إلى عرس في الجليل ففرغ الخمر الذي لهم، فقالت أم يسوع: ليس للقوم خمـر ثم قـالت للخـدام: افعلـوا مـا يأمركم به يسوع، وكان هناك أوعية من حجارة لتطهير اليهود فأمرهم يسوع فملؤوها ماء ثم أمرهم فسقوا الناس منها خمراً طيبة. قال يوحنا: هذه أوّل آية أظهرها المسيح بقانا الجليل"3.

____

1 لوقا 1/32، 33.

2 ورد ذلك في سفر الخروج الإصحاح (16).

3 يوحنا 2/1-11.

==

الباب الثاني: في إثبات نبوته وتحقيق رسالته

فإن قال النصارى: بذلك نسـتدل على ربوبيتـه إذ قلب الأعيـان ليس من مقـدور البشـر، فـالجواب أن المستبدل بالخلق والاختراع هو الله الذي لا إله غيره الفرد القديم الواحد العالم القادر الحكيم خالق العـالم بما فيه من الأجسام والأعراض، وليس في تحويل الماء خمراً سوى تبديل عرض بعرض؛ إذ لا يخلو الجـوهر عن عرض إلاّ ويخلفه ضدّه، فتارة يكون ذلك الضـدّ مناسـباً، وتـارة يكـون مخالفـاً، وذلـك كلـه ممكن واللـه تعالى متّصف بالقدرة على كلّ ممكن، وقد دللنا على عبودية المسيح في الباب الأوّل / (1/67/أ) وفي ذلك ما يردّ هذا السؤال، والمعجز في الحقيقة خالق العجز وهو الله عزوجل، وصدوره على يد عبد من عبيد الله يدعي أن الله أرسله يتَنَزَّل منْزِلَة قول الله تعالى: "صدق عبدي".

ونحن نناقش النصارى على ذلك فنقول:

أوّلاً: لا نسلم أن هذه المعجزة لعيسى بل هي لمريم أمه بدليل أنها التي اقترحتهـا وطلبتهـا. ألا تراهـا كيف تقدمت للخدام وقالت: افعلوا ما يأمركم به يسوع، وذلك من غير مؤامراته؟

وقد حكى بعض العلماء من أصحابنا في نبوة مريم قولين، فإن كانت نبية فهذه معجزة لهـا، وإلاّ فهي كرامة في حقّ ولايتها1، والكرامة صورتها صورة

____

1 اختلف العلماء في مسألة جواز نبوة النساء مطلقاً على أقوال هي:

أ- ذهب بعضهم إلى جواز نبوة النساء واتّفقوا على نبوة مريم واختلفوا في حواء وسارة وهاجر وأم موسى، ومن هؤلاء العلماء ابن حزم. (ر: الفصل في الملل والنحل 5/119-121)، والقرطبي وتبعهم بعض العلماء.

ب- وذهب بعضهم إلى التوقف في المسألة؛ فقد نقل عن السبكي الكبير أنه قال: "لم يصح عندي في هذه المسألة شيء". (ر: فتح الباري 6/471، 474).

ج- وذهب الجمهور إلى عدم جواز نبوة النساء، وأن النبوة خاصة بالرجال. قاله القاضي عياض، ونقل النووي وابن تيمية الإجماع على ذلك عن غير واحد مثل القاضيين: أبي بكر بن الطيب وأبي يعلى وابن أبي الفراء، والأستاذ أبي المعالي الجويني وغيرهم. (ر: فتح الباري 6/471، 473). قصص الأنبياء ص 483، لابن كثير، الجواب الصحيح 1/331، لابن تيمية).

واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلاّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ...}. [سورة النحل، الآية: 43]. وبقوله تعالى: {مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ}. [سورة المائدة، الآية: 75]. فجعل غاية مريم الصديقة كما جعل غاية المسيح الرسالة.

وذكروا لذلك حِكَماً؛ منها: أن النبوة عبء ثقيل لا تتحمله طبيعة المرأة الضعيفة، ولأن الرسالة تقتضي الاشتهار بالدعوة، والأنوثة تقتضي التستر وتنافي الاشتهار لما بين الاشتهار والاستتار من التمانع. ولعلوّ مرتبة الذكور على الأنوثة فلذلك جعل الله القوامة للرجال على النساء، والنبوة تقتضي قوامة النبي على من يتابعه، ولأن المرأة يطرأ عيلها بحكم طبيعتها ما يعطلها عن كثير من الوظائف والاتصال بالملأ الأعلى كالحيض والحمل والولادة ونحوه، ولكون النفوس مائلة في ذواتهن بحسب الطبع فيغفلون عن مقالهن، وكل ذلك مانع من القيام بأعباء الرسالة وتكاليفها. كما ناقش الجمهور أدلة المخالفين بردود قوية. (ر: للتوسع: قصص الأنبياء، ص 482-486، للإمام ابن كثير، لوامع الأنوار البهية 2/265، 266، للسفاريني، الرسل والرسالات ص 84-89، د. عمر الأشقر).

==

المعجزة وإنما يفترقا في التحدي على رأي بعضهم، قال الله تعالى في حقّ مريم أم المسيح: {كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا المِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عَندِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيرِ حِسَابٍ}. [سورة آل عمران، الآية: 37].

ولا يستنكر من أصحابنا القول بنبوة مريم؛ فأهل الكتاب يعتقدون نبوة جماعة من النسوان منهم: مريم[1] أخت موسى وخُلدى[2] وأستار[3]

---

1 ورد نسبة النبوة إلى مريم أخت موسى وهارون في التوراة المحرفة في سفر الخروج 15/20، وقد تقدمت ترجمتها ص: 176.

2 خلدة: يذكر عنها قاموس الكتاب ص 344: أن اسمها عبري معناه: "ابن عرس"، وهي امرأة شالوم، وهي نبية شهيرة سكنت القسم الثاني من أورشليم في عهد الملك يوشيا، وتنبأت عن خراب أورشليم. (ر: أيضا: سفر الملوك الثاني إصحاح (22)، وسفر أخبار الأيام الثاني إصحاح (34).

3 أستير: معناه في الفارسية: "كوكب"، واسمها في العبرية هدسة أي: "شجرة الآس) وهي امرأة يهودية جميلة اتّخذها ملك الفرس زوجة له، وقد لعبت دوراً مهمّاً في إنقاذ اليهود من مكيدة دبرها وزير الملك للقضاء عليهم يوم الثالث عشر من آذار، وقد استطاعت أن تستصدر أمراً من الملك بالقضاء على وزيره بعد اتّهامه بالخيانة ضدّ الملك، وقتلت أكثر من سبعين ألفاً من الفرس أتباع الوزير في اليوم المحدد السابق لقتل اليهود فيه، ولذلك اتّخذ اليهود يوم الرابع عشر من آذار عيداً لهم إلى يومنا هذا تخليداً لذكرها، ولا يعرف شيء عن موت أستير وتاريخه.

وينسب إليها سفر باسمها: "سفر أستير" عدد إصحاحاته: (10) إصحاحات ضمن أسفار الوحي القانونية، له مكانة خاصة ممتازة عند اليهود. (ر: سفر أستير، وقاموس الكتاب ص 63-66).

==

ورفقى1، وقد زعموا أنّه كان لفولس2 / (1/67/ب) الرسول من أتباع المسيح بعد المسيح أربع بنات كلهن نبيات3.

ولو سلمنا أن الآية مضافة إلى المسيح وفي حقه فهي آية تدل على صدقه والله يؤيد من يشاء لإرشاد خلقه، ولو جاز أن يدعي في المسيح الربوبية بتحويل الماء خمراً لجاز أن يدَّعي ذلك في اليسع بتحويله زيتاً فقد جاء في سفر الملوك من كتب أهل الكتاب: "أن اليسع عليه السلام نزل بامرأة من بني إسرائيل فأضافته وأكرمته فلما عزم على الانصراف قال لها: هل لك من حاجة؟ قالت: يا نبي الله إن على زوجي ديناً قد فدحه وإن رأيت أن [تدعو]4 الله تعالى لنا بقضاء ديننا. فقال لها اليسع: أحضريني ما عندك من الأواني واستعيري من جيرانك ما قدرت عليه من الآنية. ففعلت ذلك فأمرها فملأتها كلّها ماء ثم قال: اتركيها ليلتك هذه. وتركها ومضى فأصبحت المرأة وقد تحوَّل ذلك كلّه زيتاً فباعوه وقضوا دينهم"5. فهذه الآية أعجب وأغرب. ولم ينقل أن اليسع امتهن

---

1 رفقة: اسم عبري ربما كان معناه: "رباط أ, حبل قيد"، وهي ابنة بتوئيل، وزوجة إسحاق وأم يعقوب - عليهما السلام - وينسبون إليها زوراً وبهتاناً في التوراة المحرفة أنها دبرت حيلة ليعقوب لينال البركة والنبوة من أبيه إسحاق بدلاً من أخيه الأكبر عيسو - وقد ماتت رفقة قبل إسحاق ودفنت في مغارة المكفيلة عند قبر إبراهيم عليه السلام، ولم يذكر أنها كانت نبية. (ر: سفر التكوين إصحاح 24، 25، 27، 49، قاموس الكتاب ص 408).

2 الصواب أنه فيلبس المبشر: أحد السبعة المرسومين شماسة في كنسبة أورشليم، وقد كرس نفسه بعد الاضطهاد للتبشير وخاصة في السامرة، وقد كان له أربع بنات عذارى يتنبأن.(ر:أعمال الرسل

21/8،9).وقد استقر فيلبس بقيصرية، وصار أسقف تراليس.(ر:سفر أعمال الرسل إصحاح21،8،6، وقاموس الكتاب ص 702).

3 ذكر قاموس الكتاب المقدس ص 952 أن الإناث من الأنبياء-حسب اعتقاد أهل الكتاب-في الكتاب المقدس هن: 1- مريم أخت موسى وهارون. 2- دبورة. 3- حنة أم صموئيل. 4- خلدة امرأة شلوم. 5- حنة بنت فنوئيل. 6- بنات فيلبس الأربع. ولم يذكر الكتاب نبية غيرهن إلاّ أنّه ذكر وجود نبيات كاذبات وحذر منهن مثل: نوغدية وإيزابيل. اهـ.

4 في ص (تدعوا) والتصويب من المحقِّق.

5 سفر الملوك الثاني 4/1-7.

==

وغلب وقتل وصلب. بلْ لم يزل / (1/68/أ) آمناً في سِرْبه1 إلى أن لحق بالله ربه.

ولقد فعل موسى ما هو أعجب من ذلك كله وهو: "أنه ضرب بعصاه بحر النيل بمصر فتحوَّل الماء بسائر أرض مصر دماً عبيطاً"2. وكذلك "ألقى عصاه بين عصي بني إسرائيل فاهتزت شجرة ذات أغصان وأفنان وأورقت وأثمرت لوزاً، فبينا هي خشبة إذْ صارت شجرة خضراء مثمرة"3. فبطل ما عوَّل النصارى عليه، فما أجابوا به عن آيتي موسى واليسع فهو جواب لنا عن آية المسيح.

وقد صرح فولس في الرسالة الرابعة عشرة إلى العبرانيين بأن المسيح ليس ربّاً ولا إلهاً بل إنّه عبد من عباد الله، شرّفه الله كما شرّف غيره من أنبيائه وأهل صفوته. فقال: "إن المسيح هو رئيس أحبارنا وهو الذي صعد إلى السماء وليس لنا رئيس أحبار غيره، ثم قال: إن كل رئيس أحبار إنما يكون من الناس ليقوموا فيما بين الناس وبين الله، وليس أحد ينال الكرامة لنفسه إلاّ من أناله الله مثل هارون، وكذلك المسيح لم يمدح نفسه، بل الله الذي مدحه حيث يقول: أقسم الربّ بأنّك أنت الكاهن المؤيد شبه/ (1/68/ب) ملكي صادق"4.

فهذا فولس - الذي ليس عند النصارى من يعدله - يشهد بأن المسيح إنسان من بني آدم [وحَبْرٌ]5 من أحبارهم كهارون.

29- دليل صحيح على نبوته: قال يوحنا الإنجيلي: "جاء يسوع إلى بئر من آبار السامرة مستسقياً ماء وقد عيي من تعب الطريق ففاوضته امرأة منهم

---

1 السرب:النفس،يقال:فلان آمن في سربه،أي:في نفسه.(ر:مختار الصحاح ص293).

2 سفر الخروج 7/14-21.

3 تقدم تخريجها ر: ص: 84.

4 الرسالة إلى العبرانيين 4/14-16، 5/1-10.

5 في ص (حبرا) والصواب ما أثبته.

فقالت: يا سيد إني أرى أنك نبي. فقال لها يسوع: أنا هو الذي أكلمك. ثم وافاه تلاميذه فعرضوا عليه طعاماً، فقال: إن لي طعاماً لستم تعرفونه، إن طعامي أن أعمل مَسَرَّة من أرسلني، وأتم عمله. ثم بعد يومين خرج من هناك؛ لأنه شهد أن النبي لا يكرم في مدينته"1. وجه الدلالة على النبوة والرسالة من وجوه:

أحدها: قولها له: "يا سيد إني أرى أنك نبي". فصدّقها وحقّق ظنّها، فقال لها: "أنا هو"، وهذا واضح.

الثاني: قوله: "إن لي طعاماً لستم تعرفونه"، يعني بذلك اللذات الروحانية الحاصلة من المناجات والمكالمة.

الثالث: قوله: "أعمل مسرة من أرسلني". كنَّى / (1/69/أ) بالمسرة عن المحبة، وإن كان الباري لا يتصف بالمسرة، وذلك من سوء تعبيرهم، وعَرَّف بأنه رسول مأمور بإتمام العمل ولزوم الطاعة، والنبي وغيره شرع في الشرع إلاّ ما قام الدليل على تخصيصه به.

قال المؤلِّف - عفا الله عنه -: "من وقف على هذه الفصول الشاهدة بالنبوة والرسالة، وشاهد ما كفيته من مؤنة استخراجها من أيدي الضانين بها، الكاتمين لها؛ ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متمُّ نوره، فليخصّصني بدعوة صالحة تكون زادي لمعادي، ويتعين عليه إظهار ذلك للمسلم والكافر، أما المسلم ليقف على مصداق قوله تعالى في حقّ المسيح: {وَجَعَلَنِي نَبِيّاً...}2. [سورة مريم، الآية: 30]. وقوله: {ما المسيح ابن مريم إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة}. [سورة المائدة، الآية: 75].

وأما الكافر فحتى تظهر عليه الحجة، ويتّضح المحجة، وأنذر

---

1 يوحنا 4/5-44، في سياق طويل وقد اختصره المؤلِّف.

2 {قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً}. [سورة مريم، الآية: 30].

من بسطت يداه في دنياه، وأهمته العناية بأخراه أن يجمع من وجوه هذه الطائفة الزائفة جمعاً كثيفاً، ويحضر إنجيلهم ويقررهم بهذه الفصول على النبوة والعبودية، ليهلك من هلك/(1/69/ب) عن بيِّنةٍ ويحيى من حَيَّى عن بيِّنةٍ.

وأما قول يوحنا: "وقد عَيِيَ يسوع من تعب الطريق"، فدليل على الحدث، ظاهر لمن له ناظر. وليت شعري كيف يعتقد ربوبية رجل ذي رأس وعينين، وقذال1 وأذنين، وفم ولسان وكف وبنان، يأكل ويشرب، ويعيا ويتعب، ويهان ويضرب، ويقتل في زعمه ويصلب؟!.

على أنَّا نسأل النصارى فنقول: من هو هذا الذي عطش وعيي من تعب الطريق؟! فإن قالوا: هو اللاهوت، أكذبتهم التوراة إذ تقول: "إن الله خالق العالم بأسره وما مسه إعياء ولا تعب"2.

وإن قالوا: هو الناسوت، أبطلوا الاتّحاد، إذ لم يبق لاهوت متميّز عن ناسوت حتى يضاف إليـه الإعيـاء والتعب، وإذا كان الإله متَزَّهاً عن التعب والإعياء وقد تعب المسيح وعيي، فذلك دليـل على كـذب النصـارى فيما هذوا به من الاتّحاد، اللهم إلاّ أن يفسروا الاتّحـاد بمـا ظهـر على يـده من آيـات الإلـه من إحيـاء الميّت وتطهير الأبرص وغير ذلك. فيقودهم القول بذلك إلى مساواة المسيح / (1/70/أ) غيره، ويصير لا خصوصـية له بهذا الاتّحاد. فإن راموا تفرقة بين المسيح وبين غيره ممن أحيا الميّت وطهر الأبرص وفعل أضعاف فعل المسيح لم يقدروا على ذلك، وقد حكى لوقا في إنجيله: "أن رجلاً من الفريسيين طلب إلى يسـوع أن يأكـل عنده خبزاً، فلما دخل بيته حضرت إليه امرأة خاطئة، وصبَّت

____

1 القَذَال: جمـاع مـؤخر الـرأس، ويكـون من الفـرس معقـد العـذار خلـف الناصـية. والجمـع: "أَقذِلَـة وقُذُل". (ر: المصباح المنير ص 495).

2 ورد النص في سفر أشعيا 40/28، كالآتي: "إله الدهر الرّبّ خالق أطراف الأرض لا يكل ولا يعيـا". فلعل مراد المؤلِّف في نسبة النصّ إلى التوراة أي جنس الكتب القديمة المتقدمة على الإنجيـل، وذلـك من إطلاق اسم الجزء على الكل.

==

على رجليـه قـارورة طيب، وبكت عنـد قدميـه حـتى بَلَّتهمـا بـدموعها، وجعلت تمسح قدميـه بـالطيب وبشعر رأسها، فقال الفريسي في نفسه: لو كان هذا نبيّاً لعرف أن هذه المرأة خاطئة. فأجابـه يسـوع عمـا هجس في نفسه"1.

30- الدليل على رسالته من قوله واعترافه بأن اللـه غـيره وأنـه رسـول اللـه إلى عبـاده، قـال يوحنـا التلميذ: "لما انتصف العيد حضر يسوع إلى الهيكـل وشـرع يعلم، فقـال اليهـود: كيـف يحسـن هـذا التعليم؟ فقال تعليمي ليس هو لي بل للذي أرسلني، فمن عمل بطاعته فهـو يعـرف تعليمي، هـل هـو من عنـدي أم من عند الله؟ إن من يتكلم من عند نفسه إنما يريد مجد نفسه. فأما من يريد مجـد/ (1/70/ب) من أرسـله فهو صادق فعلام تريدون قتلي؟ فقال الجمع: لأنك شيطان. فقال لهم: تزعمون أن موسـى عَلَّمكم الختـان وليس الختان من موسى ولكنه من الآباء: "وقد يختنون الإنسان ومن الختان يهلك الإنسان كيلا تنقضوا سنة موسـى"2. فعلام تنقمـون عليَّ إبـرائي الإنسـان يـوم السـبت، ثم قـال: إني لم آت من عنـدي ولكن الـذي أرسلني محقّ، ولستم تعرفونه وأنا الذي أعرفه، وهو أرسلني. فَهَمَّ اليهود بأخذه ولم يقدروا، لأن ساعته لم تحضر بعد"3.

فقد وضحت رسالته من الله إلى النـاس وضـوح الصبح لـذي عيـنين، ولـولا تعاسـة الجِد4 لمـا اشـتبه الخالق بمخلوق، ولا قوبلت حقوقه بالعقوق.

فأما موضع التحريف من هذا الفصل، فهو قوله: "ليس الختـان من موسـى ولكنـه من الآبـاء". وذلـك غير صحيح؛ لأن التوراة قد أوجبت الختان، وجعلته

____

1 لوقا 7/36-50، في سياق ذكره المؤلِّف مختصراً.

2 ورد النص في إنجيل يوحنا 7/22، 23، كالآتي: "ففي السبت تختنون الإنسان، فإن كان الإنسان يقبل الختان في السبت لئلا ينقض ناموس موسى...".

3 يوحنا 7/14-30.

4 (الجد) في الأمر الاجتهاد، وهومصدر يقال منه: جَدَّ يجدّ والاسم: الجِدُّ. (ر: المصباح ص 92).

==

من شرائع الإيمان، فقال الله فيها: "اختنوا لحم غرلتكم أنت وبنوك ورقيقك والساكن عندك الذي أقبل إليَّ، واجعلوا ذلك ميسماً لي في أجسادكم، فمن لم يفعل ذلك فليقتل بما أبطل من عهدي"1. والتوراة تشهد أن إبراهيم أمره/(1/71/أ) الله فاختتن بعد ما كبرت سنة وختن بنيه وعبيده2، واختتن موسى وهارون والمسيح3 [وحواريوه]4 وتلاميذه، والدليل على ثبج5 هذا النقل واضطرابه قوله بعد ذلك: "كيلا تنقضوا سنة موسى"،سمَّى الختان سنة موسى بعد قوله:"وليس الختان من موسى"، ولم يزل أتباع المسيح يختنون ويستنون بسنة الأنبياء في الختان حتى جاء رجل من المتأخرين يدعى فولس، هو الذي يسمونه فولوس الرسول، فادّعى أن المسيح ترآءى له، وأرسله إلى أهل دينه، فأحلَّ لهم فولس أشياء، وحلهم مما كانوا مرتبطين به من أقوال موسى والمسيح6، فكان مما حلهم منه سنة الختان التي شرعها الأنبياء عليهم السلام فراجعوه في ذلك،

1 سفر التكوين 17/9-14.

2 سفر التكوين 17/23-27.

3 جاء النص بختان المسيح في إنجيل لوقا 2/21.

4 في ص (وحواريه) والصواب ما أثبته.

5 الثبج: وسط الشيء ومعظمه. واضطراب الكلام وتفنيه وتعمية الخط وترك بيانه. (ر: القاموس ص 233).

6 إن الختان من الشعائر المعروفة في اليهودية، وهو قطع لحم غرلة كل ذكر ابن ثمانية أيام، وكان فرضاً دينياً عند اليهود، وفي بكور العصر المسيحي زعم فريق من اليهود المتنصرين أن حفظ تلك السنة ضروري للخلاص، ولهذا قال بولس: لأنه في المسيح يسوع ليس الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة بل الخليقة الجديدة. (رسالته إلى غلاطية 6/15). (ر: قاموس ص 337، 338، بتخليص). ويفهم من سفر الأعمال الرسل الإصحاح (15) بأن الحورايين قد عقدوا ما يسمّى بـ: "مجمع أورشليم" بطلب من بولس - الذي كان أوّل من دعا إلى ترك الختان، وعدم اتباع عادات بني إسرائيل - وبرنابا وغيرهم في النظر في مسألة الوثنيين الذين دخلوا في المسيحية ويرفوضون الختان، وقرر الحواريون السماح للوثنيين في الدخول في المسيحية دون شرط الختان - الذي لم ينسخ نسخاً باتاً - اعتباراً منهم على أن ذلك سيكون خطوة أولى إلى التمسك الكامل بأحكام المسيحية.

إلاّ أن الواضح بعد ذلك في أقوال بولس التصريح منه بنسخ الختان نسخاً باتاً، وعدم الفائدة منه كما تقدم، واستبدال الختان بالتعميد في العهد الجديد حيث قال بولس في رسالته إلى كولوسي 2/11ـ 12: "وبه أيضاً ختنتم ختاناً غير مصنوع بيد، بخلع جسم خطايا البشرية بختان المسيح مدفونين معه في المعمودية التي فيها أقمتم أيضاً معه بإيمان عمل الله الذي أقامه من الأموات. اهـ

فقال لهم فولس هذا المدعي رسالة المسيح: "إن الختان ليس بشيء، وإن الغرلة ليس بشيء"1. فأطبق الملكية2 على ترك الختان، وتربص بقية طوائف بها فلم يتجاسروا على إهمالها.

وهذا فولس3 الرسول عندهم له كلمات تدل على تهكم وتلاعب بدين النصارى ستأتي متفرقة في أضعاف هذا المختصر إن شاء الله تعالى. وقد سمعت بعض / (1/71/ب) النصارى يذكر أن كلمة ينطق بها المسيح مركبة من اللاهوت والناسوت جميعاً، فيلزم على قول هذا القائل أن يكون الإله قد نطق بكلام المستضعفين إذ يقول في كلامه لليهود: إنكم تريدون قتلي، وذلك زلل عظيم.

31- مناظرة جرت بينه وبين اليهود تشهد له بالنبوة والرسالة؛ قال يوحنا التلميذ: "قال يسوع لليهود الذين حضروه: إن أنتم ثبتم على الحقّ فالحقّ يعتقكم، فقالوا: نحن ذرية إبراهيم وأنت تزعم أنا عبيد. فقال: الحقّ أقول

____

1 رسالة بولس إلى أهل كورنثوس 7/19.

2 فرقة من فرق النصارى الكبيرة، وسيأتي التعريف بها.

3 لقد سبق لنا في ترجمة بولس (انظر: ص: 100) بيان الدور الخطير الذي قام به في انحراف النصارى، وقد أكّد الباحثون المعاصرون من النصارى ما قد قرره علماء المسلمين قديماً في المؤسس للنصرانية المنحرفة هو بولس، وليس عيسى عليه السلام. والأدلة على ذلك كثيرة من أقوال بولس في رسالته التي تثبت أنه واضع أسس العقيدة النصرانية المنحرفة ومنها:

قوله في رسالته إلى كولوسي 1/15: "الذي هو (يعني: المسيح) صورة الله غير المنظور بكر كل خليفة، فإنه فيه خلق الكل ما في السماوات وما على الأرض ما يرى وما لا يرى سواء كان عروشاً أم سيادات أو رئاسات أم سلاطين، الكل به وله قد خلق".

وقوله في رسالته إلى رومية 3/23: "إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله متَبَررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح الذي قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه". وكذلك في نفس الرسالة 5/10-21.

وقوله أيضاً 4/100: "وأما أنت فلماذا تدين أخاك...لأننا جميعاً سوف نقف أمام كرسي المسيح".

لكم إن من يعمل بالخطيئة فهو عبد الخطيئة، قد عرفت أنكم من ذرية إبراهيم، ولكنكم تريـدون قتـل رجل كلمكم بالحقّ الذي سمعه من الله، فقالوا: أما نحن فلسنا مولودين من زنى، وإنمـا لنـا أبٌّ واحـدٌ هـو الله. فقال: لو كان الله أباكم كنتم تحبونني؛ لأن الله أرسلني ولسـتم تفهمـون كلامي ولا تطيقـون اسـتماع قولي، أنتم من أبيكم إبليس وشهوة أبيكم تأتون. فقالوا: ألم نقل إنك سامري وأن بك جنوناً؟ فقـال: الحـقّ أقول لكم إن من يحفظ كلامي لا / (1/72/أ) يذوق الموت إلى الأبـد. فقـالوا: الآن علمنـا أنـك مجنـون. قـد مات إبراهيم والأنبياء؛ فلعلك أعظم من أبينا إبراهيم ومن مات من الأنبياء، من تجعل نفسك؟ فقال يسـوع: أبوكم إبراهيم اشتهى أن يرى يومي فرأى وفرح. فقال له اليهود: لم يـأت لـك خمسـون سـنة فكيـف رأيت إبراهيم؟ فقال يسوع: الحقّ أقـول لكم إنـني [كـائن]1 قبـل أن يكـون إبـراهيم. فتنـاولوا حجـارة لـيرجموه، فتوارى يسوع وخرج من الهيكل"2.

قلت: فقد نطق المسيح في هذا الفصل وفي غيره بأنه رسول من الله، وأنه إنسـان من خلقـه يـروم أعداؤه قتله على تبليغ رسالة ربّه، وأنه سامع من الله، وأن الله غيره ولو أن الأمر على ما يتخيله النصـارى لأرشد أهل ذلك المجلس إلى الصواب ولعرّفهم أن الإله لا يتصور قتله والظهـور عليـه، ولكنـه أثبت عنـدهم أنه رجل ضعيف من بني آدم، وأكّـد ذلـك في نفوسـهم بهربـه وتواريـه من المجلس على أعين النـاس وهم يشهدون، وكيف يكون إلهاً ويترك خلقه يرتبكون في حبائـل الشـكوك، ويقـول في محاورتـه: "إنّكم تريـدون قتلي / (1/72/ب) وأنا إنسان كلمتكم بالحق وفُهْت لكم الصدق"؟!.

---

1 إضافة يقتضيها السياق مأخوذة من نص الإنجيل.

2 يوحنا 8/31-59، في سياق طويل، وقد اختصر المؤلِّف بعضه.

==

الباب الثاني: في إثبات نبوته وتحقيق رسالته

وفي هذا الفصل مواضع يسألون عنها، وكلّها قريبة المغزى على من أمعن من مطالعة كتبهم، وعـرف نبوات أنبيائهم، منها قوله: "أنا قبل أن يكون إبراهيم". وإنما يريد قبلية الاصطفاء والاجتبـاء، وتقـدير الكلام: "أنّ الله قدّر لي النبوة واصطفاني للرسالة قبل خلق إبراهيم". وهذا محمل يتعين حمل هذا الكلام عليه إن صحّ نسبته إليه، ولو كان الأمر على ما [ينهق]1 به النصارى من دعوى الربوبية لم يخصص القبلية بـإبراهيم ولقال: "أنا كنت قبل خلق العالم، وأنا الذي نفخت الروح في حواء وآدم"، ولو جاز أن يتمسـك بقولـه: "أنـا قبل أن يكون إبراهيم"، لجاز ذلك في سليمان فقد قال عليه السلام في حكمته: "أنا كنت قبل الـدني، وأنـا كنت مع الله حين مدَّ الأرض، وكنت صبيّاً ألهو بين يديه"2.

فإن قالوا: هذا مُأَوَّل لأن سليمان3 من بني إسرائيل، فكيف يكون قبل الدنيا؟!.

قلنا: ويسوع المسيح من ولد إبـراهيم، فكيـف يكـون قبـل إبـراهيم؟! فاسـتوت الحـال وتـرجح جـانب سليمان في / (1/73/أ) هذه القَبْلِيَّة4.

---

1 في ص (يهيق) ولعل الصواب ما أثبته.

2 سفر الأمثال 8/22-31، بألفاظ متقاربة، وقد ذكره المؤلِّف مختصراً.

3 سليمان بن داود - عليهما السلام - اسم عبري معناه: "رجل السلام". وهو وأباه داود عند أهل الكتاب مجرد ملكين من ملوك بني إسرائيل وليسا نبيّين من أنبيائهم الكرام، وينسب إليه الهيكل المسمّى بـ: (هيكل سليمان)، كما ينسبون إليه زوراً وبهتاناً الكثير من كبائر الذنوب، وحتى الشرك بالله، كما ينسبون إليه سفر الجامعة وعدد إصحاحاته (2)، وسفر الأمثال وإصحاحاته (31)، وسفر نشيد الأناشيد وإصحاحاته (8). (ر: سيرته في سفر الملوك الأوّل وقاموس الكتاب ص 481، 483، 951).

أما في المصادر الإسلامية فإن سليمان وداود - عليهما السلام - بلا شكّ - من أنبياء الله الكرام المعصومين. (ر: سيرته في تاريخ الطبري 1/344-356، قصص الأنبياء، ص 428-447، لابن كثير وغير ذلك).

4 إن كلام المؤلِّف في الردّ على استدلال النصارى على ألوهية المسيح بقوله: "أنا قبل أن يكون إبراهيم"، مقتبس من كلام الحسن بن أيوب - وقد كان نصرانياً ثم أسلم - في الرّدّ على النصارى، وكتابه مفقود، إلاّ أن الإمام ابن تيمية قد نقل أغلب كتابه في الجواب الصحيح 2/340، ـ 341، كما ذكر الرّدّ أيضاً المهتدي نصر بن يحيى المتطبّب في النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ص 276، 277.

===

ومنها قوله: "إن أباكم إبراهيم ليشتهي أن يرى يومي فرأى وفرح"، يحتمل أن يكون إبراهيم كان قد اشتهى أن يرى يوماً يتلذذ فيه بمناجاة الله ومكالمته، فلا جرم أن الله تعالى أناله طلبته، وأسعفه بحاجته، وشرفه نحلته "فكلمه عند انتصاف النهار، حين مرت به الملائكة لهلاك قوم لوط كما شهدت به التوراة، وفارقوه وبقي إبراهيم قائماً بين يدي الله يناجيه ويتلذذ بمراجعته ويقول له: يا ربّ أتهلك الأبرار مع الفجار بغضب واحد"1. كما شهدت به التوراة، فضاهى ذلك اليوم من حسنه وطيبه يوم المسيح: "إذا كان يدعو ربّه عند إحياء العازر، ويقول: أشكرك؛ لأنك تستجيب لي، وأنا أعلم أنك تستجيب لي في كلّ حين، ولكن أشكرك من أجل هؤلاء الفئام ليعلموا أنك أرسلتني"2. كما نطق به الإنجيل، فهذا تأويل قول:"إبراهيم اشتهى أن يرى يومي"،ولو كان على ما يذهب إليه النصارى لقال:اشتهى أن يراني،ولم يقل:اشتهى أن يرى يومي.

ويحتمل أيضاً أن يكون إبراهيم كان قد سأل الله تعالى أن يجعل / (1/73/ب) في ذريته رجلاً صالحاً تعمّ بركته، فوعده الله أن يخرج من ذريته من يحيى الميت، ويبرئ الأبرص والأكمه، ويشفي المرضى، فاشتهى إبراهيم أن يري يوماً من أيام هذا المولود الموعود به لكي يحصل له مع علم اليقين عين اليقين [فأحيا له]3 ميتاً أو عدداً من الموتى، وشفى له مرضى، وكثر له من الزاد القليل ما أشبع الجمع الكثير، وقال: إن من ذريتك من أُجري هذه الأمور على يده، ففرح بذلك اليوم التي حصل له فيه من ربّه ما حصل.

---

1 سفر التكوين إصحاح (18).

2 يوحنا 11/1-46.

3 بياض في ص، والإضافة من المحقِّق حسب سياق الكلام.

وفي الفصل ما يقتضي مساواة المسيح غيره في لفظ النبوة إذ يقولون: "إن أبانا واحد هو اللـه"، فلم ينكر عليهم [ويقـل]1: كـذّبتم بـل هـو أبي دونكم، بـل أقـرّهم على ذلـك، وقـال: "لـو أن اللـه [أبـوكم كنتم تحبّونـني]2". ومن ذلـك قولـه: "الحـقّ يعتقكم"، ومعلـوم أنهم أحـرار، ومن ذلـك قولـه: "أنتم من أبيكم إبليس"، ومعلوم أنهم من بني آدم، فهذا التوسع من المسيح يوجب صرف الأبوَّة والبُنُوَّة عن ظاهرها.

ويقتضي إطلاق البنوة على العبد المطيع حيث يقول: لو أن الله / (1/74/أ) [أبوكم كنتم تحبونني]3.

قال المؤلِّف - عفا الله عنه -: "لقد فاوضت بعض النصارى فيما يتعلق بألفاظ البنـوة، فقـال: لا تعجب من تسميتنا السيد المسيح ابناً، فنحن بأسرنا ندعو الله أباً لجميعنا.

فقلت له: فأنتم إذاً مع المسيح في الرتبة، فلم تسمونه ربّـاً وتتّخذونـه إلهـاً؟ ولم يمـيز عنكم في هـذه التسمية؟! فذكر اختصاصه بالخوارق والآيات فتلوت عليـه أمثالهـا صـدرت عن عـدة من الأنبيـاء، فحـار ولم يحر جواباً، وأصيب ولم يصب صواباً. فليت شعري، أي شيء في هذا الفصل يصـلح للاسـتدلال على ربوبيـة المسيح وفيه قوله لليهود: "من منكم يوبخني على خطيئة؟!"، وفيه هربه من المجلس بحضرتهم. وهلاّ كـان مكان قوله: "من منكم يوبخني على خطيئة"، من منكم يجحد خلقي العالم؟! ونفخي الروح في آدم؟!، ولم تنكرون ربوبيـتي وتجحـدون ألوهيـتي، وأنـا الـذي بيـده البسـط والقبض، وبـأمره قـامت السـماء والأرض؟! وحاشاه حاشاه، بل إنما استدل على نبوته بثبوت عصمته، فقال: "من منكم يوبخني على خطيئة؟!".

____

1 في ص (ويقول) والصواب ما أثبته.

2، و(4) في ص (أباكم كنتم تحبوني) والصواب ما أثبته.

32- معجزة دالة على نبوّته / (1/74/ب): قال يوحنا التلميذ: "أحيا يسوع العـازر، وجـاء إلى القـبر مـع أخته، وقال لها: أين دفنتموه؟ فأشارت إلى المغـارة الـتي هـو فيهـا، فقـال: ارفعـوا الحجـر عنـه. ثم دمعت عيناه، فقال اليهود: انظروا حبه له. فقالت أخت العازر: يا سيد إنه قـد أنتن؛ لأن لـه أربعـة أيـام، فقـال: إن آمنت رأيت مجد الله، فرفعوا الحجر عن القبر، ورفع يسوع بصره إلى فوق، وقـال: يـا أبتـاه أشـكرك لأنـك تسمع لي، وأعلم أنك تسمع لي في كلّ حين، ولكن أشكرك من أجل هؤلاء القيام ليعلموا أنك أرسلتني، ثم نادى بصوت عظيم: عازار اخرج. فخرج الميت ويداه ورجلاه ملفوفة باللفائف ووجهه مستور بعمامة، فقـال يسوع: حُلُّوه ودعوه يمضي إلى بيته"1.

قلت: بهذا وشبهه ثبتت نبوّة المسـيح، ووضـحت رسـالته، وقطـع ألسـن اليهـود الـذي قرفـوه بالخنـاء، ونسبوا أمير الصدق إلى الزنا، وهذا الكلام من المسيح هو التحدّي على النبوّة.

فإن نازع اليهود في صدق هذه الآية من المسيح [ود]لالتها2 على النبوّة/(1/75/أ) ورد عليهم ذلك بعينه في شقّ البحر وإجراء المياه من حجر [الصَّوَانٍ]3 وغيره من آيات عيسى، وكلّ سؤال انعكس على مورده مردود من أصله.

وإن زعم النصارى أن ذلك دليل على ربوبية المسيح إذ ليس في مقدور البشر إحياء من في القبور.

قلنا: قد بيّنا في الباب الأوّل عبودية المسيح، وأنه إنسان من الخلق أكرمه الله بالآيات وأمدّه بالمعجزات، والرّبّ تعالى هو الذي يعيد الروح إلى قالبها، ويفعل ذلك عند دعوة النبي ليتوجه على العباد قبول أمره

____

1 يوحنا 11/1-44، في سياق طويل، وقد اختصر المؤلِّف بعضه.

2 في ص: بياض، والمثبت من اجتهاد المحقِّق حسب سياق الكلام. والله أعلم.

3 في ص: (الطـران) ولا معنى له، ولعله تحريف من الناسخ، وما أثبته موافق لسياق الكلام. و(الصواب) ضرب من الحجارة شديد.

==

ويتْزِل ذلك منه سبحانه منْزِلة قوله: "صدق عبدي فأطيعوه"، وهذا كما فلق البحر بسؤال موسى، وأخرج له من الرمل حيواناً كثيراً [قملا فأرسله]1 إلى فرعون وجنوده، وقد شهد كتاب [سفر]2 الملوك من كتبهم: أن قوماً حملوا ميتاً لهم إلى [القبر فرأوا عدوّاً لهم]3، فطرحوا الميت عن أعناقهم، وابتدروا [الهرب إلى المدينة، فأحيا الله تعالى الميت]4، وأقبل حتى دخل المدينة، فنظروا [فإذا هم قد وضعوه على قبْرِ]5 نبي الله اليسع، فهذا تراب [قبْر اليسع قد أحيا ميّتاً وهو أعجب]6 من فعل المسيح، والمسيح سأل / (1/75/ب) وتضرع في ذلك، واليسع ميّت لم ينسب إليه سؤال.

وقد ذكرنا أشعيا النبي "أن الله عزوجل قال لحزقيال: قم فتنبأ على هذه العظام حتى أحييها لك. ففعل فأحيا الله بدعوته عالماً كبيراً يقال: إنهم ثلاثون ألفاً، وقيل: ستون ألفاً، كان بختنصر اليوناني قتلهم، وكان لهم من يوم قتلوا ستون سنة"7. وقد أحيا إلياس وغيره8 الأموات.

"وقد كان موسى ضرب بعصاه الرمل فَتَكَوَّنَ منه [قمل]9 وذباب فانثال على أعدائه"10. ولا شكّ أن من صوَّر حيواناً ابتداءاً فهو أبدع ممن أعاد الروح إلى قالبها الأوّل. وكلّ هذه المنقولات تشهد بها التوراة والنبوات، فهلاّ اتّخذ

____

1 في ص بياض، والإضافة من نص التوراة سفر الخروج 8/16، 17.

2 و(3)، و(4)، و(5)، و(6) بياض وسقط في الأصل، وقد أكملت النقص من سفر الملوك الثاني 13/20-21، ومن المنتخب الجليل من تخجيل مَنْ حرَّف الإنجيل، لأبي الفضل المالكي ص 82.

7 ورد النصّ في سفر حزقيال 37/1-10، ولم يرد في سفر أشيعا كما ذكر المؤلِّف. ولعله سهو منه، أو إضافة من الناسخ.

8 ورد في سفر الملوك الأوّل 17/17-24 أن النبي إيليا (إلياس) عليه السلام أحيا ابن الأرملة الميت، وكذلك أحيا النبي اليسع عليه السلام ابن الإسرائيلية الميت كما ذُكر في سفر الملوك الثاني 4/18-37.

9 في ص (قملاً) والصواب ما أثبته.

10 سفر الخروج 8/16، 17.

==

النصارى من ذكرنا من الأنبياء آلهة وأرباباً، وقد أربوا على ما صدر من المسيح عليه السلام.

واعلم أن في قصة العازر أشياء تمنع النصارى من اعتقاد ربوبية المسيح منها:

قوله: "أين دفنتموه"، فإنه لو كان المسيح ربّه [لعرف أين]1 مكانه. فكيف يسأل الرّبّ عن موضع [قبر العازر؟!]2.

ومنها: استعباره عند رؤية قبْره [وذلك من صفات]3 الآدميّين / (1/76/أ) وحُنُوّ الجنسية.

ومنها: قوله لأخت الميّت: "إن آمنت رأيت مجد الله"، أضاف القدرة على الإحياء إلى غيره.

ومنها: ابتهاله وطلبه من الله وإظهار فاقته وحاجته إليه سبحانه، وعجزه وقصوره عن أن يأخذ إلاّ ما أعطاه، وقد صرّح هو بذلك في موضع آخر من الإنجيل إذ يقول: "إن الابن لا يقدر أن يفعل شيئاً ولا يتفكر فيه إلاّ أن يأمره الأب"4. وهذا غاية العجز والافتقار، فلو كان المسيح هو الله أو الله حالاً فيه كما يقول النصارى للزم اتّحاد السائل والمسؤول، والداعي والمدعو، والطالب والمطلوب منه.

ولو كان الله هو المسيح أو صفة من صفاته لجر إلى تلبيس عظيم، إذ سؤاله غيره، وطلبه من غير مطلوب منه، تلبيس وتدليس، وحمل لخلقه أن يقفوا به دون حقّه، وأن يعاملوه بما يقصر عن جلاله، ولا يعطونه من الخدمة والعبادة ما

---

1 ، و(3)، و(4) طمس وبياض في الأصل، وإكمال النقص من المحقِّق حسب سياق الكلام

4 إنجيل يوحنا 5/9، 8/28، بنفس المعنى.

==

يتقاضاه الربوبية وتوجيه الإلهية بل يعاملونه معاملة البشر ويخاطبونه مخاطبة الآدميين، فينسبونه تارة إلى بنوة داود وأخرى إلى بنوة يوسف / (1/76/ب) ومريم، وذلك غض عظيم من منصب الربوبية وحط لجلال الألوهية.

فنحن - يرحمك الله - نسأل النصارى عن هذا الداعي المبتهل الطالب أهو الإله الأزلي الواحد أو إنسان من بني آدم؟!

فإن قالوا: إنه إنسان من بني آدم وافقوا شريعتنا وخالفوا شريعتهم إذ تقول: "إن المسيح إله حقّ من إله حقّ من جوهر الله، وأن المسيح بيده أتقن العوالم وخلق كلّ شيء". وحينئذٍ يصيروا مسلمين إذا اعترفوا بالرسول صلى الله عليه وسلم.

وإن زعموا أن القائل لذلك هو الإله الخالق الأزلي الواحد، فقد صرّحوا أن الله الأزلي لا يعلم المغيبات، وأنه مفتقر إلى سؤال غيره، وأن له ربّاً فوقه يسأله حوائجه، ويضرع إليه في نوازله ومأربه، وكفى بذلك تجاهلاً.

مؤاخذة على إحياء العازر: ذكر يوحنا في قصة العازر هذه أن مريم ومرثا أختا العازر ذهبتا إلى يسوع فقالتا: "يا سيد إن حبيبك العازر قد مات، فقال يسوع: ليس هذا موتاً على الحقيقة، ولكن ليظهر مجد الله" 1.

قلت: لا يخلو أن يكون / (1/77/أ) العازر مات أو لم يمت، فإن كان قد مات، فكيف يقول: إنه لم يمت حقيقة، وإن كان لم يمت لم يحصل الإعجاز بإحياء من لم يمت وإحياء الحيّ محال.

____

1 ورد النّصّ في إنجيل يوحنا 11/3، 4، كالآتي: "فأرسلت الأختان إليه قائلتين: يا سيد هو ذا الذي تحبه مريض، فلما سمع يسوع قال: هذا المرض ليس للموت بل لأجل مجد الله؛ ليتمجد ابن الله به". اهـ. هو مخالف للنّصّ الذي ذكره المؤلِّف، ولا يتطرق إليه الاعتراض الذي ذكره؛ لاختلاف عبارات النّصّين.

==

الباب الثاني: في إثبات نبوته وتحقيق رسالته

نكته: من غَلُظَ فهمه وأظلم حسه وكثف لبه افتقر في إرشاده إلى معجز كثيف، فلا جرم كانت الآيات في أهل الكتاب من جنس فُهومِهم.

ولما لطفت أفهام آخرين وتروحنت نفوسهم وقوي نفوذ إدراكهم اكتفى في هدايتهم بالروحاني من المعجز، فلا جرم آمن طوائف بمجرد رؤية نبيّهم وسماع أوّل كلامه، ولم يتوقف إيمانهم على ما توقف عليه إيمان الأوّلين.

____

نكته أخرى: من أرسله الملك إلى قطر في أمر ذي بالٍ فهو إما خصيص به أو غير خصيص، فإن كان خصيصاً به لم يحتج في تبليغ أوامره إلى مزيد ثبته. وإن كان الآخر فلا بدّ لوجوب الامتثال مما يقطع الاحتمال، فقد ثبتت بحمد الله نبوة المسيح، وتقررت رسالته بالأدلة المستنبطة من كتبهم على وجه لا خفاء به على من نَوَّرَ الله قلبه. (1/77/ب).

==

الباب الثالث: في تأويل ظواهر الإنجيل

الباب الثّالث: في تأويل ظواهر الإنجيل

/ (1/77/ب) اعلم - رحمك الله - أنه إنما دخل الخلل على النصارى وغيرهم ممن بضاعته من المعقول مزجاة، ومن جهلهم بمقتضيات الألفاظ وعدم المعرفة بوجوه الكلام ولقصور أفهامهم هابوا تأويل الظواهر فلم يحملوها على بعض محتملاتها بالدليل، وليس ذلك صواباً، بل ينبغي حراسة ما دَلَّ عليه دليل العقل الذي لا احتمال فيه، فإذا ورد لفظ عرض ظاهره على ما ضبطه دليل العقل، فإن لم يَنْبُ عنه استعمل الظاهر من اللفظ ولم يتأول، وإن نبا عنه طُلب له [وجه]1 يحمل عليه ما يحتمله ليجمع بين اللفظ وبين مقتضى العقل2، إذ الشرع لا

---

1 في ص (وجها) ولعل الصواب ما أثبته.

2 كان الأولى بالمؤلِّف في ردّه على النصارى في هذا الباب أن يستفتحه ببيان حقيقة الأناجيل وألفاظها: فإن أناجيل النصارى ليست قطعية الثبوت والدلالة، بل هي ظنية إن لم تكن منتفية عنها. وذلك بنص القرآن الكريم في أخباره بتحريف أهل الكتاب لما أنْزَل عليهم، ولما ثبت من وجود التناقض والاختلاف في الأناجيل وعدم السند المتصل المتواتر لكتبهم، واعتراف بعض أحبارهم بكل ذلك كما سنبيّنه في الباب الرابع إن شاء الله تعالى.

وعلى فرض التسليم الجدلي لهم بصحة أناجيلهم وفيها تلك الألفاظ التي زل فيها النصارى وهي - الأبّ والرّبّ والإله والابن - فإننا نجد لها تأويلاً (أي: تفسيراً) لمعانيها الصحيحة من نصوص كتبهم المقدسة لديهم - حيث إن الكتاب الواحد يفسر بعضه بعضاً - وما يمكن أن تحمل عليه من المعاني الصحيحة بحسب سياق الكلام وبما يناسب إطلاقها عليه. فإن ألفاظ: (الإله والرّبّ) إذا أطلقت على الله فإنها تحمل على حقيقتها وما يستلزمه مقام الربوبية والألوهية من التعظيم والتنْزِيه والتفرد.

وإذا ما أضيفت إلى المخلوقين وأطلقت عليهم فإنه يراد بها التكريم والتفخيم والتدبر والرعاية والتعليم بحسب ما يناسب مقام العبودية والبشرية.

وكذلك لفظة: (الابن) إذا ما أضيفت إلى الله عزوجل فإنها لا تعني بنوة الولادة أو الانفصال عن الله عزوجل - كما توهمه النصارى - حيث لم ينفرد المسيح بإطلاقها عليه، بل شاركه فيها غيره من الأنبياء والصالحين في التوراة والإنجيل - ممن لم يدع أحد فيه الألوهية فإنها تعني حينئذٍ بنوة الطاعة والمحبة.

أما قول المؤلِّف: "فإذا ورد لفظ...الخ"، فهو نفس القانون الكليّ في التعارض بين الأدلة النقلية والعقلية الذي توهمه الرازي في كتابه: (أساس التقديس ص 172)، وقد سبقه إليه طائفة من أئمة الأشعرية منهم: أبو حامد الغزالي وابن العربي والجويني والباقلاني. (ر: المواقف للأيجي ص 39، وأصول الدين للبغدادي ص 12).

وقد أبطل الإمام ابن تيمية قانونهم الكلّي في كتابه: "درء تعارض العقل والنقل"، حيث قال: "ومثل هذا القانون الذي وضعه هؤلاء يضع كلّ فريق لأنفسهم قانوناً فيما جاءت به الأنبياء عن الله، فيجعلون الأصل الذي يعتقدونه ويعتمدونه هو ما ظنوا أن عقولهم عرفته، ويجعلون ما جاءت به الأنبياء تبعاً له، فما وافق قانونهم قبلوه، وما خالفه لم يتبعوه. وهذا يشبه ما وضعته النصارى من أمانتهم التي جعلوها عقيدة إيمانهم وردّوا نصوص التوراة والإنجيل إليها، لكن تلك الأمانة اعتمدوا فيها على ما فهموه من نصوص الأنبياء أو ما بلغهم عنهم، وغلطوا في الفهم أو في تصديق الناقل كسائر الغالطين، فمن يحتج بالسمعيات فإن غلطه إما في الإسناد وإما في المتن.

وأما هؤلاء فوضعوا قوانينهم على ما رأوه بعقولهم وقد غلطوا في الرأي والعقل، فالنصارى أقرب إلى تعظيم الأنبياء والرسل من هؤلاء. ثم ذكر الإمام ابن تيمية جـوابين في الـرّدّ على قـانونهم: جـواب إجمـالي وتفصيلي:

أما الإجمالي فيقول: والكلام على هذه الجملة بني على بيان ما في مقدمتها من التلبيس فإنهـا مبنيـة على مقدمات - أوّلها - ثبـوت تعارضـهما - والثانيـة - انحصـار التقسـيم فيمـا ذكـروه من الأقسـام الأربعـة - والثالثة - بطلان الأقسام الثلاثة.

والمقدمات الثلاثة باطلة، وبيان ذلك بأصل وهو: أن يقال: إذا قيل: تعارض دليلان - سواء كانا سمعيين أو عقلين، أو أحدهما سمعياً والآخر عقلياً - فالجواب أن يقال: لا يخلو إما أن يكونا قطعيين أو يكونا ظنـيين. وأما أن يكون أحدهما قطيعاً والآخر ظنياً. فأما القطعيان فلا يجوز تعارضهما، وهذا متّفـق عليـه بين العقلاء؛ لأن الدليل القطعي هو الذي يجب ثبوت مدلوله ولا يمكن أن تكون دلالته باطلة.

وحينئذٍ فلو تعارض دليلان قطعيـان وأحـدهما ينـاقض مـدلول الآخـر، للـزم الجمـع بين النقيضـين وهـو محال. وإن كان أحد الدليلين المتعارضين قطعياً دون الآخر، فإنه يجب تقديمه باتّفاق العقلاء، سواء كان هو السمعي أو العقلي فإن الظنّ لا يرفع اليقين.

وأما إن كان جميعاً ظنيّين فإنه يصار إلى طلب ترجيح أحدهما، فأيهما ترجح كان هو المقدم سواء كان سمعياً أو عقليّاً.

فتبيّن أن كل ما قام عليه دليل قطعي سمعي يمتنع أن يعارضه قطعي عقلي، ومثل هـذا الغلـط - أي: القانون السابق - يقع فيه كثير من الناس، يقدِّرون تقديراً يلزم منه لوازم فيثبتون تلـك اللـوازم ولا يهتـدون لكون ذلك التقدير ممتنعاً، والتقدير الممتنع قد يلزمه لوازم ممتنعة كمـا في قولـه تعـالى: {لَـوْ كَـانَ فِيهِمَـا آلِهَةٌ إِلاّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا}. [سورة الأنبياء، الآية: 22]. اهـ

(ر: درء تعارض العقل والنقل 4/1-7، 78-81، بتصرف يسير).

وأما الجواب التفصيلي فقد شغل معظم أجزاء الكتاب الذي يقع في عشـرة أجـزاء بتحقيـق د. محمّـد رشاد سالم.

مما سبق يتبيّن لنا فساد ما ذكره المؤلِّف - عفا الله عنه وعنا - في مقدمة الباب الثالث؛ فإن الباطـل لا يـرد بباطـل مثلـه. كمـا أنـه يسـتلزم أن يتسـلط النصـارى على المسـلمين بهـذا القـانون الكليّ الفاسـد فيطالبون بتأويل ما ورد في القرآن الكريم والسنة من الألفـاظ الشـرعية كالصـلاة والزكـاة ونحـوه بحملهـا على ظواهرها اللغوية ونفي معانيها الشرعية، وغير ذلك من الأمور التي تلزم قانونهم الفاسد.

==

الباب الثالث: في تأويل ظواهر الإنجيل

يرد بخلاف ما يقتضيه العقل.

فإذا عرفت هذا فاعلم أن الألفاظ التي زلوا فيها وقدروها نصوصا وليست

____

وهذا يشبه ما وضعته النصارى من أمانتهم التي جعلوها عقيدة إيمانهم وردّوا نصوص التوراة والإنجيل إليها، لكن تلك الأمانة اعتمدوا فيها على ما فهموه من نصوص الأنبياء أو ما بلغهم عنهم، وغلطـوا في الفهم أو في تصديق الناقل كسائر الغالطين، فمن يحتج بالسمعيات فإن غلطه إما في الإسناد وإما في المتن.

وأما هؤلاء فوضعوا قوانينهم على ما رأوه بعقولهم وقد غلطوا في الرأي والعقل، فالنصارى أقرب إلى تعظيم الأنبياء والرسل من هؤلاء. ثم ذكر الإمام ابن تيمية جـوابين في الـرّدّ على قـانونهم: جـواب إجمـالي وتفصيلي:

أما الإجمالي فيقول: والكلام على هذه الجملة بني على بيان ما في مقدمتها من التلبيس فإنهـا مبنيـة على مقدمات - أوّلها - ثبـوت تعارضـهما - والثانيـة - انحصـار التقسـيم فيمـا ذكـروه من الأقسـام الأربعـة - والثالثة - بطلان الأقسام الثلاثة.

والمقدمات الثلاثة باطلة، وبيان ذلك بأصل وهو: أن يقال: إذا قيل: تعارض دليلان - سواء كانا سمعيين أو عقلين، أو أحدهما سمعياً والآخر عقلياً - فالجواب أن يقال: لا يخلو إما أن يكونا قطعيين أو يكونا ظنـيين. وأما أن يكون أحدهما قطعياً والآخر ظنياً. فأما القطعيان فلا يجوز تعارضهما، وهذا متّفـق عليـه بين العقلاء؛ لأن الدليل القطعي هو الذي يجب ثبوت مدلوله ولا يمكن أن تكون دلالته باطلة.

وحينئذٍ فلو تعارض دليلان قطعيـان وأحـدهما ينـاقض مـدلول الآخـر، للـزم الجمـع بين النقيضـين وهـو محال. وإن كان أحد الدليلين المتعارضين قطعياً دون الآخر، فإنه يجب تقديمه باتّفاق العقلاء، سواء كان هو السمعي أو العقلي فإن الظنّ لا يرفع اليقين.

وأما إن كان جميعاً ظنيّين فإنه يصار إلى طلب ترجيح أحدهما، فأيهما ترجح كان هو المقدم سواء كان سمعياً أو عقليّاً.

فتبيّن أن كل ما قام عليه دليل قطعي سمعي يمتنع أن يعارضه قطعي عقلي، ومثل هـذا الغلـط - أي: القانون السابق - يقع فيه كثير من الناس، يقدِّرون تقديراً يلزم منه لوازم فيثبتون تلـك اللـوازم ولا يهتـدون لكون ذلك التقدير ممتنعاً، والتقدير الممتنع قد يلزمه لوازم ممتنعة كمـا في قولـه تعـالى: {لَـوْ كَـانَ فِيهِمَـا آلِهَةٌ إِلاّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا}. [سورة الأنبياء، الآية: 22]. اهـ

(ر: درء تعارض العقل والنقل 1/4-7، 78-81، بتصرف يسير).

وأما الجواب التفصيلي فقد شغل معظم أجزاء الكتاب الذي يقع في عشـرة أجـزاء بتحقيـق د. محمّـد رشاد سالم.

مما سبق يتبيّن لنا فساد ما ذكره المؤلِّف - عفا الله عنه وعنا - في مقدمة الباب الثالث؛ فإن الباطـل لا يـرد بباطـل مثلـه. كمـا أنـه يسـتلزم أن يتسـلط النصـارى على المسـلمين بهـذا القـانون الكليّ الفاسـد فيطالبون بتأويل ما ورد في القرآن الكريم والسنة من الألفـاظ الشـرعية كالصـلاة والزكـاة ونحـوه بحملهـا على ظواهرها اللغوية ونفي معانيها الشرعية، وغير ذلك من الأمور التي تلزم قانونهم الفاسد.

==

الباب الثالث: في تأويل ظواهر الإنجيل

بنصوص أربعة: الإبن، والأب، والإله، والرب.

وإذا نحن أتينا عليها بالتأويل[1] وبيّنا ما يحتمله بالـدليل من التـوراة والإنجيـل لم يبـق إلى إجرائهـا على الظاهر من سبيل، بعد أن / (1/78/أ) نقدّر صحّتها مثلاً ونسلم ورودها جدلاً، ولو نسبناهم فيها إلى التحريف والتصحيف لأغريناهم بطغيانهم وحسمنا عنهم مادة إيمانهم، بل نلاطفهم ونتكلم بمقتضى اصطلاحهم ومنقولهم فعسى أن يكون ذلك أقرب لمعقولهم، فأما الخوض بهم في أدلة العقول فشيء لا تحمله قـواهم ولا يلائم هواهم.

فنقول - وبالله التوفيق - : أما لفظتا الابن والأب: فلغتهم تسمي الولي (ابناً) وتسمي المربِّي (أباً)[2] ويعبرون عن ذلك بأبوَّة النعمة وبُنُوَّة الخدمة وذلك

---

1 التأويل في اللغة: يطلق على معنيين: 1- الرجوع والعاقبة والمصير. 2- التفسير والبيان. (ر: الصحاح للجوهري 4/1627، القاموس المحيط ص 1244).

2 ورد في قاموس الكتاب ص 17 أن كلمة (الأب) وردت في الكتاب المقدس بمعانٍ كثيرة منها:

1- السلف المباشر للإنسان أي: والده.

2- الجد أو الأسلاف على وجه عام.

3- أطلق هذا اللفظ رمزياً على:

أ- الأب الروحي الذي ينفث من روحه في غيره سواء كان تأثيره طيباً أو على النقيض من ذلك، فقد دُعي إبراهيم (أبو المؤمنين)، كما دعي إبليس أبو الأشرار.

ب- الدلالة على التشابه والتقارب والتماثل (وقلت للقبر أنت أبي). سفر أيوب 17/14.

ج- على مصدر الشيء مثل: (أبو المجد). أفسس 1/17.

د- على الخالق.

هـ وعلى مبتدع فنّ ما أو عمل ما، أو مبتكر أسلوب خاص للحياة. (أب ساكني الخيام). تكوين 4/20.

و- على الشخص الذي تظهر فيه خاصيات الأبوة. (أبو اليتامى). مزمور 68/5.

ز- على من يقوم بعمل المرشد والمشير والمهتم بأمر من الأمور. (وهو قد جعلني أبا لفرعون). تكوين 45/8.

ح- على رئيس محترم مكرم، ويطلق بخاصة على الأنبياء والمتقدمين في السن والمقام وعلى المسيحيين الأوّلين.

يعتبر الله في الديانة المسيحية أباً، وأبوة الله تسير في اتجاهين:

الأوّل: أبوته للبشر بالخلق.

والثاني: أبوته للمؤمنين بالنعمة. اهـ ملخصاً.

قلت: فإذا كانت هذه معاني الأبوة في الكتاب المقدس لديهم، فما الذي جعل أبوة الله للمسيح مختصة بأن تكون من نفس جوهر الذات الإلهية - على حد زعمهم وسخافتهم؟ - وكيف يكون ذلك وقد شاركه غيره من الأنبياء والصالحين في تلك الأبوة ولهم من المعجزات أكثر مما للمسيح؟؟.

==

الباب الثالث: في تأويل ظواهر الإنجيل

عندهم مشهور وفي نبوات أنبيائهم مذكور مرسوم والدليل عليه من التوراة قول الله لموسى: "اذهب إلى فرعون فقل له: يقول لك الرّبّ إسرائيل ابني بكري أرسله يعبدني فإن أبيت أن ترسل ابني بكري قتلت ابنك بكرك"1. قالت التوراة: "فلما لم يرسل فرعون بني إسرائيل كما قال الله قتل الله أبكار فرعون وقومه من بكر فرعون الجالس على السرير إلى الأتوني من أولاد الآدميين إلى ولد الحيوان البهيم"2 / (1/78/ب).

فهذه التوراة تُسَمِّي بنبي إسرائيل كلهم أبناء الله وأبكاره وتسمي أبناء أهل مصرأبناء فرعون وتوسع بتسمية سخال3 الحيوان أولاداً لمالك الحيوان.

فهل بقي بعد هذا ريب في صرف البنوة عن ظاهرها وحملها على الوليّ والعبد؟!

ألم تسمع النصارى قوله الله: "أرسله يعبدني"، فعبر عن العبد المطيع له الممتثل أمره بالابن؟!4.

---

1 سفر الخروج 4/22، 23.

2 سفر الخروج 12/29، 30.

3 يقال (السخلة) لولد الغنم من الضأن والمعز ساعة وضعه ذكراً كان أو أنثى، وجمعه: سخل وسخال. (ر: مختار الصحاح ص 290).

4 ورد في قاموس الكتاب ص 108، 109، أن كلمة: "ابن الله أو أبناء الله" لقب أطلق على:

1- المسيا (المسيح) وهو يدل على العلاقة القوية بين الأب السماوي والابن الأزلي.

2- دعي آدم ابن الله. (لوقا 3/38).

3- دعي إسرائيل وشعبه ابن الله وأبناء الله.

4- أطلق على المؤمنين بالله والناس الأتقياء.

5- وعلى الملائكة. اهـ. ملخصاً.

وأستشهد هنا بقول الأستاذ شارل جنيْبر في كتابه: "المسيحية" ص 39، 106، في بيان حقيقة إطلاق (ابن الله) على المسيح، فيقول جنيبر: "والدراسات الأكيدة لدراسات الباحثين هي: أن عيسى لم يدع قط أنه هو المسيح المنتظر، ولم يقل عن نفسه إنه (ابن الله)، وذلك تعبير لم يكن في الواقع ليمثل - بالنسبة إلى اليهود - سوى خطأ لغوي فاحش وضرب من ضروب السفه في الدين.

كذلك لا يسمح لنا أي نص من نصوص الأناجيل بإطلاق تعبير (ابن الله) على عيسى، فتلك لغة لم يبدأ في استخدامها سوى المسيحيين الذين تأثروا بالثقافة اليونانية، إنها اللغة التي استخدمها القديس بولس كما استخدمها مؤلِّف الإنجيل الرابع، وقد وجدوا فيها معانٍ عميقة وعلى قدر كافٍ من الوضوح بالنسبة إليهما.

ثم يقول جنير: يمكن لليهود أن يعتبر نفسه (عبداً ليهوه لا ابناً ليهوه)، ونعتقد أنه من المحتمل أن يكون عيسى قد تصور نفسه (عبد الله) وتقدم للناس بهذه الصفة.

والكلمة العبرية (عبد) كثيراً ما تترجم إلى اليونانية بكلمة تعني (خادماً) و(طفلاً) على حد سواء، وتطور كلمة (طفل) إلى كلمة (ابن) ليس بالأمر العسير، فإن كلمة (رضي الله عنهX?S) (اليونانية) تعني في نفس الوقت (خادم) و(طفل)، تماماً كالكلمة اللاتينية: (Pعزوجلeصلى الله عليه وسلم)، وعلى هذا

يكون التطور في اللغة اليونانية من: (رضي اللـه عنهX?S) أي: (طفـل) إلى: (عزوجلigs) أي: (ابن) أمـراً في غاية البساطة. ولكن مفهوم (ابن الله) نبع من العالم الفكري اليوناني".اهـ.

==

قال المؤلِّف - عفا الله عنه - : "قَلَّ ما رأيت لفظة الابن في كتبهم إلاّ مقرونة بالعبودية والتعبد كقـول التوراة: "إسرائيل ابني بكري أرسله يعبدني"1.

وكقـول المزامـير: "أنت ابـني سـلني أعطيـك"2. وكقـول المسـيح: "أنـا ذاهب إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم"3. وكقوله: "إذ صليتم فقولوا: أبانا الذي في السماوات قدوس اسـمك افعـل بنـا كـذا وكـذا"4. من باب السؤال والدعاء، فإذا كان إسـرائيل ابن اللـه وبكـره، فـأيُّ مزيـة للمسـيح عليـه وعلى غـيره في هـذه البنوّة؟!

____

1 خروج 4/22.

2 مزمور 2/7، 8.

3 يوحنا 20/17.

4 متى 6/9-13.

==

وقال أيضاً في التوراة في قصة الطوفان: "إنه لما نظر بنو الله إلى بنات الناس [حسانا]1 جدا شغفوا بههن فنكحوا منهن ما أحبوا واختـاروا فلولـدوا جبـابرة مـذكورين / (1/79/أ) فأفسـدوا فقـال اللـه: لا تحـل عنايتي على هؤلاء القوم"2.

قال المؤلِّف: أراد بأبناء الله أولاد القتيل من بني آدم وهو هابيل، وأراد ببنات الناس بنات القاتـل وهـو قابيل، وكُنَّ [حسانا]3 جدا فصروا قلوبهن عن عبادة الله إلى عبادة الأصنام، وقد سمَّى اللـه أولاد الصـلحاء من عباده أبناء له إذ كانوا أولياءه وأبناء وليه وصفيه الشهيد. فدلّ على ما قلناه من تسمية الولي في شرع أهل الكتاب ابناً والمربِّي له أباً ومنعماً، وذلك لا خفاء به عندهم، والدليل على ذلك من المزامير قـول اللـه: "يا داود أنت ابني حبيبي"4، وذلك يقضي بمساواته المسيح إذ يقـول لـه: "هـذا ابـني الحـبيب"5. فمـا نـرى الإنجيل زاد المسيح على أن ساواه بداود وإسرائيل وأولاده الصلحاء من أولاد هابيل الذي قتله قابيل.

وقال في المزامير لداود أو لغيره: "أنت ابـني وأنـا اليـوم ولـدتك، سـلني أعطيـك"6. وفي المزامـير: "ولدتك من البطن قبل الفجر"7.

وقال نبي الله أشعيا في نبوته حاكياً عن الله: "توصوا بني في أبنائي وبناتي"8. يريـد ذكـور عبـاده / (1/79/ب) الصالحين وإناثهم.

1 في ص (حسان) والصواب ما أثبته.

2 تكوين 1/6-4، وفي ش: في التوراة لما نظر بنو اللهم، اللام مفخمة وهو عبارة عن اسم الله تعالى.

3 في ص (حسان) والصواب ما أثبته.

4 متى 3/17، مرقس 9/7.

5 مزمور 2/7.

6 مزمور 22/9، 110/3.

7 سفر أشيعا 43/6.

8 سفر أشعيا 1/2.

==

وقال الله في نبوة أشعيا: "إني ربيت أولاداً حتى كبروا ونشأوا"1، فما نرى المسيح إلاّ نسج له على منوال من تقدمه من صلحاء عباد الله فإن لم يصح هذا النقل فلا بنوة، وإن كان صحيحاً فلا مزية.

والدليل على أن البنوة بمعنى التربية والإنعام قول المسيح في الإنجيل: "إني رباني"2، فقرن الأبوة بالتربية.

وقال المسيح: "أنا الكرم وأبي الفلاح فكما أن الفلاح يسقي الكرم ويدفع عنه الأذى ويُنمِّيه فكذلك يفعل الأب"3.

قال المؤلِّف: وإذا كان هذا نقلهم عن الله تعالى أن الله تعالى سمَّى الصالحين من عباده والمتقين من خلقه أبناء، فلا معنى لإطنابهم في بنوة المسيح وتخصيص التأويل بداود وإسرائيل وغيره ما إليه من سبيل.

قلت: وهذه الولادة الروحانية هي الأبوة المعتبرة المستفادة من تربية المشائخ والعلماء بالله الدالين عليه المحبين عباده، وبها يصير الإنسان إنساناً، وذلك أن الوالد الجسماني يضع المولود ساذجاً عن المعرفة، خالياً عن العلم، عاطلاً من الأدب، متوفر البهيمية / (1/80/أ) نزر الإنسانية، ليس له كبير فضل على الحيوان البهيم، فإذا ولد الولادة الروحانية نقل إلى طور الإنسان، وحُوِّل عن بهيم الحيوان، فتروى بالعلم، وتحلَّى بالحكم، وتَشَنَّف بالأدب، وتشرف بالزهد، وتَرَوْحن بالمعرفة، فترقى عن الإنسانية وناسب الملائكة، فحينئذٍ تمت له الولادة الروحانية وتلاشت في جنبها الولادة الترابية الجسمانية.

1 يوحنا 14/31.

2 يوحنا14/31.

3 يوحنا15/1-9.

والدليل على اعتبار هـذه الـولادة قـول المسـيح: "لن يـدخل ملكـوت السـماوات من لم يولـد من ذي قبل،قيل له:كيف يولد شيخ،قال:الحقّ أقول لكم إن المولود من الجسد جسد هو، والمولود من الـروح روح هو"1.

يريد عزوجل روح الحكمة التي قالت التوراة: "إنها ملأت بصلئيل من سبط يهوذا"2. "وقـال رجـل من أصحاب المسيح له: يا سيد مرني أن أذهب فأدفن أبي، فقال: دع الموتى يدفنون موتاهم"3. أمره بملازمـة الأب الروحاني الذي يكون سبب الحياة الدائمة.

ولما استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد4 على مكّة قال: "يا عتاب أتـدري على من استعملتك؟ / (1/80/ب) استعملتك على أهل الله، قالها مرات"5. وقال عزوجل: "أهل القرآن هم أهل الله"6.

---

1 يوحنا 3/3-6.

2 سفر الخروج 31/1-3.

3 مى 8/21-22، لوقا 9/59، 60.

4 عتاب بن أسيد أبي العيص، أسلم يوم الفتح، وكان عامل الرسول صلى الله عليه وسـلم على مكّـة، ومات في آخر خلافة عمر بن الخطاب - رضي اللـه عنهمـا ـ. (ر: ترجمتـه في ابن سـعد 5/446، والإصـابة 4/211).

5 أخرجه ابن عدي في ا لكامل في ضعفاء الرجال 7/245، قال: "ثنا القاسـم بن عليّ الجـوهري، ثنـا يحيى بن عثمان، ثنا يحيى بن بكير، ثـني يحـيى بن صـالح الأيلي عن إسـماعيل بن أميـة عن عطـاء عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا عتاب بن أسيد إني قـد بعثتـك إلى أهـل اللـه وأهـل مكّة...". الحديث.

وفي إسناده يحيى بن صالح الأيبـل، قـال العقيلي عنـه: روى منـاكير وكـذا قـال ابن عـدي. (ر: لسـان الميزان 6/262). وأما نصّ المؤلِّف فقد ذكره ابن سعد في الطبقات 5/446، من غير إسناد.

6 أخرجه ابن ماجه. (ر: صحيح ابن ماجه 1/42)، والإمام أحمد 3/127، 128، 242، والحاكم 1/556، وغيرهم من طرق كلها عن عبد الرحمن بن بديل عن أبيه عن أنس رضي الله عنـه قـال: قـال رسـول اللـه رضي الله عنه...، فذكره. قال الحاكم: "قد روى هذا الحديث من ثلاثة أوجه عن أنفس هذا أمثلها"، ووافقـه الذهبي.

وقيل لأبي بكر الصّدِّيق: ماذا تقول لربّك وقد استعملت علينا عمر؟ فقال: "أقول: استعملت على أهلك خير أهلك"1.

وذلك لكه للتشريف وإلاّ فلا مناسبة بين القديم والحادث والخالق والمخلوق وبعد، فقد كانت هذه الولادة - أعني ولادة التربية - مشهورة في الزمن الأوّل والدهر المتقدم، فكأن التبني بالغير مسوغ فانظر إلى المعنى الذي أشرنا إليه، ولم يزل ذلك كذلك إلى قبيل الإسلام ولما قال عزوجل: "إن زيداً 2 ابني يرثني وأرثه، رضي بذلك والد زيد وعمومته وانصرفوا"3. فلما جاء الله بالإسلام والنبوة منع من ذلك رفعا للالتباس بالتسمية وأحكام الأبوة الدنيوية فقال جل من قائل: {ادْعُوهُم لآبَائِهِم}. [سورة الأحزاب، الآية: 5].

فإن أراد النصارى بالأبوة والبنوة المذهب الروحاني من التربية والتعليم والتهذيب والتقويم، لم نشاحجهم في الألفاظ بعد فهم المعاني، لكنا نقول لهم: لا اختصاص للمسيح عزوجل بهذه البنوة، ونتلو عليهم ما تقدم مما نقلناه من التوراة والنبوات والإنجيل.

---

1 أخرجه ابن سعد في الطبقات 3/199، 274، بإسناده.

2 زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي، حبّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، الصحابي المعروف رضي الله عنه.

3 إن موضع استشهاد المؤلِّف بأن زيداً عرف بابن محمّدصلى الله عليه وسلم لتربيته وتبنّيه له، قد أخرجه البخاري في كتاب التفسير. (ر: فتح الباري 8/517)، ومسلم 4/1884، والترمذي 5/634، عن ابن عمر - رضي الله عنهما -: "أن زيداً بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنا ندعوه إلاّ زيد بن محمّد حتى نزل القرآن: {ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ}.

وأما لفظ ما أورده المؤلِّف فقد أخرجه ابن سعد3/42،ابن حجر في الإصابة 3/25، من طريق هشام بن السائب الكلبي عن أبيه، وعن حميد بن مرثد الطائي وغيرهما في سياق طويل، إلاّ أنّ في إسناده محمّداً بن السالبي وهو متّهم بالكذب، ورمي بالرفض، من السادسة.(ر: التقريب 2/163).

==

(1/81/أ) الدليل على مساواة المسيح غيره في هذه البنوة وأنه لم يخص بها نفسه:

وذلك في الإنجيل كثير جداً قال المسيح في خاتمة الإنجيل: "أنا ذاهب إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم" فقد سوى بين نفسه وبين تلاميذه في هذا المعنى ويوضحه قوله: "وإلهي وإلهكم"، فإن رام النصارى تفرقة بين المسيح وبين غيره قلبنا عليهم الكلام وعكسنا المرام حتى يضطرهم الحجاج إلى جعل البنوة في حق المسيح وغيره بمعنى واحد.

قال المؤلِّف لقد فاوضني بعض الرهبان ممن يدَّعي بناناً في البيان، فأفضى الحديث معه إلى ذكر الابن والبنوة، فألزمته قول التوراة: "ابني بكري" وقلت له: لعل البكر يكون أحظى عند والده، وأولى

بطريف1 بِرِّه وتالده2، فما تقول في بنوة إسرائيل؟ فقال: إسرائيل وغـيره ابن النعمـة والمسـيح ابن على الحقيقة، فعكست عليه كلامه فتبلد واختزى ولجأ إلى ضعف العبارة واعتزى3.

وقد سوَّى المسيح بين نفسه وبين سائر المطيعين من عباد اللـه في هـذه البنـوة وقـد أخـبر يوحنـا الإنجيلي في الفصل الثاني من الرسالة4 الأولى أن إطلاق لفظ البنوة إنمـا هي / (1/81/ب) مجـرد تسـمية امتن الله بها عليهم تشريفاً لهم فقال: "انظروا إلى محبة الأب لنا أنه أعطانا أن نـدعا لـه أبنـاء"5. ثم قـال في الفصل الثالث منها: "أيها الأحباء الآن صرنا أبناء الله وقد تبيَّن بنا فينبغي لنا أن نَنْزِله من الإجلال

____

1 (الطارف والطريف) من المال المستحدث وهو ضـدّ التالـد والتليـد والاسـم: (الطرفـة). (ر: مختـار الصحاح ص 390).

2 التالد:المال القديم الأصلي الذي ولد عندك وهو ضدّ الطارف.(ر:مختار الصحاح ص78).

3 أي: نسيب إلى ضعف العبارة والخزي والتبلد، وأصله عـزا، عـزاه، فـااعتزى. (المرجـع السـابق، ص 431).

4 رسالة يوحنا الأولى من ضمن أسفار العهد الجديد.

5 رسالة يوحنا الأولى 3/1.

==

على ما هو عليه، فمن صحّ له هذا الرجـاء فلـيزك نفسـه بـترك الخطيئـة والإثم واعملـوا أن من لابس الخطيئة فإنه لم يعرفه"1.

قال متى: "قال المسيح: أحبوا أعداءكم وباركوا على لاعنيكم وأحسـنوا إلى من يبغضـكم وصـلوا على من يطردكم، لكيما تكونوا بـني أبيكم المشـرق شمسـه على الأخيـار والأشـرار، والممطـر على الصّـديقين والظالمين"2.

وقال المسيح لتلاميذه: "كونوا كاملين مثل أبيكم فهـو كامـل، لا تصـنعوا معـروفكم قـدام النـاس لكي تراؤنهم فيحبط أجركم عند أبيكم الذي في السماوات، لتكن صدقتك في السّرّ وأبـوك يـرى السّـرّ فيجزيـك علانية، إذا صليت فادخل مخدعك وأغلق بابك وصل لأبيك سراً وأبوك يرى السّرّ فيجزيك علانية، وإذا صليتم فلا تتشبهوا بالوثنيين لأنهم يظنون أن / (1/82/أ) يسمع منهم بكثرة كلامهم، فـأبوكم عـالم بحـوائجكم قبـل أن تسألوه"3.

فهذا المسيح قد سـوَّى بين نفسـه وبين سـائر المطيعين للـه في البنـوة، وبيَّن أن لفظـة: "الابن" قـد تطلق على العبد الصالح بدليل قوله لليهود: "أنتم لو كان الله أباكم كنتم [تحبونني]4، أنتم من أبيكم إبليس وشهوة إبليس تهون"5.

____

1 رسالة يوحنا الأولى 3/2-6، وقد ورد النص الآتي: "أيهـا الأحبـاء الآن نحن أولاد اللـه ولم يظهـر بعـد ماذا سنكون؟ ولكن نعلم أنه إذا أظهر نكون مثله لأننا س سنراه، كمـا هـو وكـلّ من عنـده هـذا الرجـاء بـه

يطهر نفسه كما هو طاهر، كل من يفعل الخطيئة يفعل التعدي أيضاً والخطيئة هي التعدي وتعلمون أن ذلك أظهر، يرفع خطايانا وليس فيه خطيئة، كل من يثبت فيه لا يخطئ، كل من يخطئ لم يبصره ولا عرفه".

2 لوقا 6/27-35، في سياق طويل وقد ذكره المؤلِّف مختصرا.

3 متى 5/48، 6/1-8.

4 في ص (تحبوني) ولعل الصواب ما أثبته.

5 يوحنا 8/42-44، بألفاظ متقاربة.

==

وقد قال فولس في الرسالة الخامسة: "إياكم والسفه والسب واللعن واللعب، فإن الزاني والنجس والغاشم كعابد الوثن لا نصيب له في ملكوت الله، احذروا هذه الشرور فمن أجلها يأتي رجز الله على الأبناء الذين لا يطيعونه، فإياكم أن تكونوا شركاءهم فقد كنتم من قبل في ظلمة فاسعوا لأن نسعى [كأبناء]1 النور"2. انظر كيف سمى فولس حكيم النصارى [من]3 يعمل بالمعاصي ابناً، كما سمّى المتقين من عباد الله ابناً، فقد استبان لك مرادهم بالبنوة التي يطلقونها.

نوع آخر: قال المسيح: "سمعتم ما قيل العين بالعين والسن بالسن وأنا أقول لا تقاوموا الشرّ بالشرّ ولكن من لطمك على خدك الأيمن فحول الآخر، ومن رام أخذ ثوبك فزده إزارك / (1/82/ب) ومن سخرك ميلا فامش معه ميلين، ومن سألك فأعطه، ومن اقترض منك فلا تمنعه، سمعتم ما قيل أحبب قريبك وأبغض عدوّك وأنا أقول لكم أحبوا أعداءكم وباركوا على لاعنيكم وأحسنوا إلى من يبغضكم وصلوا على من يطردكم ويخزيكم، لكيما تكونوا بني أبيكم كونوا كاملين مثل أبيكم فهو كامل4، وإذا صنعت رحمة فلا تصوِّت قدامك بالبوق كالمرائين في المجامع والأسواق لكي يُحمدوا من الناس، الحقّ أقول لكم لقد أخذوا أجرهم، وإذا صنعت رحمة فلا تعلم شمالك ما صنعت يمينك لتكن صدقتك في السِّرّ وأبوك يجزيك علانية، وإذا صليتم فلا تكونوا كالمرائين الذين يصلون ليظهر للناس صلاتهم، الحقّ أقول لكم لقد أخذوا أجرهم5، وإذا

---

1 في ص (أبناء) ولعل الصواب ما أثبته.

2 رسالة فولس إلى أهل أفسس 5/3-8.

3 إضافة يقتضيها السياق.

4 متى 5/38-48.

5 متى 6/1-5.

==

صمتم فلا تكونوا كالمرائين الذين يعبسون وجوههم ويغيِّرونها ليظهر للناس صيامهم، الحقّ أقول لكم لقد أخذوا أجرهم، وأنت إذا صمت فاغسل وجهك وادهن رأسك كيلا يظهر للناس صيامك، اغفروا للناس خطاياهم ليغفر لكم أبوكم السماوي خطاياكم، لا تكنِزوا لكم كنوزاً في الأرض [حيث]1 الأكلة والسوس / (1/83/أ) والسارق ولكن اكنِزوا لكم كنوزاً في السماء حتى لا تفسدها سوس ولا تنالها أيدي السُّرَّاق، فحيث تكون كنوزكم هناك تكون قلوبكم"2.

فهذه أقوال من المسيح شاهدة بأنه عزوجل لم يخص نفسه بالبنوة دون أدناهم، وأنه وإياهم فيها سيَّان، وأنّها كلمة تطلق على عباد الله الصالين، وأنه حيث ما ذكرها قرنها بالعبودية والتشمير في الطاعة، وأن من كان منحرفاً عن التقى والديانة لم يصلح لهذه البنوة، كما قال المسيح لليهود: "أنتم من أبيكم إبليس". حيث لم يرضهم للبنوة المعزوة إلى الصالحين من بني إسرائيل.

إطلاق أتباع المسيح لفظ البنوة على أنفسهم غير مفرقين فيها بينهم وبين المسيح [و]3 أنهم لم يفهموا منها إلاّ ما أشرنا إليه:

قال يوحنا التلميذ في قصص الحواريّين الذي يسمى فراكسيس: "يا أحبائي إنا أبناء الله سمانا بذلك، واعملوا أن الفصل بين أبناء الله وأبناء الشيطان أن من لم يتَبَرر ويحب أخاه فليس من الله بل من الشيطان"4.

---

1 في ص (جنب) والتصويب من النص.

2 متى 6/16-21.

3 إضافة يقتضيها السياق. والله أعلم.

4 رسالة يوحنا الأولى 3/1-11، بألفاظ متقاربة، ولم يرد النصّ في سفر أعمال الرسل كما ذكر المؤلِّف.

==

فبيَّن الحواري أن بنوة الله عبارة عن طاعته وأن من لم يطع الله / (1/83/ب) فليس يصلح لهذه البنوة ولا تليق به، وساوى بين نفسه وبين المسيح في هذه البنوة. فلم يبق بعدها للنصارى باقية، ولم تقم لهم في تخصيص المسيح بالبنوة قائمة. وقد عبَّر يوحنا الإنجيلي عن هذه البنوة بالطاعة والاستقامة، وذكر أن مَن كان منحرفاً عن خدمة الله لم يصلح لهذه البنوة، فقال في الفصل الثالث من رسالته الأولى: "اعملوا أن كل من ولد من الله فلن يعمل خطيئة من أجل أن زرعه [ثابت]1 فيه فلا يستطيع أن يخطئ لأنه مولود من الله وبهذا نتبيّن أبناء الله من أبناء الشيطان فكل من لا يعمل البر فليس هو من الله"2.

فالمسيح عزوجل ويعقوب وداود ومن مضى من أولياء الله وأنبيائه لما تحققوا بخدمة الله وسارعوا إليها أطلق اللسان العبراني عليهم هذه التسمية تشريفاً له ولا مزية للمسيح على غيره في ذلك.

وقال فولس الذي يسمونه فولس الرسول وهو المفرس العالم الذي لهم في رسالته إلى ملك الروم: "أن الروح تشهد لأرواحنا أنا أبناء الله وإذا كنا أبناءه فنحن ورثته / (1/84/أ) أيضاً". وقال فولس في هذه الرسالة: "إن البرية كلها تترجى ظهور أبناء الله"3.

قال المؤلِّف: إن كان هذا الكلام صحيحاً، فالمسلمون أحق بهذه التسمية فإنهم الذين ملأوا الأرض ونفعوا البرايا والأمم بما أرشدوهم إليه من طاعة الله، وعلموهم من توحيده، وشرعوا لهم من أحكامه، وتحقق رجاء البرية بما أفادهم المسلمون من مصالح دينهم ودنياهم.

---

1 في ص (ثابتا) والصواب ما أثبته.

2 رسالة يوحنا الأولى 3/9، 10.

3 رسالة بولس إلى أهل رومية 8/16-19، وقد وهم المؤلِّف في قول إنها رسالة بولس إلى ملك الروم.

==

الباب الثالث: في تأويل ظواهر الإنجيل

وقال فولس في رسالته إلى بعض النواحي: "أولا تعلمون أنكم هياكل الله، وأن روح الله حالة فيكم، وأن الدنيا والآخرة لكم"1.

وقال فولس لإخوانه: "إن أجسامكم هيكل لروح القدس التي قبلتموها عن الله"2. وقال فولس في رسالته الثانية: "إن الله تعالى قال: إني أحل فيهم وأسعى معهم، وأكون لهم إلهاً وهم يكونون بمنْزِلة البنين والبنات"3.

فهذا فولس- المؤتمن عند النصارى-لم يدَّع أن المسيح [مباين]4 أحد من الملة في هذه البنوة، وقول فولس: "إنكم هياكل الله"، الهيكل5 بيت متعبدهم كالمسجد ونحوه، فشبه بيت العبد الصالح في طهارتها وعمارتها بذكر الله بالهيكل والمسجد.

وقال متى في إنجيله / (1/84/ب): "إن جباة الجزية جاءوا إلى بطرس فقالوا: ما بال [معلمكم لا]6 يؤدّي الجزية؟ فقال لهم: نعم. ثم أخبر المسيح بمقالتهم فقال: يا بطرس والبنون أيضاً تؤدّي الغرم، اذهب إلى البحر فأوّل حوت يخرج فخذ وأدِّ عني وعنك"7.

فهذا متى يشهد على المسيح بأنه لا يختص بهذه البنوة وأن [البنين]8 سواه كثير.

---

1 رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس 3/12، 16، في سياق طويل وقد ذكره المؤلِّف مختصراً.

2 رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس 6/19 بألفاظ متقاربة.

3 رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس 6/19 بألفاظ متقاربة.

4 في ص (مباينا) والصواب ما أثبته.

5 الهيكل: كلمة سومرية معناها: (البيت الكبير) وهو مكان عبادة الله، ويقوم مقام الكنيسة اليوم،وكان اليهوديطلقون اسم:"الهيكل" على مكان واحدكبير في القدس، وباقي أماكن العبادةكانت تسمى:(مجامع) ومفردها مجمع.(ر: قاموس ص1012).

6 بياض في الأصل، والتصويب من النصّ في ص: 198.

7 متى 17/24-27.

8 في ص (البنون) والصواب ما أثبته.

==

وهذه صورة [صلاة]1 زعم النصارى أن المسيح علَّمها تلاميذ: وهي: "أبانا الذي في السماوات قدوس اسمك يأتي ملكوتك تكون مشيئتك كما في السماء كذلك تكون على الأرض، آتنا خبزنا قوتاً في اليوم، واغفر لنا ما وجب علينا كما نحب أن نغفر لمن أخطأ إلينا، ولا تدخلنا التجارب ولكن نجنا من الشرير، إذ لك المجد والقوة والملك إلى الأبد. آمين"2.

قال المؤلِّف: قوله: "آبانا الذي في السماوات" لفظ موهم من حيث الأبوة ومن حيث الجهة.

فالأبوة متروكة الظاهر بقول يوسف في التوراة: [لأخيه بنيامين - وهو لا يعرفه - يا بني الله يترأف]3 عليك.

فقد سمى أخاه ابنه، وليس ابناً له على الحقيقة، وبقوله / (1/85/أ) في التوراة لإخوته: "لستم أنتم الذين بعتموني بل الله قدمني أمامكم، وجعلني أبا لفرعون وسيداً لأهل الأرض"4. يريد مدبراً له.

____

1 إضافة يقتضيها السياق.

2 متى 6/9-14، لوقا 11/2-4. وهذه الصلاة يسميها النصارى: "بالصلاة الربانية" وهي فاتحة صلاتهم وبعدها يقرؤون الصلوات(الأدعية) التي تناسب صلاتهم، وتنقسم هذه الصلاة إلى ثلاثة أقسام:(1) الدعاء "أبانا الذي..."، (2) الطلبات وهي سبت، ثلاث منها تختص باسم الله وملكوته ومشيئته، وثلاث باحتياجات الإنسان الزمنية والروحية. (3) التمجيد (لأن لك الملك..." (ر: قاموس ص 552، الصلاة في الأديان الثلاثة ص 135، 158، أحمد أبو طبة".

3 في ص: "لا جيب سامن وهو لا يعرفه يا بني الله يترأف"، والتصويب من النّصّ في سفر التكوين 43/29.

4 تكوين 45/4-8.

==

وقد كان التلاميذ يقولون للمسيح يا أبت[1]، وليس [أباهم][2] إلاّعلى جهة التدبير كما قال لهم: "لا تدعوا لكم مُدبَّر على الأرض فإن مدبركم المسيح"[3].

وكانوا أيضاً يدعون بطرس بعد المسح (أبا) لهم كما شهدت به سير التلاميذ، وذلك بمعنى المدبر، فيعلم اللبيب أن قول المسيح لربّه (يا أبت) إن صحّ ذلك عنه كقول بطرس للمسيح (يا أبت) وكقول التلاميذ لبطرس (يا أبت). وعند الوقوف على هذه المواضع تنحل عقود النصارى في دعوى بنوة المسيح وينفصم عراهم فلا يحاولون انفصالاً إلاّ وينعكس عليهم في بنوة المسيح.

ويقال لهم: هل بنوة يوسف لأخيه بنيامين ولملك مصر إلاّ كأبوة الله للمسيح؟! وهل بنوة المسيح لله إلاّ كبنوة إسرائيل ودلود وأولاده الشهيد من ابني آدم كما حكوا عن التوراة والكتب القديمة؟ ولما كان الأب هو المشفق المرفق العاطف ببره العابد بخيره، المحرك بإحسانه / (1/85/أ) المفضل بتطوله وامتنانه، وكانت هذه المعاني لا تتحقق على الحقيقة إلاّ من الله جلت قدرته، وكان المسيح قد توفرت روحانيته فلم يرِ الوسائط، حَسُنَ[4] عنده التجوز باسم الأب عن الرّبّ، وهذا محمل يتعين حمل هذه الألفاظ عليه إن صحّ إطلاقها

____

1 لم أعثر في الأناجيل على نصّ يشير إلى أن التلاميذ كانوا يقولون للمسيح: يا أبت، ولكن ورد فيها أ، التلاميذ كانوا ينادون المسيح بالألقاب الآتية:

- (المسيح ابن الله). ر: متى 16/16.

- (ربّ). ر: مى 16/26، مرقس 8/31، يوحنا 21/15.

- (سيد). ر: مرقس 9/4-5، يوحنا 13/137.

- (معلم). ر: يوحنا 3/2.

2 في ص (أبوهم) والصواب ما أثبته.

3 متى 23/9.

4 في ش: جواب لَمَّا.

==

منه، إذا القديم جلّ وعلا يتقدس عن أن يشار إليه بأبوة البعضية المتّخذة من الزوجة والسرية تعالى القديم عن مماسة العديم، ويقدس العظيم عن ملابسة الهضيم[1]. {لَيسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ}. [سورة الشورى، الآية: 11].

ولما كان الابن هو المضهوم الجناح، المفتقر في سعيه إلى النجاح، الخائف من دركات الهلكات بركوب الجناح، اللائذ بأبيه [لاستمطار][2] نواله، المتعلق بذيول كرمه في مضمون سؤاله، المرمَّى ببره العظيم المعدي بمنه الجسيم لم[3] يقبح عنده التوسع باسم الابن عن العبد.

فإن تأوّل النصارى البنوة والأبوة بهذا التأويل وإلاّ فضحتهم التوراة والنبـوات والإنجيـل فقـد حكـوا عن التوراة قول الله: "إسرائيل ابني بكري"، وفي المزامير يقول داود لأكابر بني إسرائيل: "أنـا قلت لكم إنكم آلهة وبنو / (1/86/أ) العلا كلكم تدعون"ـ4.

ولا خلاف أن الإنجيل من فاتحته إلى خاتمته لم يخصص المسيح بهذه البنوة، بل شارك فيهـا غـيره من الصلحاء والأتقياء من عباد الله وأوليائه، ومن أنصف من النصارى عرف صحة ما قلناه فقد قال يوحنـا في إنجيله: "إن يسوع كان مزمعاً أن يجمع أبناء الله"5. فهذا يوحنا التلميذ يذكر أن سائر بني إسرائيل يسـمون بهذا الاسم ويذكر أن المسيح رام جمع الناس على كلمة الإيمان فلم يقدر على ذلك.

____

1 هضم فلاناً:ظلمه،وغصبه.كاهتضمه وتضهمه.فهو هضيم.(ر:القاموس ص1511).

2 في الأصل: (لاستمطار)، وأظنه تحريف من الناسخ لكلمة: (لاستمطار) وهو ما أثبته لموافقته سياق الكلام. والله أعلم.

3 في ش: جواب لما.

4 مزمور 82/6.

5 يوحنا 11/52.

==

الباب الثالث: في تأويل ظواهر الإنجيل

وإذا ثبت إطلاق لفظـة البنـوة على يقعـوب وداود وغـيره، فمـا بـال النصـارى لا يقولـون في أيمـانهم وحلفهم: "وحقّ يعقوب ابن الله؟!".

ولِمَ حطُّوا حرمته وهو ابن الله بكره - والبكر له مزيد حرمة عند أبيه؟! وكذلك هلا أقسموا بداود وهـو ابنه حبيبه، ولم هجروا اسمه وهو مساو المسيح في البنوة والحبّ؟!ـ

وكذلك قال لوقا الإنجيلي: "جبريل أخبر عن الله أن المسيح ابن داود"1. فهلا نسبوه نسبته التي نسبه بها جبريل ولهجوا بذلك في أقسامهم وأيمانهم فقالوا: "وحقّ المسيح ابن داود".

وكيف رغبوا له / (1/86/ب) عن تسمية سماه الله بها على لسان جبريـل قبـل خلقـه؟! أهم أعلم بمـا يجب له من الله؟! فكيف تكروا تسمية الله له وأخلفوا تسـمية أجمـع أربـاب الملـل والنحـل على تخطئتهم فيها؟!.

فإن رجعوا الفهقرى وتمسكوا بقوله: "يـا أبت"، أوردنـا عليهم قولـة التلاميـذ: "قولـوا: أبانـا الـذي في السماوات"، ونظائرها. على أنا نقول لهم: ألم ترووا لنا عن المسـيح في خاتمـة الإنجيـل قولـه: "أنـا ذاهب إلى إلهي وإلهكم"ـ2، وقوله وهو على الصليب فيما زعمتم: "إلهي إلهي لم تركتني؟"ـ3.

فهلا تقولون في صلواتكم وأدعيتكم: يا عبد الله اغفر لنا، وكذلك إذا دعوتم الأب فقولوا: يا سـيد إلهنـا ارحمنا، وكذلك قولوا في دعائكم الأب: يا جَدَّنا افعل بنا كذا؛ لأن بطـرس4 أبـوكم، والمسـيح أبٌ لبطـرس، والله أب للمسيح.

____

1 لوقا 1/32.

2 يوحنا 20/17.

3 متى 27/46.

4 باعتبار أن بطرس رئيس الحواريّين.

==

وقد زعمتم أن [المسيح]1 صفعه اليهود في رأسه بالقصب [وضَفَّروا]2 على رأسه إكليلا من الشكوك وألبسوه ثياباً حمراً وسقوه الخلّ عندما عطش، وأنتم في صلواتكم تبتهلون إليه بالأدعية، فما بالكم لا تقولون: يا من صفعه اليهود في رأسه وبصقوا في وجهه / (1/87/أ) واقتسموا ثيابه بينهم بالقرعة واستعار على خشبته وقرن باللصوص - افعل بنا كذا!

- الدلالة على استعمال المسيح المجاز والاستعارات:

- فإن تلاميذه كانوا [معافين]3 مما ابتلى به المتأخرون من النصارى قال متى: "بينا يسوع جالسا يتكلم على الناس إذ قيل له: أمك وأخوتك بالباب يطلبونك، فقال: من أمي ومن أخوتي، ثم أومأ بيده إلى تلاميذه وقال: هؤلاء هم أمي وإخوتي، وكل من صنع مشيئة أبي الذي في السماوات فهو أخي وأختي وأمي"4.

قلت: هو ذا المسيح عليه السلام قد أعرف في التجوز والتوسع والاستعارة حتى سمى المطيع لله قريباً له من هذه الجهات فجعله أماً له وأختاً وأخاً، وإذا كان النصارى لا يجرون على ظاهر هذا اللفظ، بل يحملونه على ما يليق به من التأويل فكذلك يلزمهم في لفظ البنوة والأبوة، فإنه كما يستحيل أن يكون آحاد الناس أماً وأختاً وأخاً للمسيح فكذلك يستحيل أن يكون المسيح - وهو رجل من بني إسرائيل يناله من النفع والضرر ما ينال غيره من البشر - ابناً لله / (1/87/ب) القديم الأزلي.

____

1 إضافة يقتضيها السياق. والظاهر أنها سقطت من الناسخ.

2 في ص (ظفروا) والصواب ما أثبته.

3 في ص (معافون) والتصويب من المحقِّق.

4 متى 12/46-50، مرقس 3/31-35، لوقا 8/19-21.

==

فإن [هذى]1 هاذ منهم وقال: فإذا لم يكن له بُدٌّ من أبٍ، فمن أبوه؟!.

قلنا له: إذا لم يكن لآدم بُدٌّ من أبٍ، فمن أبوه؟!، فإذا قالوا: إن آدم خلقه الله آية وأعجوبة إذ خلقه من غير تناسل وتوالد، قلنا: وكذلك المسيح خلقه الله تعالى آية وأعجوبة إذ خلقه من [غير أب]2، فكم

خلق الله سبحانه من الحيوان من غير توالد وتناسل معروف، وقد ابتدأ الله العالم بأسره لا عن مثال سبق، فأي آيات الله تنكرون3؟!.

واعلم أن إطلاق المسيح لفظ: (النبوة) جرى فيه على عادة من تقدمه من بني إسرائيل، فإنهم كانوا يطلقون هذه البنوة والربوبية والألوهية على المعظمين في الدين والمدبرين للأمم كقول التوراة: "إسرائيل ابني بكري"، وكقول المزامير: "داود ابني حبيبي"، وقوله للأكابر من بني إسرائيل: "أنا قلت: إنكم آلهة وبني العلاكلكم تدعون"، وقول شعيا: "توصوا بي في بني وبناتي". وقول أشعيا: "إني ربيت أولاداً حتى نشأوا وكبروا".

فحال المسيح منسج على منوال من سبقه. فقال: "أنا ذاهب / (1/88/أ) وأبيكم". غير أن هذه اللفظة لم تأت إلاّ ومعها لفظ العبودية ليزول الإيهام ويحصل التشريف والإنعام، والدليل على ما قلناه من بنوة شعيا النبي عليه السلام: "إن الله تعالى تهدد بني إسرائيل على جرم فعلوه، فلما خافوا نزول العقوبة قالوا في دعائهم: الله ترأف علينا، وأقبل بوجههك إلينا، ولا تصرف

____

1 في ص (هذا) والصواب ما أثبته. والهذيان هو: الكلام غير المعقول لمرض أو غيره. (ر: القاموس ص 1734).

2 في ص: (غراب)، وفي ش: (من تراب)، اقتباس من قوله تعالى: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ...}. الآية. لكن فيه ما فيه، كأن العبارة من غراب أو من تراب. اهـ

قلت: الصواب ما أثبته. فهو الموافق لسياق الكلام، والتحريف حصل من الناسخ.

3 اقتباس من قوله تعالى: {وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ}.]سورة غافر، الآية: 81[.

==

رحمتك عنا فأنت هو الرّبّ أبونا، فأما إبراهيم وإسرائيل فلم نعرفه، لكن أنت أبونا وقد ملنا عن طرقك، يا ربّ ارحمنا فنحن عبيدك"1.

وقد رووا عن يوحنا الإنجيلي: "أن من لابس المعاصي وانغمس في الخطايا فليس له في هذه الولادة من نصيب"2.

فقالوا: قال يوحنا في خاتمة رسالته الأولى: "قد علمنا أن كل من هو مولود من الله لا يخطئ؛ لأن ولادته من الله وهو حافظه له من أن يقترب إليه الشرير"3.

فإن صدق النصارى في هذا النقل فليس فيهم إذاً من يستحق هذه التسمية لأنه لا يكاد أحد منهم يخلص من ملابسة المعاصي واقتراف الخطيئة والإثم. فإما أن يبطلوا هذا / (1/88/ب) ويوصوا بفساده لهم دعواهم البنوة، وإما أن يصحّحوه فيخرجوا عن بنوة الله التي يدَّعون بها، فقد حكم يوحنا وغيره من أئمتهم أن مَنْ ولد مِنَ الله لم يرتكب على نفسه ذنباً ولم يختلف وزراً. فهكذا كان اعتقاد من يطلق لفظ الأبوة على الله ويُسمِّي نفسه (ابناً لله) إنما يجعل ذلك من باب التودد إلى الله والخدمة له، فلهذا لم يكن يضرّه

إطلاقه، ولما جاء المتأخرون أكثروا من هذا الإطلاق وصاروا يوردونه على جهة الفخر والتزكية وتمجيد النفس فخوطبوا بالتكبر4، وقيل لهم في الكتاب العزيز: {مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ...}5.

---

1 سفر أشعيا 63/10-17، بألفاظ متقاربة.

2 رسالة يوحنا الأولى 3/4-9، بنحوه.

3 رسالة يوحنا الأولى 5/18.

4 قال الله تعالى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ}. [سورة المائدة، الآية: 18].

5 قال الله تعالى: {مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ}. [سورة المؤمنون، الآية: 91].

==

فأما [لفظتا]1 الإله والرّبّ:

فالرّبّ هو المربي باللطف والإحسان العائد بالعطف والامتنان، وهاتان اللفظتان قد تستعملان في حقّ العظيم من الآدميّين تجوزاً وتوسعاً، لكن على جهة التقييد لا جهة الإطلاق، وقد قال أشعيا النبي: "عرف الثور من اقتناه والحمار مربط ربه ولم يعرف ذلك بنو إسرائيل"2.

وهذه كتب القوم تشهد بأن المعلم / (1/89/أ) والمدبر والقيم يسمى رباً3، كما أن الرجل رب منْزِله وداره وبيته ورب ماله. قال نبيّنا صلى الله عليه وسلم لرجلٍ:"أربّ إبل أنت أم ربّ غنم؟"، فقال: من كل آتاني الله فأجزل4.

---

1 في ص (لفظتي) ولعل الصواب ما أثبته.

2 ورد النّصّ في سفر أشعيا 1/3 كالآتي: "الثور يعرف قانيه والحمار معلف صاحبه أما إسرائيل فلا يعرف...". والفرق واضح بين النّصّ الذي أورده المؤلِّف وبين النّصّ المذكور حالياً في سفر أشعيا والظاهر أن عبارة "والحمار مربط ربه"، كانت موجودة في نسخة المؤلِّف، ثم حرفت بعد ذلك في النسخ التي كتبت بعد زمن المؤلِّف. رحمه الله.

3 ذكر في قاموس الكتاب ص 396، أ، لفظة: (رب) يقصد بها:

1- اسم الجلالة، وفي هذه الحالة تطلق على الأب والابن بدون تمييز سيما في رسائل بولس الرسول.

2- وقد تستعمل بمعنى: سيد أو مولى دلالة على الاعتبار والإكرام. اهـ

ويحدّثنا ستيفن نيل عن استعمالا كلمة (رب) في كتابه: "من هو المسيح؟ ص 49" فيقول:"إن الكلمة اليونانية الأصلية التي معناه:(رب) يمكن استعمالها كصيغة للتأديب في المخاطبة، فسبحان فيلبي يخاطب

بولس وسيلا بكلمة: (سيدي أو ربي: أعمال 16/30"، ولكن يمكن أن تستعمل بمعنى أرفع وأرقى، وكانت تستعمل وصفاً للإمبراطور في كلّ أنحاء الإمبراطوريةالرومانية،كماكانت تستعمل أيضاًلملوك اليهود.

وكانت اللفظة لقباً من ألقاب الكرامة خلع على كثير من الآلهة الوثنية وخاصة آلهة أديان الأسرار، ولهذا السبب ذهب بعض العلماء إلى أن لفظ (الرّبّ) أطلق أوّلاً على يسوع في الجماعات الأممية الناطقة باليونانية؛ وذلك لأنه هو الوصف الذي خلعوه على آلهتهم قبل أن يعتنقوا المسيحية، وكان من الهَيِّن على أولئك الأمم أن يقبلوا هذا اللقب الذي كان مألوفاً لديهم". اهـ

ويعلق على ذلك الأستاذ محمّد مجدي مرجان - الذي كان نصرانياً فأسلم - بقوله: "والواقع أن لفظ (رب يستعمل في كثير من المجتمعات، وخاصة في الأزمنة القديمة بقصد التكريم والتعظيم، ويتكرر اللفظ كثيراً في أسفار التوراة بمعنى سيد أو معلم". (ر: المسيح إنسان أم إله - محمّد مرجان، ص 175).

4 أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد ص 59، مختصراً، والإمام أحمد 4/136، 5/53، وعنه الطبراني في المعجم الكبير 19/283، والحافظ أبي بكر الحميدي في مسنده (ح 883)، كلهم من طريق سفيان بن عيينة، قال: ثنا أبو الزعراء عمرو بن عمور عن عمه أبي الأحوص عن أبيه مالك بن نضلة الجشمي، قال: أتيت النبيّ صلى الله عليه وسلم فصعد في النظر وصوب، وقال: "أربّ إبل أنت أو ربّ غنم؟"، قال: من كل قد آتاني فأكثروا طيب...الخ". وقال الحافظ في الإصابة 6/35: "سنده صحيح".

==

والدليل على ذلك من التوراة قول إبراهيم ولوط للملك: "يا رب مِلْ إلى منْزِل عبدك"1. ونحن والنصارى متّفقون على عدم التعبد للملائكة وإنما أرادا الإجلال في الخطاب، وفي التوراة يقول الله لموسى: "قد جعلتك إلهاً لفرعون"2. يريد: مسلطاً عليه ومتحكماً فيه.

وفي التوراة: "وقد شكا موسى لثغةً في لسانه وعجمة في منطقه، فقال الله له: "قد جعلتك رباً لهارون وجعلته لك نبيّاً، أنا آمرك وأنت تبلغه وهو يبلغ ابن إسرائيل"3.

ولم يقل الله للمسيح: قد جعلتك ربّاً وإلهاً، بل إنما ذلك شيء تَقَوَّله النصارى، فقول بطرس للمسيح: "يا رب"، إن صحّ فهو مُنَزَّل منْزِلة ربوبية موسى لهارون من حيث إن المسيح أيضاً مبلغ عن الله أوامره كتبليغ موسى أخاه هارون.

وقد قال داود في المزمور الثاني والثمانين: "قام الله في جماعة الآلهة / (1/89/ب)، وقال فيه وهو يعنف الأكابر من بني إسرائيل: "أنا قلت إنكم آلهة وبني العلا

____

1 سفر التكوين 18/1-3، كالآتي: "وظهر له الرّبّ بلوطات ممرا وهو جالس في باب الخيمة... وقال: يا سيد إن كنت قد وجدت نعمة في عينيك فلا تتجاوز عبدك". وورد في نفس السفر 19/2، أن لوطاً عليه السلام قال للملكين: "يا سيّديَّ ميلا إلى بيت عبدكم...".

2 سفر الخروج 7/1.

3 سفر الخروج 4/16، 7/1، 2، بألفاظ متقاربة.

تدعون"1. وفي المزامير أيضاً في حقّ يوسف: "فخلاَّ الملك يوسف وصيَّره سلطاناً على شعبه ربّاً على بنيه"2. يريد القيم عليهم والمدبر لأمورهم.

وقد قال يوسف للساقي عندما فسر له رؤياه: "اذكرني عند ربّك"3، يريد مدبرك والقيم عليك.

وإذا عرفت ذلك سهل عليك ما يهتف به النصارى من تسمية المسيح ربّاً وإلهاً، وعرفت كيف تكسر حجتهم بتأويل هذه الألفاظ، وقد قال شمعون الصفا رئيس الحواريّين: "إن الله جعل أيسوع ربّاً"4، يريد وَكَل تدبير أصحابه إليه، إذ الرّبّ لا يقال إن غيره جعله وصيره ربّاً وإلهاً، فما نرى شمعون الصفا زاد المسيح في ذلك على ما قالت التوراة: "إن الله جعل موسى ربّاً لهارون وإلهاً لفرعون". ولم يتجاوز به أيضاً قول المزامير: "إن يوسف صار ربّاً للملك". وفي الإنجيل: "إن الكلاب لتأكل من موائد أربابها"5.

____

1 مزمور 82/6.

2 مزمور 105/20، 21، ونصّه كالآتي: "أرسل الملك فحله، أرسل سلطان الشعب فأطلقه، أقامه سيدا على بيته ومسلطاً على كل ملكه".

3 قال تعالى: {وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ}. [سورة يوسف، الآية: 42].

قال شيخ الإسلام: "فإن قيل: لا ريب أن يوسف سمى السيد ربّاً في قوله: {اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ}، و"{ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ}، ونحو ذلك، وهذا كان جائزاً في شرعه، كما جاز في شرعه أن يؤخذ السارق عبداً، وإن كان هذا منسوخاً في شرع محمّد صلى الله عليه وسلم". اهـ (ر: الفتاوى 15/188).

4 سفر أعمال الرسل 2/36.

5 متى 15/27، مرقس 7/28.

وقد روي عن سلمان الفارسي1 أنه قال: "تداولني بعضة عشر من ربّ إلى ربّ"2. وإنما / (1/90/أ) يريد المرشدين والمدبرين له.

وقد يكون بمعنى السيد، قال الأعشى:

وَأَهْلَكْن يوماً رَبَّ كِنْدَةَ وابنَه وَرَبَّ مَعَدّ بين خَبْتٍ وَعَرْعَر3

____

1 سلمان أبو عبد الله الفارسي رضي الله عنه، ويقال له: سلمان بن الإسلام وسلمان الخير الصحابي المعروف، له ستون حديثاً.

2 أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار باب (53). (ر: فتح الباري 7/277)، وابن عبد البر في الاستيعاب 4/221، وأبو نعيم في الحلية 1/195، عن سلمان الفارسي: "أنه تداوله بضعة عشر من ربّ إلى ربّ". واللفظ للبخاري.

قال الحافظ: "أي: سيد إلى سيد، وكأنه لم يبلغه حديث أبي هريرة في النهي عن إطلاق ربّ على السيد، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لا يقل أحدكم: أطعم ربّك، وضئ ربَّك، وليقل: سيدي ومولاي، ولا يقل أحدكم: عبدي وأمتي، وليقل: فتاي وفتاتي وغلامي". أخرجه البخاري 5/177، ومسلم 4/1764.

وقال الحافظ: "ويفه نهي العبد أن يقول لسيده: ربّي، وكذلك نهي غيره فلا يقول له أحد: ربّك، والسبب في النهي أن حقيقة الربوبية لله تعالى، لأن الرّبّ هو المالك والقائم بالشيء فلا توجد حقيقة ذلك إلاّ لله تعالى. قال الخطابي: سبب المنع أن الإنسان مربوب متعبد بإخلاص التوحيد لله وترك الاشتراك معه، فكره له المضاهاة في الاسم لئلا يدخل في معنى الشرك، ولا فرق في ذلك بين الحرّ والعبد، فأما ما لا تعبد عليه من سائر الحيوانات والجمادات فلا يكره إطلاق ذلك عليه عند الإضافة كقوله: ربّ الدار، وربّ الثوب، وقال ابن بطال: لا يجوز أن يقال أحد غير الله: ربّ، كما لا يجوز أن يقال له: إله. وقال الحافظ: ويحتمل أن يكون للتنْزِيه وما ورد من ذلك فلبيان الجواز - يشير إلى قوله عليه السلام في أشراط الساعة: "أن تلد الأمة ربّها"، وقيل: هو مخصوص بغير النبي صلى الله عليه وسلم ولا يرد ما في القرآن أو المراد للنهي عن الإكثار من ذلك واتّخاذ استعمال هذه اللفظة عادة، وليس المراد النهي عن ذكرها في الجملة". اهـ.

3 البيت من شعر لبيد بن ربيعة العامري وليس للأعشى كما ذكر المؤلِّف. (ر: ديوان لبيد بن ربيعة ص 55، تحقيق د. إحسان عباس، ط سلسلة التراث العربي، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت - سنة 1962م، ر: لسان العرب 1/399، تارج العروس 1/260، وتفسير الطبري 1/62، ور: ترجمة لبيد بن ربيعة ت سنة 41 في الأعلام للزركلي 5/240).

==

ويكون أيضاً للرّبّ بمعنى: المالك. قال طرفة1:

كقنطرة الرومي أقسم ربّها لتكتنفن حتى تشاد بقرمد2

ويكون أيضاً الرّبّ بمعنى: المربي من قولهم: رَبّ َ يَرُبُّ فهو رَبٌّ3.

قال الشاعر:

يَرُبُّ الذي يأتي من الخير أنه متى فعل المعروف زاد وتمما4

ويكون أيضاً بمعنى: المصلح للشيء، قال الشاعر:

كانوا كاسالِئَةٍ حَمْقاء إذ حقنت سلاءها في أديمٍ غَيرَ مَرْبُوب5

ويقال للشمس إلهة، قال الشاعر:

وأعجلنا الإلهة أن تؤوبا6

ويقال: ألهت إلى فلان، إذا فزعت إليه واعتمدت عليه، وقيل: هو من ألهت فيه إذا تحيرت فيه فلم تهتد إليه، فقول بطرس: "يا ربّ"، يريد يا مدبر أمرنا والقيم علينا.

---

1 طرفة بن العبد البكري الوائلي، أبو عمرو، شاعر جاهلي من الطبقة الأولى. (ر: ترجمته في الأعلام 3/225).

2 ورد البيت في ديوان طرفة ص 22، شرح وتقديم: مهدي محمّد ناصر الدين، دار الكتاب العلمية، بيروت، ط الأولى سنة 1407هـ، ور: شرح القصائد العشر للخطيب التبريزي ص 87. تصحيح عبد السلام الحوفي، دار الكتب العلمية، ط الأولى سنة 1405هـ.

3 رَبَّ فلان ولده يَرُبُّه رَبّاً، وربَّبه، وتربَّبه، بمعنى أي: ربَّاه. (ر: الصحيح 1/130).

4 ورد البيت في لسان العرب 1/386، وتاج العروس 3/261 غير منسوب، وقد أنشده ابن الأنباري كالآتي:

يرب الذي يأتي من العرف أنه إذا سئل المعروف زاد وتمما

5 ذكره الطبري في تفسيره 1/62، ونسبه إلى قول الفرزق بن غالب، وورد في لسان العرب 1/390، كالآتي: "سلالها ف أديم غير مربوب، أي: غير مصلح".

6 ذكره الجوهري في الصحاح 6/2224، وقال أنشدني أبو علي:

تروحَّنا من اللعباء قصراً وأعجلنا الإلهة أن تؤوبا

==

وقول أشعيا: "هوذا العذراء تحبل وتلد ولداً عمانويل الذي تفسير إلهنا"1 محمول على بعض هذه المحامل / (1/90/ب) إن صح نقلهم عن أشعيا هذا اللفظ بعينه.

وقد فسر علماء الإنجيل قول مريم المجدلانية للمسيح (ربوني)2 بالمعلم، والمعلم والمربي والمدبر بمعنى واحد3.

وقد صرح يوحنا الإنجيلي بأن الألوهية ليست على ظاهرها فقال في إنجيليه: "جلس يسوع في إسطوان سليمان بأورشليم فأحاطت به اليهود وتناولوا الحجارة ليرجموه وقالوا: حتى متى تعذب نفوسنا؟ فقال: أريتكم أعمالاً حساناً من عند الله، أفمن أجل الأعمال [ترجمونني]4؟! فقالوا: إنما نرجمك لأنك بينا أنت إنسان إذ جعلت نفسك إلهاً، فقال يسوع: أليس هكذا مكتوب في ناموسكم: "إني قلت إنكم آلهة وبني العلا تدعون"5، فإذا قيل لأولئك: (آلهة) لكون كلمة الله عندهم، فالذي قدَّسه الله وأرسله إلى العالم، كيف تقولون إنه يجدف"6.

فقد اعترف يوحنا والمسيح بأن الألوهية متْروكة الظاهر، وإن إطلاقها عليه كإطلاقها على العلماء والحكماء والمدبرين من بني إسرائيل، وقد صرح في هذا

---

1 أشعيا 7/14.

2 يوحنا20/16، 17، والنصّ كالآتي: "قالت له:ربوني،الذي تفسيره:يا معلم..".

3 علق محمّد مجدي مرجان ص 174، على النّصّ السابق وعلى ما ورد في إنجيل يوحنا 1/37، 38، بقوله: "لم يشأ يوحنا أن يطلق كلمة (رب) على عيسى من غير تفسيره، فقد خشي أن يتصور الناس أن عيسى إله أو بعض إله، ففسر يوحنا الكلمة في صلب الإنجيل نفسه بأنها تعني المعلم، فعيسى بالنسبة لتلاميذه هو معلمهم وأستاذهم.

4 في ص (ترجموني) والصواب ما أثبته.

5 نصّ مقتبس من مزمور 82/6، ونصّه: "قلت: إنكم آلهة وبنو العلي كلكم".

6 يوحنا 10/22-36، في سياق طويل وقد اختصر بعضه المؤلِّف وذكره بالمعنى.

==

الكلام بأنه ليس هو الله، ولا الله حال / (1/91/أ) فيه، وأن الله قدّسه؛ أي: طهّره وأرسله إلى العالم، وكذلك يفعل بسائر الأنبياء والرسل1.

ولو كان المسيح هو الله، كقول الجهلة من النصارى للزم اتّحاد المُرْسِل والرسول والمُقدَّس.

قال فولس في رسائله: "وقد يعرفون نعمة سيدنا يسوع المسيح إذ تَمَسْكن من أجلكم وهو غني، لكي تستغنوا بمسكنته"2.

فشهد فولس بأن المسيح رجل من عباد الله يتواضع لله كدأب أوليائه وصفوته.

- وقد استشهد النصارى على ربوبية المسيح بقصة الكنعانية:

قال متى: "حضر إلى يسوع امرأة كنعانية فقالت: إن ابنتي بها شيطان رديئ فعسى تتعطف عليها، فلم يجبها فسأله التلاميذ أن يقضي حاجتها فقال: لم أرسل إلاّ للخراف الضالة من بيت إسرائيل. فجاءت المرأة وسجدت له وقالت له: يا رب أَعِنِّي. فقال: ليس يجيد أن يؤخذ خبز النبيّين فيعطى للكلاب. فقالت: نعم. يا ربّ والكلاب أيضاً تأكل من الفتات الذي يسقط من موائد

____

1 يقول محمّد مجدي مرجان في كتابه السابق ص 172: "يطلق لفظ: (إله) في الكتب المقدسة على بعض الأنبياء على سبيل المجاز تعبيراً عن قربهم من الله كسائر أبناء الله الصالحين والبشر المؤمنين، يقول عيسى موضحاً المجاز: "إنما بنوة الله بالأعمال"، ويقول لأتباعه عند صعوده إلى السماء وإنقاذه من أعدائه: "إني أصعد إلى أبي وأبيكم إلهي وإلهكم". نعم. فنبوة الله ليست باللحم والدم، وليست بالتناسل والتوالد، إنما بالعمل الصالح، وكلما صدق الإيمان وثبت اليقين وحسنت النيات والأعمال كلما زاد اقتراب الإنسان من خالقه، وصار قريباً من ربّه وكأنه ابنه، فنحن أبناء الله وصنع يديه". اهـ.

2 رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس 8/9.

==

أربابها ، فحينئذٍ عطف / (1/91/ب) عليها وقال: [يا امرأة عظيم إيمانك، ليكن لك كما تريدين]1، فشفيت ابنتها من تلك الساعة"2.

قال النصارى: سجدت له [المرأة]3 وخاطبته بالربوبية، وذلك دليل على ربوبيته إذ لم ينكر عليها، بل تقريرها وشفاء ابنتها من أوضح الأدلة على ربوبيته.

وسبيل من وقف على ذلك أن يعارض قول الكنعانية له: "يا رب"، بقولها: "والكلاب تأكل من الفتات الذي يسقط من موائد أربابها"، فقد جعلت ملاك الكلاب [أرباباً]4 لهم ولم ينكر عليها أيضاً.

وكذلك فليعارضوا بقوله: "ليس بجيد أن يؤخذ خبز النبيّين فيعطى للكلاب"، فقد سمى الكفار من بني آدم كلاباً، وقد سمى الدعاء والشفاء خبزاً، وذلك كله دليل التجوز والتوسع، وإذا كان ذلك كله جائزاً على المعنى، فالربوبية والبنوة أيضاً جائزة على طريق المعنى، فإن أحاولوا أن يكون الآدمي كلباً فليحيلوا أن يكون ربّاً.

وأما سجودها له ولم ينكر عليها فذلك كان سلام القوم وتحيتهم في الزمن الأوّل على عظمائهم وأكابرهم، / (1/92/أ) والدليل عليه أن التوراة تنطق: "بأن إخوة يوسف حين عرفوه سجدوا له طالبين قدميه"5، وكذلك قالت التوراة: "إن إفرام ومنسى [ابني]6 يوسف سجدا لجدهما يعقوب بحضرة أبيهم يوسف"7. فلن ينكر عليهم.

---

1 في ص (يا مرأة عظيمة أمانيك يكون لك ما أردتي) والتصويب من النص.

2 متى 15/22-28.

3 إضافة يقتضيها السياق.

4 في ص (أربا) والتصويب من المحقِّق.

5 سفر التكوين 42/6.

6 في ص (ابنا) والتصويب من المحقِّق.

7 تكوين 48/8-21.

==

وقد قالت التوراة: "إن إبراهيم ولوطاً سجدا للملائكة على الأرض"1، فلم ينهوا عن ذلك "وقد ساوم إبراهيم قوماً في أرض لهم ليدفن سارة فلم يكلّمهم، ولم يساومهم حتى سجد لهم مرتّين"2. على ما في التوراة، فبطل تعلقهم بسجود المرأة للمسيح.

وقال المؤلِّف - عفا الله عنه - : قصة هذه الكنعانية التي استدلوا بها على الربوبية هي من أدل الدلالة على عدم الروبية، وبيانه: أنها جاءت إلى المسيح مؤمنة به، سالكة طريقه في التواضع، معتقدة أن معجزته لا تعجز عن شفاء ابنتها، وهو فلم يَعْلَم بما انطوى عليه ضميرها من الإيمان به، ألا تراه كيف جابهها بالرّدّ؟! وقال: ليس بجيد أن يؤخذ خبز النبيّين فيعطى للكلاب، فلما قالت له ما قالت ظهر له من إيمانها ما كان

مستوراً / (1/92/ب) عنه وبدا له من معتقدها فيه ما لم يكن في حسابه، فحينئذٍ قضى حاجتها وشفى ابنتها.

- دليل من قوله على أنّ ما يفعله بقوّة الله وحوله:

قال مرقس: "قال رجل ليسوع: يا معلم قد جئتك بابني وبه روح أبكم حيثما أدركه صرعه وسألت تلاميذك فلم يقدروا على إخراجه، فقال يسوع: آتوني به، فلما رآه قال لأبيه: مُذْ كم أصابه هذا؟ فقال: منذ صباه فتارة يلقيه في الماء وتارة يطرحه في النار، فإن استعطت فأعنا وتحنن علينا، فقال يسوع: كلّ شيء يستطيعه المؤمن، فبكى أبو الصبي، وقال: أنا مؤمن فأعن ضعف إيماني، فانتهر يسوع الروح وقال: أيها الروح النجس الأبكم الأصم اخرج من الإنسان، فخرج، وصار الصبي كالميت وأخذ يسوع بيده وأقامه فقال:

____

1 تكوين 18/1، 192/1.

2 تكوين 23/2-12.

==

التلاميذ: لم لم نقدر نحن على إخراجه؟ قال يسوع: إن هذا الجنس لا يستطاع إلاّ بصوم وصلاة، وخرج يسوع من هناك إلى الجليل مستتراً"1.

قلت: إن قدح اليهود في هذه الآية، قيل لهم: ألم ترووا/ (1/93/أ) لنا: "أن موت الفجأة وقع في بني إسرائيل بغتة فقتل منهم أربعة وعشرين ألفاً وسبعمائة رجل، فأمر موسى هارون أن يضع في المجمرة بخوراً وقام بين الأموات والأحياء فأمسك الموت الفاشي عن بعضهم"2.؟!

فما الدليل على صحة ما نقلتم من هذه الآية ولعلها زور وكذب ومينٌ3 وإفك؟ فإذا قالوا: قد ثبت أن الناقلين لهذه الآية انتهوا في الكثرة إلى حد يستحيل مهم التواطؤ على الكذب، قيل لهم: وكذلك آية المسيح نقلها من يستحيل تواطؤهم على الباطل فاستوت الحال.

وإن زعم النصارى أن ذلك يصلح للدلالة على ربوبويته، قيل لهم: لا تتعرضوا للاستدلال بهذه القصة على ربوبية المسيح البته، فهي من إحدى الشواهد على عبوديته وبيانه من وجوه:

أحدها: قوله لأبي الصبي: "مذن كم أصابه الجني"، فإن ذلك مشعرٌ بعدم علمه بالزمن الذي علقه الجني فيه، إذ لو كان ربّه وإلهه كما يزعم النصارى لكان هو الذي ابتلاه ولَمَا عَلِقَه الجني دون إذنه وعلمه، فعدم علمه بالوقت الذي لبسه فيه دليل / (1/93/ب) على عبوديته، إذا الغيب لا يعلمه إلاّ الله

____

1 مرقس 9/17-30.

2 سفر العدد 16/42-50، في سياق طويل، وقد ذكره المؤلِّف مختصراً، وقد ورد في النّصّ أن الذين قتل من بني إسرائيل أربعة عشر ألفاً وسبعمائة، وليس كما ذكره المؤلِّف، والظاهر أنه تحريف من الناسخ.

3 المين: الكذب، وجمعه: (ميون). (ر: الصحاح ص 641).

الواحد جلّ وعلام، وقد مضى نظائر ذلك إذ قد سئل عن يوم القيامة، "فقال: لا أعلمها ولا يعلمها إلاّ الله الواحد"1.

والثاني: قوله: "كلّ شيء يستطيعه المؤمن"، أراد إنما يصدر منه من شفاء المرضى وسائر الآيات إنما كانت لإيمانه بالله واهب القوي وما حي أثر الداء بالدواء.

والثالث: قوله للتلاميذ: "إن هذا الجن لا يستطاع إلاّ بصوم وصلاة". يدل على أن المسيح تقدم في الصوم والصلاة والعبادة إلى حد أربى فيه على غيره من عبيد الله. وفي بقية الفصل ما دل على خوف يسوع وتواريه وعجزه عن مقاومة مناوئيه، وهو أنه بعد قيام الفتى من صرعته خرج إلى الجليل فاراً من ساعته، والكلمة الأزلية لا تعتورها نقائص البشرية.

كذب النصارى في دعوى بنوة المسيح:

قال مرقس: "خرج يسوع وتلاميذه إلى البحر وتبعه جمع كثير فأبرأ أعلالهم فجعلوا يزدحمون عليه ويقولون: "أنت هو ابن الله، فكان ينهاهم وينتهرهم"2.

قلت: أعلم / (1/94/أ) أن هذا الكلام لو كان إيماناً من قائله لم ينهه المسيح، وكيف ينهى عنه، وإنما جاء لنشر الدين وبثّ الحقّ اليقين، والأمر بالكتمان ينافي الإعلان بالإيمان؟.

فلو أن قول أهل زمانه:"أنت ابن الله"توحيد لم ينههم عن التوحيد، لكنه إنما نهاهم لمخالفة نصّ الإنجيل إذا قال فيه لوقا: "إن المسيح هو ابن داود وأن

---

1 مرقس 12/32.

2 مرقس 3/7-12، بألفاظ متقاربة.

الرّبّ يجلسه على كرسي أبيه داود"1. وذلك بشهادة جبريل عليه السلام. وإذا كان المسيح إنما هو ابن داود، فكيف لا ينهاهم عن قول ما لا يحسن قوله؟!. فإن قال النصارى: إنما نهاهم خوفاً من اليهود أن يفطنوا به إذ كانوا يرومون قتله.

قلنا:ألم تزعمواأنه إنما تعنى ونزل إلى الأرض ليقتل إيثاراًلكم وتخليصاً من العذاب الذي ورطكم فيه آدم بتعاطي الخطيئة؟! أفترونه ندم على ذلك؟!فهو يستتر ويتوارى خوفاً من القتل، أفتصفونه بالبداء والندم والجهل بعواقب الأمور؟!لقد كادالله هذه العقول وحادبها عن سواء السبيل.

- نوع منه آخر: قال لوقا: "كان كلّ من له مريض يجيء بـه إلى يسـوع / (1/94/ب) فيضـع يـده عليـه فيبرأ فيقولون له: أنت ابن الله، فكان ينتهرهم ولا يدعهم ينطقون بهذا"2.

انظر رحمك الله إلى انتهار المسيح من ينطق بلفظـة البنـوة ليعلم أن النصـارى اليـوم معرضـون عن إنجيله سالكون غير سبيله.

فقد شهد لوقا بمثل ما شهد به مرقس، فإن زعموا أنه إنما نهاهم خشية اليهود قيل لهم: لو كان ذلـك كذلك لما أكثر من فعل الآيات وفي فعلها وإظهارها ما يوجب شـهرته وظهـوره. فلمـا أكـثر من المعجـزات وأشاع فعلها دلّ على كذبكم في أنه نهاهم خشية أن يفطن به، بل إنما نهـاهم لنصّ الإنجيـل وبيـان جبريـل، حيث يقول: "إن يسوع هو ابن داود"، فلذلك لم يرض منهم بهذا الإطلاق.

وقد قال مـتى في إنجيلـه: "هـذا ميلاد يسـوع المسـيح بن داود بن إبـراهيم"3. فشـهد - وهـو الصـادق عندهم - أن أبا المسيح هو داود، وذلك ردّ على من زعم من النصارى أنه ابن الله - تعـالى اللـه عن قـولهم علوّاً كبيراً.

1 لوقا 1/32.

2 لوقا 4/40، 41.

3 متى 1/1.

==

الباب الثالث: في تأويل ظواهر الإنجيل

فإن قيل: ساعدتمونا على ترك العمل بظاهره إذ سلمتم أنـه مولـود / (1/65/أ) من غـير أبٍّ، فكيـف توردون علينا بنوة داود؟!. وإذا كنتم لا تقولون بذلك فقد سُلِّم لنا مرادنا.

قلنا: النسبة نسبتان:نسبة تعريف ونسبة تشريف.

فالأولى: هي نسبة الإنسان من والده الذي هو أصله.

والثانية: هي نسبته من والد والده الذي هو أصل أصـله، فالمسـيح منسـوب إلى داود النسـبة الثانيـة - التي هي نسبة تشـريف - وهي كنسـبة داود إلى إبـراهيم، ثم مـريم أم المسـيح1 من نسـل داود، وداود من نسل يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم.

وإذا كان المسيح بن داود بهذه النسبة بطل ما ذهبتم إليه من الضلال وانتحال المحال.

فإن قيل: إن كان قد روى مرقس ولوقا - من أصحابه - نهيه من ينطق بلفظ البنوة فقد قال هو: "إني ذاهب إلى أبي وأبيكم".

قلنا: فبذلك نستدل على اضطراب النقل وضعفه، إذ لو كـان صـحيحاً لم يختلفـوا فيـه، وإذا كـان بعض الإنجيل يقول إن المسيح بن داود، وبعضه يقول: لا. بل هو ابن يوسف، وبعضه يقـول: بـل هـو ابن اللـه، لم تحصل الثقة بقـول واحـد لاسـيما والمسـيح يقـول: / (1/95/ب) "إنّي ذاهب إلى إلهي وإلهكم"، ويقـول في زعمكم: "إلهي إلهي لم تركتني؟". فالمسيح يقول إن الله إلهه وربّـه، وأنتم تقولـون: لا. بـل هـو ابنـه. لقـد تباعد ما بينكم وبين المسيح.

مسألة: زعم النصارى أن يسوع إنما جاءهم لينصرهم على اليهود ويطلع عليهم بالثالوث شموس السعود.

---

1 ورد ي قاموس الكتاب ص 756، أن مريم العذراء من سبط يهوذا من نسل داود. (قارون لوقا 1/32، 69، رومية 1/3، 2، الرسالة الثانية ليتموثاوس 2/8، وعبرانيّين 7/14).

==

فيقال لهم: يا عباد الرجال وربات الحجال1 إن كان الأمر على ما تصفون فقد كان يقضي أمره على ألسن رسله والحال صالحة، وميزان التوحيد بطاعات العبيد راجحة، والخلائق مقبلون على أنبيائهم إقبالهم على آبائهم وأبنائهم، فما الذي دعاه إلى نزوله عن مجده الرفيع وعِزَّه المنيع إلى حضيض النصب ومقر الآفات والوصب؟! فيولج بطن امرأة من إمائه ومكث برحمها منغمساً في المشيمة على حال ذميمة، ثم ولدوه وأرضعته وفضلته وأدبته فأمرته بحقوقها ونهته عن عقوقها، وترددت به إلى الأعياد والمواسم وأرته الشعائر والمعالم، ولم تزل تلقنه وتثقفه حتى شبّ وترعرع وتشوَّف / (1/96/أ) إلى حنكة الرجولية وتطلع، فلما شرع فيما جاء له من نصرتكم وثب عليه اليهود فكذبوا فمه وأهدروا دمه، وأقصوه وشردوه وكدروا عليه روح الحياة ونكدوه، وأجمعوا أن يخربوا جثمانه ويفسدوه، فلما طال عليه تمردهم أعمل مطايا الحذار وعَوَّل على معقل الاستتار في الحذار، وتقدم إلى أصحابه ألا يذكروه وأن يبالغوا في طي أمره فلا ينشروه بل ينكروه، ولم يزل ذلك حاله واليهود تنقب عليه وترشي من يرشدها إليه، حتى دلّ عليه صاحبه يهوذا، وساق إليه من أعدائه جمعاً كثيفاً وأنزل به من الذعر خطباً منيفاً. فأنشبوا فيه مخاليب الضراب، وأمطروه شآبيب العذاب، وسحبوه على شوك السفاه والسباب، وبقي هذا الإله المسكين في أيدي اليهود ممتهناً يرون أقبح ما يأتونه إليه حسناً، فلما بلغوا من إهانته المراد، مضوا به إلى بقعة من الأرض تزعم النصارى أنه دحاها وألزموه حمل خشبة قالوا: [إنه]2 أنبت لحاها، / (1/96/ب) وألبسوه أ ثواباً كان قد صنع ورسها3 وأصهوره شمساً هو الذي أسخن مسها، فسألهم شربة من الماء - الذي فجره - حين

---

1 الحجل: هو الخلخال. (ر: الصحاح ص 124).

2 في ص (إنها) والتصويب من المحقِّق.

3 ورَّسه توريساً: صبغه به. (ر: القاموس ص 747).

==

وقفت نفسه لدى الحنجرة [فضنوا]1 عليه بذلك، وعوَّضوه الخل مما هنالك، فلما تضافرت عليه فوق جذعةٍ الدواهي أعلن بقوله: إلهي إلهي، وصار بين اللصوص ثالثة الأثافي2، وعُوِّض عن بلوغ المنى

بالمنافي، ثم زهقت نفسه وفتح رمسه3 وصار في صدر الأرض سراً مكتوماً، وعاد هذا الإله العظيم عـديماً، ولما تمت له ثلاثة أيام في الرخام، قام من ذلك المكان ورجع إلهاً كما كان، فتلبّس الحـال الوبيل4 وادَّرع5 الذّل العريض الطويل، ولم يؤمن به إلاّ عصابة هي أقل من قليل.

فما أرى هذا الإله إلاّ نايل6 الـرأي فاسـد الحسّ فطـير7 الفطـرة مشـؤوم الغـرة8 منقـوص الهمـة مظلم الفكرة9، إذ عرض نفسه للمحن وأثار بين عبـاده الأحقـاد والإحن، فلقـد شـان الربوبيـة وأزل بهجتهـا وطمس نورها وأطلق ألسن السـفلة بنقصـها، وثلبهـا حـتى لقـد شـكك كثـير / (1/97/أ) منهم في الربوبيـة وسَهَّل

---

1 في ص (فطنوا) والتصويب من المحقِّق.

2 الأُثْفَيَة: الحجر توضع عليـه القـدر، جمعـه: أَثـافي، وأُثَـف. ورمـاه اللـه بثالثـة الأثـافي، أي: بالجبـل، والمراد: بداهية، وذلك أنهم إذا لم يجدوا ثالثة الأثافي أسندوا القدر إلى الجبل. (ر: القاموس ص 1636).

3 الرَّمس: الدفن والقبر، جمعه: أرْمَاس، ورموس. (ر: القاموس ص 708).

4 وبيل: أي: ثقيل وخيم. (ر: مختار الصحاح ص 707).

5 أدرع: أي: لبس. (ر: م. ن ص 203).

6 هكذا في الأصل، والذي أراه أن الكلمة الصحيحة هي: "مائل"، وقـد حصـل لهـا تحريـف من الناسـخ والله أعلم.

7 الفطير: ضدّ الخمير، وهو العجين لم يختمر، وكل شيء أعجلته عن إدراكه فهـو فطـير، يقـال: إيـاك والرأي الفطير. (ر: مختار الصحيح ص 507).

8 غُرّة كلّ شيء أوّله، وأكرمه. والغِرَّة: الغفلة.

9 إن هذه الصفات القبيحة التي ذكرها المؤلِّف لازمة للإله الذي يعبده النصارى، وذلك بحسب مـا ورد في أناجيلهم المقدسة عندهم.

==

عليهم ارتكاب مذاهب الدهرية1. وسلَّهم من ربقة العبودية بالكليـة، فسـحقاً سـحقاً لإلـهٍ هـذه حكمتـه ومحقاً محقاً لربٍّ هذا تدبيره.

فلو أن إنساناً نشأ ببعض الجزائر المنقطعـة عن العمـران لا يعـرف ربـاً ولا يقـرأ كتبـاً، ولا يـدين بملـة عرض عليه دين النصارى، فقيل له: إن لـك ربـاً خلقـك وأبـدعك، ومن صـفته أنـه رجـل مثـك يبـول ويغـوط ويبصق ويمتخط ويجوع ويعطش ويعرى ويكتسي ويسهر وينـام، وسـارع مـع الأنـام الكلام وأن إنسـاناً مثلـه حقد عليه بعض الأمر فضربه وسـحبه، ثم قتلـه وصـلبه بعـد أن حطم شـعره ولطم نحـره، فجـاور الأمـوات وتعذر عليه روح الحياة وفات.

---

1 الدهرية: أنكروا الخالق والرسالة والبعث والإعادة، وهم الذين أخبر عنهم القـرآن الكـريم: {وَقَـالُوا مَا هِيَ إِلاّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاّ الدَّهْرُ}.]سورة الجاثيـة، الآيـة: 24[. وزعمـوا بـأن العـالم قديم لم يزل ولا يزال، وما ثم إلاّ أرحام تدفع، وأرض تبلع، وسماء تقلع... الخ. ويسمون بالملاحدة.

ودهرية زماننا يسمون بالشيوعية الماركسية والاشـتراكية والوجوديـة. (ر: الفصـل - لابن حـزم 1/47، الملل للشهرستاني 2/3ـ 235، البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان - للسكسكي الحنبلي ص 88، إغاثـة اللهفان - لابن قيم الجوزية 2/255).

إن ما ذكره المؤلّف - في زمنه - من اعتناق كثير من النصارى لمذهب الدهرية والإلحاد وإناكر الروبية وأنه ناتج عن عقيدة النصارى السخيفة التي لا يقبلها عقل صحيح ولا فطـرة سـليمة - نجـده واضـحاً وبـارزاً في زماننا حيث أخذت العقيدة الدينية في الذبول وأصبح الإلحاد مفخرة الأندية حتى أندية الكنيسـة نفسـها، وظهرت الشعارات الإلحادية المختلفة فكان شعار الثورة الفرنسية (أشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسـيس)، وشعار الثورة الشيوعية: (الدين أفيون الشعوب)، وشعار العلمانية: (فصل الدين عن الحياة والدولـة). وقـد ملئ الفراغ العقدي عند النصارى بالاتّجاه الوثني الروماني الذي تمثله في العصر الحـديث الأفكـار الماديـة، فنشـأت في المجتمعـات والبلاد النصـرانية المـذاهب الماديـة الهدامـة كالشـيوعية الماركسـية والبرجماتيـة والوجودية والداروينية والفريدوية وخلافها من الأمراض العقلية التي أنتجها العقل البشـري المـريض. وذلـك يفسر لنا الانحلال الاجتماعي الرهيب والانهيار الأسري والخلقي والروحي في المجتمع الغربي النصراني.

==

الباب الثالث: في تأويل ظواهر الإنجيل

لاستنكف الرجل أن يعترف بوجود هذا الإله فضلاً عن أن يتعبد له ولأحال تصـوّره ولـرأى لنفسـه عليـه فضلاً لا ينكر ومزية من حقها أن تذكر فتشكر1.

قال المؤلِّف: ليس في الصنارى من يجحد مما ذكرته في هذا الفصل حرفاً واحداً بل قـد / (1/97/ب) مدوا أعناقهم للذل، وأسلبوا آذانهم للخزي وأنسوا بسماع التوبيخ، واستلانوا ملابس التقريع، فهم يتلون هذا الفصل تلاوة [المتبجح]2 ويبتهجون به ابتهاج [المُنْجح]3.

فالحمد لله الذي حَصَّننا بمعقل العقل عن سلوك هذا المذهب و[أنار لنا]4 بدهن الذهن [حلوك]5 هـذا الغيهب.

---

1 ذكر أبو عبيدة الخزرجي في كتابه: (مقامع هامات الصلبان ص 123)، والقرطـبي في: (الإعلام بمـا في دين النصـارى من الفسـاد والأوهـام ص 167)، مـا وصـف أحـد ملـوك الهنـد-وكـان من الملـوك الـذين يحكمون بالسياسة الدينية الذين لم يتقلدوا أتباع ملة دينية-وقد ذكرت له الملل الثلاث فقال: أما النصـارى- وإن كان مناصبوهم من أهل الملل يجاهدونهم بحكم شرعي فلقـد أرى ذلـك بحكم شـرعي، وإن كنـا لم نـر بحكم عقولنا قتالاً ولكن استثني هؤلاء القوم من جميع العالم، فإنهم قصدوا مضادة العقل وناصبوه العداوة، واستحلوا بيت الاستحالات مع أنهم حادوا عن المسلك الذي انتهجه غيرهم من أهل الشرائع، وقـد كـان لهم فيهم كفايـة ولكنهم شـذوا عن جميـع منـاهج العـالم الشـرعية الصـالحة والعقليـة الواضـحة، واعتقـدوا كـلّ

مستحيل ممكناً فلم يُعرَف عنهم شيء، وبنوا من ذلك شرعاً لا يؤدي البتة إلى صلاح نوع من أنواع العلام إلاّ أنه يُصيِّر العاقل إذا تشرع به أخرق أحق والمرشد سفيهاً والمحسن مسيئاً؛ لأن من كان في أصل عقيدته-التي نشأ عليها-الإساءة إلى الخالق، والنيل منه بوصفه بغير صفاته الحسنى فخليق به أن يستحل الإساءة إلى مخلوق.

وكذلك ما بلغنا عنهم في خلقهم من جهل وضعف العقل والطمع والبخل ومهانة النفس وخساسة الهمة والقدر وقلة الحياء إلاّ قليلاً منهم. فلو لم تجب مجاهدة هؤلاء القوم إلاّ لعموم أضرارهم التي لا تحصى وجوهه لكفى. وكما يجب قتل الحيوان المؤذي بطبعه، لا يلام المرء على قتل هؤلاء فكيف وثم من الموجبات ما تقدم؟!". اهـ

2 في ص (المحج) ولعل الصواب ما أثبته والله أعلم

3 في ص (المنجح) ولعل الصواب ما أثبته. والمنجح: هو الظفر بالشيء. أنجح زيد وهو منجح. كما في القاموس ص 311.

4 في ص (أنالنا) والصواب ما أثبته.

5 في ص (حلول) والصواب ما أثبته.

==

الباب الرابع: في تعريف مواضع التحريف

الباب الرّابع: في تعريف مواضع التّحريف

نبيّن - بعون الله - في هذا الباب من تناقض إنجيل النصارى وتعارضه وتكاذبه وتهافته ومصادمة بعضه بعضاً ما يشهد معه من وقف عليه أنه ليس هو الإنجيل الحق المنَزَّل من عند الله1، وأن أكثره من أقوال الرواة وأقاصيصهم، وأن نقلته أفسدوه ومزجوه بحكاياتهم، وألحقوا به أموراً غير مسموعة من المسيح ولا من أصحابه مثل ما حكوه من صورة الصلب والقتل واسوداد الشمس وتغير لون القمر وانشقاق الهيكل، وهذه أمور إنما جرت في زعم النصارى بعد المسيح، فكيف تجعل من الإنجيل ولم تسمع من المسيح؟!

والإنجيل الحقّ إنما هو الذي نطق به المسيح2، وإذا كان / (1/98/أ) ذلك كذلك فقد انخرمت الثقة بهذا الإنجيل وعدمت الطمأنينة بنقلته.

---

1 لقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم بتحريف أهل الكتاب وكتمانهم وإخفائهم لما أنزله الله من البيّنات والهدى فقال تعالى: {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [سورة آل عمران، الآية: 71]. وقال تعالى: {يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ...} [سورة المائدة، الآية: 13]. وغيرهما من الآيات الكريمة.

ولقد أجمع المسلمون على وقوع التحريف في التوراة والإنجيل وغيرهما من الكتب المتقدمة إما عمداً وإما خطأ في ترجمتها وفي تفسيرها وشرحها وتأويلها، إلاّ أنهم اختلفوا في مقدار التحريف فيها؛ قال بعضهم: إن كثيراً مما في التوراة والإنجيل باطل ليس شئاً من كلام الله. ومنهم من قال: بل ذلك قليل،

وقيل لم يحرف أحد من حروف الكتب، وإنما حرفوا معانيها بالتأويل، وقال بعضهم: إنه كانت توجد نسخ صحيحة من التوراة والإنجيل بقيت إلى عهد النبيّ صلى الله عليه وسلم ونسخ كثيرة محرفة.

والذي نراه أن تحريفاً كثيراً قد وقع في كتبهم إلاّ أنه لا تزال فيها بقايا الوحي الإلهي المنَزّل على أنبيائه - عليهم الصلاة والسلام - وهذه البقايا ليست بالشيء القليل أيضاً - وطريق معرفتها هو موافقتها لما جاء في القرآن الكريم والسنة الصحيحة.

وأما أنواع التحريف في كتبهم فهو: تحريف بالتبديل، وتحريف بالزيادة، وتحريف بالنقصان، أي: بالحذف (والكتمان والخفاء)، وتحريف بتغيير المعنى دون تغيير اللفظ، والشواهد على ذلك كثيرة جدّاً. (ر: مجموع الفتاوى 13/104، 105، والجواب الصحيح 1/356، 367، 2/5، 3/264، لابن تيمية، تفسير ابن كثير 1/520، تفسير الرازي 10/118، هداية الحياري ص 105، لابن القيم، التوراة دراسة تحليل ص 64-68، د. محمّد شلبي شتيوي).

2 قوله: "والإنجيل الحقّ..."، نقله الشيخ رحمة الله الهندي في كتابه: "إظهار الحق ص 190).

==

وقد قدمنا أنه ليس إنجيلاً واحداً، بل الذي في [أيدي]1 النصارى اليوم أربعة أناجيل جمع كل إنجيل منها في قطر من أقطار الأرض بقلم غير قلم الآخر، وتضمن كلّ كتاب من الأقاصيص والحكايات ما غفله الكتاب الآخر مع تسمية الجميع إنجيلاً.

وقد ذكر العلماء أن اثنين من هؤلاء العلماء الأربعة وهما: (مرقس) و(لوقا) لم يكونا من الاثني عشر الحواري أصحاب المسيح، وإنما أخذا عن من أخذ عن المسيح، وإذا كان الأمر كذلك، فهذان الإنجيلان ليسا من عندالله؛ إذ لم يسمعا من لفظ المسيح، والحجّة إنما تقوم بكلام الله وكلام رسوله وإجماع أصحاب رسوله.

وقد صرّح لوقا في صدر إنجيله بذلك فقال: "إن ناساً راموا ترتيب الأمور التي نحن بها عارفون كما عهد إلينا أولئك الصفوة الذين كانوا خداماً للكلمة، فرأيت أنا إذ كنت تابعاً أن أكتب لك أيّها الأخ العزيز [ثاوفيلس]2 لتعرف به حقائق الأمر الذي وعظت به"3./ (1/98/ب).

فهذا لوقا قد اعترف أنه لم يلق المسيح ولا خدمه، وأن كتابه الذي ألفه إنما هو تأويلات جمعها مما وعظه به خدام الكلمة4.

____

1 في ص (أيد) والتصويب من المحقِّق.

2 في ص (ثاوفيلا) والتصويب من النّصّ. وثاوفيلس: اسم يوناني معناه: "محبوب من الله". ولا يملك النصارى أية معلومات صحيحة عن شخصية وترجمته، وأقصى ما لديهم عنه نظريات تفتقر إلى الدليل. (ر: قاموس ص 233).

3 لوقا 1/1-5.

4 إن الاعتراض الذي أورد المؤلِّف على كلام لوقا صحيح. وقد سبق لنا بيان الانتقادات الأخرى التي توجه إلى هذا النّصّ. (ر: ص 30).

واعلم أن هؤلاء الأربعة تَوَلوا النقل عن رجل واحد فلا بدّ وأن يكون الاختلاف إما من قبل المنقول عنه أو من قبل الناقل، وإذا كان المنقول عنه معصوماً تعيَّن الخطأ في الناقل.

1- تكاذيب:

قال متى: "من يوسف خطيب مريم - وهو الذي يسمى يوسف النجار - إلى إبراهيم الخليل اثنتان وأربعون ولادة".

قال لوقا: "لا ولكن بينهما أربعة وخمسون ولادة"، وذلك تكاذب قبيح. ولعل التوريك على لوقا أولى؛ لأن متى [صحابي]1 ولوقا ليس بصحابي، إلاّ أنه لا فرق بينهما عند النصارى وذلك يقتضي بانخرام الثّقة بهما جميعاً.

قال المؤلِّف: "صواب النسب الذي عددته في إنجيل متى تسعة وثلاثون رجلاً، وفي إنجيل لوقا خمسة وخمسون رجلاً، وذلك من يوسف خطيب مريم إلى إبراهيم الخليل بشرط دخول الجدين يوسف وإبراهيم في العدد، وقد اختلفا في الأسماء أيضاً وذلك / (1/99/أ) زلل ظاهر"2.

____

1 في ص: صحابياً، والتصويب من المحقِّق.

2 أن قضية التناقض الواضح في نسب المسيح بين إنجيل متى 1/1-8، وإنجيل لوقا 3/23-38، مما اتّفق على ذكره العلماء في نقدهم الأناجيل. (ر: الفصل لابن حزم 2/27-24، الإعلام للقرطبي ص 207، مقامع هامات للخزرجي ص 147، وهداية الحياري لابن القيم ص 215، والنصيحة الإيمانية لنصر بن يحيى ص 191، وتحفة الأريب لعبد الله الترجمان ص 185،وإظهار الحقّ ص 114، 152، وغيرهم.

وقدر وردت أنساب آباء المسيح المزعومين في أسفار العهد القديم وخاصة سفري التكوين وأخبار الأيام الأوّل، ولمعرفة حقيقة التناقض في ذلك فإننا سنقارن بين ما ورد في سفر أخبار الأيام الأوّل (الإصحاح الثالث) وبين إنجيل متى وإنجيل لوقا في الجدول الآتي:

____

أخبار الأيام الأوّل

إنجيل لوقا

تسلسل

إنجيل متى

أخبار الأيام الأوّل

إنجيل لوقا

1

داود

داود

داود

22

زربابل

زربابل

شلتائيل

2

سليمان

سليمان

ناثان

ناثان

23

أبهود

حنقيا

زربابل

3

رحبعام

حبعام

متاثا

24

الباقيم

ريا

4

أيا

أبيا

مينان

25

عازور

يوحنا

5
آسا
آسا
مليا
26
صادوق
يهوذا
6
يهوشافاط
بهرشافا
الباقيم
27
أخيم
يوسف
7
يورام
يورام
يونان
28
البود
شمعي
8
عزيا
أخزيا
يوسف
29
اليعازر
متاثيا
9
- -
يوآش
يهوذا
30
متان

مآث
10
- -
أمصيا
شمعون
31
يعقوب
نجاى
11
- -
عزريا
لاوي
32
يوسف
حلى
12
بوثام
يوثام
متثات
33
ناحوم
13
آحاز
آحاز
بوريم
34
عاموص
14
حزقيا
حزقيا
اليعازر
35
متاثيا
15

منسى

منسى

برسى

36

يوسف

16

آمون

آمون

عير

37

ينا

17

يوشيا

يوشيا

المردام

38

ملكى

18

- -

يهوباقيم

قصم

39

لاوي

19

يكنبيا

بكنيا

أدى

40

متثات

20

شلتائيل

شلتائيل

ملكى

41

هالي

21

- -

فدايا

نيرى

42

يوسف

وخلاصة تلك المقارنة الانتقادات الآية:

1- يعلم من متى أن يوسف بن يعقوب، ومن لوقا أنه ابن هالي.

2- اختلف متى مع لوقا اختلافاً جوهرياً، حين جعل يوسف - زوج مريم حسب زعمهم - ينحدر من نسل سليمان داود، بينما جعله لوقا ينحدر من نسل ناثان بن داود.

3- يعلم من متى أن جميع آباء المسيح من داود إلى جلاء بابل سلاطين مشهورون، ومن لوقا أنهم ليسوا سلاطين ولا مشهورين غير داود وناثان.

4- يعلم من متى أن اسم زور بابل (أبيهود)، ومن لوقا أن اسمه (ريسا)، والعجب أن كلا الاسمين غير موجودين في نسب سفر أخبار الأيام الأوّل.

5- يعلم من متى أن شتائيل بن يكينا، ومن لوقا أنه ابن نيري.

6- أخطأمتى في سلسلة نسب المسيح حين أسقط منها في المواقع خمسة أسماء (المسلسلات أرقام: 9، 10، 11، 18، 21).

1- إن عدد الأجبال المذكورة من داود إلى يوسف (27) حسب رواية متى، (42) حسب رواية لوقا.

وأمام هذه التناقضات الواضحة فقد اعترف به جماعة من محقِّقي أحبارهم مثل: "أكهارن، وكيسر، وهيس، وديوت، وجون فنتون في كتابه: (تفسير إنجيل متى ص 39، 40)، د. جورج بردوفوردكيرد في كتابه: (تفسير إنجيل لوقا ص 19)، وغيرهم". مما دفع بـ "آدم كلارك" أن ينقل اعتذار (مستر هارمرسي) ونصّه: "ويعلم كلّ ذي علم أن متى ولوقا اختلفا في بيان نسب الرّبّ اختلافاً تحير فيه المحقِّقون من القدماء والمتأخرين وكما أعترض على المؤلِّفين لهذه الأسفار، ثم أزال العلماء الاعتراضات، فكذلك ربما يأتي من العلماء من يزيل هذه الاعتراضات في المستقبل. والزمان سيحقِّق هذا". اهـ.

ولكن هيهات هيهات أي يجود الزمان بمن يزيل هذه التناقضات الساطعة، فإنه لا يمكن الأخذ برواية أي من متى أو لوقا عن نسب المسيح إلاّ إذا اعتبرنا أحدهما صحيحاً والآخر مخطئاً ولا شكّ، وعند عدم التمييز بينهما؛ فإن الخطأ والبطلان ينسحب عليهما جميعاً.

(ر: إظهار الحقّ ص 114، المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص 78-83، لأحمد عبد الوهّاب. بتصرف".

==

2- نوع آخر:

قال لوقا: "قال جبريل الملك لمريم الناصرة: إنك ستلدين ولداً اسمه يسوع يجلسه الرّبّ على كرسي أبيه داود ويملكه على بيت يعقوب"1.

وأكذبه يوحنا وغيره فقال: "حُمل يسوع هذا الذي وعده الله بالملك إلى القائد فيلاطس، وقد ألبسوه شهرة الثياب وتوَّجوه بتاج من الشوك وصفعوه وسخروا منه ففاوضه فيلاطس طويلاً فلم يتكلم فقال له: أما تعلم أن لي عليك سلطاناً، إن شئت صلبتك وإن شئت أطلقتك، فأجابه يسوع: لولا أنك أعطيت ذلك من السماء لم يكن لك علي سلطان ومن أجل ذلك خطيئة الذي أسلمني إليك عظيمة"2.

____

1 لوقا 1/30-33.

2 يوحنا 19/1-11، في سياق طويل وقد ذكره المؤلِّف مختصراً، وقد ورد نحوه في إنجيل لوقا الإصحاح(23)،وإنجيل مرقص إصحاح(15)،وإنجيل متى إصحاح(27).

==

وهذا تكاذب قبيح؛ لأن أحدهما يقول: إن يسوع يملك على بني إسرائيل، والآخر يصفه بصفة ضعيف ذليل1.

3- موضع آخر:

قال لوقا: "لما نزل بيسوع الجزع من اليهود ظهر له ملك من السماء ليقوِّيه وكان يصلى متوارياً وصار عرقه كعبيط الدم"2.

ولم يذكر ذلك متى ولا مرقس / (1/99/ب) ولا يوحنا، وإذ تركوا ذلك لم يؤمن أن يتركوا ما هو أهمّ منه فتضيع السنن وتذهب الفرائض وترفع الأحكام.

فإن كان ذلك صحيحاً، فكيف تركه الجماعة؟ وإن لم يصحّ ذلك عندهم لم يُؤمن أن يُدخِل لوقا في الإنجيل أشياء أُخَر أفظع من هذا.

ولعل لوقا قد صدق في نقله، فإن ظهور الملك علامة دالة وأمارة واضحة على رفع المسيح إلى السماء وصونه عن كيد الأعداء.

____

1 إن واقع حياة المسيح كما يزعمهما النصارى في الأناجيل تفيد أن المسيح عليه السلام لم يكن ملكاً ولا متسلطاً على بني إسرائيل يوماً واحداً، فقد "قال له واحد من الجمع: يا معلم، قل لأخي أن يقاسمني الميراث، فقال له: يا إنسان من أقامني عليكما قاضياً أو مقسماً؟". لوقا 12/13، 14، وحين علم المسيح: "بأنهم مزمعون أن يأتوا ويخطفوه ليجعلوه ملكاً انصرف أيضاً إلى الجبل وحده". يوحنا 6/15، كما نجد الأناجيل المحرفة تصف المسيح بخلاف صفة الملوك التي يدعونها له حيث إن الأناجيل المحرفة تزعم بأن المسيح قد قبض عليه وضرب وأهين وشتم ثم قتل مصلوباً. إذن فحقيقة الأمر وواقع الحال في الأناجيل المعتمدة عند النصارى تكذب وتخالف ما ادّعاه لوقا على لسان جبريل عليه السلام. يضاف إلى ما سبق أن

المسيح من أولاد "يهوياقيم" حسب النسب الذي ذكره متى في إنجيله 1/10، 11، وأن أي واحد من أولاد يهوياقيم وسلالته لا يجوز له الجلوس على كرسي داود كما ورد النّصّ بذلك في سفر أرميا 36/30: "لذلك هكذا قال الرّبّ: عن يهوياقيم ملك يهوذا لا يكون له جالس على كرسي داود...".

2 لوقا 22/43، 44.

==

الباب الرابع: في تعريف مواضع التحريف

مناقشة:

اعلم أن المسيح عند النصارى عبارة عن لاهوت اتّحد بناسوت فصارا بالاتّحاد شيئاً واحداً، وإذا كان ذلك كذلك فظهور الملك ليُقوِّي مَن منهما؟

فإن قيل: ليقوِّي اللاهوت، كان ذلك باطلاً إذ لا حاجة بالإله إلى مساعدة عبده وتقويته.

وإن قالوا: ليقوِّي الناسوت، أبطلوا الاتّحاد إذ لم يبق ناسوت متميّز عن لاهوت حتى يفتقر إلى التقوية والنصرة، ثم ذلك يشعر بضعف اللاهوت عن تقوية الناسوت المتّحد به حتى احتاج إلى التقوية، وكيف يحتاج الإله إلى عبد من عبيده ليقوِّيه - وكلّ عباد الله إنما قوتهم بالله / (1/100/أ) عزوجل - ؟!".

4- موضع آخر:

ذكر يوحنا - الذي هو أصغر الأربعة سنا - "أن أوّل آية أظهرها المسيح تحويل الماء خمراً"1. ولم يذكر أصحابه الثلاثة ذلك. وإذا أغفلوا مثل هذه الآية

---

1 يوحنا 2/1-11، ونصّه كالآتي: "ودُعي أيضاً يسوع وتلاميذه إلى العرس ولما فرغت الخمر قالت أم يسوع له: ليس لهم خمر، قال لها: ما لي ولك يا امرأة لم تأت ساعتي بعد، قالت أمه للخدام: مهما قال لكم فافعلوه، وكانت ستة أجران من حجارة موضوعة هناك حسب تطهير اليهود يسع كلّ واحد مطرين أو ثلاثة قال لهم يسوع: املأوا الأجران ماء، فملأوها إلى فوق ثم قال لهم: استقوا الآن وقدموا إلى رئيس المتكأ، فقدموا فلما ذاق رئيس المتكأ الماء المتحول خمراً، ولم يكن يعلم من أين هي لكن الخدام الذين كانوا قد استقوا الماء علموا... هذه بداية الآيات فعلها يسوع في قانا الجليل وأظهر مجده فآمن به تلاميذه".

قلت: في هذه القصّة افتراء وتجروء على عيسى وأمه - عليهما السلام - ، والأدلة على كذب هذه القصّة كثرة منها:

أ- ما ذكره المؤلِّف من انفراد يوحنا بذكرها عِلماً بأنها قد حدثت في عرس والحاضرون كثيرون، وهذا من أدلة كذب هذه القصّة حسب المعايير التي وضعها علماء مصطلح الحديث في معرفة الحديث الموضوع ومنها: أن يكون خبراً عن أمر جسيم تتوافر الدواعي على نقله بمحضر الجمع العظيم، ثم لا يرويه إلاّ واحد. (ر: النكت على كتاب ابن الصلاح 2/845، لابن حجر).

ب- أنه قد ورد في إنجيل لوقا 7/33-35، مدح يوحنا العمداني بأنه لا يشرب الخمر ويتهمون عيسى بأنه يشر بها ويبالغ في ذلك، فكيف يعقل أن يفعل المسيح وأمه هذا المنكروالله تعالى يذمّ الخمر وشاربيها؟!كلاوحاشاهما من ذلك.

ج- وردت نصوص كثيرة في النهي عن الخمر وأن السكر بها خطيئة في الكتب المقدسة عندهم ومنها: في سفر اللاويين 10/8: "وكلّم الرّبّ هارون قائلاً: خمرا ومسكراً لا تشرب أنت وبنوك معك عند دخولكم إلى خيمة الاجتماع لكيلا تموتوا". وفي سفر أشعيا 5/11-17: "ويل للمبكرين صباحاً يتبعون المسكر، للمتأخرين في العتمة تلهبهم الخمر..". وفي سفر ميخا 6/15: "ولا تشرب خمراً". وفي رسالة بولس إلى أهل أفسس 5/18: "ولا تسكروا بالخمر الذي فيه الخلاصة". وفي رسالته الأولى إلى كورنثوس /10: "ولا سكيرون ولا شتامون ولا خاطفون يرثون ملكوت الله". وغير ذلك.

د- ثم انظر إلى كذبهم وجرأتهم على القول بأن المسيح قال لأمه: ما لي ولك يا امرأة، فهذا من سوء الأدب والعقوق لأمه إن كان خاطبها بهذه القسوة والجفاء، ولكن حاشاه أن يفعل ذلك ولكنه كان عليه السلام كما قال عنه عزوجل على لسان عيسى: {وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً}. [سورة مريم، الآية: 32]. وبعد ذلك كلّه يزعم النصارى أن عيسى عليه السلام فعل كلّ ذلك وهو يعلم أنه نبيّ ولم تحن ساعته بعد وأن عمله كان آية ومعجزة وهم يضمرون غير ذلك من الافتراء والكذب عليه. (ر: دراسة تحليلية لإنجيل مرقس - د. محمّد عبد الحليم ص 318، الفارق بين المخلوق والخالق، باجة جِي زاده ص 328، 370).

مع شهرتها دلَّ ذلك على غفلة عظيمة وقلة اعتناء بأمر الدّين، وإذا كانت لم تصحّ عندهم فتحرَّجوا من تسطيرها، فكيف ثبتت من الإنجيل بقول واحد وشرط ثبوت كلام الله التواتر - وهو النقل من قوم لا تجمعهم رابطة التواطؤ على الكذب.

5- موضع آخر:

ذكر يوحنا هذا: "أن المسيح غسل أقدام تلاميذه ومسحها بمنديل كان في وسطه وأمرهم أن يقتدوا به في التواضع وترك التكبر"[1]. ولم يذكر ذلك أصحابه الثلاثة، فإن لم تصحّ عندهم فهو طعن على يوحنا، وإن كان ذلك صحيحاً فهو طعن عليهم.

____

1 يوحنا13/4-18في سياق طويل وقدذكره المؤلّف مختصراً بالمعنى.وهذه الحادثة أيضاً من الأمورالتي تتوافرالدواعي على نقلها بمحضرالجمع العظيم،ثم لا يوريها إلاّواحد.

وكيف يُعدُّ ذلك من الإنجيل والأكابر من التلاميذ لم يعرفوه، ولم يدوِّنونه في أناجيلهم؟!والتوريـك على واحد صغيرأولى منه على ثلاثةكبار.

6- موضع آخر / (1/100/ب) في غاية الفساد:

حكوا أن يوحنا هذا قـال في الفصـل الخـامس من إنجيلـه: "إن يسـوع قـال: إني لـو كنت أنـا الشـاهد لنفسي لكانت شهادتي باطلة ولكن غيري يشهد لي1، فأنا أشهد لنفسي وأبي أيضاً يشهد لي أنــه أرســلني، وقد قالت توراتكم: إن شهادة رجلين صحيحة"2.

فانظر - رحمك الله - ما أفسد هـذا الكلام وأقربـه من كلام المجـانين!!. وذلـك أنهم جعلـوا اللـه رجلاً وجعلوا شهادته لنفسه تقوم مقـام شـهادة شـاهد بعـد قولـه: "لـو كنت أنـا أشـهد لنفسـي لكـانت شـهادتي باطلة"، والتوراة تقول: "إن شهادة شاهدين صحيحة"، ولم تقل: "إن شهادة الإنسان لنفسه صحيحة".

وإذا كان المسـيح وتلاميـذه [منَـزِهين]3 عن هـذا الكلام الفاسـد فلـيرم بـه جانبـاً وليعلم أنـه ليس من الإنجيل الحقّ.

7- موضع آخر:

نقل يوحنا: "أن المسيح مضى إلى المعمداني ليعتمد منه فقال له المعمداني حين رآه: هذا خــروف الله الذي يحمل خطايا العالم وهو الذي قلت لكم: إنه

____

1 يوحنا 5/31، 32، ثم نقض قوله في الإنجيل نفسه /14، فقال: "أجاب يسـوع وقـال لهم: وإن كنت أشهد لنفسي فشهادتي حقّ"، قال العلامة ابن حزم: فأعجبوا لهذا الاختلاط. (ر: الفصل 2/180، 189).

2 يوحنا 8/17، 18، ونصّ التوراة في سفر التثنية 19/15.

3 في ص (متَزِهون) والصواب ما أثبته.

==

يأتي بعدي، وأنه أقوى مـني وأن بيـده / (1/101/أ) الـرفش ينقي بيـدره فيجمـع الحنطـة إلى أهرائه1 ويحرق الأتبان2 بالنار التي لا تطفئ"3.

وخالفه في ذلك متى ولوقا، أما متى فقال: "إن المعمداني حين رأى المسيح قال لـه: إني لمحتـاج أن أنصبغ على يدك، فكيف جئتني تنصبغ على يدي؟"4. "وأنه أرسل بعد ذلك إلى المسيح يقول لـه: أأنت الآتي أو ننتظر غيرك"5.

فأما مرقس: فلم يذكر شيئاً من ذلك البتة6، وهذا تكاذب قبيح؛ لأن يوحنا جـزم أنـه هـو ولم يحتج إلى سؤاله، ومَتَّى: ما عَلَم حتى أرسل يسأل المسيح، والآخر أغفل القصّة بالجملة7، وهذا القـدر منفـر مـوجب لسوء الظن.

____

1 الهرى: بيت كبير يجمع فيه السلطان، وجمعه: أهراء. (ر: القاموس ص 1734).

2 التبان: من يبيع التبن. (م. س ص 1527) والمراد بالأتبان الفجار والمشركين. (ر: النصيحة الإيمانية - لنصر المتطبب، ص 190).

3 يوحنا 1/29، 30، بلفظ مخلتف.

4 متى 3/11-13.

5 متى 11/2-4.

6 أشار مرقس إلى الحادثة 1/9، بقوله: "جاء يسوع من ناصرة الجليل واعتمد من يوحنا في الأردن".

7 ذكر الشيخ رحمة الله الهندي ف إظهار الحقّ ص 123: "هذا التناقض في حادثة تعميد المسيح بقوله:

1- يعلم من إنجيل متى: "الإصحاح الثالث"، بأن يوحنا المعمداني (يحيى) كان يعرف المسيح قبل نزول الروح عليه في شكل حمامة.

2- ولكن ذكر إنجيل يوحنا "اًلإصحاح الأوّل"، بأن يوحنا ما عرف المسيح إلاّ بعد نزول الروح عليه في مثل حمامة.

3- ثم تناقض إنجيل متى "الإصحاح الحادي عشر" مع نفسه فذكر بأن يوحنا لم يعرف المسيح بعد نزول الروح أيضاً، وإنما أرسل له يوحنا تلميذين من تلاميذه يسألانه عن حاله. وهذا كلّه متناقض ظاهر الاختلاف والفسد".اهـ ثم إننا نجد بمقاربة النصوص التي أوردها المؤلِّف وبين النسخةالحالية للأناجيل نلاحظ ما يلي:

1- انفرد إنجيل يوحنا عن سائر الأناجيل بذكر عبارة: "هوذا حمل الله الذي يرفع خطيئة العالم".

2- إن النّصّ الذي نسبه المؤلِّف إلى إنجيل يوحنا قوله: "وأن بيده الرفش ينقي بيدره..الخ".لانجده في النسخةالحاليةلإنجيل يوحنا،وإنمانجده في إنجيلي متى ولوقا.

==

8- موضع آخر:

ذكر متى: "أن يوسف خطيب مريم كان أبوه يسمى يعقوب بن ماتان"1. وذكر لوقا غير ذلك فقال: "أقام يسوع ثلاثين سنة وهو يظن أنه ابن يوسف بن هالي بن مطب"2. وهذا تناقض عجيب3.

9- موضع آخر:

ذكر متى: "أن المسيح صلب وصلب معه لصان أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله وأنهما جميعاً كانا يهزءان بالمسيح مع اليهود ويُعيِّرانه"4. / (1/101/ب).

وذكر لوقا خلاف ذلك فذكر: "أن أحدهما كان يهزأ بالمسيح والآخر يقول له: أما تتقي الله؟ أما نحن فبعدل جوزينا وأما هذا اللّصّ فلم يعمل قبيحاً، ثم قال للمسيح: يا سيد اذكرني في ملكوتك. فقال: حقّاً إنك تكون معي اليوم في الفردوس"5.

وهذا تكذيب لقول متى أنهما جميعاً كانا يعيران المسيح ويهزءان به وأغفل هذه القصّة مرقص ويوحنا، ومن المحال أن يحدث مثل هذا في ذلك الوقت ولا

1 متى 1/15، ونصّه: "ومتان ولد يعقوب ويعقوب ولد يوسف".

2 لوقا 3/23.

3 ثم إن قول لوقا: "إن المسيح كان يظن أنه ابن يوسف"، شكّ منه وقبيح بمثله أن ينسب المسيح إلى ما يظن به الجهال أنه مولود من أبٍّ ولا يرفع قدره عن ذلك. (ر: النصيحة الإيمانية - لنصر المتطبب ص 192). وقد سبقت الإشارة إلى التناقضات الظاهرة في سلسلة نسب المسيح الواردة في إنجيلي متى ولوقا.

4 متى 27/38، 44، في سياق طويل.

5 لوقا 23/32-44، في سياق طويل، وقد ذكر هذا التناقض عبد الله الترجمان في كتابه تحفة الأريب ص 210، وابن حزم في الفصل 2/125.

==

يكون شائعاً ذائعاً، فإن كان صحيحاً فلم تركاه؟ وإن أهملاه سهواً لم يؤمن أن يهملا شيئاً كثيراً من الإنجيل ولعلّهما لم يصحّ عندهما، والدليل على عدم صحته تناقض متى ولوقا، فإن اللّصين عند مَتّى [كافران]1 بالمسيح وعند لوقا إن أحدهما كافر والآخر مؤمن وذلك قبيح جداً.

10- تكاذب قبيح:

قال لوقا: "قال يسوع للمؤمن به: حقّاً إنك اليوم معي في الفردوس"2.

وأكذبه سائر أصحابه فقالوا: أقام يسوع بعد هذا القول في الأرض أربعين يوماً ثم صعد في الجنة3 / (1/102/أ) وذلك تكذيب لما نقله لوقا من أنه معه من يومه.

11- تناقض واضح:

قال لوقا: "قال يسوع: إن ابن الإنسان لم يأت ليهلك نفوس الناس، ولكن ليحيي"4.

وخالفه أصحابه، فقالوا: "بل إن الإنسان لم يأت ليلقي على الأرض سلامه لكن سيفاً ويضرم فيها ناراً"5.

وهذا تناقض وتكاذيب لا خفاء به6، ونحن نُنَزِّه التلاميذ عن هذا التناقض القبيح والنقل الغير صحيح. إذ بعضهم يجعله جاء رحمة للعالمين، والآخرون يقولون: بل جاء نقمة على الخلائق أجمعين.

1 في ص (كافرين) والصواب ما أثبته.

2 لوقا 23/43.

3 سفر أعمال الرسل 1/3.

4 لوقا9/56.

5 متى 10/34.

6 وقد ذكر هذا التناقض ابن القيم في هداية الحياري ص 214، وابن حزم في الفصل 2/62، 63.

12- موضع آخر:

ذكر متّى: "أن مريم خادمة المسيح جاءت لزيارة قبره عشية السبت ومعها امرأة أخرى، وإذا ملك قد نزل من السماء وقال لهما: لا تخافا فليس يسوع هاهنا قد قام من بين الأموات وهو يسبقكم إلى الجليل، فمضتا مسرعتين فإذا المسيح قد لقيهما وقال: لا بأس عليكما قولاً لإخوتي ينطلقون إلى الجليل"1.

وخالفه يوحنا فقال: "جاءت مريم وحدها يوم الأحد بغلس فرأت الصخرة وقد رفعت عن القبر فأسرعت إلى شمعون م (1/102/ب) الصفا وإلى تلميذ آخر فقالت لهما: إن المسيح قد أُخِذَ من تيك المقبرة ولا أدري أين دفن. فخرج شمعون وصاحبه فأبصر الأكفان موضوعة ناحية من القبر فرجعا وجلست مريم تبكي عند القبر فبينا هي كذلك اطلعت في القبر فرأت ملكين جالسين - حيث كان يسوع - عليهما ثياب بيض فقالا: ما يبكيك؟ فقالت: أخذوا سيدي ولا أدري أين وضعوه. فبينا هي كذلك التفتت فرأت المسيح قائماً فلم تعرف وحسبته حارس البستان قالت له: بالله إن كنت أخذته فقل لي أين وضعته حتى أذهب إليه. فناداها المسيح: يا مريم. فعرفته، وقالت: بالعبرانية: ربوني تفسيره يا معلم. فقال لها: لا تدن مني فإني لم أصعد بعد [إلى أبي]2، اذهبي إلى إخوتي فقولي إني منطلق إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم. فذهبت وبشرت التلاميذ"3.

وهذا نقل يكذب بعضه بعضاً، وذلك أن أحدهما يذكر أن الملك هو الذي أرسل مريم إلى التلاميذ،والآخر يذكر أن الذي أرسلها هو المسيح نفسه،

____

1 متى 28/1-11.

2 ليس في (ص) والتصويب من نصّ الإنجيل.

3 يوحنا 20/1-18.

وأحدهما يقول: إن ذلك كان عشية السبت،/ (1/103/أ) والآخر يقول: لا بل اليوم الأحد بغلس، وأحدهما يحكي عن مريم وحدها، والآخر يحكي عن أخرى معها1.

والعجب من قبول النصارى قول امرأة واحدة في مثل هذا الأمر العظيم. وقد جاء على هذا الوجه من الاضطراب!!، وهذا الفصل حَرِي بأن يُسطر في حكايات المغفلين والعجائز المثكلين، وبعد - يرحمك الله - فما سمعنا قط بربٍّ يصفع ويضرب ويقتل ويصلب ويبكى عليه ويندب ويتردّد بين خلقه في زيّ إنسانٍ ويشتبه على من رآه بناطور بستان، فلو أن اليهود نصبوا جماعة من المجان على السخرية بدين النصارى والغض منه ما بلغوا منهم ما بلغوا من أنفسهم وهذا كما قيل:

1 من الواضح أن هناك اختلافاً بين ما ترويه الأناجيل عن زيارة النساء للقبر وملابساتها يتلخص بعضها - إضافة على ما ذكره المؤلِّف - في الأمور الآتية:

أ- يذكر متى 28/1-8 أن الزائرات للقبر كن اثنتين من النسوة.

لكن يذكر مرقس 16/1-8 أن الزائرات للقبر كن ثلاثاً من النسوة.

بينما يقول لوقا 27/1-10 أن الزائرات للقبر كن جمعاً من النسوة.

أما يوحنا 20/1-3 فجعل مريم المجدلية الزائرة الوحيدة للقبر، ثم ذهبت فأحضرت معها التلميذين بطرس ويوحنا.

والاتّفاق الوحيد يبن الأناجيل في ذلك هو وجود مريم المجدلية في موضع الصدارة بين الزائرات، وقد صارت بذلك المصدر الرئيسي لكلّ ما قيل عن قيامة المسيح من الأموات.

ب- أن النساء رائين عند القبر شاباً جالساً عن اليمين لابساً حلة بيضاء - حسب رواية مرقس - . بينما هو في متى: "ملاك الرّبّ...وكان منظره كالبرق ولباسه أبيض كالثلج". أما في لوقا فهما: "رجلان بثياب برأقه". وفي يوحنا نجدهما: "ملايكن بثياب ببعض جالسين".

ج- حسب رواية مرقس، فإن النساء قد حَمَلن رسالة لإبلاغها للتلاميذ وقد فشلن في توصليها لأنهن كن خائفات.

بينما يخبرنا لوقا أنهن قَدَّمْنَ تقريراً كاملاً عما رأينه وسمعنه إلى التلاميذ.

د- من الذي دحرج الحجر عن القبر؟ يقول متى: "بأن الملاك الذي نزل من السماء هو الذي دحرج الحجر الكبير عن باب القبر وجلس عليه".

أما الباقون مرقس ولوقا ويوحنا فذكروا: "بأن الحجر قد دحرج، ولم يذكروا من الذي دحرجه". (ر: رسالة للشيخ أحمد ديدات بعنوان: "من دحرج الحجر؟".

==

13- موضع آخر:

قال متى في إنجيله: "إن يوحنا المعمداني أفضل من نبيٍّ"1. ثم نسي نفسه فقال بعد ذلك: "وكان المعمداني مثل نبيٍّ"2.

فليت شعري من في بني آدم تسمو رتبته على رتبة النّبيّ حتى يقال: إنه أفضل من نبي؟!، هل ذلك إلاّ من / (1/103/ب) سوء التعبير، وسوء التعبير من سوء الفهم.

14- موضع آخر:

قال نقلة الإنجيل: "قال يسوع لبطرس: طوبى لك"3. ثم نقضوا ذلك فقالوا في آخر: "قال يسوع لبطرس هذا: اذهب عني يا شيطان لا تشككني لأنك ما تفكر فيما لله بل فيما للناس"4.

فبينا بطرس عنده لطوبى مالكاً إذ جعله في الدركات هالكاً5.

15- موضع آخر:

قال نقلة الإنجيل عن لوقا: "إن يسوع ليجلس على كرسي أبيه داود ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد"6. ثم نقضوا ذلك فقالوا: قال يسوع: "إنه ينبغي أن أقتل وأصلب"7، وهذا غاية التناقض والتكاذب.

---

1 متى 11/9.

2 متى 14/5.

3 متى 16/17.

4 متى16/23.

5 ذكرهذاالتناقض أيضاًابن حزم في الفصل2/85،وابن القيم في هدايةالحياري ص214.

6 لوقا 1/32، 33.

7 متى 17/22، 23، مرقس 8/31-33، لوقا 24/46.

==

وكيف يخبر جبريل عن الله أن المسيح يجلس على كرسي داود ويملك على أسباط بني إسرائيل ويخلف ذلك فلا يجري منه حرف واحد بل يجري نقيضه؟!.

فيرذل يسوع ويقهر ويطاف به مُهاناً ويُشهر، ويأرق من شدّة الفرق ويسهر، ويقرن مع الصوص ويسب وينهر ويقتل ويصلب ويقبر وينصدع شمل أصحابه بمصابه، فلا يجبر هذا ما لا يصدر / (1/104/أ) عن جهال الكهان، فكيف يصدر من رئيس ملائكة الرحمن؟! ثم العجب من قولهم أن يسوع جاء ليقتل ويصلب ويهان، لا والله، ولا كرامة ولا ينبغي لمن عنده أدنى مسكة من عقل أن يعرض دابته وكلبه لهذه المحن، فكيف بالإله الذي تقوم السماء والأرض بأمره ويجري بتقديره حلو العيش ومره؟!.

وكيف إذ عزم على هذا الخاطر الرديء وتنفس بهذا النفس الصدى لم تمنعه التلاميذ ويشيروا عليه بالإضراب عن هذا الرأي الغائل ويعرفوه أن الخلائق تهلك بهلاكه وتعدم بعدمه؟!.

ومن الذي يرزق البغاث1 في عشه إذا حمل الإله على نعشه أو يرسي الجبل في رأسه2 وقد حصد الرّبّ في رمسه3؟!.

فإن أجاب إلى الصواب وإلاّ ربطوه وضبطوه وشدّدوا عليه في الحجر واعتقدوا في ذلك الثواب والأجر.

فانظر - رحمك الله - ما أقبل عقول هؤلاء القوم إلى الترهات التي تمجها الأسماع وتأباها الطباع.

---

1 البغاث: من الطير ما لا يتصيد ولا يرغب في صيده لأنه لا يؤكل. قاله الأزهري، وقال ابن السكيت: طائر أبغَث دون الرخمة بطيء الطيران. والجمع: "البغاث"، كالحمام، وفيه قول المثل: إن البغاث بأرضنا يستنسر، أي: الضعيف يصير قويّاً بأرضنا. (ر: المصباح المنير ص 56).

2 الأس: أصل البناء. (ر: القاموس ص 682).

3 الرَّمس: كتمان الخبر، والدفن والقبر. (م س ص 208).

==

16- موضع آخر:

قال يوحنا في خاتمة إنجيله: "لقد فعل يسوع أموراً كثيرة لو أنها كتبت واحدة/ (1/104/ب) واحدة لم يسمعها العالم صحفاً مكتوبة"1.

وهذا - لعمرك - من الكذب الذي لا يتجانبه على البوح به إلاّ من أنسل من الحجا واعتزى إلى الحماقة ولجأ، إذ العالم أوسع أكنافاً وأبعد أطرافاً من أن يضيق عن أوراق تتضمن معجزات نبيّ وآيات رسولٍ، وهذا الواضح وشبهه مما يورك على النقلة فيه، وإلاّ فالحواريّون محاشون عندنا عن التفوه بالمحال.

17- موضع آخر:

قال يوحنا في الفصل العشرين من إنجيله: "كان التلاميذ مجتمعين في غرفة لهم يتحـدّثون في قيامـة المسيح فقال توما: لا أؤمن بذلك حتى أرى آثار المسامير في يديه بعيني"2.

ولم يذكر ذلك سـوى يوحنـا وأغفلـه البـاقون، والإنجيـل لا يثبت بخـبر واحـد، وكيـف أغفلـه الأكـابر من التلاميذ وظفر به صبيّ واحد؟!.

وإنما النصارى يتعلقون بالقول الضعيف إذا وافـق مقصـودهم، ونحن بعـون اللـه سـنبطل دعـواهم في القتل والصلب بحيث لا يبقى لهم حجّة يحتجون بها في ذلك.

____

1 يوحنا 21/25، وقد ورد النّصّ كالآتي: "وأشياء أخرى صـنعها يسـوع أن كتبت واحـدة واحـدة فلسـت أظن أن العالم نفسـه يسـع الكتب المكتوبـة". ومن الواضـح أن هـذا القـول قـائم على الظن، ومن أمهـات الحقائق: "أن الظن لا يغني من الحقّ شيئاً"، ومن المؤكّد أن معجزات المسيح لو كتبت جميعها فإن العـالم يسعها وزيادة.

2 يوحنا 20/19، 20، وهذا الخبر كسابقه في أن دليل كذبه معـه حيث إن اجتمـاع التلاميـذ في مكـان واحد مما تتوافر الدواعي على نقله فإذا انفرد بروايته واحد فإنه يدل على كذب نقله أو غفلة من لم ينقلـه، ولعدم التمكن من تمييز الصادق أو الثقة منهم فإن البطلان والفساد يسري على الجميع.

==

18- موضع آخر:

صعود المسيح إلى السماء أغفله يوحنا ومتى فلم يذكراه وهما من الاثني عشر، وذكره لوقـا ومـرقس وليسا / (1/105/أ) من الاثني عشر بل من السبعين على أنهما قد اختلفا في ذلك - أعـني لوقـا ومـرقس -

فقال مرقس: "إن سيدنا يسوع لما قام كلَّم تلاميذه تكليماً ثم صعد من يومه"1. وخالفه في ذلك لوقا فقال: "إنما صعد بعد قيامه بأربعين يوماً"2. وهذا تكاذب [فظيع]3 واختلاف فاحش شنيع.

ومما يخرم الثقة بنقلهم قول متي: "قال يسوع:حقّاً أقول لكم إنّ قوماً من القيام هاهنا لا يذوق الموت حتّى يرووا ابن الإنسان آتيا في ملكوته"4.

ومعلوم أنه قد مضى من حين صدور هذا الكلام ما نيف على ألف عام ولم يأت في ملكوته، فإن قالوا: لم يعن إلاّ أنه يقوم من بين الأموات بعد ثلاث متتابعات.

قلنا: إنما قلتم إنه يأتي في ملكوته، وأيُّ ملكوت كان له في اليوم الثالث ومريم المجدلانية تبكي عليه وتسأل من يرشدها إليه؟!، وأيُّ مجد كان له في ذلك اليوم وهو من سوء الحال يشبهه بناطور البستان؟!5.

---

1 مرقس 16/9-19، في سياق طويل.

2 سفر أعمال الرسل للوقا 1/3.

3 في ص (فصيح) ولعل الصواب ما أثبته.

4 متى 16/28.

5 إن مسألة وقت صعود المسيح إلى السماء حسب روايات الأناجيل مما وقع الخلاف فيه بين النصارى، ويحدّثنا عن ذلك د. أدولف هرنك - أستاذ تاريخ الكنيسة بجامعة برلين - في كتابه: "تاريخ العقيدة ص 201-204)، فيقول:

"إن الاعتقاد في أن يسوع صعد إلى السماء بعد أربعين يوماً من القيامة قد أخذ يشقّ طريقه تدريجياً ضدّ المعتقدات القديمة التي كانت تقول بأن القيامة الصعود حدثا في نفس الوقت، وكذلك ضدّ أفكار أخرى كانت تؤمن بوجود فاصل زمني أكبر بين الحادثين، على أن بولس لا يعلم شيئاً عن الصعود كذلك لم يذكره كلّ من كليمنت وأجناتيوس وهرمس وبوليكارب.

وغالباً ما اتّحدت صيغة الكلام عن القيامة والجلوس عن يمين الله"، (كما في أقسس 1/20، وأعمال الرسل 2/32).

وحسبما جاء في إنجيل لوقا 24/51، ورسالة برنابا 1/9: "فإن الصعود إلى السماء قد حدث في نفس يوم القيامة".

"ومن المحتمل أن يكون ذلك ما جاء في إنجيل يوحنا 20/17، أن القول بأن الصعود حدث بعد أربعين يوماً من القيامة قد ذكر لأوّل مرّة في سفر أعمال الرسل".

ثم يقول: "وقد قالت بعض الطوائف والمصادر المسيحية أن الصعود إلى السماء حدث بعد ثمانية عشرشهراً من القيامة،وقال أخرى:حدث بعدأحدعشرعاماً". اهـ

(نقلاً من:المسيح في مصادر العقائد المسيحية-أحد عبدالوهّاب ص305-306).

==

الباب الرابع: في تعريف مواضع التحريف

19- موضع آخر:

قال متى: "قال يسوع للتلاميذ الاثني عشر: أنتم الذين تكونون في الزمن الآتي [جلوسا]1 على اثني عشر كرسياً / (1/105/ب) تدينون [اثني]2 عشر سبط إسرائيل"3.

فشهد للكل بالفوز والزعامة في القيامة، ثم نقضَ ذلك متى وغيره وقال: "مضى واحد من التلاميذ الاثني عشر المشهود لهم وهو يهوذا صاحب صندوق الصدقة فارتشى على يسوع ثلاثين درهماً، وجاء بالشرط فسلم إليهم يسوع فقال يسوع: الويل له، خير له ألا يولد"4.

فانظر - رعاك الله - إلى قبح هذا النقل وشناعة هذه الرواية، هذا راوٍ واحدُ بينما يهوذا عنده جالس على كرسي من كراسي المجد يحاسب سبطاً من أسباط بني إسرائيل، إذ جعله كافراً فاجراً بائعاً ربَّه بالثمن البخس طالعاً نجمه بعد السعد بالنحس، وهذا لا يليق بنبيّ الله المسيح أن يخبر عن رجل بمصيره إلى

---

1 في ص (جلوس) والصواب ما أثبته.

2 في ص (اثنا) وهو خطأ، والتصويب من المحقِّق.

3 متى 19/27، 28.

4 متى الإصحاح (26)، مرقس الإصحاح (14)، لوقا الإصحاح (22)، يوحنا الإصحاح (14، 18).

==

السعادة والسيادة ويختاره لحفظ أموال الصدقات وهو من الكفار في دركات النار، هذا مما يحاشي عنه النبيّ، فكيف يصدر ممن تعتقد ربوبيته؟!1.

20- موضع آخر:

قال يوحنا: "قال يسوع لتلاميذه: الحقّ أقول لكم أن من يؤمن بيَ يعمل أفضل من أعمالي"2. وأكذب ذلك أصحابه فقالوا: "لما أبرأ يسوع المجنون الأبكم قال والد المجنون / (1/106/أ) لقد سألت تلاميذك فلم يقدروا على إخراج الجني، فقال يسوع: إن هذا لا يقدر عليه إلاّ بصوم وصلاة"3.

فمرة يقول: إنهم يفعلون أفضل من أعماله، وأخرى يقول: إنهم لا يقدرون على مثل أعماله مع شهادته لهم بالإيمان والجلوس معه في القيامة على كراسي المجد وذلك تناقض عظيم وتكاذب جسيم.

21- موضع آخر:

قال متى: "قال يسوع لأصحابه: لا تهتموا بما تأكلون وتشربون فطيور السماء لا تزرع ولا تحصد ولا تخزن في الأهراء والله يطعمها"4.

---

1 إذا قارنا نصّ متى السابق بنظيره في إنجيل لوقا 22/29، 30، ونصّه يقول المسيح: "أنا أجعل لكم كما جعل لي أبي ملكوتاً لتأكلوا وتشربوا على مائدتي في ملكوتي وتجلسوا على كراسي تدينون أسباط بني إسرائيل الاثني عشر". لوجدنا الأمر كما يقول الأستاذ جون فنتون- عميد كلية اللاهوت بإنجلترا في

كتابه: (تفسير إنجيل متى ص 317): "إن (لوقا) حذف العدد اثني عشر (كرسياً) ولعل ذلك يرجع إلى أنه كان يفكر في يهوذا الإسخريوطي" اهـ (ر: المسيح في مصادر العقائد - أحمد عبد الوهّاب ص 99).

2 يوحنا 14/12.

3 متى 17/14-21،مرقس9/17-29،في سياق طويل،وذكره المؤلِّف مختصراً بالمعنى.

4 متى 6/25، 26.

==

وخالف ذلك الإنجيل فقال: "إذا قمتم إلى الصلاة فقولوا: يا أبانا أعطنا كلّ يوم خبزاً نأكله"1. فالأوّل ينهى عن الاهتمام بالشراب والطعام، والآخر يقول: كذا ولكنه أمر به،وهذا تكاذب عجيب،فإن الأوّل نهيٌ محضٌ، والثاني أمرٌ جزمٌ، والأمر بالشيء والنهي عنه من وجه واحد غير معقول.

22- تناقض آخر:

قال الرواة: "قال يسوع: أنا وأبي واحد"2. ثم قالوا: "قال يسوع: إني ذاهب إلى أبي وأبيكم"3.

فإن لم يحملوا الأوّل على التبليغ والسفارة وإلاّ تناقضا لا محالة؛ / (1/106/ب) إذ ذهابه إلى نفسه محال.

23- فساد إنجيل يوحنا:

رووا عن يوحنا الإنجيلي أنه قال: "إن الكلمة صارت جسداً وحلَّ فينا"4. وهم لا يعنون بالكلمة إلاّ صفة العلم أو النطق وذلك محال، إذ يلزمهم أن يكون القديم صار محدثاً والأزلي عاد زمنياً، وثار الآن عندهم عبارة عن ذات جاهلة ساكتة خرساء وتحولت الألوهية للمسيح؛ لأنه ذات كاملة بالعلم والنطق، وذلك من النصارى عزل لله عن الربوبية وإخراج عن الألوهية الكلّيّة.

قال المؤلِّف: لقد كنت أتعجب من قراءتهم في صلواتهم: "المسيح الإله الصالح الداعي الكلّ إلى الخلاص"، ومن شريعة إيمانهم حيث تقول: "المسيح إله حقّ".

____

1 متى 6/9-11، لوقا 11/2، 3.

2 يوحنا 17/21، 22.

3 يوحنا 20/17.

4 يوحنا 1/14.

==

وأقول: من أينَ جاءت النصارى هذه المحنة حتى وقفت على قول يوحنا هذا: "إن الكلمة صارت جسداً وحلّت فينا"، فتحققت أن تلك الصلاة وتلك الشريعة إنما أسست على هذه الكلمة الرذلة.

24- فساد المنقول عن يوحنا أيضاً:

انفرد يوحنا وحده بفصل ذكره / (1/107/أ) في صدر إنجيله وهو في غاية التهافت والرِّكة فقال: "في البدء كانت الكلمة، والكلمة عند الله، والله هو الكلمة"1. وهذا كما ترى مضطرب من جهة لفظه ومعناه: أما اضطرابه من جهة لفظه فإن ذلك بمنْزِلة قول القائل: الكلام عند المتكلم والمتكلم هو الكلام، والعلم عند العالم والعالم هو العلم، والدينار عند الصيرفي والصيرفي هو الدينار، وذلك هو الجنون.

____

1 يوحنا 1/1، ونصّه: "في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله". يقول الأستاذ أحمد عبد الوهّاب في كتابه: (اختلافات في تراجم الكتاب المقدس ص 42-44: "إن النّصّ السابق هو ما تقوله ترجمة الكتاب المقدس للكاثوليك، والتراجم الإنجليزية والفرنسية التي درجنا على استخدامها.

إلاّ أن ترجمة العهد الجديد للكاثوليك، والعهد الجديد للمطبعة الكاثوليكية تقول: "والكلمة هو الله"، وهناك تراجم أخرى تختلف عن الترجمتين السابقتين، ففي ترجمة حديثة صدرت عام 1985م،بعنوان: "العهد الجديد الأصلي"، تقرأ مقدمة إنجيل يوحنا كالآتي: "في البدء كانت الكلمة، وكانت الكلمة عند الله، وهكذا كان الكلمة السماوية، كانت في البدء عند الله، بها كلّ شيء عمل، وبدونها لم يكن شيء...". وكذلك تقول "ترجمة إنجليزية اليوم" الصادرة عن جمعية الكتاب المقدس الأمريكية في افتتاحية إنجيل يوحنا: "وكان الكلمة مثل الله". ثم نقل الأستاذ أحمد عبد الوهّاب كلام د. جون ربنسون - أسقف ولويش بإنجلترا - في إثبات خطأ القول: "وكان الكلمة الله أو والكلمة هو الله"، مستنداً على ترجمة "الكتاب المقدس الإنجليزية الحديثة" التي تترجم العبارة السابقة كالآتي: "وما كان الله، كان الكلمة".

قلت: هذا الخبط والخلط في فهم النصوص ناشئ عن سوء الترجمة وعدم الأمانة والدقة العلمية، وقد سبق لنا نقل كلام الأستاذ شارل جنيبر في الإشارة إلى دور الترجمة في تحريف الأناجيل لفظاً ومعنىً وإبدال المعنى الصحيح بالباطل. (ر: ص 142، 143).

==

وأما اضطرابه من جهة معناه، فإن الكلمة عندهم هي العلم أو النطق، وهي التي اتّحدت بالجسد المأخوذ من مريم، فإذا قال يوحنا: إن الله هو الكلمة، فقد صرح بأن الأب قد اتّحد بالجسد وحَلَّ في رحم مريم وناله القتل والصلب وتردد مع الشيطان من مكان إلى مكان، وهذا لا يقول به نصراني، وهو لازم لهم بمقتضى ما رووا عن يوحنا أن الله هو الكلمة، ومما يُرَدُّ به قول يوحنا هذا تصريح المسيح في عدّة مواضع من الإنجيل بأنه نبيّ وأنه رسول ومعلم وأن الله نبَّأه وأرسله، وأنه لا يعلم الغيب والقيامة، وذلك كلّه بخلاف / (1/107/ب) قول يوحنا: "إن الله هو الكلمة".

25- ومن اللعب البديع:

قول يوحنا: "قال يسوع لتلاميذه: إن لم تأكلوا جسدي وتشربوا دمي فلا حياة لكم؛ لأن جسدي مأكل حقّ ودمي مشرب حقّ، ومن يأكل جسدي وشرب دمي يثبت فِيَّ وأثبت فيه، فلما سمع تلاميذه هذه الكلمة قالوا: ما أصعبها، من يطيق استماعها؟، فرجع كثير منهم عن صحبته"1.

قلت: الكلام على الشيء بالرّدّ والقبول فرع كونه معقولاً، وهذا الكلام لو أراد البليغ أن يوجهه لأفضى به الحال إلى المحال، فيكفينا في الرّدّ عليه مجرد تسطيره، والكلام على الشيء الركيك لا يجيء إلاّ ركيكاً.

وإذا كان في الأنابيب خلف وقع الطيش في صدور الصعاد

وكيف لا يرجع العقلاء عن صحبة يسوع وهو يقول في الكلام المتقدم على هذا إن الله هو الكلمة والكلمة صارت جسداً؟! وإذا كان الأمر كذلك، فكيف يأمرهم بأكل ذلك الجسد وشرب دمه؟!

____

1 يوحنا 6/41-67، في سياق طويل، وقد ذكره أيضاً ابن حزم في الفصل 2/183، وأشار إلى سقوط هذا الكلام واختلاط قائله.

==

ولا شكّ أن العقلاء من النصارى اليوم لو جمعوا بين قول يوحنا أوّلاً وقوله آخراً لرجعوا أيضاً كما رجع من رجع عن يسوع، إذ يجتمع من الكلامين أكل جسد الله القديم / (1/108/أ) الأزلي وشرب دمه، ومن الذي يسمع ذلك فلا يقضي على قائله بالجنون أو المجون؟.

فساد المنقول عن فولس:

قال في رسالته السادسة وهو يحث على التواضع والتودد: "لا ينظرن أحدكم إلى نفسه دون صاحبه لكن ليعُدَّ صاحبه أفضل منه، واقتدوا بيسوع المسيح الذي كان شبه الله وعدل الله، كيف أخفى نفسه وأخذ شبه العبد وألقى نفسه في زيّ إنسان وشكله حتى مات وصلب"1.

فبينا المسيح عنده [مشابه للإله ومعادل]2 له إذ حكم عليه بالذلّ والإهانة والقتل والصلب وذلك غاية الجهل والحمق، وإلاّ فأي حاجة بالإله الخالق الباري إلى تلبسه بهذه الأمور؟! وما الذي اضطره إلى ذلك؟! تعالى عن هذا الهذيان.

26- موضع آخر من التكاذب:

قال متى: "كان يوحنا لا يأكل ولا يشرب"3. وأكذبه الآخرون فقالوا: "كان طعام يوحنا هذا الجراد وعسل البر"4. وهذا من أقبح الكذب.

____

1 رسالة بولس إلى فيلبي 2/4-8.

2 في ص (مشابهاً للإله ومعادلاً) والصواب ما أثبته.

3 متى 11/18.

4 متى 3/4، ومرقس 1/6.

==

27- موضع آخر:

قال يوحنا الإنجيلي: "قال يسوع: أنا هو الراعي الصالح وأنا عارف برعيتي / (1/108/ب) وهي تعرفني"1، وأكذبه متى قال: "قال المعمداني حين رأى يسوع: هذا خروف الله"، وقال مرة أخرى: "هذا حمل الله"2.

فمتى يجعل المسيح خروفاً، ويوحنا يقول: لا ولكنه [راعٍ]3 للخروف، في الله العجب، هلاّ قال المعمداني حين رأى المسيح: هذا هو الله أو هذا ابن الله أو هذا مسكن الله.

والنصارى تقول: "إن المعمداني إنما جاء شاهداً للمسيح، والمسيح يقول في إنجيله: "لم تقم النساء عن رجل أفضل من المعمداني هذا"4. فكيف يجوز من مثل المعمداني أن يسمى المسيح خروفاً أو حملاً، ويثبت له مالكاً هو الله تعالى؟!، أو تدعي النصارى أنها أعرف بالله من نبيّه يحيى بن زكريا وأعلم بها بما يجب له!! فكيف استجازوا خلافه وسلكوا في المسيح مذهباً غير مذهبه وطريقاً سوى طريقه فقالوا تارة: المسيح هو الله، وأخرى قالوا: هو بيت الله ومسكنه؟!.

وقالوا في شريعة إيمانهم: "المسيح إله حقّ بيده أتقنت العوالم وخلق كلّ شيء". وقالوا في صلواتهم: "يا ربنا المسيح لا تُضيِّع من خلقت بيدك"، وهذا كله بخلاف قول / (1/109/أ) المسيح في نفسه، وبخلاف شهادة يوحنا له؛ لأن يوحنا شهد أن المسيح عبدُ الله، وأن الله مالكه. وقال حين رآه: "هذا الذي قلت لكم إنه يأتي بعدي وأنه أقوى مني وأني لا أستحق أن أحل معقد خفّه". وهذا يدل على

____

1 يوحنا 10/14.

2 لم يرد وصف المسيح بأنه: "حمل الله"، في إنجيل متى، بل ورد في إنجيل يوحنا 1/29، 36، وأما وصفه بأنه (خروف...) فقد ورد في رؤيا يوحنا 15/3. (ر: قاموس الكتاب ص 886).

3 في ص (راعياً) والصواب ما أثبته.

4 متى 11/11.

==

مساواته المسيح؛ لأن الرجل الفاضل المتقي قد يذكر ذلك لمن هو دونه في الفضل تواضعاً لله تعالى وفرار من تزكية النفس، وقد يكون القائل أفضل من المقول له وهذا واضح، وإلاّ فيوحنا هذا أكبر من المسيح سناً وأقدمهم تعميداً، ولقد عمَّد المسيح فيمن عمَّد وامتلأ من روح القدس وهو في البطن، ونبأ الله أباه زكريا ببركته، يشهد بجميع ذلك الإنجيل1.

وذلك كلّه يخصم النصارى في دعوى ربوبية المسيح ويفسد عليهم الأمانة التي ادّعوها في إثبات ألوهيته.

28- موضع آخر:

قالت النصارى: قال داود في مزمور له: "قال الرّبّ لربي: اجلس عن يميني"2. قالوا فقد سمى داود المسيح ربّه.

قلنا: فقد حكيتم / (1/109/ب) لنا عن إنجيل لوقا أنه قال: "قال جبريل لمريم: إنك ستلدين ابناً اسمه: يسوع يجلسه الله على كرسي أبيه داود"3. فإن كان النقل الأوّل صحيحاً، فالثاني باطل، وإن كان الأوّل باطلاً، فالثاني صحيح، وإذا كان المسيح هو ابن داود بإخبار جبريل عن الله فكيف يكون ربّاً لداود؟! أما كان في النصارى من يتدبر ذلك قبل تسطيره، فإنه قد صار سبة عليهم آخر الدّهر.

29- موضع آخر:

قالوا: قال متى: "قام المسيح من الموتى مساء يوم السبت"4. وخالفه أصحابه فقالوا: "ما قام إلاّ صبيحة يوم الأحد بغلس"5. وذلك مما يخرم الثقة بأصل الخبر، وسأوضح ذلك إن شاء الله إذا انتهيت إلى بابه.

---

1 لوقا 1/13-17.

2 مزمور 110/1.

3 لوقا 1/30.

4 متى 28/1-7.

5 مرقس 6/16-19، لوقا 24/1-3، يوحنا 20/1، 2، وقد ذكر بان حزم في الفصل 2/127-132 هذا الاختلاف بنحو ما أورده المؤلِّف.

==

وفي خبر قيامة المسيح ما هو أنكر من هذا وهو أن متى يقول: "إن اليهود سألوا المسيح أن يريهم آية، فقال: إن يونس أقام في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال، وكذلك ابن الإنسان يكون في بطن الأرض وقلها ثلاثة أيام وثلاث ليال مثلما أقام يونس"1. ثم لم يصحّحوا هذا الخبر إذ رووا كلهم / (1/110/أ) أنه صلب في الساعة الثالثة من يوم الجمعة، ثم أُنزل ودفن مساءً من يومه فمنهم من زعم أنه قام يوم السبت مساءً، ومنهم من قال: قام صبيحة الأحد مغلساً، فإذا لم يقم بطن الأرض سوى يوم واحد وليلة أو ليلتين على الرواية الأخرى2.

---

1 متى 12/39، 40، إن المراد بآية النبيّ يونان في هذا النّصّ هو نفسه المراد في الإصحاح 16/4 ونصّه: "فأجاب وقال لهم: جيل شرير فاسق يلتمس آية ولا تعطى له آية يونان النبيّ". وهو نفسه المراد أيضاً في قول اليهود لبيلاطس: "يا سيد قد تذكرنا أن ذلك المفضل قال وهو حي إني بعد ثلاثة أيام أقوم". 27/63.

فهذه الشواهد تدل على أن المراد بمثل آية النبيّ يونان هو المسيح عليه السلام.

2 يوضّح لنا الشيخ رحمة الله الهندي في إظهار الحقّ ص 159 التناقض في روايات الأناجيل للقيامة بقوله: "إن المسيح صلب قريباً إلى نصف النهار من يوم الجمعة، كما يعلم من الإصحاح (19) من إنجيل

يوحنا، ومات في الساعة التاسعة (الواحد ظهـراً - الثالثـة بعـد الظهـر) وطلب يوسـف جسـده من بيلاطس وقت المساء فكفنه ودفنه كما جاء في إنجيل مرقس (ومتى).

فدفنه لا محالة كان في ليلة السبت، وغاب هذا الجسد (المسيح) عن القـبر قبـل طلـوع الشـمس من يوم الأحد - كما جاء في إنجيل يوحنا - فما بقي في قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ، بل يوماً وليلتين، ومـا قام بعد ثلاثة أيام.

في القبر

أسبوع عيد الفصح

الليالي

الأيام

يوم الجمعة

دفن في القبر قبل غروب الشمس.

ليلة واحدة

لا شيء

يوم السبت

ليلة واحدة

يوم واحد

يفترض أن يكون في القبر.

يوم الأحد

لا شيء

لا شيء

مفقود دفنه قبل طلوع الشمس.

ليلتان

يوم واحد

الإجمالي

ولما كان هذه الأقوال غلطاً فقد اعترف به (بالس وشانر) أن هذا التفسير من جـانب مـتى وليس من قول المسيح. وقالا: "إن مقصود المسيح أن أهل نينوى كما آمنـوا بسـماع الوعـظ وطلبـوا المعجـزة كـذلك فليرضى الناس مني بسماع الوعظ". اهـ (ر: أيضاً رسالتين للشيخ أحمد ديدات (من دحرج الحجر؟، ما هي آية يونان؟).

==

والنصارى قد يقرؤون هذا الفصل في كلّ سنة في آية سبت في الصوم، وهو السبت الـذي يكـون في صبيحته الفطر1، فيقرأ القارئ الفصل المذكور ثلاث مرات وهو يقول: "الآن وفي هذا الوقت قـام المسـيح

من بين الموتى، وهذا كما نرى نقل مضطرب على أنّا لو أضفنا لهم يوم الصلب وهو يـوم الجمعـة أيضـاً لم يحصل الوفاء بالثلاثة الأيام والثلاث الليالي.

ومن لم يكن عنده من اللب ما يعرف به هذا الخطأ مع وضوحه لم يتعجب من قبوله لكلّ مستحيل.

30- موضع آخر:

قال المصلوب لأحد اللصين: "حقّاً إنك اليوم تكون معي في الفردوس[2]، فحكم بأنه يوم الجمعة يكون معه في الجنة، وذلك مناقض لما روى لوقا إذ قال: "إن المسيح / (1/110/ب) لم يصعد من الأرض إلاّ بعـد أربعين يوماً"[3]. وإذا كان قـد مكث في الأرض أربعين يومـاً قبـل الصـعود فقـد بطـل قولـه: "إنـه معـه يـوم الصلب في الفردوس".

____

1 عيد الفطير: ويسمى أيضاً: بـ: (عيد الفصح)، وهو العيد الرئيسي عنـد النصـارى، وهـو ذكـرى قيامـة المسيح من بين الأموات، ويقع بين 22 مارس و25 إبريل ويرتبط به عدد كبير من الأعياد الأخـرى، ويسـبق بالصيام الكبير الذي يدوم (40) يوماً بجمعة آلام المسيح.

وهذا العيد أيضاً من أبرز أعياد اليهود ويقع عندهم في 15 نيسان، وفيـه خـرج بنـو إسـرائيل من مصـر هرباً من فرعون. (ر: قاموس ص 678، الموسوعة العربية الميسرة ص 1247).

2 لوقا 23/43.

3 سفر أمال الرسل 1/3، وقد سبق للمؤلِّف ذكر هـذا التنـاقض ولعلـه قـد نسـي فـأورده مـرة ثانيـة. انظر: ص 182 التناقض رقم: (10).

==

31- موضع آخر:

قال متى: "لما حُمل يسوع إلى فيلاطس القائد قال: أي شرّ عمل هذا؟ فصرخ اليهـود وقـالوا: يصـلب يصلب، فلما رأى القائد عزمهم وأنه لا ينفع فيهم شيء أخذ مـاء وغسـل يـده وقـال: أنـا بـريء من دم هـذا الصّدِّيق وأنتم أبصر"[1].

وأكذب ذلك يوحنا فقال: "لما حمل يسوع إلى فيلاطس القائد قال الهيود: ما تريدون؟ قـالوا: يصـلب، فضرب يسوع ثم سلمه إليهم"[2].

فانظر يا أخي - أسعدك الله بقربه وعصمك من الشيطان وحزبه - ما أقبح هـذا التكـاذب وأوضح هـذا التناقض، أحد التلميذين يقول: إن القائد أثنى على يسوع وغسل يده، والآخر يقول: كلا، ولكن جَلَده.

32- موضع آخر:

قال يوحنا: "لما حلم يسوع إلى رئيس الكهنة قيافاً موثقاً سأله مستخراً عن حاله فيصـيح يسـوع / (1/111/) [أنا كلمت العالم علانية أنا علمت كـلّ حين في المجمـع وفي الهيكـل، حيث يجتمـع اليهـود دائمـاً، وفي الخفاء لم أتكلم بشيء، لماذا

____

1 متى 27/22-245.

2 يوحنا 18/38-40، 19/1.

قلت: إن على النصارى الكاثوليك ومن يـؤمن منهم بعصـمة البـاب والكنيسـة الكاثوليكيـة وبحقّها في التشريع أن يحذفوا هذه النصوص وغيرها التي تتهم اليهود بصلب المسيح وتطالبهم بدمه وذلـك بعـد صـدور وثيقة التبرئة عام 1965م، من البابا بـولس السـادس وفيهـا التصـريح بتبرئـة اليهـود من دم المسـيح عليـه السلام. ولا يخفى دور اليهود ومكرهم الخبيث في استصدار هـذه الوثيقـة من الفاتيكـان ولـذلك سـعت إلى تحريف الأناجيل - زيادة على تحريفه السابق - وتغيير كلمـة اليهـود واسـتبدالها في النسـخ الحديثـة لأسـفار العهد الجديد المطبوعة في إسرائيل، فاستبدلت كلمة اليهود في النّصّ السّابق بكلمـة الشـعب، أو الرعـاع. (للتوسع، ر: إسرائيل حرفت الإناجيل - أحمد عبد الوهّاب).

==

تسألني أنا أسأل الذين قد سمعوا ماذا كلمتهم هوذا هؤلاء يعرفون ماذا قلت أنا، ولمّا قال هـذا[1] قـام إليه رجل من الشرط فلطم يسوع على خده الأيمن وقال: هكذا تجاوب عظيم الكهنـة. قـال لـه يسـوع: إن كنت قلتُ ردياً فاشهد بالرّدي وإن كنت قلت جيداً فلمَ تضربني؟"2. وهذا خلاف مـا قـال لوقـا إذ قـال: "إن جبريل أخبر عن الله تعالى أن يسوع يكون ملك بني إسرائيل"3. ولم يقل: إنـه يحمـل في الكبـول والقيـود إلى اليهود.

33- موضع آخر:

قال لوقا: "قال جبريل لمريم وهو يبشرها إنك ستلدين ولـداً تسـمينه يسـوع يجلس على كرسـي داود ويملك على بيت يعقوب"4. فأخبر عن الله بتمكله على بيت أبيه داود وأكذب ذلك يوحنا فقـال: "لمـا حمـل يسوع إلى رئيس الكهنة قال له: أنت ملك اليهود؟ فقال يسوع: أمن عندك قلت هـذا؟ أم حُكي لـك عـني؟" 5. وهذا تكاذب قبيح إذ لوقا جعله ملك إسرائيل، والآخر وسمه بِسِمّة ذليل.

قال المؤلِّف: ألتحقيق عندنا أن هذا جواب الشبه، ألا تـراه كيـف ورَّى في الجـواب، وقـد كـان الشَّـبه شـرى نفسـه من اللـه وآثـر المسـيح / (1/111/ب) بمهجتـه، وأنت إذا تتبعت ذلـك اتّضـح لـك أن المـأخوذ المصلوب هو الذي شبه بالمسيح لا المسيح، وسنَزيده وضوحاً إن شاء الله.

---

1 في ص (المعاديده بين يديه) وأما المثبت فهو من نصّ الإيجيل.

2 يوحنا 18/19-24.

3 لوقا 1/32، 33.

4 لوقا 1/32، 33.

5 يوحنا 18/33، وفيه أن الـذي سـأل المسـيح: أنت ملـك اليهـود؟ هـو بيلاطس الـوالي على اليهوديـة وليس رئيس الكهنة كما ذكر المؤلِّف.

34- ومما تفرد به يوحنا دون أصحابه:

قال يوحنا: "لم صلب يسوع واللصان معه قال اليهود: هذا يوم الجمعة وغدا السبت، ولا تبقى هذه الأجساد على الصلب، وسألوه أن يتقدم بكسر أسوقهم، فمضى الشرط ففعلوا ذلك باللصين وانتهوا إلى يسوع فوجدوه ق مات فلم يكسروا ساقيه، بل جاء رجل من الجند بحربة فطعنه في جنبه الأيمن فخرج من جرحه ماء ودم"[1]. وأغفل الباقون ذلك فلم يخبروا به، وإذ تركوه لم يؤمن أن يتركوا ما هو أهمّ منه ولعلّهم استضعفوا أصل الخبر فأضربوا عن نقل تفاصيله.

35- قال ابن[2] رَبَّن -

وكان من أذكيائهم فأسلم على يدي المتوكِّل[3] وردَّ عليهم وعلى اليهود وغيرهم بكتابٍ له حسن - : "إن متى أسقط من نسب المسيح ثلاثة آباء غلطاً[4]، وأن لوقا زاد في نسب المسيح أباً"[5].

واعترف بذلك المفسقان / (1/112/أ) مفسرهم وقال: "هذا غلط وقع في الإنجيل، فاستحيا من ذلك بعض علمائهم وقال: إن هذا الخطأ في الإنجيل؛ لأنه كتب

---

1 يوحنا 19/31-34.

2 هو: أبو الحسن عليّ بن سهل ويعرف بابن ربن الطبري، المهتدي كان نصرانياً فأسلم، طبيب حكيم، له كتاب: "الرّدّ على أصناف النصارى". و"الدين والدولة في إثبات نبوة النبي صلى الله عليه وسلم". قيل مات سنة 260هـ.

(ر: ترجمته في هدية العارفين للبغدادي 1/669، عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ص 414، مقدمة كتاب الدين والدولة - بتحقيق الأستاذ عادل نويهض).

3 هو: أبو الفضل جعفر (المتوكّل بالله) بن محمّد بن هارون الرشيد، أحد ملوك الدولة العباسية. اغتيل في سامراء سنة 247هـ (ر: الأعلام للزركلي 2/127).

4 ورد في إنجيل متى 1/8 أن: (يورام ولدَ عزيا)، وليس ذلك صحيحاً؛ لأن غزيا (عزريا) ابن أمصيا بن يو آش بن أخزيا بن يورام، كما ورد ذلك في سفر أخبار الأيام الأوّل 3/10-12، فمتّى أسقط من نسب المسيح ثلاثة أجيال، وهؤلاء الثلاثة كانوا من الملوك المشهورين وأحوالهم مذكورة في سفر الملوك الثاني الأصحاح (8، 12، 14)، وسفر أخبار الأيام الثاني الأصحاح (22، 24، 25).

5 ورد في إنجيل لوقا 3/35، 36، أ، "شالح بن قينان بن أوفكشاد"، وهو غلط؛ لأن شالح بن أرفكشاد، وليس ابن ابنه، كما ورد ذلك في سفر التكوين 11/12، 13، فلوقا قد زاد أباً للمسيح هو (قينان).

بروح القدس ولكنه من التوراة والكتب العتيقة، وذلك باطل، فإن كـان الإنجيـل قـد حضـر كتابتـه روح القدس فالتوراة وسائر النبوات كذلك.

36- تناقض إنجيل لوقا نفسه:

قال لوقا: "قـال جبريـل لمـريم القـول المتقـدم في تمليـك يسـوع على بـني إسـرائيل وجلوسـه على كرسي داود".

ثم أكذب نفسه بنفسه فقال: "جاء الجباة من قبل قيصر إلى بطرس فقالوا: ما بـال معلمكم لا يـؤدي الغرم؟ فذكر بطرس ذلك ليسوع فقال: يا بطـرس [والبنـون]1 أيضـاً تـؤدّي الغـرم، ثم قـال لـه: امض إلى البحر، وألق الصنارة فأول حوت ترفعه افتح فاه وخذ منه ما تؤدي عني وعنك"2.

انظر - رحمك الله - أي قبيح هذا التناقض؟ هذا راوٍ واحدٌ لإنجيـلٍ واحـدٍ بينمـا يسـوع عنـده ملـك بـني إسرائيل جالس على كرسي داد بشهادة جبريل إذ نسي القصّة فجعله ضعيفاً مسكيناً تحت جزية لتظهر آيته في تناول / (1/112/ب) الذهب أو الورق من فم الحوت.

قلنا: إنما مرادنا أنه ظهر كذبكم وأخلـف قـولكم ونقلكم عن جبريـل، وأن يسـوع لم يملـك ولم يجلس ولم يطلق، وعلى أن ذلك لا ينفع في إثبات ربوبيتـه، ومـا أحسـن ربّـاً يلـتزم الذلـة والصـغار ويبـذل الجزيـة ليقوي بها الفجار.

37- تكاذب إنجيل متّى:

قال متى في صدر إنجيله: "هذا مولد يسوع المسيح بن داود"3. فشهد بأن داود أبوه، ثم قـال بعـده بورقة: "لما خطب يوسف مريم فَقَبل أن يعرفها وجدت

____

1 في ص (والبنبن) والصواب ما أثبته.

2 ورد هذا النّصّ في إنجيل متى 17/24-27، ولم يرد في إنجيل لوقا كمـا ذكـر المؤلِّف، فلعـل نسـخة الأناجيل التي كانت بيد المؤلِّف ذكر فيها النّصّ في إنجيل مرقس، أو لعله قد اختلـط عليـه الأمـر في ذلـك، فيكون تصويبه حينئذٍ بأن إنجيل لوقا قد تناقض مع إنجيل متى في هذا الأمر. والله أعلم.

3 متى 1/1.

==

حبلى من روح القدس، وكان يوسف صِدِّيقاً فلم ير أن يشهرها وهَمَّ بتخليتها سِرّاً فظهر له المَلـك في الرؤيا فقال له: يا يوسف لا تخف من إمسـاك خطيبتـك، فـإن الـذي تلـده هـو من روح القـدس وسـتلد ابنـاً ويدعى يسوع"1.

وذلك تكاذب قبيح؛ لأنه إن صدق في خبره الأوّل كذب لا محالة في الثاني.

38- موضع آخر:

قال لوقا: "لما انطلقوا بيسوع ليصلبوه وجدوا سمعان2 القونياني فحملوا عليه الصليب ليحمله وجعـل النسوة خلف يسوع يبكين فـالتفت إليهن وقـال: / (1/113/أ) يـا بنـات أورشـليم لا تبكين علي وابكين على

أولادكم، ليأتين عليكن زمان تقولون طوبى للبطون العواقر التي لا يلدن والأيدي التي لا ترضع، إذا كان هذا فعلهم بالعود الرّطب، فكيف يصنعون بالعود اليابس؟"3.

وخالفه يوحنا فقال: "مضى يسوع ليصلب وهو حامل صليبه إلى موضع يسمى الجمجمة حيث صلبوه" 4.

وخالفهما مرقس فزاد في القصّة ونقص وقال: "أخذوا سمعان وهو أبو الكسندروس"5. وخالفهم متى فقال: "وجدوا إنساناً فسخروه لحمل الصليب".6.

---

1 متى 1/18-21.

2 في الأناجيل: "سمعان القيرواني"، من قريني في ليبيا، ولذا فيجب أن يكون لقبه القريني، وهو أبو الكسندر وروفس. (ر: قاموس الكتاب ص 484).

3 لقوا 23/26-31.

4 يوحنا 19/16، 17.

5 مرقس 15/20، 21.

6 متى 27/32، 33.

==

فلوقا يقول: حملوا الصليب على سمعان القرونياني وطوَّل القصّة.

ويوحنا يقول: ما حمل الصليب إلاّ يسوع نفسه.

ومرقس اختصر القصّة جداً وسمى ولد حامل الصليب.

ومتَّى يقول: سخَّروا رجلاً لحملٍ خشبته.

فهذه قصة لطيفة تناقضوا فيها هذا التناقض1، فما ظنك بالمطولات.

واعلم أن هذه الأمور تزعم النصارى أنها جرت بعد المسيح، لم تسمع من المسيح فكيف عَدوها من الإنجيل؟!

قال المؤلِّف - عفا الله عنه - قوله: "يا بنات / (1/113/ب) أورشليم... إلى آخر".

هو كلام الشبه ألا ترى إلى قوله: "إذا كان هذا فعلهم بالعود الرّطب"، ولو كان على ما يزعم النصارى لقال: إذا كان هذا فعلهم بالابن الذي قدَّسه الله وأرسله إلى العالم، كما تقدم في قوله لليهود غير مرّة.

فقوله: (يا بنات أورشليم..."، يكذب النصارى في دعوى قتل المسيح وصلبه، ولأنهم يقولون في شريعة إيمانهم: "إن المسيح إله حقّ من إله حقّ وإن بيده أتقنت العوالم وخلق كلّ شيء". وإذا كان الأمر كما قالوا فليس هو قائل: "يا بنات أورشليم"، بل غيره؛ ولأن المسيح جاء في زعم النصارى لخلاص العالم، وأقلّ درجات مخلص العالم أن يخلِّص نفسه، فكيف يحسن القول بعطبه وقتله وصلبه؟!.

---

1 إن هذا التناقض ليس ملزماً للنصارى؛ فإن لهم أن يقولوا: إن المسيح لم يقو على حمل الصليب، فسخروا سمعان ليساعده على حمله، وليس معنى ذلك أن الصليب رفع عن المسيح، بل كان سمعان مساعداً إيّاه فقط، فلا فرق بين القولين. ا.هـ (ر: حل مشاكل الكتاب المقدس - للقس منسي يوحنا ص: 138، ور: الفصل لابن حزم 2/123).

39- وانفرد لوقا بفصل لم يشاركه أصحابه في نقله:

قال لوقا: "لما ولد المسيح وضعته أمّه مقموطاً في معلف من مذاود الدواب وكان هناك رعاة يرعون أغناهم - قال - فنظر الرعاة إلى الملائكة قد نزلوا إليهم وبشرهم فقالوا: نبشركم ببشارة عامة لأهل العالم كله، أنه ولد الليلة لكم [مخلّص/(1/114/أ)ومنج]1وهو يسوع المسيح الرّبّ"2. وهذه قصة لم يذكرها سوى لوقا وانفراده بها يوجب سوء الظن به فيها مع أن فيهاما يقضي بردهاوهو بشرى الملائكة للعالم بأسره بأن يسوع مخلّصهم ومنجيهم، وذلك بمطلقه يقضي بأن الهنود والصين والترك والسودان واليهود وفرعون ونمرود وسائر طوائف الكفار وعباد الأنداد من الخشب والحجار قد خلصوا ونجوا بمولد هذا المسيح وبطلت الخطيئة بمجيئه، وهذا القول مع قباحته مردود بنصّ الإنجيل إذ يقول فيه: "إني أقيم الناس يوم القيامة عن يميني وعن شمالي فأقول لأهل اليمين: فعلتم بيَ كذا فاذهبوا إلى النعيم، وأقول لأهل الشماء: فعلتم بيَ كذا فاذهبوا إلى الجحيم"3.

ثم إخبار هؤلاء الملائكة للرعاة يوجب مسرة العالم بمولد يسوع، إذ كان فيه خلاصهم ونجاتهم، ومعلوم أن اليهود وأكثر هذه الطوائف لم يسروا [بمولده]4.

ثم هذه الرواية التي رواها لوقا من كون المسيح / (1/114/ب) مخلصاً للعالم معارضة بقول المسيح: "إني لم أُرسل إلاّ إلى الخراف الضالّة من بيت إسرائيل5، فإن الأصحاء

---

1 في ص (مخلصاً ومنجياً) والصواب ما أثبته.

2 لوقا 2/6-11.

3 متى 25/31-46، في سياق طويل، وقد ذكره المؤلِّف بالمعنى مختصراً.

4 في ص (بمولوده) والصواب ما أثبته.

5 متى 10/6، 15/24.

لا يحتاجون إلى الدواء وإنما يحتاج إليه المرضى"1. وإذا كان المسيح نفسه قد قال: إنه لم يرسل إلى العالم، بل إلى من ضلّ من بني إسرائيل، فلا يعوَّل على ما قال ونقله لوقا، وما أحسن إلهاً يُستر بخرق الثياب ويشتمل عليه معالف الدواب!!.

40- تناقض واضح وتعارض فاضح:

قال لوقا: "قال يسوع: من ليس له سيف فليبع ثيابه وليشتر له سيفاً"2. وهذا أمر حزم، وذلك مردود بأقوال أصحابه إذ قالوا: "قال يسوع: لا تقابلوا الشرّ بالشرّ، ولكن من لطمه على خدك الأيمن فحول له الآخر ومن أراد أخذ ثوبك فزده رداءك ومن سخرك ميلا فامش معه ميلين"3. "ولما كان ليلة الفزع جرد شمعون الصفا من أصحابه سيفه فانتهره وقال: أردده إلى غمده"4.

فإن كان أحد النقلين صحيحاً [فالآخر كذباً]5 قطعاً. ونسخ الإنجيل بعضه ببعض عندهم لا يجوز.

41- ومن التكاذب: / (1/115/أ)

قال متى: "لما ذهبوا بيسوع جَرّد واحد من أصحابه سيفاً وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه اليمنى، فقال له يسوع: أردد سيفك إلى غمده فإنّ كلّ من أخذ بالسيف بالسيف يهلك"6.

---

1 متى 9/12، مرقس 2/17، لوقا 5/31.

2 لوقا 22/36.

3 متى 5/39-41، لوقا 6/28-30.

4 متى 26/51، 52، لوقا 22/50، 51، يوحنا 18/10، 11.

5 في ص (والآخر كذب) والصواب ما أثبته.

6 متى 26/51، 52.

==

انظر إلى هذا التصادم البديع والتهافت [الفظيع]1، لوقا يقول: إن المسيح يحثّ على شراء السيوف لهذا المهم قبل أن يسلم، والآخر يقول: بل نهى صاحب السيف وعنّفه، والثالث، يقول: بل إنه لصق أذن المضروب وبالسلامة شنَّفه.

قال المؤلِّف: قوله: "كلّ من أخذ بالسيف يهلك". فاسد من جملة منطوقه ومفهومه، إذ ذلك يقضي أن يكون كلّ من أخذ بالسيف قتل، فكلّ من لا يأخذ بالسيف لا يقتل، وكلاهما فاسد. فكيف يزعم النصارى أن يسوع قتل وصلب ونكل به منع أنه لم يأخذ بالسيف؟!. فهذا الكلام من المسيح عليه السلام من أقوى الشهود على عصته مما افتراه النصارى عليه من القتل والصلب؛ لأنه لم يأخذ إلاّ ما أتاه الله كما قال في إنجيله عن المعمداني: "إن العبد / (1/115/ب) لن يأخذ إلاّ ما أعطاه الله من السماء"2.

42- تفرد لوقا:

قال لوقا: "قال الرّبّ: سمعان سمعان هوذا الشيطان يسأل أن يغربلكم كما تغربل الحنطة"3.

قلت: قد أجيب الشيطان إلى سؤاله فغربلهم بغرباله وسربلهم بسرباله وخدمهم بأباطيله،واعتقدوا المحال، ودانوا بالعبادة للنساء والرجال، فالحمد لله الذي عصم من كيده وقصم أحبولة صيده. وفي هذا الكلام ما يقضي أن للحواريين مزية على المسيح إذ يقول في الإنجيل: "إن إبليس سحب يسوع معه من مكان إلى مكان وقال له: اسجد لي وأعطيك الدنيا بما فيها"4. فالشيطان

---

1 في ص (الفصيح) ولعل الصواب ما أثبته.

2 يوحنا 3/27.

3 لوقا 22/31.

4 متى الإصحاح (4)، مرقس الإصحاح (1)، لوقا الإصحاح (4).

==

يشاور المسيح ويقول له: اسجد لي، ويسأل ويضرع أن يغربل الحواريين، وهذا يدل على أن الشيطان أهيب لهم منه المسيح.

43- ومن التكاذب:

قول يسوع: "لا تحقروا أحداً من هؤلاء الصغار المؤمنين فإن ملائكتهم في كلّ حين ينظرون وجه الله الذي في السموات"1. ثم أكذب ذلك فقال: "الله لم يره أحد قط"2. وقال أيضاً: "الله لا يأكل ولا يشرب ولا يراه أحد / (1/116/أ) قطّ إلاّمات"3.

44- ومما تفرد به لوقا:

قال لوقا: "لما قطعت أذن العبد لمسها يسوع فأبرأها وأنكر على صاحبه فعله"4. ولم يذكر ذلك أصحابه الثلاثة، ولم يسم صاحب السيف أحدٌ من الجماعة سوى يوحنا فقال: "هو شمعون الصفا"5.

45- ومما تفرد به مرقس:

قال مرقس: "لما أخذ يسوع وذهبوا به تبعه شاب واحد على عُربه إزار فتعلقوا به، فترك إزاره لهم وذهب عرياناً"6. ولم يذكر ذلك أصحابه الثلاثة.

---

1 متى 18/10.

2 يوحنا 1/18.

3 تقدم تخريجه. انظر: ص 129.

4 لوقا 22/50، 51.

5 يوحنا 18/10.

6 مرقس 14/51، 52، ويعلق نينهاهم على هاتين الفقرتين في كتابه: (تفسير إنجيل مرقس ص 396)، بقوله: "إن هاتين الفقرتين تدعوان للحيرة، فقد وضعا بطرية مربكة بعد الفقرة (50)، ولهذا فإن

بعض النساخ قد نقحوا الأصل الأغريقي لكي ينصقل الترابط مع قبلهما، كما أن كلاً من مى ولوقا قد حذفهما من إنجيله". اهـ. (نقلاً من: المسيح في مصادر ص 145، لأحمد عبد الوهّاب).

==

46-ومما تفرد به لوقا:

قال لوقا: "لما رأى الذين مع يسوع ما كان قالوا: يا ربّ نضرب بالسيف؟"1. ولم ينقل هذا الاستئذان سواه وأغفله الباقون.

47- ومما انفرد به يوحنا:

قال يوحنا: "كان اسم العبد مَلخس"2. ولم يذكر ذلك سواه.

48- ومما انفرد به يوحنا:

فصول الفارقليط3 فلم ينقلها سواه وأغفلها الباقون، فلم يذكروا منها حرفاً، وذلك يقضي بالمطاعن عليهم.

فلو وجدنا مصحفاً من مصاحف المسلمين قد أسقط منه سورة / (1/116/ب)لأزرنا4على فاعله،فكيف أن يهملها الكافلة ويثبتها واحد.

---

1 لوقا 22/49.

2 يوحنا18/10،ومعنى:(مخلس):ملك.وهو خادم رئيس الكهنة.(ر:قاموس ص 915).

3 يوحنا 14/16، 15/26، 16/7، وقد ا ستبدلت كلمة: "الفارقليط" في النسخ الحديثة للأناجيل بكلمة: "المعزى". وقد ذكر قاموس الكتاب ص 626: بأن كلمة: "المعزى" هو الروح القدس، ولم ترد إلاّ في إنجيل يوحنا، وبأن الكلمة الأحلية اليونانية: "براكليتيس" وتعني: "معز، ومعين، وشفيع، ومحام". اهـ.

والصحيح أن كلمة فارقليط تعني: الحمد وهو معنى اسم نبيّنا محمّد صلى الله عليه وسلم. وسوف نوضح ذلك - إن شاء الله في الباب العاشر في موضوع البشارات بنبيّنا محمّد صلى الله عليه وسلم.

4 الأزّ: السوق. والطرد، وإيقاد النار، والمراد به هنا الطرد. والله أعلم. (ر: القاموس المحيط ص 437).

==

49- ومما قالوا:

إن متى سها فيه: قوله: "إن يوسف صار بالمسيح إلى قرية يقال لها الناصرة ليتم قول النبي القائل إن المسيح يدعى ناصريا"1. قال العلماء: "ليس لذلك ذكر في نبوة من النبوات البتة"2.

50- وكذلك قوله - أعني متّى - :

في الفصل الأوّل: "إن يوسف ومريم هربا بالمسيح إلى مصر خوفاً من هيرودس ليتم ما قيل في نبوة النبيّ القائل من مصر دعوت ابني"3.

قالوا: ليس لهاتين النبوتين صحة4، فما هما إلاّ عنقاءمغرب5.

____

1 متى 2/23.

2 يقول قاموس الكتاب المقدس ص 647: "ويغلب الظن أن هذا اللقب الذي لُقب به المسيح في إنجيل متى 2/23، يشير إلى النبوة التي يسمى فيها المسيح (قضيب) بالعبري (ينصر) في سفر أشعيا 11/1 ونصّه: "ويخرج قضيب من جذع يسي"....".

قلت: إن هذه محاولة يائسة من مؤلفي قاموس الكتاب لإيجاد نبوءة من النبوات المتقدمة لأنبيائهم في إثبات صحة ما ورد في إنجيل متى، وإن الظن لا يغني من الحقّ شيئاً، والصحيح ما ذكره المؤلِّف بأن كلام متى ليس له ذكر في أقوال الأنبياء المتقدمين وأسفارهم بالعهد القديم، ويؤيّد قول المؤلِّف ما صرح به الأستاذ جون فنتون في كتابه: (تفسير إنجيل متى ص 51)، إذ يقول معلّقاً على نصّ إنجيل متى السابق: "إن مصدر هذه النبوءة غير معلوم" اهـ. إذن فأسفار الأنبياء لم تقل شيئاً مما ادّعاه متّى في إنجيله. والعلماء متّفقون على ذلك، ولا عبرة بمن خالف بظنه في لك، فشهادة متى لا يعرف لها أصل. (ر: المسيح في المصادر العقائد المسيحية - أحمد عبد الوهّاب ص 118).

3 متى 2/14، 15، 17.

4 يزعم قاموس المقدس ص 861، أن ما ورد في إنجيل متى 2/14، السابق إتمام لنبوءة وردت في سفر هوشع 11/1 ونصّها: "لما كان إسرائيل غلاماً أحببته ومن مصر دعوت ابني". اهـ.

قلت: للرّدّ على هذه المغالطة أنقل كلام جون فنتون في كتابه السابق ص 48، حيث يقول: "إن هذه الشهادة التي ساقها متى من سفر هوشع إنما تشير إلى دعوة الرّبّ للشّعب الإسرائيلي باعتباره ابناً له للخروج من مصر (على عهد موسى" اهـ. ويؤيّد ذلك أن إطلاق لفظ (الابن) على إسرائيل وبنيه قد ورد في التوراة سفر الخروج 4/21-23 في بدء رسالة موسى عليه السلام وفيه: "عندما تذهب لترجع إلى مصر... فتقول لفرعون: هكذا يقول الرّبّ: إسرائيل ابن البكر، قلت لك: أطلق ابني يعبدني"، ولهذا فإن ما ورد في سفر هوشع، إنما هو تذكير ببعض نعم الله على بني إسرائيل حينمنا دعاهم للخروج من مصر وتخليصهم من ذلّ فرعون، وليس هناك ما يجعلها نبوءة تشير إلى عودة للصبي يسوع؛ لأن ما ذكرته أسفار العهد القديم عن دعوة الابن من مصر لا يخرج عن كونه مجرد سرد لحادث مضى في زمن موسى عليه السلام.

5 عنقاء مغرب ومغربة: من الأمثال يقال: حلقت به العنقاء مغرب، يضرب لمن يئس منه، والعنقاء: الداهية وطائر معروف الاسم مجهول الجسم. وقال الدميري: بأن (عنقاء مغرب) من الألفاظ الدالة على غير معنى. (ر: الحيوان الكبرى 2/86، 90، والقاموس المحيط ص 1178).

==

51-حكاية الجحش والأتان وما اشتملت عليه من السخف والهذيان والزيادة والنقصان:

قال متى: "لما قرب يسوع من أورشليم أرسل اثنين من تلاميذه وقال: اذهبا إلى القرية التي أمامكما فإنكما تجدان أتاناً وجحشاً لم يركب مربوطين فحلاهما وأتياني بهما، فإن قيل لكما شيء فقولا الرّبّ يحتاج إليهما وهو يرسلها للوقت. فذهب التلميذان وفعلا ذلك / (117/1/أ) ووضعا الثياب عليهما وركب يسوع وفرشت له الثياب في الطريق وفرش آخرون أغصان الشجر، فلما دخل يسوع أورشليم ارتجلت له المدينة فقال الناس: هذا يسوع النبي الذي من الناصرة الجليل"1.

وقال مرقس: "لما قرب يسوع من أورشليم أرسل من تلاميذه رجلين وقال:امضيا فإنكماتجدان جحشاًمربوطاً"2.وكذلك قال لوقا. فأما يوحنا فقال:"إن[يسوع]3وجد حماراً فركبه"4.ولم يذكر سوى ذلك.

فمتى يقول: أتاناً وجحشاً، وذكر خطبة طويلة، ومرقس ولوقا لم يذكرا سوى الجحش، لا غير، ويوحنا لم يذكرهما البتة بل قال: إنه وجد حماراً فركبه5.

---

1 متى 21/1-8.

2 مرقس 11/1-8.

3 في ص (يسوعا) والصواب ما أثبته.

4 يوحنا 12/14.

5 لقد حاول القس منسي يوحنا في كتابه: (حلّ مشاكل الكتاب المقدس ص 125)، إيجاد جواب مقنع لهذا التناقض فقال: "فنجيب: أن متى ذكر ما حدث بالتفصيل، أما البشيرون الآخرون فذكروا فقط الجحش الذي ركبه المخلص".

قلت: إنه جواب غير مقنع، فإن متى ذكر أن المسيح: "قال للتلميذين: اذهبا إلى القرية التي أمامكما... تجدان أتاناً مربوطة وجحشاً معها فحلاهما". وأما مرقس فقد ذكر: "أن المسيح قال للتلميذين: اذهبا إلى القرية التي أمامكما... تجدان جحشاً مربوطاً لم يجلس عليه أحدٌ من الناس فحلاه". وذكره لوقا كذلك.

يتّضح من ذلك أن أقوال المسيح متناقضة في ذلك، ولا مجال لما زعمه القس منسي بأن متى ذكر ما حدث بالتفصيل، فإن الأناجيل روت الحادثة الواحدة بأمر المسيح وقوله، ثم بفعل تلميذيه، وهي متناقضة في ذلك تماماً. فإن أصر القس منسي على سخافته فإننا ننقل له اعتراف جون فنتون - عميد كلية اللاهوت - في كتابه: (تفسير إنجيل متى ص 329)، حيث يقول: "إن قول متى: (أتاناً مربوطة وجحشاً معها)، يخالف قول مرقس ولوقا: (جحشاً مربوطاً لم يجلس عليه أحدٌ من الناس"). اهـ

==

ولم يذكر الثلاثة إرساله إلى أصحاب المركوب واستئذانهم وفرش الثياب وأغصان الشجر، ودخول المدينة واتجاجها لدخوله، وشهادة الناس له، بأنه النبي الذي جاء من الناصرة، وما أحسن رباً يفتقر إلى ركوب الحمير وإلهاً يغتذى بالخمر والخمير. ما أخلق هذه المواضع من الإنجيل أن / (117/1/ب) يكون

اليهود قد أدرجها في أوّل نسخ الإنجيل [ليُضحكوا]1 الناس من دين النصراينة، ثم تناقلها النصارى بالغفلة وحسن الظن المانعين عن النظر في مقابح الكلام.

52- موضع آخر من الكتاب الشنيع:

قول إنجيلهم: "قال يسوع: ما جئت إلاّ الأخلص من كان ضالاً"2. ثم أكذب ذل فقال: "ما جئت لألقي على الأرض سلامة لكن سيفاً وأضرم بها ناراً"3.

____

1 في ص (ليصلحوا) ولعل الصواب ما أثبته.

2 متى 18/11، يوحنا 3/17، 12/47، بنفس المعنى.

3 متى 10/34-35.

===

الباب الرابع: في تعريف مواضع التحريف

فلم يكفه ادعاؤه صلب المسيح حتى لعنه صريحاً، وهب أنه اعتقد بفاسد عقله صلب المسيح، فمن أين له أن كلّ مصلوب ملعون؟!1 وقد صلب من أولياء الله وأصفيائه جماعة ليس الملعون إلاّ من فعل بهم / (1/118/أ) ذلك2.

فساد عقل إفريم:

قال إفريم - من قدماء الصنارى - إن اليدين التي جبلت طينة آدم هي التي سُمِّرت على الصليب، والشبر التي مسحت السماوات هي التي علقت على الخشبة.

وذلك خطأ بإجماع عقلاء النصارى؛ لأن الذي عُلق علىالصليب إنما هو الجسد المأخوذ من مريم، وأين كانت هذه الأجساد الإنسانية يوم خُمرت طينة آدم ويوم قُدرت السماوات والأرض؟! هل ذلك إلاّ جهل وضلال وغلوّ في عبادة الرجال؟!.

فهذا-رحمك الله-كتاب قد تلاعبت به بنيات الطرق وتزاحكت به [تراجمة] الفرق، وولد من لسان إلى لسان، وعبث به التحريف والتصحيف في كلّ زمان3.

____

1 قلت: ورد ذلك في سفر التثنية 21/22، كالآتي: "وإذا كان على إنسان خطية حقّها الموت فقتل وعلقته على خشبة فلا تبت جثته على الخشب بل تدفنه في ذلك اليوم؛ لأن المعلق ملعون من الله". ولذلك زعم بولس اليهودي بأن المسيح صلب تكفيراً عن خطيئة آدم وفداء عن البشرية وإثمها الذي تحملته بعد ذلك، لكي يجد بولس مبرراً لصلب المسيح حسب ما توهمه وقد أكّد ذلك في رسائله الأخرى. (ر: رسالته إلى أهل رومية 5/16، /18، ورسالته الثانية إلى أهل كورنثوس 3/7-9).

2 إن اعتراض المؤلِّف على النصارى بذلك صحيح، إنهم يزعمون بأن رئيس الحواريين بطرس، واندراوس أحد الحواريين قد قتلا صلباً. (انظر: قاموس ص 122، 177)، فإذا كان كلّ مصلوب ملعوناً فعليهم أن يلعنوا بطرس وهم لا يقولون بذلك. فحينئذٍ يتبيّن فساد ما قاله بولس.

3 إن بيان تناقضات الأناجيل وأسفار العهد الجديد بعضها ببعض وتعارضها مع التوراة وبقية أسفار العهد القديم وذكر ما وقع فيها من التبديل والتحريف يحتاج إلى كتاب ضخم لاستيفاء حقّه من البحث والتوضيح؛ وذلك لكثرة التناقض والتحريف فيهما، ولقد اهتمّ علماء المسلمين بهذا الجانب انطلاقاً من القرآن الكريم الذي صرح بتحريف التوراة والإنجيل وإلزاماً لأهل الكتاب بتحريف كتبهم وفساد دينهم، فلا يخلو كتاب في الرّدّ على اليهود والنصارى من باب أو فصل فيه بيان ذلك. (انظر: الفصل لابن حزم، إفحام اليهود للسموءل المغربي، هداية الحياري لابن القيم، الأجوبة الفاخرة للقرافي، وغير ذلك كثير).

كما أن هناك كتباً ألفت في هذا الموضوع خاصة مثل: كتاب (شفاء العليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل، لأبي المعالي الجويني)، و(على التوراة للباجي)، و(الفارق بين المخلوق والخالق، لباجه دي زاده الإشراف على مسائل الخلاف زاده).

وتجدر بنا الإشارة إلى كتاب: (إظهار الحقّ للشيخ رحمة الله الهندي) الذي أثبت وقوع التحريف والأغلاط والاختلاف والتبديل في التوراة والإنجيل بأدلة علمية دامغة، وبأقوال أحبارهم في ذلك مما يجدون معه ردّاً ولا جواب. وذلك في مواضع متعددة تزيد على الثلاثمائة بين الأناجيل ولما هي عليه من الأهمية عند النصارى نردد قول د. موريس بوكاي: "إذن فمن يجب أن نصدق؟! أنصدق متى أم مرقس أم لوقا أو يوحنا؟!". (ر: دراسة الكتب السماوية ص 93).

==

الباب الرابع: في تعريف مواضع التحريف

قال المؤلِّف - عفا الله عنه برحمته - : لقد رأيت على حاشية نسخة من نسخ الإنجيل على فصل من فصوله ما مثاله: ليس هذا الفصل في أناجيل القبطي ولا بعض أناجيل الرومي، فاستدللت بذلك على أن علوم القوم تفرقتها أيادي سبأ، وعصفت عليها رياح التبديل فأصارتها كالهباء كما / (1/118/ب) أخبر عن ذلك الكتاب العزيز إذ يقول: {يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَن مَوَاضِعِهِ}1. أي: يميلون بالأحكام عن مواضعها ويسلكون بها غير سننها ويجرونها سوى مجاريها.

والفصل المشار إليه: هو: "أن الكتبة والفريسيين قدموا إلى يسوع امرأة وجدت في زنى فأقاموها في الجمع وقالوا: يا معلم إن هذه المرأة وجدناها تزني وفي ناموس موسى يجب عليها الرجم فما تقول أنت؟ وإنما قالوا ذلك ليجدوا عليه حجّة فأطرق يسوع ينكت الأرض بإصبعه ثم رفع رأسه وقال: من منكم بغير خطيئة فليرجمها أوّلاً بحجر؟ ثم أطرق ثم أطرق ينكت الأرض فلما سمعوا مقالته خرجوا بأسرهم وبقي يسوع وحده والمرأة قائمة فرفع يسوع رأسه إليها وقال:يا امرأة أين أولئك الذين أدانوك؟ قالت:ما أرى منهم أحداً. فقال يسوع: ولا أنا أيضاً أدينك اذهبي الآن ولا تعودي إلى الخطيئة"2.

____

1 قال تعالى: {يُحَرِّفُونَ الكِلِمَ عَن مَواضِعِهِ وَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِرُوا بِهِ...}. [سورة المائدة، الآية: 13].

2 يوحنا 8/1-11.

==

ألا ترى أنهم كتموا ذلك وغيروا حكمه.ولقد مروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بيهوديين قد زنيا وحمما وطيف بهما فاستدعاهم / (1/119/أ) صلى الله عليه وسلم واستدعى التوراة وأمر بعض أحبارهم بقراءتها فوضع الجريدة على آية الرجم وقرأ ما قبلها وما بعدها. فقال له عبد الله بن سلام: ارفع يدك أي عدوّ الله، فرفع يده عنها فإذا آية الرجم تلوح فقرأها عبد الله على سول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام: "ما حملكم على ذلك؟". قالوا: ثقلت علينا فصرنا إذا زنى الشريف منا حممناه وأطفناه، وإذا زنى الضعيف والخامل أقمنا عليه الحدّ. فقال عليه السلام: "أشهد أبي عبد الله ورسوله، ثم أمر بهما فرجما"1.

فإن قيل: كيف أسقط المسيح عنها الحدّ والتّوراة والكتاب العزيز شاهدان بوجوب الحدّ على الزاني.

قلنا: القوم الذين جاءوا بالمرأة وشهدوا عليها بالزنى كانوا كفاراً فلم يقبل شهادتهم المسيح. والدليل على كفركم قوله: "إنهم جاءوا متعبين له شاكين في نبوته مع ظهور أعلامها". وإنما أتو بالمرأة ليجدوا عليه حجّة كا ذكر الفصل المشار إليه وإذا كانوا / (1/119/ب) إنما أتوا طالبين غرته2 ملتمسين عثرته، وهو نبي الله الكريم عليه، فكيف يقبل شهادتهم، وأما المرأة فلم تقر عنده بالزنى ولم تعترف به، والحدّ لا يثبت إلاّ بحجة معتبرة، وهي إما شهادة جازمة أو إقرار صحيح، والكافر مردود القول3. والله أعلم.

____

1 أخرجه البخاري في كتاب الحدود باب 37. (ر: فتح الباري 12/166)، ومسلم 3/1326، 1327. عن عبد الله بن عمر والبراء بن عازب.-رضي الله عنهم-.

2 غَرَّه: خدعه وأطمعه بالباطل. (ر: القاموس ص 577).

3 إن هذه الاحتمالات التي ذكرها المؤلِّف من باب التّنْزِل في الناظرة والتسليم الجدلي بصحّة النّصّ السابق، وإلاّ فإنّ النّصّ لا يسلم لهم بصحّته لانفراد يوحنا بذكره مع اشتهاره وتوفر الداعي لتواتر نقله، وكذلك ما ذكره المؤلِّف من عدم وجود هذا النّصّ في أناجيل أخرى.

==

الباب الخامس: في أنّ المسيح عليه السلام وإن قُصدَ وطُلبَ فما قُتلَ وما صُلبَ

نورد هذا الفصل على نصّه لتقفوا عليه وتعجبوا من هذه النقائص التي نسبها النصارى إلى المسيح مع قولهم بربوبيته واعتقادهم أنه خالق السماء والأرض وجامع الناس ليوم العرض1.

قال النصارى: بينما يسوع [جالس]2 مع تلاميذه ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر نيسان إذ جاء يهوذا الإسخريوطي أحد الاثني عشر ومعه جماعة معهم السيوف والعصي من عند رؤساء الكهنة ومشائخ الشعب وقد قال لهم يهوذا: الرجل الذي أُقبله هو هو فأمسكوه، ثم جاء يهوذا وقال / (1/120/أ) : السلام عليك يا معلم، ثم قبله فقال يسوع: ألهذا جئت يا صاحب؟ فوضعوا أيديهم عليه وربطوه

3 فتركه التلاميذ كلهم هربوا فقال يسوع: مثل ما يفعل بالصوص خرجتم إليَّ بالسيف والعصى وأنا عندكم في الهيكل كل يوم أُعلم

---

1 إننا نعجب ونستنكر - أيضاً - من تناقض الأناجيل بعضها ببعض في سرد الأحداث التي جرت قبل الصلب وبعده وأحداث قيامة المسيح من الموت - حسب زعمهم - وأمام هذه التناقضات الواضحة - فيما سنرى - لا يسع العاقل إلاّ أن يرفض تلك الروايات المكذوبة المتناقضة ويحكم ببطلانها جميعاً لعدم إمكان تمييز الصادق والكاذب منها.

2 في ص (جالسا) والصواب ما أثبته.

3 إن حادثة القبض على المسيح عليه السلام ترويها الأناجيل بصورة متناقضة مع بعضها، فقد اتّفقت روايتا متى 26/47-50، ومرقس 14/43-46 على أنّ يهوذا الإسخريوطي الخائن قد قبل المسيح حينما جاء بالجند للقبض عليه - وقد كانت القُبلة هي العلامة المتّفق عليها بين يهوذا والجند لتمييز المسيح عن تلاميذه - .

أما رواية لوقا 22/47، 48، فتذكر بأنه: "بينما هو - أي: المسيح - يتكلم إذا جمع والذي يدعي يهوذا أحد الاثني عشر يتقدمهم، فدنا من يسوع ليقبله فقال له: يسوع: يا يهوذا. أبقبلة تسلم ابن الإنسان؟!.. فأخذوه وساقوه".

وأما رواية يوحنا 18/1-12، فإنها لا تذكر شيئاً عن تلك القبلة. (ر: نصّ رواية يوحنا في ص 223).

ويظهر تناقض آخر في هذه الحادثة وهو: أن كلاً من متى ومرقس يذكران أنّ تحية وكلاماً قد جرى بين يهوذا والمسيح أثناء القبض، بينما يصمت لوقا عن ذكر تلك التحية، ولا يذكر يوحنا عن يهوذا شيئاً سوى الصمت التام بعد أن قاد الجند إلى مكان المسيح للقبض عليه.

==

الباب الخامس: في أن المسيح عليه السلام وإن قصد وطلب فما قتل وما صلب

فلم تعرضوا لي1، لكن هذه ساعة سلطان الظلمة2، إلى رئيس الكهنة3 حيث يجتمع الشيوخ4 - وتبعه بطرس من بعيد ودخل معه الدار ليلاً وجلس ناحيةً منها متنكراً ليرى ما يؤول أمره إليه5 - فالتمس المشائخ على يسوع شهادة ليقتلوه بها فجاء جماعة من شهود الزور، ثم تقدم منهم اثنان فشهدا أن يسوع قال: أنا أقدر أنقض هيكل الله وأبنيه في ثلاثة أيام، فقال له الرئيس: أما تجيب عن نفسك بشيء؟ فسكت يسوع فأقسم عليه رئيس الكهنة بالله الحي: أنت المسيح؟ فقال له المسيح: أنت قلت ذلك وأنا أقول لكم إنكم من الآن لا ترون ابن الإنسان حتى ترونه جالساً عن يمين القوة وآتيا في سحاب السماء. فلما سمع رئيس الكهنة ذلك شقَّ ثيابه وقال: ما

---

1 متى 26/55، 56، مرقس 14/48-50، لوقا 22-52، 53.

2 انفرد بهذه العبارة لوقا 22/53.

3 رواية متى 26/57، ومرقس 14/53، لوقا 22/54، تفيد أن الجند ذهبوا بالمسـيح إلى رئيس الكهنـة مباشرة. أما رواية يوحنا 18/12-14، فإنها تذكر أن الجند ذهبوا بالمسيح إلى حنا أوّلاً - وهو حنا قيافا رئيس الكهنة - بدلاً من الذهاب إلى رئيس الكهنة مباشرة كما ذكر الثلاثة الآخرون.

4 تفيد روايات متى 26/57-60، ومرقس 14/53-55، ويوحنا 18/15-20، أن محاكمـة المسـيح أمـام مجمع اليهود كان في الليل عقب القبض عليه مباشرة. أما رواية لوقـا 22/54-71 فإنهـا تفيـد أن المحكمـة كانت في صباح اليوم التالي لعملية القبض.

5 إن قصّة إنكار بطرس للمسيح بعد القبض عليه من مواضع الخلاف الواضح بين مـا ترويـه الأناجيـل. قارن: رواية متى 26/58-75، ومرقس 13/53-72، ولوقـا 22/54-61، ويوحنـا 18/16-27. وذلـك الخلاف الواضح بين الروايات دفع نينهام - استاذ اللاهوت بجامعة لندن - أن يقول: إنّ قصة إنكار بطرس تثير عـدداً من المشاكل... ويرى بولتمان أنه أسـطورية..."ـ اهــ (ر: تفسـير إنجيـل مـرقس ص 401ـ، 409، نقلاً من كتاب: (المسيح في مصادر ص 155، لأحمد عبد الوهّاب).

==

الباب الخامس: في أن المسيح عليه السلام وإن قصد وطلب فما قتل وما صلب

حاجتنـا إلى شـهادة هـوذا / (1/120ب) قـد سـمعتم تجديفـه، مـاذا تـرون في أمـره؟ فقـالوا: هـذا مستوجب الموت. فحينئذٍ بصقوا في وجهه ولطموه وضربوه وهزؤوا به جدّاً وجعلوا يلطمونـه ويقولـون لـه: بيِّن لنا أيّها المسيح من لطمك1، ولما كان من الغد أسلموه لفلاطس القائد فتصايح الشعب بأسـره وقـال: يصلب يصلب.

فتحرج فيلاطس من قتله وقال: أيُّ شيء فعل هـذا؟ فقـال الشـيوخ: دمـه عليهم وعلى أولادهمم2، فحينئذٍ سـاقه جنـد القائـد إلى الأبروطـورون3 واجتمـع عليـه الشـعب ونزعـوا ثيابـه وألبسـوه لباسـاً أحمـر [فضفَّروا]4 إكيلاً من الشوك وتركوه على رأسـه وجعلـوا في يـده قصـبه، ثم جثـوا على ركبهم يهـزءون بـه ويقولون: السلام عليك يا ملك اليهود، وشرعوا يبصقون عليه ويضربونه في

---

1 متى 26/59-68، مـرقس 14/55-65، أمـا روايـة لوقـا 22/63-71، ويوحنـا 18/19-13، فلم تـذكر قصة شهود الزور على المسيح.

2 متى 27/1، 2، 11/26، مرقس 15/1-14، يوحنا 18/28-40.

أما رواية لوقا 23/1-25، فقد انفردت بأن محاكمة المسيح أمام بيلاطس (والي اليهودية) حـدثت على مرحلتين: الأولى: عندما قام جمهورية اليهودية وجاءوا بالمسيح إلى بيلاطس. والثانية: بعـد محاكمـة أخـرى كانت أمام هيرودس - (حاكم الجليل) والتي قد انفرد بذكرها أيضاً لوقا دون سائر الأناجيل.

3 دار الولايـة. وكلمـة (وال) ترجمـة عربيـة لكلمـتين لاتينيـتين: (بروقنصـل) أو (بروتوكوراتـور). (ر: قاموس الكتاب ص 1040).

4 في ص (فطفروا) والصواب ما أثبته.

الباب الخامس: في أن المسيح عليه السلام وإن قصد وطلب فما قتل وما صلب

رأسه1، ثم ذهبوا بـه وهو يحمل صليبه2 إلى موضع يعـرف بالجمجمة3 فصـلبوه4 وسـمَّروا يديـه على الخشبة: وسألهم شربة ماء، فأعطوه خلاً مذاباً بمر فذاقـه ولم يسـغه، فنـادى على الخشـبة: إلهي إلهي لم خذلتني؟5 وجلس الشرط فاقتسموا ثيابه بينهم بالقرعة وجعلوا عند رأسه لوحاً مكتوبـاً هـذا يسـوع ملـك/(1/121/أ)اليهود6استهزاءً به،ثم جاءوابلصين فجعلوهما عن يمينه وشماله تحقيراً له7، وكان اليهـود يقولـون له: يا ناقض الهيكل وبانيه في ثلاثة أيام خَلص نفسك إن كنت ابن الله كما تقول أنزل عن الصليب.

وقال اليهود: هذا يزعم أنه خلص غيره فكيف لم يقدر على خلاص نفسه؟! أن كان متوكلاً على اللـه فهو ينجيه مما هو فيه8،

---

1 رواية متى 27/27-28، ومـرقس 15/16-19، ويوحنـا 19/1-5، تفيـد أن الجنـود الـذين سـخروا من المسيح واضطهدوه هم جنود الوالي بيلاطس. لكن روايـة لوقـا 23/11، تفيـد بـأنهم جنـود هـيرودس وليس جنود بيلاطس.

2 نجد حسب رواية متى 27/32، ومرقس 15/11ت، ولوقا 23/26، أن شخصاً مجهولاً يدعى سـمعان القيرواني هو الذي سخره الرومان لحمل الصليب بدلاً من المسيح، لكن يوحنا 19/16، 17، لم يذكر ذلك.

3 الجمجمـة: هي مضـوع الجلجثـة حيث يـزعم النصـارى أن المسـيح صـلب هنـاك. ويقـول نينهـام: "وبالنسبة لموضع جلجثة فإن التقاليد تقول: إنه يقع داخل كنيسة القبر المقدس، لا يمكن إرجاعها لأبعد من القرن الرابع، كما أنها لا تزال موضع جدل، ولقد اقترحت أمـاكن أخـرى في عصـرنا الحاضـر، إلاّ أنّ القطـع بواحد منها لا يزال بعيداً عن التحقيق". (ر: تفسير إنجيل مرقس ص 422، فاقوس ص 267، 268).

4 إن هناك اختلافاً واضحاً في تجديد وقت الصلب، حيث يقول مرقس 15/25: "وكانت الساعة الثالثـة فصلبوه". ا.هـ. لكن يوحنا 19/14-16، يقول: "إن الصلب حدث بعد الساعة السادسة"!!!.

5 لم ترد هذه العبارة في هذا الموضع بالأناجيل، ولعله وهم من المؤلِّف.

6 متى27/34-37، مرقس15/23-26، لوقا 23/36-38، يوحنا19/19-29.

7 يتّفق متى 27/38، 44، مـع مـرقس 15/27، 32، في أن اللصـين اللـذين صـلبا مـع المسـيح كانـا يعيرانه.

لكن لوقا 23/39-43، يذكر أن أحد اللصين كان يعير المسيح، أما اللص الآخر فكـان ينهـر اللص الأوّل ويطلب الدعاء من المسيح بأن يكون معه في ملكوته. أما يوحنا 19/18 فلم يذكر شيئاً عن موقف اللصـين من المسيح.

8 مـتى 27/39-43، مـرقس 15/29-32، لوقـا 23/35-36. أمـا يوحنـا فلم يـذكر شـيئاً من ذلـك. (ر: الإصحاح (16".

ولما كان ست ساعات من نهار الجمعة صرخ يسوع وهو على الصليب بصوت عظيم فقال: "[ألوى ألوى لما شبقتني]1 تفسيره (إلهي إلهي لم تركتني؟"2. فأخذ اليهود أسفنجة فيها خل ورفعها أحدهم إلى قصبة وسقاه وقال آخر منهم: دعوه حتى نرى من يخلصه، فصرخ يسوع وأمال رأسه وأسلم الروح3 فأنشق جدار الهيكل وتزلزلت الأرض وانشقت الصخور وتفتحت القبور وقام كثير من القديسين من قبورهم فدخلوا المدينة المقدسة وظهوراً للناس4، ولما كان المساء جاء رجل من الرامة يسمى يوسف فسأل القائد جسد يسوع فأمر له به فلفه يوسف بلفائفنقيه وتركه في قبر كان قد نحته في صخرة، ثم جعل على باب القبر حجراً ظيماً5/ (1/121/ب) وجاء مشائخ اليهود من الغد الذي بعد الجمعة إلى فيلاطس القائد فقالوا: يا سيد ذكرنا أن ذاك الضال كان قد قال لتلاميذه: أنا أقوم بعد ثلاثة أيام، فلو أمرت من يغلق القبر ويحرسه حتى تمضي المدّة كيلا يأتي تلاميذه ويسرقونه ثم يشيعون في الشعب أنه قد قام فتكون الضالة الثاني [شرّاً]6 من الأولى، فقال لهم القائد: اذهبوا وسدوا عليه وحَرِّسُوا كما تريدون، فمضوا وفعلوا ما أرادوا7،

---

1 في ص (الوى الوى إيما صاصا) والمثبت من إنجيل مرقس 15/34.

2 هذه العبارة من رواية مرقس 15/34.

أما رواية متى 27/46 فهي: "إيلي إيلي لما شبقتني. أي: إلهي إلهي لماذا تركتني؟". بينما لم يذكر لوقا ويوحنا هذه العبارة في إنجيلهما.

ويتساءل هنا المؤرّخ ول ديورانت: "هل يمكن أن يكون الإيمان العظيم الذي أعاد المسيح في موقفه أمام بيلاطس". (ر: يوحنا 18/33-39). قد انقلب في تلك اللحظات المريرة إلى شكّ أسود؟! ولعل لوقا قد رأى أن هذه العبارة لا تتّفق مع عقائد بولس الدينية فبدّلها بقوله: "يا أبتاه في يديك استودع روحي". وهي عبارة تردد صدى الفقرة الخامسة من المزمور الحادي والثلاثين ترديداً يثير الريب لما فيه من دقة". اهـ.

3 متى 27/47-50، مرقس 15/35-37، لوقا 23/46، يوحنا 19/28-30.

4 إن الأحداث التي وقعت عقب الصلب ترويها الأناجيل بصورة متناقضة يظهر فيها الكذب والخيال الفاضح. انظر: ص 228، لبيان التفصيل في ذلك.

5 متى27/57-60،مرقس 15/42-47، لوقا 23/50-54، يوحنا 19/38-42.

6 في ص (شر) والصواب ما أثبته.

7 انفرد متى 27/62 - عن سائر الأناجيل الأخرى - بما ذكره عن طلب اليهود من بيلاطس أن يرسل حراساً لضبط القبر واستجابته لهم.

==

الباب الخامس: في أن المسيح عليه السلام وإن قصد وطلب فما قتل وما صلب

وفي عشية يوم السبت جاءت مريم المجدلانية ومريم رفيقها لينظرن إلى القبر1 - وفي إنجيل مرقس - إنما جاءت مريم يوم الأحد بغلس2، وجلس عنده وعليه ثياب بيض كالبرق، فكاد الحراس يموتون من هيبته، ثم قال للنسوة: لا تخافا قد علمت أنكما جئتما [تطلبان]3 يسوع المصلوب ليس هو هاهنا إنه قد قام تعالين فانظرن إلى المكان الذي كان فيه الرّبّ واذهبا وقولا لتلاميذه: إنه يسبقكم إلى الجليل، فمضتا وأخبرتا التلاميذ4، ودخل / (1/122/أ) الحرس وأخبروا رؤساء الكهنة الخبر، فقالوا: لا تنطقوا بهذا وأرشوهم بفضة على كتمان القضية فقبلوها منهم وأشاعوا أن تلاميذه جاءوا وسرقوه ومهدت المشائخ عذرهم عند القائد5، ومضت الأحد عشر تلميذاً إلى الجليل6، وقد شكّ بعضهم

---

1 ذكر ذلك متى في إنجيله 18/1، أما لوقا 24/1، 2، فيذكر أن الزائرات للقبر جمع من النساء، أما يوحنا 20/1، فيجعل مريم المجدلية هي المرأة الوحيدة التي ذهبت لزيارة القبر ثم ذهبت فأحضرت معها بطرس ويوحنا.

2 مرقس 16/1، ويذكر أن الزائرات للقبر كن ثلاث نسوة.

3 في ص (تطلبن) والصواب ما أثبته.

4 ذكر ذلك متى في إنجيله 18/1، أما رواية مرقس 16/5-8، فتذكر أن النساء رأين شاباً جالساً عن اليمين في القبر لابساً حلة بيضاء...، وأما رواية لوقا 24/4-9، فتذكر بأن النساء رأين رجلين بثياب براقة، وفي يوحنا 20/11-13، نجد أنهما ملاكين بثياب بيض جالسين - في القبر - واحداً عند الرأس والآخر عند الرجلين. ويعلق فرانك موريسون في كتابه: (من دحرج الحجر؟ ص 182)، على هذه الرويات بقوله: "إن هذه الروايات - التي نقل عنها كل من متى ولوقا - قد تطورت واختلفت بفعل النسيان، وهكذا فإن الشاب الواحد الذي كان عند المقبرة - والذي كان في الحقيقة شاباً واحداً حسب القصة الأصلية - قد أصبح بمرور الزمن الملاك العظيم في إنجيل متى، والزائرين السماويين بثياب براقة في إنجيل لوقا. وهكذا أيضاً فإن دحرجة الحجر بعيداً (عن القبر). - قد أصبحت موضوعاً للكثير من الحدس والتخمين، فقال: بعضهم: إن الحجر دحرج نفسه بعيداً، بيمنا قال آخرون: قد دحرجته الملائكة". اهـ.

5 انفرد متى 11/2-15 بذكر ذلك عن سائر الأناجيل الأخرى.

6 يتّفق متى 28/16، 17، مع مرقس 16/7، 14، على أن لقاء المسيح بتلاميذه حدث في الجليل، واختلفا بذلك مع لوقا 24/33-36، ويوحنا 20/19-22، اللذين جعلا مكان اللقاء في أورشليم.

==

وجاءهم وكلمهم، وقال لهم: اذهبوا فعمدواكلّ الأمم وعلموهم ما أصيكم به وهوذا أنا معكم إلى انقضاء1 الدهر2.

قال المؤلِّف - عفا الله عنه -: أوّل ما نفاتح النصارى أن نقول: ما ادعيتموه من قتل المسيح وصلبه أتنقلونه تواتراً أو آحاداً؟.

فإن زعموا أنهم ينقلونه نقل الآحاد لم تقم بذلك حجة ولم يثبت العلم الضروري، إذ الآحاد لا يؤمن عليهم السهو والغفلة والتواطؤ على الكذب، وإذا كان الآحاد يعرض [لهم]3 ذلك فلا يحتج بهم في القطعيات4.

____

1 نصّ المؤلِّف مقتبس من إنجيل متى 28/17-20، وأشار إليه مرقس 16/14، 15، ولوقا /36، 24-47.

2 وبعد هذه التعليقات المختصرة ما ذكر في الباب السابق في بيان ما في الأناجيل من التناقضات وخصوصاً في حادثة الصلب المزعومة نخلص إلى النتيجة التي توصل إليه ول ديورانت حيث يقول: "وملاك القول أن ثمة تناقضاً بين بعض الأناجيل والبعض الآخر، وأن فيها نقطاً تاريخية مشكوك في صحتها، وكثيراً من القصص الباعثة على الريبة والشبهة بما يروي عن آلهة الوثنيين، وكثيراً من الحوادث التي يبدو أنها وضعت عن قصد لإثبات وقوع كثير من النبوءات الواردة في العهد القديم، وفقرات كثيرة، ربما كان المقصود منها تقدير أساس تاريخي لعقيدة متأخرة من عقائد الكنيسة أو طقس متأخر من طقوسها...، ويبدو أن ما تنقله الأناجيل من أحاديث وخطب قد تعرضت لما تتعرض له ذاكرة الأميين من ضعف وعيوب ولما يرتكبه النساخ من أخطاء أو تصحيح".اهـ (ر: قصة الحضارة 11/210، بتصرف يسير). فهذه شهادة عالم من علمائهم واعتراف منه بوقوع التحريف بالزيادة والنقصان في أناجيلهم.

3 إضافة يقتضيها السياق.

4 يعلّق الإمام القرافي على قصة الصلب في الأناجيل بقوله: "فإنه لو وقع الصلب ونقل بأخبار الآحاد لم يحصل لنا علم بالصلب؛ لأن المتواترات إذ نقلت بأخبار الآحاد سقط اعتبارها في إفادة لاعلم لجواز كذب الناقل فلا يكون عدد التواتر حاصلاً في نفس الأمر". اهـ (ر: الأجوبة الفاخرة ص 53).

ويقول الإمام ابن القيم في مختصر الصواعق ص 571: "خبر الواحد بحسب الدليل الدال عليه، فتارة يجزم بكذبه لقيام دليل كذبه، وتارة يظن كذبه إذا كان دليل كذبه ظنياً، وتارة يتوقف فيه فلا يترجح صدقه ولا كذبه إذا لم يقم دليل أحدهما، وتارة يترجح صدقه ولا يجزم به، وتارة بصدقه جزماً لا يبقى معه شك.

فليس خبر كلّ واحد يفيد العلم ولا الظن، ولا يجوز أن ينفى عن خبر الواحد مطلقاً أنه يحصل العلم فلا وجه لإقامة الدليل على أن خبر الواحد لا يفيد العلم وإلاّ اجتمع النقيضان". اهـ.

==

وإن عزوا ذلك إلى التواتر، قلنا لهم: شرط التواتر استواء الطرفين فيه والواسطة، وهو أن ينقل الجم الغفير عن الجم الغفير الذين

____

وعلى هذا فإن الخبر الوارد في الأناجيل بصلب المسيح لا يثبت له العلم الضروري بل يجزم بكذبه لقيام الأدلة على ذلك منها:

أ- أنـه بالنسـبة لنـا - نحن المسـلمين - فقـد ورد النّصّ الصـريح من القـرآن الكـريم بتكـذيب اليهـود والنصارى فيما زعموه، فقال تعالى: {وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ}.

ب- أنه لا يمكن الوثوق بالمصادر النصرانية لجهالة مؤلفي الزناجيل ومترجميها ثم عدم السند المتّصل لصحة نسبها إلى أصحابها، وقد سبق الحديث عن ذلك.

ج- تناقض الأناجيل بعضها ببعض واختلافها لفظاً ومعنىً خاصة فيما يتعلق بأحداث الصلب، وهو ما بينه المؤلِّف في هذا الباب وقد سبق التعليق على بعض ذلك.

د- أنه لا يلزم تصديق النصارى في ذلك؛ لأن مرجعهم إلى خبر اليهـود الـذين دخلـوا على المسـيح في البيت وادعوا القبض عليه وصلبه، وهم عدد قليل لا يبعد تواطؤهم على الكـذب، ولأنهم لم يكونـوا على علم بمن قتلوه حتى أكثروا رجلاً يدلهم عليه مع اشتهار أمر المسيح ووضوح دعوته عند الناس.

هـ- أنه لم يحضر أحد من كاتبي الأناجيل حادثة الصلب والقتل كما هو ظاهر في الأناجيل، فخـبرهم إذاً لم يكن عن أمر محسوس ومشاهد.

و- أن المسيح عليه السلام يجري على يديه من الآيات وخوارق العـادات-الـتي هي من معجزاتـه-مـا لا يستبعد معه قلب الحقائق فيما يبدو للناظر وإن كان محسوساً.

ز- أن قصة صلب المسيح كحادثة وقعت أو كعقيدة تكفيراً عن الخطيئة ليست أمراً مجمعـاً عليـه عنـد جمـع النصـارى، فقـد ورد في تـاريخ موسـهيم المـؤرخ البروتسـتانتي - الـذي يـدرس في مـدارس اللاهـوت الإنجلية - أن كثيراً من فرق النصارى كانت ترفض حصول الصـلب رفضـاً كليّـاً؛ لأن البعض منهم كـان يعـده إهانة لشرف المسيح ونقصاً يلحـق بـه، والبعض الآخـر كـان يـرفض اسـتناداً على الأدلـة التاريخيـة، وهـؤلاء الجاحدون للصلب طوائف كثيرة منها:

1- الساطرينوسيوف

2- والكاربوكراتيون

3- والمركيرنيون

4- والبارديسانيون

5- والتاتبانيسيون

6- والمايتسيون

7- البارسكاليونيون

8- واليولبيسيون

9- والدوسيتية

10- المرسيونية

11- الفلتطائيائية " اهـ.

وكـذلك طائفـة الباسـيليديون. (ر: كتـاب عقيـدة المسـلمين في بعض المسـائل النصـراينة ص 49، لـ دوارسيوس الفرنسي، نقلاً عن كتاب الفـارق بين الخلـق والمخلـوق، ص 281، لــ عبـد الـرحمن البغـدادي، (باجة ذي زادة)، المسيح في مصادر العقائد المسيحية ص 273-276، مهندس أحمد عبد الوهّاب".

ح- وجود أناجيل أخرى قد أنكرت صلب المسيح عليه السلام، ومنها: (إنجيل برنابا) وفيه نجاة المسـيح من كيد اليهود رفعه إلى السماء حيا وأن الصلب والقتل إنما وقع على

به وعلموه ضرورة، فإن / (1/122/ب) اختل شيء من ذلك فلا تواتر، وإن زعم النصارى أن خبرهم في قتل المسيح وصلبه بهذه الصفة أكذبتهم نصوص الإنجيل التي بأيديهم إذ قال نقلته الذين دونوه لكم وعليهم معولكم: "إن المأخوذ للقتل كان في شرذمة من تلاميذه فلما قبض عليه هربوا بأسرهم ولم يتبعه سوى بطرس من بعيد فما دخل الدار حيث اجتمعوا نظرت جارية منهم إلى بطرس فعرفته فقالت: وهذا كان معه، فحلف بطرس أنه لا يعرف يسوع ولا يقول بقوله وخادعهم فذهب ولم يعد، وأن شاباً تبعه وعليه إزار فتعلقوا به فترك إزاره في أيديهم وأفلت عرياناً"1.

فهؤلاء أصحابه وأتباعه لم يحضر منهم ولا رجل واحد بشهادة الأناجيل، وأما أعداؤه من اليهود الذين تزعم النصارى أنهم حضروا الأمر فلم يبلغوا عدد التواتر أصلاً بل كانوا آحاداً وأفراداً، فمن نازع فيما قلناه ونقلناه فهذا الإنجيل

يهوذا الإسخريوطي الذي أخذ الرشوة من اليهود ليدلهم على مكان المسيح عليه السلام. (ر: إنجيل برنابا الإصحاح (14) وما بعده إلى نهاية الإنجيل".

ط- وردت تنبوءات كثيرة في سفر المزامير بنجاة المسيح عليه السلام من الصلب والقتل منها: مزمور 20/1-6: "ليستجيب لك الرّبّ في يوم الضيق ليرفعك اسم إله يعقوب، ليرسل لك عوناً من قدسه... الآن عرفت أن الرّبّ مخلص مسيحه..."ـ مزمور 4/1ـ 22: "في يوم الشّرّ ينجيه الرّبّ، الرّبّ يحفظه ويحييه ويغتبط في الأرض ولا يسلمه إلى مرام أعدائه...". (للتوسع في تنبوءات المزامير انظر: الدراسة القيمة للمهندس أحمد عبد الوهّاب في كتابه: (المسيح في مصادر ص 207-270).

فآحاد هذه الأدلة كافية في إبطال دعوى النصارى بصلب المسيح وقتله، فكيف بمجموعها؟!!.

ولم يبق أمام أصحاب العقول والأفهام من اليهود والنصارى، إلاّ الإيمان بما ورد في القرآن الكريم والسنة الصحيحة بأن المسيح عليه السلام لم يصلب ولم يقتل بل رفعه الله إلى السماء الدنيا حيّاً بجسده وروحه عليه السلام إلى أن يحين نزوله إلى الأرض - ويكون ذلك من علامات الساعة الكبرى - فيقتل المسيح الدجال ويكسر الصليب ويقتل الخنْزِير ويضع الحرب ويحكم بشريعة نبيّنا محمّد صلى الله عليه وسلمـ (ر: صحيح البخاري بشرحه فتح الباري 2/256، وصحيح مسلم 1/135، وكتاب التصريح بما تواتر من نزول المسيح للشيخ محمّد أنور شاه الكشيمري، وكتاب عيسى بن مريم آخر الزمان للأمام السيوطي، وفتوى صادرة من اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء رقم الفتوى 1621، في 11/7/1397هـ). 1 متى الإصحاح (26)، مرقس الإصحاح (14)، لوقا الإصحاح (22)، يوحنا الإصحاح (18).

الذي بأيديهم حكماً فيما بيننا وبينه، وإذا ثبت أن أتباع المسيح لم يحضر منهم أحد، واليهود الذين حضروا عصابة / (1/123/أ) قليلة دون عدد التواتر يجوز عليهم السهو الغلط واعتماد الكذب؛ لم يجب قبول أقوالهم.

فلا جرم قُدم تواتر الكتاب العزيز وهو قوله تعالى: {وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُم}. [سورة النساء، الآية: 157].

ومما يزيد الأمر وضوحاً قول الإنجيل: "إن مريم لما جاءت لزيارة القبر رأت مَلَكاً قد نزل من السماء برَجة عظيمة، فدحرج الحجر عن فم القبر وجلس عنده فكان الحراس يموتون من هيبته، وبادروا من فورهم إلى مشائخ اليهود وأعلموهم بالقصّة، فأرشاهم المشائخ بشروة وتقدموا إليهم بستر القصة والإشاعة أن تلاميذ المصلوب سرقوه ومهدوا لهم عذرهم عند القائد"1.

وإذا كان الأمر كذلك فما يؤمنكم أن تكون هذه العصابة من اليهود قد صلبوا شخصاً من أصحاب يسوع وأتباعه وأوهموا الناس أنه المسيح ليغضوا منه ويحطوا من قدره، حيث جهدوا جهدهم في طلبه فلم يقدروا عليه وأعوزتهم وجوه الحيل في مغالبته كما فعلوا في ستر الآية التي ذكرتهم؟!

وإذا كان أصحابكم الموقنون العدول / (1/123/ب) عندكم لم يحضر منهم أحد البتة واليهود الكفار المدَلِّسون شرذمة قليلة وأكثرهم لم يعرف المسيح، لم يحصل لكم غلبة ظنٍ بقتل المسيح فضلاً عن حصول العلم الضروري.

---

1 متى 28/1-15.

==

الباب الخامس: في أن المسيح عليه السلام وإن قصد وطلب فما قتل وما صلب

وها نحن نورد من الحجج المقبولة عندكم ما يقضي بغلطكم في قتل المسيح وصلبه ويحقّق لكم أن المفعول به ذلك سواه هو الشبه الذي نقول به إن شاء الله تعالى.

- الحجّة الأولى:

لا شكّ ولا خفاء أن كتابكم ينطق في غير موضع: "أن المسيح نشأ بين أظهر اليهود وتردد معهم في مواسمهم وأعيادهم وزاحهم في مجامع قراراتهم يعرفونه ويعرفون أمه وسبطه، وأنه حين بهر في علم التوراة والنبوات كان يعلم عندهم في الهيكل بأورشليم ويناظر أحبارهم فيبهتهم بحسن التعليم فيقولون: أليس هذا ابن يوسف؟! أليس أمه مريم؟! أليس أخواته عندنا؟! فمن أين له هذه الحكمة؟!"1.

وإذا كان اليهود عارفين بعينه واسمه، ونسبه، فما حاجتهم إلى أن أكتروا رجلاً من تلاميذه بالأجرة حتى عرَّفهم / (1/124/أ) بشخصه لولا وقوع الشبه الذي نقول به.

- الحجّة الثانية:

على أن المفعول به ذلك غير المسيح وأنه كان قد شبه لهم قوله نقلة الإنجيل: "إن رئيس الكهنة أقسم على المأخوذ بالله الحيّ: أأنت المسيح ابن الله الحيّ؟! فقال له: أنت قلت"2. ولم يجبه بأنه هو المسيح فلو كان المقسم عليه هو المسيح لقال له: نعم ولم يستجز أن يُوري في الجواب وهو يحلف بالله

الحيّ، وهذا دليل على أنه غير المسيح، ثم المسيح إنما جاء لبثّ الحقّ ونشر الصّدق فكيف تجشَّم لشيء ثم يكتمه؟!

____

1 متى الإصحاح (4)، مرقس لإصحاح(1)،لوقا لإصحاح(2)، يوحن الإصحاح (2).

2 متى 26/63.

==

فإن قال النصارى: هذا أيضاً لنا إذ لو كان غيره لم يخف ذلك ولبينه وقال: لست المسيح بل أنا رجل سواه.

قلنا: يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون الشبه قد أدركته دهشة منعته من البيان والإفصاح عن حاله كما يجري للبشر، وهذا لا بُعد فيه أن يأخذ الله على لسانه ويسد عنه مادة الكلام صوناً لنبيّه المسيح أن يفصح الرجل عن أمره.

والوجه الثاني: أن يكون الشبه لِصديقيّته آثر المسيح بنفسه وفعل ذلك بعهد عهده إليه المسيح رغبة منه في / (1/124/ب) الشهادة فلهذا ورى في الجواب وجمجم في القول، ويؤيد هذا الوجه قول التلاميذ للمسيح أيام الخوف من إيقاع اليهود به: "بأنه لو دفعنا إلى الموت معك لمتنا"1. والشبه كان من جملة التلاميذ فلهذا وفَّى بما وعد من نفسه وهذا شيء لم تزل تفعله أصحاب الأنبياء في الحروب وغيرها [أن]2 يقوا بأنفسهم أنبيائهم فينالون بذلك الثناء في الدنيا والثواب في العقبى.

فقد وضح أن المجيب لرئيس الكهنة غير المسيح إذ لو كان المسيح لم ينكر ولم يُورِّ.

- الحجّة الثالث:

على حماية الله المسيح عليه السلام وأن المصلوب غيره. قال لوقا: "صعد يسوع إلى جبل الجلي ومعه بطرس ويعقوب ويوحنا فبينا هو يصلي إذ تغير منظر وجهه عما كان عليه، وابيضت ثيابه فصارت تلمع كالبرق، وإذا

____

1 مرقس 14/27-31، وذكره المؤلِّف بالمعنى.

2 إضفاة يقتضيها السياق، ولعلها سقطت من الناسخ. والله أعلم.

==

موسى بن عمران وإلياء قد ظهرا له، وجاءت سحابة فأظلتهم، فأما الذين كانوا مع يسوع فوقع عليهم النوم فناموا"1 قلت: هذا من أوضح الدلالة على رفع المسيح وحصول الشبه الذي نقول به؛ لأن تغيُّر صورة المسيح وتبدل لون ثيابه عما كانت عليه / (1/125/أ) وظهور موسى النبيّ عليه السلام وإلياء عليه السلام

ومجيء السحاب يظللهم ووقوع النوم على التلاميذ من أقوى ما يتمسك به في حماية المسيح ووقوع شبهه على آخر سواه، فلا معنى لظهور هذين النّبيّين له ووقوع النوم على أصحابه إلاّ رفعه عليه السلام.

مما يؤيّده قول الإنجيل: "إن اليهود حين رفعوا المصلوب على الخشبة قالوا: دعه حتى نرى إن كان إلياء يأتي فيخلصه"2. وهم يظنون أن المصلوب هو المسيح، وقد كان المسيح يقول لأصحابه: إن إلياء سيأتي.

والدليل على غلط النصارى: قول فولس الرسول في صدر رسائله زاريا عليهم: "أنهم لم يعرفوا الله تعالى، لكن أظلمت قلوبهم التي لا تفقه، فجهلوا واستدلوا بالله الذي لا يناله فساد شبه صورة الإنسان الفاسد؛ فلذلك أهملهم الله وتركهم وشهوات قلوبهم النجسة، فبدلوا حقّ الله بالكذب، وعبدوا الخلائق وآثروها على خالقها الذي له التسابيح والبركات، فلذلك وكلّهم الله إلى أولاد الفاضحة"3.

فهذا فولس كأنما ألهم ما سيفتريه متأخرو النصارى/(1/125/ب) إلهاماً، فنطق بذلك ردّاً عليهم وإزراء بعقولهم وتصريحاً بكفرهم وضلالهم.

---

1 متى 17/1-8، مرقس 9/2-8، لوقا 9/28-36.

2 مرقس 15/36.

3 رسالة بولس إلى رومية 1/21-26، بألفاظ متقاربة.

==

- الحجّة الرّابعة:

على حماية المسيح مما نسب إليه، قول الأناجيل: "إن المأخوذ كان قد [غُيِّرَتْ]1 صورته وشوهت هيئته، وسيق ذليلاً وتوج من الشوك إكليلاً، وألبس أرجواناً وأبلس هوناً، وجذب وسحب وشقي وسجن ولدم وضرب، وحمل خشبته التي عليها صلب وأعنف به في سحبه، فكُرِّب وما ركب".

قال يوحنا: "أُخذ في ليلة باردة من بستان بوادي الأرز، كان يخلو فيه مع تلاميذه"2. فاجتمع في القصة ما يصحح الغلط ويرجع في النقل اللغلط، وهو أن المصلوب أخذ في حندس3 ليل مظلم على حين فترة، فلم يصل به الشرط حتى طمست صور محاسنه لَدْماً وضرباً ونسخت سور حلاه جذباً وسحباً، فكان جميع ما جرى إنما هو على الشبه، ومع احتواش القصة بهذه الشبه لا يجزم بأنه المسيح.

فالذي نقله لوقا فيه أعظم الدلالة على إلقاء الشبه، ثم ظهور موسى وإلياء ووقوع النوم / (1/126/أ) على القوم دليل واضح على رفع المسيح إلى السماء وصونه عن أيدي الأعداء.

- الحجّة الخامسة على ما قلناه:

قال يوحنا التلميذ: "كان يسوع مع تلاميذه بالبستان، فجاء اليهود في طلبه، فخرج إليهم يسوع وقال لهم: من تريدون؟ قالوا: يسوع، وقد خفي شخصه

---

1 في ص (غرر) والتصويب من المحقِّق. والله أعلم.

2 يوحنا 18/1.

3 الحندس: الليل المظلم والظلمة، جممه: حنادس. (ر: القاموس ص 695).

عنهم، فقال: أنا يسوع، وفعل ذلك مرتين، وهم قد أنكروا صورته"1. وذلك دليل على الشبه ورفع المسيح؛ إذ أنكروا صورته وهو الناشئ بينهم والمربي في جماعتهم.

- الحجّة السادسة:

قول لوقا في إنجيله: "إن المسيح بعد قيامه صحب رجلين من أورشليم، وهما يطلبان قرية يقال لها: عمواس، فتبعهما وماشاهما، وكانت عيونهما ممسوكة عن معرفته فلما كلمهما عرفاه بعد ذلك"2.

وقد حكى بعض النصارى أن المسيح قد أعطي قوة التحول من صورة إلى صورة،وذلك كلّه يشهد بصحة ما قلناه، وإذ التبس أمره على خواص أصحابه وتلاميذه حتى أنكروا هيئته وصورته وثيابه فما ظنك بغيرهم؟!

وقال لوقا أيضاً: "بينا التلاميذ / (1/126ب) في غرفة لهم إذ وقف المسيح في وسطهم بعد قيامه، والتمس منهم شيئاً يأكله فأطعموه جزءاً من حوت، وشيئاً من شهد العسل"3. وذلك كلّه يشهد بما قلناه حمايته في وصونه من أعدائه وإلقاء الشبه على غيره.

____

1 ورد النّصّ في إنجيل يوحنا 18/1-11 كالآتي: "فأخذ يهوذا الجند وخداماً من عند رؤساء الكهنة والفريسيين، وجاء إلى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح، فخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتي عليه، وقال لهم: من تطلبون؟ أجابوه: يسوع النصاري، قال لهم يسوع: أنا هو، وكان يهوذا مُسَلِّمُه أيضاً واقفاً معهم فلما قال لهم: إني أنا هو، رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض، فسألهم أيضاً: من تطلبون؟ فقالوا: يسوع النصاري. أجاب يسوع: قد قلت لكم إني أنا هو. فإن كنتم تطلبوني فدعوا هؤلاء يذهبون... ثم إن الجند والقائد وخدام اليهود قبضوا على يسوع وأوثقوه". إن رواية يوحنا تعطينا صورة مختلفة تماماً عما روته الأناجيل الثلاثة عن حادثة القبض على المسيح وملابساتها، وقد سبق بيان ذلك.

2 لوقا 24/13-31، في سياق طويل، وقد ذكره المؤلِّف مختصراً. إن رواية لوقا لهذه الحادثة في إنجيله تفيد أن هذين التلميذين هما أوّل من رأى المسيح بعد قيامته من الموت - حسب زعمهم - وهي رواية تخالف ما ورد في أناجيل متى 28/9-17، ومرقس 16/9-14، ويوحنا 20-13-26، 21/1-14، وفيها: "أن أوّل من رأى المسيح بعد قيامه هي مريم المجدلية التي لم تعرفه".

3 لوقا 22/36-43.

- الحجّة السابعة:

قال يوحنا: "وقف المسيح على تلاميذه وهم يصيدون السمك، فقال:يا فتيان هل عندكم من طعام؟ فلم يعرفوه.فقالوا:لا.فقال:ألقوا الشبكة من الجانب الأيمن. ففعلوا. فرفعت سمكاً كثيراً فحينئذٍ عرفوه. وقالوا: هو المسيح. وكان أحدهم عرياناً، فأخذ مئزره حين عرف أنه المسيح"1.

[فهؤلاء]2 التلاميذ وخواص أصحاب المسيح يشهدون بما صرنا إليه من تغيير شبه المسيح عليهم وتصديق قول من يقول منهم: إن المسيح كان قد أعطي قوة التحول من هيئة الصبوة إلى هيئة الكهولة والشيوخية وغير ذلك. وإلاّ فكيف يخفي وجهه عن مثل الاثني عشر من أصحابه وتلاميذه ويستبعد ذلك من اليهود؟

- الحجّة الثّامنة:

إن القول بقتل المسيح يؤدّي إلى تكذيب الميسح، وما أدى إلى تكذيبه فهو باطل، وبيانه هو أن المسيح عليه السلام / (1/127/أ) قد بَشَّر في إنجيله بمحمّد صلى الله عليه وسلم وقال: إنه النّبيّ الصّادق الآتي بعده؛ ومحمّد جاء وأخبر بأن المسيح ما قُتل وما صُلب، فالقول بقتل المسيح يفضي إلى تكذيب من صدَّقه المسيح، فكان تكذيباً للمسيح. وسنبيّن بشرى المسيح وموسى وغيره من الأنبياء بمحمّد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الباب الأخير من هذا الكتاب.

---

1 يوحنا 21/1-7، في سياق طويل.

2 في ص (فهذه) والتصويب من المحقِّق.

==

الباب الخامس: في أن المسيح عليه السلام وإن قصد وطلب فما قتل وما صلب

- الحجّة التّاسعة:

لو قد صحّ قتل المسيح وصلبه لبطلت الدلالة على وجود الباري تعالى، وبيانه: هو أن في ذلك إبطال بشائر الأنبياء عليهم السلام بمحمّد صلى الله عليه وسلم، وإظهار كذبهم فيما شهدوا به من النبوة والرسالة وصدق المقالة وذلك يَعْكُر على نبواتهم بالإفساد، إذ أخلفت أقوالهم، ولم تَصْدق أخبارهم، وذلك يخرم الثقة بجميع ما أخبروا به من حدث العالم ووجود الصانع تعالى، وما أدى إلى ذلك فهو مردود من أصله.

- الحجّة العاشرة:

قال لوقا: "لما كان في الشهر السادس من حمل اليصابات زوجة زكريا بيحيى ابنها جاء جبريل إلى مريم العذراء بالناصرة من أرض الجليل، وهي / (1/127/ب) إذ ذاك خطيبة لرجل من نسل داود يقال له: يوسف. فقال لها جبريل: أبشري يا ممتلئة بنعمة الرّبّ، مباركة أنت في النساء. فلما رأته اضطربت من كلامه، فقال لها جبرئيل: لا تخافي يا مريم فقد [ظفرت]1 بنعمة من عند الله وأنت تقبلين حبلاً بولد يدعى يسوع، يكون عظيماً وابن [العلي]2 يُدعى، يعطيه الرّبّ كرسي أبيه داود. ويملك على بيت يعقوب. فقالت مريم: أنّاني ذلك ولم أعرف رجلاً. فقال جبريل: روح القدس يحل عليك وقوة العلي تظللك، وهذه

اليصابات نسيبتك حبلى بابن على كبر سنها لأنه ليس عند الله أمر عسير. فقالت مريم: أنـا ذا عبـدة الـرّبّ فليكن ما قلت"3.

---

1 في ص (ظفرتي) والصواب ما أثبته.

2 في ص (العلاء) والصواب ما أثبته.

3 لوقا 1/26-38.

==

ورد ذلك من الله على مـريم مَـوْرِد الامتنـان والإنعـام وهـو أن يجلس ولـدها في دست1 داود ويُمَلِّكـه رقاب اليهود، فالقول بأن المسيح هلك وما ملك يقضي بالسـخرية من البتـول، أو البـداء من المرسِـل2، أو الكذب من الرسول، والكلّ محال، فالقول بقتل المسيح وصلبه محال.

فهذه عشر حجج كلّها تقضي بالثّلب على مدّعي الصلب، ومما يدلّكم على فساد دعوى القتل والصلب ما اشتمل عليه الفصل / (1/128/أ) من الاضطراب وقبيح الألفاظ كقوله لـرئيس ا لكنـة: "إنكم من الآن لا ترون ابن الإنسان حتى ترونه جالساً عن يمين القوّة وآتياً في سحاب السماء"3، يريد بالقوّة: الله تعالى.

وكقوله: "إن ناساً من القيام هاهنا لا يذوقون الموت حتّى يرون ابن الإنسان آتياً في ملكوته"4.

وكقول الملك للنسوة: "تعالين فانظرن إلى الموضع الذي كان فيه الرّبّ في القبر"5.

ما أخلق هذه المواضع أن يكون بعض مجان اليهود قد أدرجها في كتاب النصارى ليضحك منهم الناس.

أسمعتم يا معشر النوكى بربٍّ في قبرٍ، وإلهٍ في لحدٍ؟! أيُّ جَـدَثٍ وسـعه؟! أيُّ كفنٍ واراه؟! أيُّ نعشٍ حمله؟! هل نجا من ضغطة القبر؟! هل لُقِّن حجته عند السؤال؟! هل ثبت جأشه عند طلعة الملك؟!

---

1 الدست: صدر البيت، والمقصود هنا ملك داود. (ر: القاموس ص 194).

2 بدا له في الأمر بَدْواً وبداءاً وبداةً: نشأ له فيه رأي، وهو ذو بدوات. (كما في القـاموس ص 1629). ومعنى: (أو البداء من المرسِل" أي: البداء من الله - تعالى وتنَزَّه عن ذلك علوّاً كبييراً.

3 مرقس 14/61، 62.

4 متى 16/28، مرقس 9/1، لوقا 9/27.

5 متى 28/6.

==

أُفٍّ لترابٍ تغَشَّى وجه هذا الإله، وتبّاً لكفن ستر محاسنه، وسحقاً لجذع انتصب تحته صلب عليه، عجباً للسماء كيف لم تَبِدْ وهو سامكها وللأرض كيف مل تَمِدْ وهو ماسكها، وللبحـار كيـف لم تَغِض وهـو مجريهـا،

وللجبال كيف لم تَسِر وهو / (1/128/ب) مرسيها، وللحيوان كيف لم يصعق وهو مشبعه، وللكـون كيـف لم يمحق وهو مخترعه؟! وأنَّى استقام الوجود والرّبّ في اللحود، وثبت العالم على نظام والإله في الرحـام؟! لقد لبس الكون ثوباً من القحة صفيقاً، واستمر على البقاء وكان بالفناء خليقاً - فإنا لله وإنـا إليـه راجعـون على المصيبة بهذا الرّبّ والرّزية بهذا الإله، لقد ثكلته أمه التي خلقها وصـوَّرها وعدمتـه الـدنيا الـتي أبـدعها وفطرها، فليت شعري هل قُسم ميرائه وعمل مأتمه؟ وهل أخذ بثأره أو سُلم مسلمه؟! هـذا وأبيكـ1 الخذلان والتلاعب بالأديان.

وفي الفصل موضعان آخران يشعران بأن المصلوب رجل غير المسيح: أحدهما: شكواه العطش، فإنـا نعلم أن الإنجيل مصرّح: "بأنّ المسيح كان يطوي أربعين يوماً أو أربعين ليلة"2.

ويقول لتلاميذه: "إن لي طعاماً لستم تعرفونه"3. ومن صبر عن الماء والطعام ثمـانين [يومـاً]4 وليلـة لا يجزع من فراقه ساعة واحدة. وبذلك يتحقق أن العطشان غيره والمستسقي سواه.

والموضع الآخر: / (1/129/أ) قوله: "إلهي وإلهي لِمَ تركتني وخـذلتني؟"، (لِمَ) كمـا يُعلم كلمـة تنـافي الرضـى بمـر القضـاء،وتنـاقض التسـليم لأحكـام الحكيم ويجـل عن ذلـك رتبـة الصـالحين فضـلاً عن أكـابر المرسلين.

فهذا وما شاكله من كلام المصلوب يوضح ما قلناه في الشـبه، فـإن أبى النصـارى إلاّ أن يكـون قائـل هذا هو المسيح. قلنا لهم: ألم تزعموا أن المسيح تعنَّى

---

1 هكذا في ص.

2 متى 4/2.

3 يوحنا 4/32.

4 في ص (يوم) والتصويب من المحقِّق.

==

ونزل ليؤثر العالم بنفسه ويُخلِّصه من الشيطان ورجسه؟! أفتقولون إنه تبرّم بالإيثار واستقال العِثـار؟ 1.

آلم تـرووا لنـا عن التـوراة أن إبـراهيم وإسـحاق ويعقـوب وموسـى وهـارون كـانوا حين احتضـروا مستبشرين بلقاء ربّهم فرحين بانقلابهم إلى شعبهم، لم يجزعوا من الموت ولا هابوه ولا اسـتَوبلَوا2 مذاقـه ولا أعابوه، هذا وهم عبيد. والمسيح بزعمكم ولدٌ وربٌّ، أفكان وثوقهم بالله فـوق وثوقـه، أم حـظ المسـيح عند الأب دون حظ رقيقه؟!

وأمـــا قـــولهم في الفصـــل: "إن يســـوع صـــرخ وأمـــال رأســـه وأســـلم روحـــه"، فمناســـب لكلام/(1/129/ب)المجانين،وإلاّ فكيف يتولى الميت في حال الـنزع تسـليم روحـه مـع شـدّة الأمـر وعظم الخطب واشتغال البال في ذلك الوقت عن التسـليم والتسـلم؟! وإن امـرءاً تجـذب روحـه من تحت كـلّ شـعره من جسده وقد أوثق كتاف ذبيحه، وبر بصره. وانحل عقـد تماسـكه، واسـتولت عليـه الآلام، ورشـقته من جميع

جهاته سهام الحمام لغير مختار في تسليم روحه، والعجب من تجاسر هذا الحاكي على قول ما يقطع بكذبه فيه، وذلك أن تسليم روحه غير مشاهد بالعيان فيقع عليه بصر إنسان.

أين قول النصارى في شريعة إيمانهم: "نؤمن بالرّبّ الواحد يسوع المسيح الـذي بيـده أتقنت العـوالم وخلق كلّ شيء، وليس بمصنوع الذي نزل من السماء لخلاص معشر الناس؟!!.

وكيف يصحّ لهم هذه الدعوى والمصلوب ينادي بحضرة اليهود: "إلهي إلهي كيف تركتني وخذلتني؟!!".

____

1 العثار: الشّرّ. (ر: القاموس ص 560).

2 استوبل الأرض: إذا لم توافقه وإن كان محبّاً لها. (ر: القاموس ص 1378).

===

وكيف يكون خالق السماوات والأرض مقروناً باللصوص مصلوباً على الخشب له إله يدعوه ويسأله أن لا يتركه ولا يخذله؟!!.

فإن كانت / (1/130أ) الأمانة صادقة فالإله الأزلي قـد بكى واسـتغاث وسـأل شـربة من المـاء وقُـرِن بالدُّعار وعلُق على الخشب وسمرت يداه بالمسامير، وإن كان الإله الرّبّ الأزلي، يتعالى عن هذه النقـائص يتقدس عن أن تناله هذه الرذائل، فالأمانة باطلة، وأقوال مَن عقدها لهم فـاجرة، وآراؤهم غاشَّـة، وسـنأتي على أمانتهم إذا انتهينا إليها، ونوضح فسادها وغشّ من ألفهـا وسـوء رأيـه في دين النصـرانية إن شـاء اللـه تعالى.

وأما قولهم في الفصل: "إنه حين مات يسـوع على الصـليب انشـقّ حجـاب الهيكـل، وتزلـزت الأرض كلّها، وتشققت الصخور، وتفتحت القبور، وقام القديسيون من قبورهم ودخلوا المدينة حتّى رآهم الناس"

____

1. "وأظلمت

1 هذه رواية متى في إنجيله 27/51-54، ويعلّق عليها نورتن - المحامي عن الإنجيـل - فيقـول: "هـذه الحكاية كاذبة، والغالب أن أمثال هذه الحكايات كانت رائجة في اليهود بعدما صارت أورشليم خرابـاً، فلعـل أحداً كتب في حاشية النسخة العبرانيـة لإنجيـل مـتى، وأدخلهـا الكُتـاب في المتن، وهـذا المتن وقـع في يـد المترجم فترجمها على حسبه". اهـ. ويدل على كذبها الأوجه الآتية:

- الأوّل: إن متى ذكر بعد ذلك 27/62-66: "إن اليهود ذهبوا إلى بيلاطس في اليوم الثاني من الصـلب قائلين: يا سيد تذكرنا أن ذلك المضل قال وهو حيّ: إني بعد ثلاثة أيام أقـوم، فمُـرْ بضـبط القـبر إلى اليـوم الثالث...". كما قد صرّح متّى في نفس الإصحاح أن بيلاطس وامرأته كانا غير راضـيين بقتلـه، فلـو ظهـرت هذه الحوادث العجيبة لما استطاع اليهود أن يتجرؤوا بالذهاب إلى بيلاطس ويقولوا بأن المسيح كـان مضـلاً ويطلبوا منه إقامة الحرس على قبره، لاسيما وأن بيلاطس كان غير راضٍ عن قتلـه منـذ البدايـة، فـإذا رأى هذه الحوادث فإنه لا بدّ أن يكذّب اليهود وينقلب عليهم، وكذلك غيره من الناس.

- الثاني: إن هذه الحوادث من الآيات العظيمة التي لو ظهرت لآمن كثير من الروم واليهود على ما جرت به العادة، ألا ترى أنه لما نزل روح القدس على الحواريين - كما يزعم النصارى - وتكلموا بألسنة مختلفة تعجب الناس، وآمن نحو ثلاثة آلاف رجل كما جاء في سفر أعمال الرسل الإصحاح الثاني؟!

- الثالث: إن قيام كثيرين من أجساد القديسين مناقض لكلام بولس، الذي صرح بأن المسيح عليه السلام أوّل القائمين وباكورة الراقدين. (ر: رسالة بولس إلى كورنثوس 15/20، 22، 23، وفي رسالته إلى كولوسي 1/18)، ر: إظهار الحقّ ص 158، 159، للشيخ رحمة الله الهندي، بتصرف يسير.

==

الشمس وحال لون القمر"1. فذلك كذب ومحال وبهت لا يخفى بحال؛ لأنه لو كان صحيحاً لأطبق الناس على نقله ولم يبق إخفاء مثله، ولزال الشّكّ عن تلك الجموع في أمر يسوع، فحيث داموا على الحجّة له والتّكذيب عنه دلّ ذلك على كذب هذا النّقل.

ومما يوضح ما قلناه / (1/130/ب) أن الأناجيل تشهد في تمام هذا الفصل "أن جماعة من أصحاب يسوع شكوا فيه بعد ذلك فرجعوا عن رأيهم الأوّل"2. وذلك يكذب قول من قال: "إن العالم تشوش لمصرع يسوع"3. فإن قيل: إنما لم يشتهر ذلك لأن أصحاب يسوع لم يحضر منهم أحد خوفاً من اليهود، واليهود الذين شاهدوا هذه الآيات تواطؤا على كتمانها بغياً وحسداً.

قلنا: هذه الآيات إذا وقعت عَمَّ عِلْمُها من حضر ومن غاب من الأعداء والأحباب لأنها آيات نهارية، فما بال الهنود والسند والصين والسودان والفرس والترك وسائر الطوائف الذين لم يتعصبوا للأديان ولا انحازوا الملة وشريعة لم ينقلوا هذه الآيات ويلهجوا بها خلفاً عن سلف حقباً بعد حقب؟!!.

____

1 هذه رواية لوقا في إنجيله 23/44، 45، ونصّها كالآتي: "فكانت ظلمة على الأرض كلّها إلى الساعة التاسعة وأظلمت الشمس وانشق حجاب الهيكل من وسطه...". ويعلّق على ذلك د. كيرد في كتابه:(تفسير إنجيل لوقا ص 253) بقوله: "إن حدوث كسوف للشمس بينما يكون القمر بدراً - كما كان وقت الصلب - إنما هو ظاهرة فلكية مستحيلة الحدوث... ولقد كان الشائع قديماً أن الأحداث الكبيرة المفجعة يصحبها نذير سوء، وكأن الطبيعة تواسي الإنسان بسبب تعاسته". اهـ. (نقلاً من المسيح في مصادر ص 174، لأحمد عبد الوهّاب).

2 ورد في سياق طويل في إنجيل لوقا الإصحاح (24)، ويوحنا الإصحاح (20)، وقد ذكره المؤلِّف مختصراً بالمعنى..

3 إن روايات الأناجيل متناقضة في سرد الأحداث التي أعقبت الصلب، مما يؤكّد عدم الثقة في رواياتها، فإن متّى قد انفرد بذكر الأمور العجيبة كتزلزل الأرض وتشقق... الخ. ومرقس 15/38، يقول: "وانشق حجاب الهيكل إلى اثنين من فوق إلى أسفل...". ولوقا 23/44، زاد على ما ذكره مرقس بكسوف الشمس. وأما يوحنا فإنه لا يعلم عن كلّ ذلك شيئاً. (ر: الإصحاح 19). وهذا من أعجب العجب!!!.

وقد نقل المؤخرون في صحفهم أموراً هي أنزر وأقل خطراً من هذا الأمر الذي يَدَّعي النصارى أنه طبَّق العالم الأعلى والأسفل، فلما رأينا هذه الأمم الخالية عن الأهواء والتعصب للشرائع والتزام الأحكام علىكثرتها لم تنقل مما حكاه1 النصارى حرفاً واحداً علمنا بالضرورة أن ذلك اخترعه كذبة النصارى ليخدعوا به ضعفائهم،/(1/131/أ) وسنأتي على قطعة من ذكر حيل القسيسين ومخاريق الرهبان عند وصولنا إلى بابه، فيتوسلون بهذه المخارق إلى جلب الحطام وجذب الدنيا الدّنية بالخطام، والحقّ مستغن عن أن يقوى بهذه الترهات.

وأما قولهم في الفصل: "إن يسوع جاء التلاميذ الأحد عشر بالجليل،وأوصاهم أن يعمدوا الناس،وأنه يكون معهم إلى انقضاء الدّهر"2. فأقول: انطفأ السراج على التلميذ الثاني عشر، وهو المشهود له في الإنجيل بولاية حساب بني إسرائيل، وبقي كرسيه شاغراً ودسته في القيامة غامراً، وصار أحد الأسباط في القيامة ليس له من يدينه، فاستراح من العتاب وسوء الحساب.

قال المؤلِّف: قلت لنصراني من عقلائهم: "قال يسوع لتلاميذه الاثني عشر وفيهم يهوذا الأسخريوطي الذي أسلمه للقتل والصلب: أتم ستجلسون يوم القيامة على اثني عشر كرسياً تدينون اثني عشر سبط إسرائيل"3. وذلك شهادة لكل بالزعامة في4 القيامة، فكيف صنع أصحابكم في يهوذا وسبطه؟ فإن المسيح يقول: "الويل لمن يُسلم ابن الإنسان كان [خيراً له ألا / (1/131/ب) يولد]5".

____

1 في ص زاد: (حكاه).

2 متى 28/16-20.

3 متى 19/27، 28.

4 في ص زاد: (في).

5 في ص(الخيرة له ألا بولد)والتصويب من النصّ في إنجيل متى 14/21،لوقا 22/22.

الباب الخامس: في أن المسيح عليه السلام وإن قصد وطلب فما قتل وما صلب

فقال: قد عوَّضوه برجل غيره ونصبناه بدلاً منه لتتم العدة1.

قلت: فليس هذا المُعوَّض هو المخاطب بوعد المسيح بل غيره فقد أخلف قوله: "إن كرسيه لا يجلس عليه غيره، ولا يدين سبطه سواه". فأبلس العلج2، ولم يحر جواباً.

وأما حكايتهم عنه: "أنه معهم إلى انقضاء الدهر"، فإنه نسألهم فنقول: هل تقولون إن هذا الكلام محمول على ظهره أو محمول على معناه دون ظاهر؟ فإن زعموا أنه محمول على الظاهر لزم منه أن يكون التلاميذ الأحد عشر الآن في قيد الحياة، وسِيَرُهم تُكَذِّب ذلك، إذ يقول إنّ القوم اخترموا موتاً وقتلاً.

وإن قالوا: إن ذلك محمول على المعنى دون الظاهر وهو أن الآن مع كلّ جاثليق وأسقف ومطران وقس وراهب3 منهم، قيل: أهو معهم بذاته أم بعلمه؟! فإن زعموا أن المسيح معهم بذاته أكذبتهم شواهد العقول وشواهد

---

1 يزعم النصارى أن الحواريين قد اجتمعوا - بعد صعود المسيح - برئاسة بطرس بعد الصلاة وبمشورة الروح القدس؛ ليختاروا بالقرعة بديلاً عن يهوذا الأسخريوطي من تلاميذ المسيح، فوقعت القرعة على: "متياس". (انظر: سفر أعمال الرسل الإصحاح الأوّل) ولا يعلمون شيئاً عن حياته وخدمته. (ر: قاموس ص 836).

2 العِلْجِ: الرجل من كفار العجم، ج علوج وأعلاج. (ر: القاموس ص 254).

3 إن النصرانية المحرفة من الديانات الكهنوتية التي تعتد في قامة طقوسها على الكهنة أو ما يسمى بـ: (رجال الدين)، ومما يدلّ على اختراع النصارى للكنيسة - ومعناها (مجمع) وهي مأخوذة من كلمة: (اكليزيا) اليونانية - وللرتب الكنسية وتأثرهم في ذلك بالثقافات الوثنية ما ذكره البروفيسور شارل جنيبر في كتابه: (المسيحية نشأتها وتطوّرها ص 130، 131، 135)، حيث يقول: "إن المسيح لم ينشئ الكنيسة ولم يردها، ولعلّ هذه القضية أكثر الأمور المحققة ثبوتاً لدى أي باحث يدرس النصوص الإنجيلية من غير ما تحيز... كما أن المسيح لم يصنع من الحواريين قساوسة، حيث لم يكن في حاجة إلى ذلك، وبدراسة ما قام به الحواريون فإننا لا نجد أنهم فكّروا في إنشاء الكنيسة، إذ ظلوا على إخلاصهم للدين اليهودي، وداوموا بكل دقّة على شعائره - ثم يقول - : ومن المرجح أن تأثير الجماعات الوثنية وتأثير النظم اليهودية وقعا عليهم (النصارى) في آنٍ واحدٍ، مع ترجيح اتّجاه على الآخر حسب ظروف الزمان والمكان، وقد فرضت الضرورات أنواع الوظائف، وسمى الموظفون بأسماء أخذت عن اللغة الشائعة مثل: (بريسبيتيروس) أي: شيخ، و(ايبسكوبوس)، أي: مشرف، و(دياكونوس)، أي: خادم، وقد تطورت معاني هذه الكلمات فيما بعد إلى: قسّ، أسقف، وشماس". أهـ بتصرف يسير.

وهناك اختلاف في هذه الرتب بين الكنائس، فالكنيسة الكاثوليكية تتبع النظام البابوي ويرأسه الباب والكرادلة، وهم أصحاب الحقّ في تنظيم الكنيسة، وتنقسم الكنيسة إلى أبروشيات على رأس كلّ منها مطران، وفي كلّ أبروشية عدة كنائس يديرها الكهنة.

أما الكنيسة الأرثوذكسية (ومنها: الكنيسة القبطية) فإنها تتبع نظام الإكليروس ويبدأ من البطريرك ثم المطارنة، ثم الجثالقة، ثم الأساقفة، ثم القسس الممتازون ويسمون (القماصة)، ثم القسس العاديون ويسمون (القساوسة) - وهؤلاء جميعاً أصحاب الرأي في تنظيم الكنيسة - ثم الشماس (دياكون)، ثم معين الشماس (ايبودياكون)، ثم القارئ (الأغنسطس)، ثم المرتل (الأبصلتس)، ولكلّ منهم وظيفة محدَّدة في الكنيسة. (ر: أسرار الكنيسة السبعة ص 186، وما بعدها - حبيب جرجس، الوسائل العملية للإصلاحات القبطية ص 128، 129، حبيب جرجس، المسيحية ص 238-240، د. أحمد شلبي).

==

الباب الخامس: في أن المسيح عليه السلام وإن قصد وطلب فما قتل وما صلب

الإنجيل، أما شواهد العقول: فإن العقل قاضٍ بأن الشخص الواحد لا يكون حالاً في عدّة مواضع في حالة واحدة، بل إن شغل مكاناً فرغ من الآخر لا محالة. وأما شواهد الإنجيل: فإنها / (1/132/أ) مصرحة بأن المسيح كان إن حلّ بالناصرة فارق أورشليم، وإن حلّ بأورشليم فارق الناصرة، ولم يتحدّد له ما يرفع هذا الحكم.

فإن قالوا: لم يرد المعية بذاته بل بعلمه كقول الكتاب العزيز: {وَهُوَ مَعَكُم أَيْنَمَا كُنْتُم}1. قلنا: فاسلكوا التأويل في جميع ظواهر الإنجيل ترشدوا.

فلو ألهم النصارى رشدهم لمحوا هذا الفصل من الإنجيل ودرسوا2 خبره، وعفوا أثره، وأدبوا من ينطق به، فإن اللافظ به إنما يُعَرض سبّ إلههم والتنقص من معبودهم، وإنه فصل وخيم، والعار عليهم في نشره عظيم، إذ مضمونه أن اليهود الملاعين والعبيد المدبرين عدوا على إلههم، ورصدوه، وتوقعوا غرته، فقصدوه، فوضعوا أيديهم عليه ذليلاً، وأناطوا به جوامع وكبولاً، ولم يجد إلى الإفلات منهم سبيلاً.

وهرب تلاميذه عنه وأسلموه، فتناوله أعداؤه بيد القسر وتسلموه وساقوه بينهم يحمل جذعة أسيراً، ثم لُطم حتى حُطِّم، وأُرضع لبان الهوان حتى ودَّ لو فُطم، وتفل في وجهه القيام والقعود من أراذل اليهود، فنَزل به من الدهش

---

1 {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}. [سورة الحديد، الآية: 4].

2 درس: عفا: محا من المحو، والإمحاء. كما في القاموس ص 701، 1693.

==

والعطش والكرب ما لا / (1/132/ب) يقصر في الألم عن القتل والصلب، وأنه استسقاهم ماء فسقوه خلاًّ، وسأل البقيا فأسمعوه كلاً، فصرخ على جذعه إلهي إلهي كيف تركتني؟!.

وصرح بالعبودية لا يتلقب ولا يكتني، ولم يزل ينزع في قوس النزاع حتى مرق سهم روحه، ولقد راموا كسر ساقيه كفعلهم برفيقيه، فعُجلت عليه منيته وأُبطلت عنه أمنيته، وأعول عليه أحبابه وتفرق من الفرق أصحابه، وسأل الوالي جسده فدفن وتصدق عليه بالكفن، وهذه لعمرك مَعَرَّة يأنف العاقل من إلصاقها بكلبه، فكيف يلصقها بربّه؟!.

وما أرى مُلحق هذا الفصل بكتاب النصارى إلاّ قد جعل له اليهود جُعْلاً على إلحاقه، ولستُ أُبعد ذلك، فإن يهوذا الأسخريوطي - أحد الاثني عشر المشهود له بالزعامة في المحشر - زعموا أنه ارتشى على يسوع ثلاثين درهماً من اليهود حتى أنزل به من الهوان ألواناً، وإذا كان هذا فعل يهوذا الذي هو أسنى من غيره وأفضل وأرمى عن قوس الصحبة القديمة وأفضل، وقد استمالته الدنيا فادَّرع الفضيحة واستهواه الهوى فحلّ عقيد1 / (1/133/أ) الصحيحة.

فما ظنك بمن لم يصحب المسيح ولم يلقه ومرض بداء الحسد فلم ينقه؟!.

فنسأل الله الذي شرفنا بالإسلام وعرفنا نبيّه عليه السلام أن يقطع عنا أشطان الشيطان ويصلنا بعباده الذين ليس له عليهم سلطان.

ومن أدل الدلالة على كذب النصارى في دعوى القتل والصلب: ما رواه متَّى في إنجيله قال متى: "سأل اليهود المسيح أن يريهم آية فقال: الجيل الشرير

---

1 العَقِيد والمُعَاقد: المُعاهد. (ر: القاموس ص 384).

==

الفاسق يطلب آية فلا يعطى إلاّ آية يونان - النّبيّ: يعني: [يونس]1 عليه السلام - لأن يونان أقام في بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ، وكذلك ابن الإنسان يقيم في بطن الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ"2.

قال المؤلِّف: وكذلك كذب وغلط بإجماع نقلة الإنجيل؛ لأنه لا خلاف بينهم أن المأخوذ صلب في الساعة الثالثة من يوم الجمعة، ثم أنزل من يومه ذاك فدفن ليلة السبت، وأقام السبت كلّه مدفوناً ثم طلب ليلة الأحد بغلس فلم يوجد، فمنهم من قال: قام ليلة الأحد، ومنهم من ذكر أنه قام يوم الأحد باكراً، وإذا كان الأمر كذلك فلم يقم في بطن الأرض سوى يوم واحد وليلتين.

قال المؤلِّف: ولنذكر عشر / (1/133/ب) مسائل مفحمات، تفحم من وردت عليه من النصارى، من ردَّها منهم كفر بالتوراة والإنجيل والنبوات، ومن قَبِلَها كفر بالأمانة التي لهم والصلوات ودين النصرانية جملة:

المسألة الأولى من العشر المفحمات:

هو أنا نسألهم عن قول القائل: إن الله - الأزلي خالق العالم ونافخ الروح في حواء وآدم - هو إله واحد فرد حيّ عالم قادر مريد سميع بصير متكلم3، أحقّ ذلك أم باطل؟.

---

1 في ص (يونسا) والصواب ما أثبته.

2 متى 12/39، 40، وقد سبق بيان التناقض في هذا الخبر. (ر: ص 309).

3 هذه الصفات السبع التي يؤمن بها من ينتسب إلى مذهب الأشاعرة ولا يتعداها إلى غيرها كالاستواء واليد والعين، مع أن الإمام أبا الحسن الأشعري يؤمن بصفات الاستواء والنزول واليد والعين، وغير ذلك مما تثبته الآيات القرآنية والسنة الصحيحة. (ر:كتاب الإبانةعن أصول الديانة،رسالةإلى أهل الثغر،وكلاهمالأبي الحسن الأشعري).

وأما هذه الصفات السبع: (الحياة، العلم، القدرة، الإرادة، السمع، البصر، الكلام)، فتسمى عند الأشاعرة بصفات المعاني، وطريق إثباتها عندهم العقل ثم النقل. (ر: أصول الدين ص 49-67، للرازي، والتبصير في الدين ص 164، للإسفرائيني، أصول ص 90، للبغدادي وغير ذلك). وقد تعرض السفاريني لتعريف كل صفة من هذه الصفات السبع، وذكر مذهب أهل الحقّ فيها، والرّدّ على المخالفين. (ر: كتابه لوامع الأنوار البهية 1/131-152).

فإن قالوا:إنه حقّ، أبطلوا دين النصرانية وكفروا بالأمانة والصلوات الثمانيـة الـتي لهم، إذ سـائر فـرق النصارى اليوم يدينون بعبادة ثلاثة آلهة قديمة أزلية وإنسان من بني آدم يُسمَّى يسوع النصارى.

فيقرؤون في أمانتهم التي هي أصل دينهم: "نؤمن بالله الأبّ الواحد ضابط الكلّ، ونؤمن بـالرّبّ الإلـه الواحد يسوع المسيح الإله الحقّ الذي بيديه أتقنت العوالم وخلق كلّ شـيء، ونـؤمن بـروح القـدس الواحـد المحيي". فعبدوا ثلاثة آلهة، والتوراة وسائر النبوات تقول: هو واحد جلّ وعلا.

ويقرؤون في صلاة لهم تعرف عندهم بصلاة النوم: "الملائكة يمدحونك بتهليلات مثلثة أيهـا الأبّ؛ لأنـك لم تزل وابنـك / (1/134/أ) نظـيرك في الابتـداء وروح القـدس مسـاويك في الكرامـة ثـالوث واحـد". فقـد صرحوا في الأمانة التي لهم والصلوات بعبادة ثلاثة آلهـة قديمـة أزليـة وإنسـان من بـني آدم يسـمّى يسـوع المسيح وذلك مضاد لتوحيد الذي سلَّموا صحته.

وإن قالوا:بل ذلك باطل وكُفر،كفروا بتوراة موسى وإنجيل عيسى ومزامـير داود ونبـوة أشـعيا وسـائر النبوات.

قال الله في التوراة: "يا موسى أنا الله ربّك وربّ آبائك إبراهيم وإسحاق ويعقـوب قـد ذكـرت عهـدي لإبراهيم، وقد عرفت ذلّ شعبي بمصر، اذهب إلى فرعون، وقل له: هكذا يقـول لـك إلـه إبـراهيم وإسـحاق ويعقوب أرسل شعبي يعبدني، فقال موسى: يا ربّ أنا أذهب إلى بني إسرائيل فأقول الرّبّ إلهكم أرسـلني إليكم، فيقولون لي: ما اسمه؟ فقال الله تعالى: قل لهم: الأزلي الذي لم يزل أرسلني إليكم"1.

وقال الله تعالى في التوراة: "إني أنا [أهيه الذي أهيه]2 إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب هذا اسـمي إلى الأبد وإلى دهر الداهرين".

____

1 سفر الخروج 3/6-14، في سياق طويل.

2 في ص (أهيا شر أهيا) والتصويب من النّصّ في سفر الخروج 3/15.

الباب الخامس: في أن المسيح عليه السلام وإن قصد وطلب فما قتل وما صلب

وقال الله لموسى في التوراة: "أنا الله / (1/134/ب) إلهك فلا يكن لك إله غيري فلا تعبده ولا تسـجد له ولا تشبهه بشيء مما في السماء ولا مما في الأرض ولا مما في البحار"1.

وقال الله تعالى في التوراة: "اعلم أني أنا الله وحدي وليس معي غيري، أنا أميت وأحـيي وأنـا أقسـم وأبرئ، ولا ينجو أحد من يدي"2. وإفراد الباري بالوحدانية ونفي الشركاء في التوراة كثير جدّا.

وقال المسيح في إنجيل متّى: "لا صالح إلاّ الله الواحد"3.

وقال المسيح في إنجيل يوحنا ورفع بصره إلى فوق: "إلهي إن الحياة الدائمـة تجب للنـاس إذا علمـوا أنك الواحد الحقّ الذي أرسلت المسيح"4.

وقال أيضاً في إنجيل متّى جواباً للشيطان - حين قال لـه اسـجد لي وأعطيـك جميـع مـا في العـالم -: "أغرب عني يا شيطان، فإنه مكتوب للرّبّ إلهك اسجد وله وحده اعبد"5.

وقال في إنجيل يوحنا "إني ذاهب إلى إلهي وإلهكم"6.

وقال في إنجيل يوحنا أيضاً: "إني لم آت لأعمل بمشيئتي بل بمشيئة من أرسلني"7.

وقال في إنجيل مرقس: "إلهي إلهي لِمَ تركتني؟"8.

وقال في إنجيل متّى: "يا أبت إن أمكن صرف هذا الكأس عـني فأصـرها / (1/135/أ) لكن كمـا تشـاء أنت لا كما أشاء أنا"9.

وقال مرقس في إنجيله: "سأل المسيح

---

1 سفر الخروج 20/2-4.

2 سفر التثنية 32/39.

3 متى 19/16، 17، مرقس 1017، لوقا 18/18.

4 يوحنا 17/3.

5 متى الإصحاح (4).

6 يوحنا 20/17.

7 يوحنا 6/38.

8 متى 27/46، مرقس 15/34.

9 متى 26/43.

==

عن يوم القيامة، فقال: لا يعرفها ملائكة السموات ولا الابن يعرفها ولا يعـرف ذلـك اليـوم سـوى الأبّ وحده"1.

وقال في إنجيل يوحنا في الفصل الأوّل منه:"الله لم يره أحد قط"2.

وقال فيه لليهود: "لِمَ تطلبون قتلي وأنا رجل كلمتكم بالحقّ الذي سمعته من الله تعالى؟!"3.

وقال لليهود أيضاً:"لم تمجدون الناس ولا تجدون الله الواحد؟!"4.

وقال في إنجيل متّى: "إنّ ربّكم واحد فرد"5.

وقال شمعون الصفا في كتاب فراكسيس تأليف لوقا: "يـا بـني إسـرائيل اسـمعوا مقـالتي: إن يسـوع الناصري رجل ظهر لكم من الله بالقوّة والأيد والعجائب التي أجراها على يده"6.

قال داود في المزمور السابع عشر: "الله لا ريب فيـه، هـو منجي من توكّـل عليـه،لا إلـه إلاّ الـرّبّ ولا عزيز مثله"7.وذلك في المزامير كثير جدّاً.

وقال داود في المزمور التاسع والأربعين: "اسمع يا إسرائيل:أنا اللـه إلهـك لسـت/(1/135/ب)أوبخـك على ذبائحك وقودك أمامي في كلّ حين"8.

وقال فولس في رسائله: "إنه لا إله إلاّ واحد"9.

وقال أيضاً: "إن كان في الأرض آلهة وأرباب كثير فإن إلهنا إله واحد،هو الأب الذي منه كلّ شيء

---

1 مرقس 13/32.

2 يوحنا 1/18.

3 يوحنا 8/40.

4 يوحنا 5/44.

5 متى 23/9، كالآتي: "لأن أباكم واحد الذي في السموات".

6 سفر أعمال الرسل 2/22-24.

7 مزمور 18/30، 31، بألفاظ مقاربة.

8 مزمور 50/7، 8، وهذا المزمور منسوب إلى آساف رئيس الكهنة.

9 رسالة إلى رومية 3/30، 31، وإلى غلاطية 3/20، ورسالته الأولى إلى كورنثوس 8/4.

==

الباب الخامس: في أن المسيح عليه السلام وإن قصد وطلب فما قتل وما صلب

ونحن به تعالى"1. فمن زعم أن الذي ذكرناه كُفْرٌ فقد كَفر بتوراة موسى وإنجيل عيسى ونبوات الأنبياء.

المسألة الثّانية من العشر المفحمات:

إنا نسألهم عن هذا الإله الواحد الأزلي جلّ وعلا، أهو جسم ذو لحم ودم وأعضاء وشعر وظفر أم يتنَزَّه ويتقدّس عن ذلك؟

فإن قالوا: إن الباري يتقدس عن ذلك إذ هو خالق الأجسام، أخرجوا المسيح من الربوبية إذ الإنجيل يشهد من فاتحته إلى خاتمته بأنه ذو جسد ولحم وشعر وظفر، لا يفارق المخلوقين في شيء ولا يباينهم في هيئة.

وإن وصفوا الباري بهذه النقائص أكذبتهم التوراة والإنجيل والنبوات، قال الله تعالى في التوراة: "لا تشبهوني بشيء مما في السماوات فوق ولا في الأرض أسفل ولا في البحار تحت ولا بشيء / (1/136/أ) مما يدبّ من الحشرات والهوام"2. وغير ذلك وهو معنى قوله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ...}3.

وقال موسى في التوراة: "لا إله مثل إلهنا"4.

وقال أيضاً فيها: "لا إله مثل إله بني إسرائيل"5. والمسيح مما في الأرض وله أمثال وأشباه وأشكال.

وقال المسيح في الإنجيل: "إن الله لا يأكل ولا يشرب ولا رآه أحد قط"6. وذلك يقضي بنفي الجسمية عنه.

---

1 رسالته إلى كورنثوس 8/5، 6.

2 سفر الخروج 20/4.

3 {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}. [سورة الشورى، الآية: 11].

4 الخروج 15/11، بنحوه.

5 التثنية 10/17.

6 تقدم تخريجه. (ر: ص 129).

==

وقال داود في المزمور السبعين: "عليك توكلت يا ربّ، فلا أخزى أبداً، أنت إلهي وحافظي وحصني الذي ألجأ إليه في كلّ حين، أنت صانع العجائب لا نظير لك يا قدوس إسرائيل"1.

المسألة الثّالثة من المفحمات:

إنا نسأل النصارى عن الرّبّ الخالق الأزلي إله إبراهيم وداود وسائر العالم، هل يفتقر إلى الطعام والشراب فيجوع ويعطش وينام ويسهر وحزن ويفرح ويمشي ويركب أم لا؟

فإن قدَّسوا الباري عن هذه النقائص تركوا القول بربوبية المسيح؛ إذ الإنجيل من فاتحته إلى خاتمته يشهد بملابسة المسيح لهذه الأمور / (1/136/ب)، وإن جوَّزوا ذلك على الباري جلّ وعلا كفروا بالإنجيل والمزامير، قال المسيح في الإنجيل: "الله لا يأكل ولا يشرب ولا رآه أحد".

وقال داود في المزمور التاسع والأربعين2: "اسمع يا إسرائيل: أنا الله إلهك لست أوخك على ذبائحك وقودك أمامي في كلّ حين، لا أقبل ثيران بيتك ولا جداء غنمك؛ لأن لي جميع حيوان البرّ وطير السماء ووحش الصحاري، وأحسن الحقول معي، لي الدنيا وما فيها، لا آكل لحوم الثيران ولا أشرب دمّ المعزّ، أذبح ذبيحة المسيح، وأوفي للعلي نذورك، وادعني في يوم شدتك أنقذك".

وقال داود: "إن حارس بني إسرائيل لا تأخذه سنة ولا نوم"3.

---

1 مزمور 71/1-1.

2 ورد النّصّ في مزمور 50/7-15، وينسب هذا المزمور إلى (آساف)، وليس إلى داود كما ذكره المؤلِّف.

3 مزمور 121/4.

==

فمن زعم أن الباري مفتقر إلى هذه الأمور فللحيوان البهيم عليه فضل عظيم بشهادة نبيّ الله أشعيا حيث يقول في نبوته: "عرف الثور والحمار مَن مالكه ولم يعرف بنو إسرائيل إلههم"1.

وقول داود عن الله: "لا آكل لحوم الثيران ولا أشرب دماء المعز". موافق لقول الله تعالى في الكتاب العزيز (1/1/137أ): {لَنْ يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا وَلاَ دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُم}. [سورة الحجّ، الآية: 37].وقوله تعالى: {مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ}. [سورة الذّاريّات، الآية: 57].

المسألة الرّابعة من العشر المفحمات:

إنا نسألهم هل كان مع الله في أزله إله ثانٍ أو ثالث يشاركه في الربوبية ويساويه في الألوهية أم لم يزل سبحانه واحداً بغير ثانٍ وثالث؟!.

فإن قالوا: لم يزل واحداً فرداً وافقوا الملة الحنيفية، وفارقوا دين النصرانية حيث يقرؤون في الصلاة الأولى وهي التي يسمّونها صلاة السحر: "أيها المسيح ارحمنا واقبل تضرعنا، تعالوا نسجد لمسيح إلهنا، أيها الرّبّ المسيح حامل خطايا العالم ارحمنا أيها المسيح، أنت وحدك القدوس المتعالي بار كلّ يوم إلى الأبد".

وإن قالوا:بل كان معه في أزله آلهة أخرى،أكذبتهم التوراة والإنجيل والنبوات. قال الله تعالى في التوراة في السفر الأوّل منها - ويسمى سفر الخليقة - : "في البدء خلق الله السماء والأرض، وكانت الأرض خالية / (1/137/ب) خاوية غير مرئية،والظلمة غاشية وجه الغمر، روح الله يوف على المياه، فقال الله: ليكن كذا ليكن كذا، إلى أن أكمل سبحانه خلق السماء والأرض وما فيها في ستة أيام ثم خلق آدم وخلق منه حواء زوجته"2.

____

1 أشعيا 1/3.

2 سفر التكوين الإصحاح (1).

==

الباب الخامس: في أن المسيح عليه السلام وإن قصد وطلب فما قتل وما صلب

فالتوراة من فاتحتها إلى خامتها مصرحة بوحدانية الله تعالى، وأنه ليس معه إله غيره، وأنه مستبد بالخلق والاختراع.

وقال التوراة:"وكلّم الله آدم"1."وكلّم الله قايين"2."وكلّم الله نوحاً"3. "وكلّم الله موسى"4.كلّ ذلك بلفظ الوحدة ونفي الشركاء.

وقد قال موسى في السفر الخامس: "إلهي، أيّ إله في السماء أو في الأرض يعمل مثل أعمالك؟"5. وقال موسى في هذا السفر وهو يوصي بني إسرائيل: "احترسوا واحتفظوا بنفوسكم جداً، فإنكم لم تروا شبهاً في اليوم الذي كلمكم الله ورأيتم مجده، إياكم أن تبعدوا آلهة معمولة من الخشب والحجارة وغيرها، فحينئذٍ تطبون الله فلا تجدونه، أقبلوا يا بني إسرائيل إلى الله ربّكم وجده،واعبدوه،ووحّدوه،تجدونه إذا طلبتموه من كلّ قلوبكم وأنفسكم/ (1/138/أ) لأن الله ربّكم إله رحيم لا يخذل ولا يُسلِّم من عَبَده ووحَّدَه وعلم أنه لا إله غيره هو ربّ كلّ شيءٍ وإلهه، واعملوا أن الله هو إله في السماء فوق وفي الأرض أسفل وليس إله سواه"6.

وقال الله تعالى في هذا السفر من التوراة: "احفظوا ما آمركم به، ولا تحيدوا عنه يميناً ولا شمالاً، بل سيروا في الطريق التي أمركم بها إله ربّنا واحد فأحبوه من كلّ قلوبكم وأنفسكم وأموالكم، واكتبوا

ذلـك في قلـوبكم، وتكلمـوا بـه إذا سـافرتم أو أقمتم أو رقـدتم وشـدّوه على أبـدانكم، وليكن مَيْسَـماً بين أعينكم،

---

1 سفر التكوين الإصحاح (2، 3).

2 سفر التكوين الإصحاح (4/6).

3 سفر التكوين الإصحاح (6، 7).

4 سفر التكوين الإصحاح (3، 4).

5 سفر التثنية 3/24.

6 سفر التثنية 4/15-39، في سياق طويلٍ وقد أورده المؤلِّف مختصراً.

==

الباب الخامس: في أن المسيح عليه السلام وإن قصد وطلب فما قتل وما صلب

واكتبوا على [قوائم]1 بيوتكم وأبوابكم. واتّقوا الله وإيّاه فاعبدوا، وباسـمه فاقسـموا، ولا تعبـدوا آلهـة أخرى، فالله ربّكم إله غيور"2.

وقال الله في التوراة: "إن دعاك قريبك أو صديقك إلى عبادة إله غـير اللـه فاقتلـه ولا تحنن عليـه ولا ترحمه، أنا الله وحدي وليس معي غيري"3.

وقال رجل للمسيح في الإنجيل: "يا معلم، ما أوّل الوصايا؟ فقال المسيح: أوّل الوصايا كلّها اسـمع يـا إسـرائيل، الـرّبّ واحـد، أحبـب الـرّبّ إلهـك من كـلّ قلبـك ومن / (1/138/ب) كـلّ قوتـك، ففي هـذا جميـع نواميس الأنبياء"4.

وقال المسيح في إنجيل يوحنا: "ورفع رأسه إلى السماء: أنت الإله الحقّ وحدك الذي أرسلت يسوع". وقد قال في النبوات: "أنا الله الأوّل، أن الله الآخر وليس معي غيري"5.

فمن زعم أن مع الله تعالى غيره فقـد كفـر بمـا تلونـاه من كتب اللـه، وصـار لا مسـلماً ولا يهوديـاً ولا نصرانياً، ومن صرّح بذلك لم يقبل منه سوى الإسلام أو السيف.

المسألة الخامسة من العشر المفحمات:

إن نسأل النصارى عن الرّبّ الأزلي جلّ وعلا، هل يجوز أن يُقهر ويُغلب ويُقتل ويُصلب أم لا؟

فإن نزّهوا الباري عن ذلك أبطلوا قولهم في المسيح، إذ يقرؤون في صلاة الساعة السادسـة: "يـا من سُمِّرت يداه على الصليب خرق العُهْدة المكتوب فيها خطايانا وخلّصنا، يا من سُمِّر على الصليب وبقي حتى لصق دمه عليه، قد أحببنا الموت لموتك، نسألك يا الله بالمسامير التي سُمِّرت بهم نَجِّنَا".

---

1 في ص (معاقم) والتصويب من النّصّ.

2 سفر التثنية 5/31-33، 6/4-15.

3 سفر التثنية 13/6-11.

4 مرقس 12/28-30.

5 سفر أ شعيا 44/6.

وإن جوّزوا ذلك على الله تعالى أكذبتهم التوراة والإنجيل والمزامير، / (1/1/139أ) إذ التوراة تشهد في السفر الأوّل1 منها أن الله أنزل الطوفان، وأهلك الجبابرة والفراعنة والطغاة والنماردة وسائر الملـوك من بني آدم وكلّ ذي روح من الحيوان البهيم وغيره، وكذلك تشهد أنّ الله غَرَّق فرعون وهـو في سـتمائة ألـف فارس في البحر في ساعة واحدة2، ولم يُقْهر سبحانه ولم يغلب بل هو القاهر الغالب جلّ وعلا.

وقد قال المسيح في إنجيله: "لا صالح إلاّ اللـه الواحـد، ولا يعلم يـوم القيامـة سـوى اللـه وحـد". فمن ألحق بالله شيئاً من هذه النقائص فقد افترى على الله، تعالى الله عن قول الجاهلين علوّاً كبيراً.

قال داود في المزمور السابع عشر: "لا إله إلاّ الله، لا عزيز مثل إلهنا، الذي عَلَّم يـدي القتـال، وشـدّد ذراعي مثل قوس النحاس، يمينه نصرتي، أطلب أعدائي فأدركهم، عضّدي في الحـرب، بقوتـه جعـل الـذين قاموا عليّ تحتي، سحق أعدائي مثل التراب ومثل طين الطرق أطؤهم، صيَّرهم رأساً على الشعوب"3.

المسألة السّادسة من العشر المفحمات:

إنا نسأل النصارى عن ما تضمنه الإنجيل من أقوال المسيح وأقوال تلاميذه فيه أحقّ هو أم باطل؟

فإن زعموا أنها باطلة كفروا بالمسيح، وساووا في ذلك اليهود والمجوس وغيرهم.

وإن قالوا: إنها حقّ وصدق، اعترفوا بعبودية المسيح ونبوته ورسالته

____

1 سفر التكوين الإصحاح (7، 8).

2 سفر الخروج الإصحاح (14).

3 المزمور 18/31-43.

أسوة غيره من الأنبياء والمرسلين، إذ قـال المسـيح في إنجيلـه: "أنـا ذاهب إلى إلهي وإلهكم". وقـال المسيح فيما حكوا عنه: "إلَهي إلَهي لِمَ تركتني؟".

ولا خلاف بين النصـارى أن المسـيح تطهَّر وتعمَّد وصـام وصـلى وتعبَّد وأخلـف إلى العلمـاء في طلب العلم وتردد: "وفاوضته امرأته من السامرة فقالت له: إن آباءنا سجدا في هذا الجبـل، فكيـف تقولـون أنتم إنه أورشليم؟ فقال: يا هذه أنتم تسجدون لما لا تعلمون، ونحن نسجد لمن نعلم"1. أخبرها أن له ربّاً يسجد له وإلهاً يعبده، وذلك مقصد لقوله تعالى حكاية عنـه: {قَـالَ إِنِّي عَبْـدُ اللـهِ آتَـانِيَ الكِتَـابَ}. [سـورة مـريم، الآية: 30].

وقد قال متَّى في إنجيله: "إن المسيح حين دخل أورشليم وارتجّت المدينة لدخوله، قال الناس: هذا يسوع النبي الذي من ناصرة الجليل"2.

وقال لوقا في/(1/140/أ)إنجيله. "صحب يسوع بعد قيامه رجلين، وهما يتحدثان في أمره، فقال لهما: من تذكران؟ فقالا: يسوع الناصري كان رجلاً نبيّاً قويّاً بالأعمال"3. فأقرّهما ولم ينكر عليهما.

وقال لوقا: "لما أحيا يسوع المسيح ابن الأرملة وسلّمه إلى أمه، قال الناس: لقد قام فينا نبيّ كريم، وتعاهد الله شعبه بصلاح، فذاع ذلك في اليهودية"4. ولم ينكره عليه السلام.

وقال يوحنا في إنجيله: "كان الناس إذا سمعوا كلام المسيح ورأوا وجهه قالوا: هذا النّبيّ حقّاً"5.

وقال لوقا: "قال الفريسيون ليسوع: اخرج من هاهنا، فإن هيرودس يريد قتلك، فقال: امضوا وقولوا له إني أقيم هاهنا اليوم

---

1 يوحنا 4/19-22.

2 متى 21/10-11.

3 لوقا 24/13-19.

4 لوقا 7/12-17.

5 يوحنا 7/40.

==

[وغداً]1 وفي اليوم الثالث أكمل لأنه لا يهلك نبي خارجاً عن أورشليم"2.

وقال يوحنا حبيب المسيح: "إن المسيح لما أطعم من حوتين وخمس خبزات جماً عظيماً، قال الناس: حقّاً إنّ هذا لهو النّبيّ الآتي إلى العالم"3.

فإن صدّق النصارى أقواله وأقوال تلاميذه فقد اعترفوا بعبوديته ونبوته، وإن ردوا أقواله كفروا به جملة، وساووا في ذلك سائر الكفار/ (1/140/ب).

المسألة السابعة من العشر المفحمات:

إن نسأل النصارى عن يسوع المسيح، هذا الذي يتّخذونه إلهاً مع الله، هل كان آدم ونوح وإبراهيم وموسى وهارون وأهل مللهم في زمانهم يعرفونه أم لا؟.

فإن زعموا أنهم ما كانوا يعرفونه فقد أزروا على من ذكرنا من أنبياء الله وأهل صفوته وشهدوا عليهم بالكفر الصريح، إذ كانوا لا يعرفون ربّهم يسوع المسيح الذي لا يصحّ التوحيد دون معرفته.

وإن قالوا: إنهم كانوا عارفين به أنه هو ربّهم وخالقهم، أكذبتهم كتبهم ونبواتهم، إذ ليس فيها شيء من هذا القبيل، وأزروا على المسيح وعلى تلاميذه وخطوؤهم في أقوالهم، إذ يخاطبون المسيح بلفظ العبودية والنبوة والرسالة كما تقدم في بابي عبوديته ونبوته. وكيف يكون المسيح ربّ موسى وإبراهيم ومَن ذكرنا وشمعون الصفا رئيس الحوريين يقول في رسالته إلى إخوانه: "اعلموا أن الله أرسل إليكم يسوع المسيح" 4. ويقول: "اعلموا أن المسيح رجل جاءكم من الله بالقوة والأيد؟"5.

1 في ص (وغد) ولعل الصواب ما أثبته.

2 لوقا 13/31-33.

3 يوحنا 6/10-14.

4 سفر أعمال الرسل 2/26.

5 سفر أعمال الرسل 2/22-24.

==

الباب الخامس: في أن المسيح عليه السلام وإن قصد وطلب فما قتل وما صلب

فكيف يكون المسيح ربّاً وإلهاً والمعمداني يغسله /(1/141/أ) ويعمّده بالماء ويقول حين رآه: هذا الذي قلت لكم إنه يأتي بعدي وهو أقوى منّي؟!.

وكيف يكون المسيح إلهاً لداود وغيره، وداود يقول في مزاميره: "إن المسيح يكون كاهناً مؤيّداً من الله يشبه "ملكي صادق"، خادم البيت المقدس؟!"1.

وقد قال المسيح: إنه أفضل من يونس بن متّى2، وإنه أفضل من سليمان3. وقال فولس: إنه أفضل من موسى بن عمران4.

فهذه الأقوال من المسيح ومن خيار أصحابه ومن بينا عليه من الأنبياء دليل على كذب النصارى.

المسألة الثامنة من العشر المفحمات:

إنا نسألهم عن آدم عليه السلام لما زلَّ وهفا، هل استرجع وتاب وأقلع وأناب أم لا؟

فإن زعموا أن آدم لم يتب، أكذبتهم الكتب التي بأيديهم، فإنها مصرحة بأنه حين أسف وندم لجأ إلى الله، وتاب الله عليه.

وإن اعترفوا بتوبته - ولا بُدَّ لهم من ذلك - قيل لهم: فلا حاجة إذاً إلى قتل المسيح وصلبه إذ التوبة [تمحو]5 الجريرة، ولا تدع على التائب صغيرة ولا كبيرة.

فإن قالوا:إنه لا بُدَّ من قتل المسيح، فالتوبة لا أثر لها بل حال التائب بعد التوبة النصوح حاله قبل التوبة في ملابسة القبيح / (1/141/ب).

1 مزمور110/4، 5،وقد استشهدبه بولس في رسالته إلى العبرانيين5/6،10، 6/20.

2 متى 12/41.

3 متى 12/42.

4 رسالته إلى العبرانيين 3/3.

5 في ص (تمحوا) والصواب ما أثبته.

==

فالقول بصحّة التوبة ينفي القول بالقتل والصلب، والقول بالقتل والصلب ينفي صحّة التوبة.

المسألة التّاسعة من العشر المفحمات:

إن نسأل النصارى هل يوصف الباري سبحانه بالجهل بالغيب أم لا؟

فإن وصفوه بذلك تجاهلوا، إذ التوراة والإنجيل وسائر كتب التَّنْزِيل تشهد بأنه تعـالى عـالم بالمغيبـات، محيط بما تحت تخـوم الأرضـين إلى أعلى السـموات، {أَلاَّ يَعْلَمُ مَنْ خَلَـقَ وَهُـوَ اللَّطِيـفُ الخَبِـير}. [سـورة تبارك، الآية: 14].

فإن قالوا: إنه لا يصلح مَن هذا حاله للربوبية تركوا ما يهتفون بـه من ربوبيـة المسـيح إذ "سُـئل عليـه السلام عن القيامة وعن يومها فقال: لا أعرف يومها ولا ساعتها ولا يعرفها إلاّ الله وحـده"1. و"قـال لمـريم ومرثا - أختي ألعازر حين مات - أين دفنتمـوه؟"2. و"قـال عليـه السـلام لرجـل: منـذ كم أصـاب ابنـك هـذا المرض؟"3. و"قصد شجرة تين ليصيب منها، فلم يجد بها ثمرة فدعا عليها"4. و"جاءته الكنعانية مؤمنة بـه، فلم يعلم بإيمانها"5.

فهذا مصرح بأن المسيح عليه السلام لا يعلم إلاّ ما علمه الله ربّه وإلهه، وفي ذلك تكذيب لقـولهم في الأمانة التي لهم / (1/142/أ) إذ يقولـون: "إن المسـيح إلـه حـقّ وإنـه خـالق كـلّ شـيء، وإنـه بيديـه أتقنت العوالم، فإن كانت الأمانة صحيحة فقد كذب الإنجيل، وإن كان الإنجيل صحيحاً فقد كفـر من عقـد لهم هـذه الأمانة، التي هي في الحقيقة فساد الأمانة.

---

1 مرقس 13/32.

2 يوحنا 11/33، 34.

3 مرقس 9/21.

4 متى 21/19، مرقس 11/13.

5 متى 15/21-28.

المسألة العشرة من المفحمات:

إنا نسأل النصارى، هل كان الباري تعالى يوصـف بالقـدرة على خلاص آدم وذريتـه، دون قتـل المسـيح وصلبه والتنكيل به أم لا؟

فإن قالوا: لا يقدر على ذلك، جعلوا الله مضطراً مدفوعاً إلى قتل المسيح، عاجزاً عن خلاص عباده إلاّ بذلك، وأكذبتهم التوراة والإنجيل وسائر كتب التَّنْزِيل، إذ يقول: "إن اللـه خلـق العـالم بمـا فهي، وفعـل من ذلك ما شاء وأراد: {لاَ يُسْأَل عَمَّا يَفْعَلُ وَهُم يُسْأَلُون}. [سورة الأنبياء، الآية: 23].

وإن وصفوا الباري بالقدرة على ذلك جَـوَّروه ونسـبوه إلى الحيـف على المسـيح، وذلـك يفسـد عليهم القول بالتحسين والتقبيح.

دعوى للنصارى في ما يرومونه من قتل المسيح وصلبه:

زعموا بأجمعهم أن آدم لما تخطى ما أُمر به وزلّ استحقّ العقاب، فلما توجه عليه العتاب أشفق من ذنبه وتقطع / (1/142/ب) أسفاً على مخالفة ربّه، فرحمه الله ولطف له وفداه بابنه المسيح، فكان كلّ ما نزل بالمسيح من ضربٍ وإذلالٍ وصلبٍ وموتٍ إنما هو فداء وقضاء عن آدم، فضرب عوضاً من رفاهية آدم، وأهين بدلاً من عزّه الذي أمله بالخلود في الجنة، وصلب على خشبة لتناوله الشجرة، وسُمّرت يداه لامتداد يد آدم إلى الثمرة، وسقي المرَّ والخل عند عطشه لاستطعام آدم حلاوة ما أكله، ومات بدلاً عن موت المعصية الذي كان آدم يتوقعه لولا قتل المسيح، فاقتضت حكمة الله الأزلي أن لا يعذب عبده آدم لوجود التوبة النصوح الصادرة منه، وأن لا يُهمل مجاناً فيقع الخُلف في خبره، وذلك رحمة من الله ولطف لآدم وبنيه وإظهار الشرف للمسيح، إذ جعله كبش قربان العالم

1سورة الانبياء:23

==

الباب الخامس: في أن المسيح عليه السلام وإن قصد وطلب فما قتل وما صلب

بأسره فصبر المسيح ولم ينازع، واستسلم ولم يدافع، فهذه هي الحكمة في قتل المسيح وصلبه1.

والجواب أن نقول: أليس قد وافقتم على أن آدم لما ورد عليه العتاب استرجع وتاب وأقلع وأناب؟ وإذا كان الأمر كذلك فأيّ شيء / (1/143/أ) أنفت التوبة من ذنبه حتّى يقتل المسيح فِدَاءً عنه؟!.

والتائب من الذنب كمن لا ذنب له فصار قتل المسيح عبثاً، والرّبّ يتعالى ويتقدّس عن العبث، وليس قوله تعالى لآدم نصاً، بل هو ظاهر يدخله النسخ والتخصيص والدليل عليه أنه لو وصله بالكلام وقال: إن عصيتني عذّبتك إلاّ أن تتوب، لقبله الكلام ولم ينب عنه، ولعُدَّ كلاماً حسناً، وإنما ترك الزيادة فلم يصلها بالكلام ليكون أدعى إلى الانكفاف، وهكذا كلّ ظاهر فإنه يرد مطلقاً بلفظ يوهم التأبيد ثم يجيئ الناسخ والمخصّص فيبيّن أن المطلوب وقتاً

---

1 هذا هو الأساس الثاني من أسس العقيدة النصرانية المنحرفة، وهو بإيجاز: الاعتقاد بصلب المسيح تكفيراً عن خطيئة آدم التي انتقل إثمها إلى ذريته من بعده.

ومنشأ هذه العقيدة يُبينه لنا أرنست ذي بولس الألماني في كتابه: (الإسلام والنصرانية الحقّة ص 142)، إذ يقول: "إن جميع ما يختص بمسائل الصلب والفداء هو من مبتكرات ومخترعات بولس ومن شابهه من الذين لم يروا المسيح، لا من أصول النصرانية الأصلية". اهـ.

ويضيف المؤرخ ول ديورانت بأن عوامل عديدة قد أوحت إلى بولس بتلك العقيدة، منها: انقباض نفس بولس وندمه بالصورة التي استحال إليها المسيح في خياله، وتأثره بالفلسفة الأفلاطونية والرواقية التي تنبذ المادة والجسم واعتبارهما شرّاً وخبثاً. وتأثره كذلك بالطقوس الوثنية في التضحية الفدائية للتكفير عن خطايا الناس، وتلك عقيدة موجودة عند الوثنيين في مصر وآسيا الصغرى وبلاد اليونان التي تؤمن بالآلهة التي ماتت لتفتدي بموتها بني الإنسان. (ر: قصة الحضارة 11/263-265، بتصرف).

ولاستحالة هذه العقيدة ووضوح بطلانها في العقول والفطر السليمة فإنها كانت من أهمّ الأسباب التي أدّت بالمهتدي عبد الأحد داود إلى اعتناقه الإسلام ونبذه النصرانية وتأليفه كتاب: (الإنجيل والصليب).

(للتوسع، ر: الفارق بين المخلوق والخالق ص 278، وما بعدها، لعبد الرحمن البغدادي. الإنجيل والصليب ص 6-10. 124-127، وكتاب العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ص 48-57، وما بعدها للأستاذ محمّد طاهر التنير، وكتاب المسيح إنسان أم إله ص 131-162، المهتدي محمّد مجدي مرجان، وغير ذلك...).

==

الباب الخامس: في أن المسيح عليه السلام وإن قصد وطلب فما قتل وما صلب

قد انقضى ومضى وأنه ليس مسترسلاً أبداً، فهو سبحانه توعد آدم إلاّ أن يتوب وقد تاب، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، فلا معنى بعد ذلك لقتل المسيح.

ثم نقول لهم: أخبرونا عن هذا القضاء الذي تدّعونه، أليس هو استدراك مصلحة الأداء، وهو أن يأتي القاضي بمثل ما فَوَّت؟!.

فإذا قالوا: نعم. قلنا: فالذي فَوَّته آدم هو الانكفاف عن الأكل، وقد قضاه المسيح بصومه ووصاله أربعين يوماً / (1/143/ب) بلياليها كما حكيتم عنه في الإنجيل، وفي ذلك قضاء لما ضيّعه آدم؛ لأنه من جنس الأداء المفَوَّت فلا حاجة إلى قتل المسيح إذ هو خارج عن جنس الأداء المضيَّع.

فإن قالوا: إن آدم وجب عليه موت المعصية، وهو: الخلود في النيران أبداً وهو أعظم الموتتين، فجاء موت المسيح قضاء عن ذلك الموت فصار من جنسه.

فنقول: هذا باطل؛ لأنه لو كان موت المسيح من جنس موت آدم لكان المسيح قد أماته الله موت الخطيئة، فكان يكون مخلداً في دركات النار بدلاً عن آدم، فأما إذ مات موت الطبيعة - ينقضي عن صاحبه وشيكاً - فكيف جعلتم موتاً لا بقاء له مكافئاً لموت لا انتهاء له؟!!. فبطل ما عوَّلتم عليه، وإذا بطلت دعواكم بطل قتل المسيح إذ صار ساذجاً عن المعنى، فارغاً من الفائدة والرّبّ يتعالى عن العبث.

ثم نقول لهم: أليس ولد الصُّلب أولى من ولد الابن، وولد البنت في ا لميراث وكثير من الأحكام،فما الذي أصار المسيح على بُعْدِه/(1/144/أ) أحق من شيث[1] ومن

---

1 شيث عليه السلام: اسم سامي معناه: (معين أو بديل)، ابن آدم. وقد ولد بعد قتل هابيل فكان بديلاً عنه، وقد عاش 912 سنة. (ر: تكوين 5/3، قاموس ص 531).

قال الإمام ابن كثير في قصص الأنبياء 1/57: "فلما مات آدم عليه السلام قام بأعباء الأمر بعده ولده شيث عليه السلام، وكان نبيّاً بنص الحديث الذي رواه ابن حبان في صحيحه. (ر: موارد الظمآن ص 53) عن أبي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله أنزل مائة صحيفة وأربع صحف، على شيث خمسين صحيفة..." اهـ.

==

في درجته بهذا الفداء والقضاء؟ فإن قالوا: المسيح هو ابن الله ولم يصلح لفداء الخلائق وخلاص الأمم سواه.

قلنا: ليس من العدل أن يجني ابن آدم فَيُقْتَل ابن الله في جنايته. ثم نقول: أليس إسرائيل عندكم في التوراة هو بكر الله، والبِكْرُ أولى وأفضل عند أبيه من غير البكر، فهلا فداه به ولم يدع الناس في العذاب إلى حين مجيء المسيح؟!.

ثم نقول: إن المسيح عند طائفة منكم1 هو الله الأزلي، وعند أخرى2 هو ابن الله، فكيف يستقيم أن يقتل الله نفسه أو ابنه بدلاً عن عبده؟!. و{الله يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوتِهَا}. [سورة الزمر، الآية: 42]. فكيف يتوفّى نفسه، فيتّحد القاتل والقتيل فيكون قاتلاً قتيلاً؟!.

ثم نقول: أرأيتم لو أنّ رجلاً أمر عبده بأمر فخالفه فغضب عليه وتوعده فخافه العبد وأشفق من عقوبته وراجع خدمته وشمّر في مرضاته فعطف عليه مولاه فرحمه، ثم عمد إلى ولد نفسه فقتله وصلبه على أعلى جذع، ثم التفت إلى عبده فقال: هذا فداؤك، أكنتم تعدونه حكيماً؟!.

ثم نقول: ألستم عبتم قول ربّنا جلّ اسمه: {وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُم}. [سورة النساء، الآية: 157]. وزعتم أن ذلك ظلم وحيف لا يليق بالحكمة؟ فكيف نسيتم نفوسكم هاهنا؟! وجوَّزتم أن يقتل الله المسيح ويصلبه وينكل به فداء عن آدم، ولم تجعلوا ذلك ظلماً وحيفاً؟! والجور لا يجوز على الولد كما لا يجوز على العبد والأجنبي.

____

1 وهم طائفة اليعقوبية كما سيأتي بيانه في الباب السابع.

2 وهم طائفة النسطورية، كما سيأتي بيانه.

==

ثم نقول: أليس يجب أن يكون القضاء متصوراً بصورة الأداء - هو أن يأتي القاضي بمثل ما فات - والمسيح عندكم ليس مثل آدم؛ لأن آدم إنسان محض والمسيح ليس محضاً بل قلتم إنه عبارة عن لاهوت وناسوت اتّحدا، وإذا كان الأمر كذلك فليس في قتله ما يقضي عن آدم.

فإن قالوا: هذا بمثابة مَن عليه درهم، فقضى درهماً وديناراً، فإن ذلك يُعَدُّ من حسن القضاء.

قلنا: هذا خطأ في التمثيل. بل ذلك بمثابة مَنْ عليه صوم فقضاه بصلاة أو زكاة لا يكون قضاء، وإذا كان المسيح ليس إنساناً محضاً، فكيف يكون مكافئاً لإنسان / (1/145/أ) محض وآدم صرف؟!.

ثم نقول: بم تنكرون على من يزعم أن الذي فُدِي به آدم إنما هو هابيل ابنه لصُلبه فإنه استسلم للقتل فحصلت له الشهادة ولأبيه الفداء؟!. وهذا أولى لوجهين:

أحدهما: أنه من جوهر أبيه آدم، فهو إنسان حقّ من إنسان حقّ من جوهر آدم، فأما المسيح فهو عندكم إله حقّ من إله حقّ من جوهر الله كما عقدتم في أمانتكم.

والوجه الثاني: أن في الفـداء بهابيـل المبـادرة إلى خلاص الخلائـق من الجحيم، وفي الفـداء بالمسـيح بقاء آدم وذريته في العذاب خمسة آلاف سنة1.

____

1 يعتقد النصارى - بناء على أن المسيح صلب تكفيراً عن خطيئة آدم التي انتقـل إثمهـا إلى ذريتـه من بعده - أن أرواح الناس جميعاً بما فيهم الأنبياء والرسل - قبل المسيح - كانت تتعـذب في نـار جهنم إلى أن صـلب المسـيح ومـات ودفن ونـزل إلى الجحيم فـأخرج منهـا أرواح آدم وذريتـه، ثم في اليـوم الثـالث قـام المسيح من الأموات. (ر: قـانون الإيمـان ص 353، ومـا بعـدها، تحفـة الأريب للترجمـان ص 150). ويعتمـد النصارى في اعتقادهم ذلك على ما ورد في نصّ قانون إيمان الرسل (الأمانة)، الذي كان من قرارات نيقية المشهور سة 325م.

ويتملكنا العجب إذا عرفنا أن تلك العقيدة لا يشير إليها أيّ نصّ في الأناجيل الأربعـة المعتمـدة لـديهم، وإنما وردت في إنجيل نيقوديموس (نيكوديم) 17/13 - وهو أحد رؤساء اليهود الذين آمنوا بالمسـيح - وهـذا الإنجيل من ضمن الأناجيل المرفوضة من النصـارى. (ر: المسـيح في مصـادر العقائـد المسـيحية ص 306-309، الأسفار المقدسة ص 106، د. عليّ وافي).

ومما لا شكّ فيه أن القول بنزول المسيح إلى جهنم وتخليص أرواح الناس والأنبياء والرسل السـابقين منها إنما هو زيغ وضلال وكفر، فإنه لا يعقل أن يكون الأنبياء والصالحون في نار جهنم، وإلاّ فمـا الفائـدة أن يسعى الناس ليكونوا صالحين إذا كانت نهايتهم سواء مـع الظـالمين والفاسـدين في نـار جهنم؟!!! {أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لا يَسْتَوُونَ}. [سورة السجدة، الآية: 18]. وكيف يكون الأنبياء في الجحيم وقـد بيّن لوقا في إنجيله 16/23-25 على لسان المسيح أن الموتى من الصالحين ينتقلون فوراً إلى النعيم بينمـا يتلظى الأشقياء في نار الجحيم؟!!.

==

الباب الخامس: في أن المسيح عليه السلام وإن قصد وطلب فما قتل وما صلب

وكان الفداء (بهابيل) أولى ولاسيما على أصلكم، فإنكم توجبون على الله تعالى رعاية الأصـلح لعبـاده، وليس من الصلاح فضلاً عن الأصلح أن يعاقب الله عبيده آلافاً من السنن وله مندوحة عن ذلك.

ثم نقول: ألستم رويتم عن توراتكم أن الله كان قد فدى ولد عبده إبراهيم بـذبح عظيم؟! فـإذا قـالوا: بلى. قلنا لهم: أفكان ولـد عبـده أزكى لديـه وأعـزّ عليـه من ولـده المسـيح / (1/145/ب) أم تقولـون: إنـه أعوزته الغنم فلم يقدر على رأس يذبحها ويريح العالم من الفتنة؟! وقـد رويتم لنـا مـا يـدل على أن البـاري سبحانه صان المسيح عن شرّ أعدائه، وحماه من القتل والإهانة التي ذكرتم في التوراة: "إن الله تقدم إلى إبراهيم بذبح ولده، فلما عزما على امتثال أمر الله لطف الله لهما وفدى الولد"1. وتعقب ذلك الأمر الحزم والحكم الحتم رحمة لعبده، وإذا كان ذلك جائزاً في حكمه فلعل الله تعالى قد أمر المسـيح في حـقّ نفسـه بما أمر به إبراهيم في حقّ ولده فاستسلم المسيح وانتهى إلى ما أمره الله بـه وصـار يخـبر بـذلك تلاميـذه كما كان إبراهيم يخبر به ولده.

____

1 سفر التكوين الإصحاح (22). في سياق طويل وقد ورد فيه: "أن الله تعالى قال لإبـراهيم خـذ ابنـك وحيدك الذي تحبه إسحاق...". وهذا النص مما يُظهـر تحريـف اليهـود ويفضـحهم، فقـد أضـاف اليهـود اسـم إسحاق في النص ليدعوا بأنه هو الذبيح وليس إسماعيل عليهمـا السـلام، علمـاً بـأن النّصّ يقـول لإبـراهيم: "ابنك وحيدك"، ومما هو معلوم ومـذكور في التـوراة أن إسـماعيل بكـر أبنـاء إبـراهيم ووحيـده قبـل مجيء إسحاق، فكيف يدّعي اليهود أن إسحاق هو الذبيح؟!!.

ثم لما صحّ عزم المسيح على تجرع الكأس الذي أُمِرَ به لَطُفَ الله له ورحمه وفـداه برجـل قـد حضـر أجله، فإن عناية الله بالمسيح لا تتقاصر عن عنايته بولد عبده إبراهيم.

وقد حكيتم لنا: "أن [حزقيا]1 ملك يهوذا مرض، فأوحى اللـه إلى أشـعيا عليـه السـلام أن قـل لحزقيـا يوصي فإنه ميت من علته هذه / (1/146/أ) فدخل إليه أشعيا عليـه السـلام وأخـبره بـوحي اللـه، فاسـتقبل [حزقيا] الجدار وبكى وتضرع إلى الله تعالى، فنزل الـوحي على أشـعيا قبـل خروجـه من الـدار وقـال: قـل [لحزقيا] إنك تعافى من علتك هذه، وتنزل إلى الهيكل بعـد ثلاثـة أيـام، وقـد زيـد في عمـرك خمس عشـرة سنة"2.

وإذا كان هذا وشبهه غير مستحيل عند النصارى، فما الذي أحاله في حقّ المسيح، وقد تضرع إلى اللـه غير مرّة في صرف كأس المنية عنه كما شهد به الإنجيـل؟ والمسـيح لا تـرد لـه عنـدهم دعـوة، فلعـل اللـه تعالى قد أجاب دعاءه ورحم نداءه وحال بين اليهود وبين ما أرادوا منه.

ثم نقول لهم: وبم تنكرون على من يرى أن الله تعالى تاب على عبده آدم، وعافا نبيّه المسـيح وفـداه بكافر عَجَّله3 إلى النار أو بمؤمن عجله إلى الجنة؟!4. فأي شيء تنكرونه من ذلك؟! وقـد بينـا فيمـا تقـدم وقوع الشبه وسؤال رئيس الكهنة للشبه: أأنت المسيح؟ وتورية الشبه في الجواب، وأنه لو كان هو المسيح نفسه لما / (1/146/ب) استعمل الحيدة مع استغنائه عن ذلك.

____

1 في ص (حزقيـال) والتصـويب من النّصّ.وحزقيـا:اسـم عـبري معنـاه:(الـرّبّ قـدقوي، أو الـرّبّ قوة).وهوابن آحازملك يهوذا،وقد مات نحو693،ق.م.(ر:قاموس ص305).

2 سفر أشعيا 38/1-5.

3 هذا على القول بأن الذي صلب هو الخائن يهوذا الأسخريوطي الذي وشى لليهود بمكان المسيح.

4 وهذا على القول بأنه الحواري الذي فدى المسيح بنفسه وصلب بدلاً عنه.

ويقال للنصارى: ما تقولون في أحدنا اليوم إذا عصى ربّه وارتكب إثماً واحتقب1 وزراً، أتجزيه التوبة أم لا بدّ أن يقتل ويصلب؟

فإن قلتم: تجزيه التوبة، فمن أصاره بهذا التخفيف أولى من صفي الله آدم؟! إذ قلتم: لا بدّ مع توبته من قتل المسيح لأجله.

وإن قلتم: لا تجزيه التوبة، أكذبتم فولس الرسول، حيث يقول في صدر كتابه: "أتراك تقدر على الهرب من عقوبة الله الذي أنه مجترٍ عليه، أو لا تعلم أن إمهال الله لك إنما هو ليقبل بك إلى التوبة؟"2.

قد صرح فولس في هذا الكلام أن التوبة مجزئة ومخلصة فلا حاجة إلى قتل وصلب. ويقال للنصارى: ألستم تعلمون أن الله إنما فدى آدم بالمسيح رحمة لآدم وامتناناً عليه، فقتل المسيح بدلاً من الموت الذي وجب على آدم؟! فإذا قالوا: بلى. قيل لهم: أليس ناسوت الميسح [إنساناً]3 من بنى آدم يحس ويألم ويفرح ويغتم؟!.

فإذا قالوا: بلى. قيل لهم: فكيف فدى آدم ببعض آدم، فقد صارت النعمة مشوبة بالكدر والنفع الحاصل / (1/147/أ) مشوشاً بالضرر؟!

فإن قالوا: هذا بمثابة المال يشرف على الهلاك، [فتقتضي]4 الحكمة إتلاف بعضه لصون بقيته.

فنقول: إنما ذلك لعسر الأمر على المالك، إذ هو مدفوع، إما لهلاك الكل أو البعض، فكأنه كالمكره المحمول على ذلك، والله سبحانه لا مستكره له وليس مضطراً محمولاً ولا يفعل ما يفعله لعلة، فلو عفا عن أجرم عبيده وأحسن إليه لم يعد ذلك منه إلاّ حسناً ولم ينقص الإحسان [خزائنه]5، ولو عاقب

____

1 احتقب: ادخر. (ر: القاموس ص 97).

2 رسالة بولس إلى رومية 2/3-5.

3 في ص (إنسان) والصواب ما أثبته.

4 في ص (فتتقاضى) والصواب ما أثبته.

5 في ص (حراينه) والصواب ما أثبته.

==

أطوع الناس لم يقبح ذلك منه1، وقد أخبرت التوراة أن الله تعالى عفا عن

____

1 ينفي الأشاعرة قطعاً أن يكون لشيء من أفعال الله تعالى علة مشتملة على حكمة تقضي إيجاد الفعل أو عدمه، هو ردّ فعل لقول المعتزلة بالوجوب على الله، حتى أنكر الأشاعرة كل لام تعليل في القرآن الكريم وقالوا: إن كونه يفعل شيئاً لعلة ينافي كونه مختاراً مريداً.

وهذا الأصل تسمّيه بعض كتبهم (نفي الغرض عن الله)، ويعتبرونه من لوازم التَّنْزِيه، وجعلوا أفعاله تعالى كلّها راجعة إلى محض المشيئة، ولا تعلق بها لصفة أخرى - كالحكمة مثلاً - ورتبوا على هذا أصولاً

فاسدة كقولهم بجواز أن يخلد الله في النار أخلص أوليائه، ويخلد في الجنة أفجر الكفار، وجواز التكليف بما لا يطاق ونحوها.

وسبب هذا التأصيل الباطل عدم فهمهم ألا تعارض بين المشيئة والحكمة، أو المشيئة والرحمة. (ر: منهج الأشاعر - د. الحولي ص 47، والحكمة والتعليل - د. محمّد ربيع المدخلي ص 62-67، ر: كتب الأشاعرة المواقف للإيجي ص 331، ونهاية الأقدام للشهرستاني ص 397، الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي ص 102، وغيرها.

وأما مذهب السلف أهل السنة والجماعة في إثبات الحكمة والتعليل فهو أن أفعاله تعالى تعلل بالحَكَم والغايات الحميدة، التي تعود على الخلق بالمصالح والمنافع، ويعود إلى الله تعالى حبّه ورضاه لتلك الحِكَم وهذه الحكم مقصودة ويفعل لأجل حصولها، واستدل السلف على ذلك بأدلة منها:

أ- أجمع المسلمون على أن الله تعالى حكيم، ولا يجوز أن يخلو فعل الحكيم من الحكمة، ولا تكون الحكمة إلاّ من فاعلٍ مختارٍ يكون قاصداً بفعله تلك الحكمة، وفاعلاً لها.

ب- النصوص الواردة في القرآن الكريم التي ورد فيها التصريح بلفظ الحكمة، كقوله تعالى: {حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ}، [سورة القمر، الآية: 5]. وقوله: {وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ}. [سورة النساء، الآية: 113]. ولا شكّ أن المعطي الحكمة غيره يجب أن يكون حكيماً، وورد في آيات أخرى أنه عزوجل فعل كذا لكذا، كقوله تعالى: {رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ}. [سورة النساء، الآية: 165].

ج- ومن الأدلة أيضاً، إنكار الله سبحانه على من زعم أنه خلق الخلق لا لحكمة وغاية كقوله تعالى: {أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون}. [سورة المؤمنون، الآية: 115].

هذه بعض الأدلة العقلية والنقلية التي استدل بها السلف رحمهم الله. (للتوسع، ر: الفتاوى للإمام ابن تيمية 8/35، 44، 16/299، منهاج السنة 1/447، وما بعده إلى 470، كما أطال ابن القيم في ردّ شبه الأشاعرة في شفاء العليل ص 391-521، الحكمة والتعليل في أفعال تعالى - د. محمّد ربيع المدخلي).

==

السامري مع عظم جرمه1، وأهلك بلعام بن بعور مع سابق معرفته2، {لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُم يُسْأَلُون}. [سورة الأنبياء، الآية: 23].

ويقال لمن زعم خطيئة آدم قد عمّت سائر أولاده، وأنه لا يطهرهم من خطاياهم إلاّ قتل المسيح: فالتوراة والنبوات ترد هذه المقالة الشوهاء؛ وذلك أن التوراة تقول في السفر الأوّل - وهو الذي يعرف بسفر الخليقة ت لقابيل الذي قتل هابيلاً، وردّ الله عليه قربانه ولم يتقبله / (1/147/ب): "إنك إن أحسنت تقبلت منك، وإن لم تحسن فإن الخطية رابضة ببابك"3. وإذا كان الأمر كذلك فقد صار إحسان المحسن من بني آدم مطهراً له ومخلصاً، فلا حاجة إلى شيء آخر.

وقال الله تعالى في السفر الأوّل من التوراة: "إني سأجزي هابيل عن الواحد سبعة"4. وفي ذلك مندوحة عن التطهير بقتل وصلب، إذ الجزاء طهرة وزيادة.

وقد قال الله تعالى في بعض النبوات: "لا آخذ الولد بخطية والده ولا الوالد بخطية ولده، طهارة الطاهر له تكون، وخطية الخاطئ عليه تكون"5.

وذلك موافق لقول ربنا جلّ اسمه: {وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى} [سورة الأنعام، الآية: 164].

---

1 لم يرد في التوراة المحرفة ذكر السامري، الذي صنع العجل لبني إسرائيل، فعبدوه من دون الله حينما ذهب موسى عليه السلام لميقات ربّه كما أخبرنا القرآن الكريم في سورة طهَ الآيات: 83-99. وإنما تنسب التوراة المحرفة هذا الشرك القبيح - الذي فعله السامري - إلى هارون عليه السلام - حسب عادة اليهود في تحريف كتبهم ونسبة الشرك والقبائح إلى أنبيائهم، ليكون ذلك ذريعة لهم إلى فعلها. (ر: سفر الخروج الإصحاح (32)، وقاموس الكتاب ص 944). وقد ذكرت التوراة أن الله غفر له خطأه، وأمر برسمه وذريته كهنة على بني إسرائيل. (ر: سفر الخروج 40/12-15، وقاموس الكتاب ص 995).

2 وردت قصته في سفر العدد (الإصحاحات: 22، 23، 24، 31)، وقد تقدم ذكرها. (ر: ص 35).

3 سفر التكوين 4/6، 7.

4 سفر التكوين 4/15.

5 سفر حزقيال 18/20.

==

الباب الخامس: في أن المسيح عليه السلام وإن قصد وطلب فما قتل وما صلب

وقد قال الله في المزمور الرابع:"يا بني البشر حتى متى أنتم[ثقيلوا]1 القلوب؟! لماذا تهون الباطل وتتبعون الكذب؟! اغضبوا ولا تأثموا، والذي تهمون به في قلوبكم اندموا عليه في مضاجعكم، اذبحوا الله ذبيحة البر وتوكلوا على الرّبّ"2. فهذا المزمور من مزامير داود يقول: إنه لا حاجة إلى قتل المسيح / (1/148/أ) إذ كان الندم والتوكل على الرّبّ تعالى فيه مندوحة عن ذلك.

وقال الله تعالى في المزمور الأوّل: "طوبى لمن لم يتبع سبيل المنافقين، ولم يقف في طريق الخاطئين، ولم يجالس المستهزئين، لكن في ناموس الرّبّ يدرس الليل والنهار"3. فقد أخبر الله تعالى على لسان داود عليه السلام أن الاشتغال بأسباب الخير ومفارقة أهل الشّرّ مخلص فلا حاجة إلى الخلاص بقتل المسيح وصلبه.

وقال فولس - خطيب النصارى ومتكلمهم - : "أو لا تعلم أن إمهال الله لك إنما هو ليقبل بك إلى التوبة؟"4. فإن كان لا بدّ من قتل المسيح لضرورة خلاصهم فلا معنى لتوبة الله على عبده.

والدليل على أن التوبة ماحية للخطيئة، قول الإنجيل: "إنه لما أُسْلِم المعمداني للقتل خرج يسوع إلى الجليل، وجعل ينادي ويقول: قد كمل الزمان واقتربت ملكوت الله، فتوبوا وآمنوا بالبشرى"5.

فقد شهد المسيح عليه السلام في هذا الكلام بأن التوبة تستقل بمحو الآثام فلا حلاجة / (1/148/ب) إلى محوها بأمر آخر.

---

1 في ص (ثقيلي) لصواب ما أثبته.

2 مزمور 4/2-5.

3 مزمور 1/1، 2.

4 رسالة بولس إلى رومية 2/3-5.

5 مرقس 1/14، 15.

==

ويقال للنصارى: ما تقولون فيمن اخترم قبل مجيء المسيح، أكفاراً كانوا أم مؤمنين؟

فإن قالوا: مؤمنين، فقد سَلَّموا أنه لا حاجة إلى قتل المسيح في تخليصهم، إذ إيمانهم هو الذي خلصهم.

وإن قالوا: بل كانوا كفاراً، أكذبهم المسيح إذ يقول في الإنجيل: "إني لم أرسل إلاّ إلى الذين ضلّوا من بيت إسرائيل، وإن الأصحاء لا يحتاجون إلى الدواء"1.

ثم نقول لهم: ألستم تزعمون أن المسيح إنما تجشَّم ونزل من السماء لخلاص معشر الناس كما عقدتم في الأمانة التي لكم؟!

فإذا قالوا: بلى. قلنا لهم: فما قولكم فيمن مات قبل نزوله عليه السلام؟!. وكيف الطريق إلى بلوغ دعوته إليهم؟!.

فإن قالوا: تعذّر تلافي أمره وفات استدراكه بموته. قلنا لهم: جوَّزتم المسيح ونسبتموه إلى الظلم والحيف حيث لم ينْزل لخلاصهم قبل موتهم، فلِمَ أخَّر ذلك حتى اخترموا على الكفر والضلال؟! وكيف صار الأحياء أحقّ برحمة المسيح عندكم من الأموات؟ وفي هذه المقالة / (1/149/أ) هدم أصلكم في التحسين والتقبيح، وإن تحامقوا وقالوا: إن المسيح لما جاء دعا الأحياء وهو حيّ، ثم مات فدعا الأموات في أجداثهم، فمن أجابه نجى ومن أبى هلك...، فنقول: أدعاهم في أجداثهم وهو حيّ أم دعاهم وهو ميّت؟!.

فإن قالوا: دعاهم وهو ميّت، سقطت مكالمتهم لتبيّن جنونهم.

فإن قالوا: دعاهم وهو حيّ، نقضوا قولهم أنه مات فدعا الأموات.

ثم يقال لهم: هب أنا ساعدناكم على هذا المحال، فهل لما أتى الأموات دعا المؤمنين والكفار أو اقتصر على دعاء المؤمنين فقط؟!

____

1 متى 9/12، 13، 15، 24، مرقس 2/17، لوقا 5/31، 32.

==

____

فإن قالوا: دعا الجميع. قلنا لهم: فلعله قد دعا فرعون ونمرود فآمنا، ودعا جماعة من الموحدين فلم يجيبوا، فهل تشكون في أحد من الفريقين؟!.

فإن توقفوا في ذلك فقد جوزوا أن يكون فرعون الآن في الجنان، ومن مات على التوحيد في دركات النيران لاحتمال تغير الحال.

وإن منعوا ذلك وقالوا: بل كل من الفريقين على ما مات عليه من كفر وإيمان. قلنا: فدعاء المسيح إيّاهم / (1/149/ب) وموته بسببهم وقع عبثاً.

وإن قالوا: لا بدّ من صورة الدعوة لإقامة الحجة عليهم في القيامة. قلنا: قد دعتهم أنبياؤه ورسله وأقاموا الحجة عليهم، فما حاجته إلى تجشمه أمراً قد فرغ منه إلاّ أن تقولوا: إنه اتّهم أنبياءه في الرسالة والسفارة، أو أنه لم يعلم ما أحدثوا في التبليغ عنه فنزل ليعلم حقيقة الأمر.

ثم يقال لهم: أليس قد دعاهم في حالة حياته، فزعمتم أنهم وثبوا عليه فقتلوه فصلبوه وأهانوه؟ أَفَترون أنه في حال مماته أنهض منه في حال حياته؟!.

فما يؤمنكم أن يكون الأموات حين دعاهم في الأجداث قد وثبوا به أيضاً؟ وهذا عندكم غير مستبعدٍ، إذ قلتم إنه دعا الأموات وهو ميّت، وإذا كان الميّت لا يستحيل منه الدعوة والإجابة، فكذلك لا يستحيل الوثوب والقتل.

ثم يقال للنصارى: أليس المسيح عندكم عبارة عن لاهوت وناسوت اتّحدا فصارا مسيحاً؟! فإذا قالوا: بلى. قلنا: فالميت أيهما؟! فإذا قالوا: الناسوت، قلنا: فكيف استقل بهداية الخلق ناسوت ميّت / (1/150/أ) وعجز عن ذلك لاهوت حيّ؟!

أفتقولون: إن ناسوت المسيح أقدر على الهداية من لاهوته، وأيضاً، فإن الناسوت في حال اتّحاده أقام فوق الثلاثين سنة بالناصرة وأورشليم لم يتجاوز ذلك فلما فارق لاهوته يوماً وليلة، قلتم: إنه أتى الأموات وهم في أكناف الأرض

متفرقون فدعاهم، فما نرى الناسوت على مقتضى ذلك إلاّ أعم إحاطة من اللاهوت، وما نرى هذا اللاهوت الذي كان متّحداً بالجسد إلاّ قد حبسه عن خير كثير، إذ عطله عن الانبعاث ونشر الدعوة، فسحقاً لإله حيّ أنهض منه جسد ميّت.

ثم يقال للنصارى: إذا قلتم: إن ربّكم المسيح قد مات ثم عاش، فَمن الذي أحياه بعد إماتته؟!.

فإن قالوا: هو أحيا نفسه، فنقول لهم: هل أحياها وهو حيّ أو أحياها وهو ميّت، والقسمان باطلان على ما لا يخفى.

وإن قالوا: بل أحياه غيره وهو الذي أماته، قلنا لهم: فذلك الغير الذي تولى موته وحياته أحيّ هو أم ميّت؟ فإن قالوا: [ميّت]1، كان ذلك محالاً إذ الميّت لا يحيى ولا يميت.

وإن قالوا: إنه حيّ قادر أمات المسيح، ثم / (1/150/ب) أحياه. قلنا: فقد اعترفتم بأن المسيح عبد من عبيد الله تعالى، تجري عليه أحكامه من الموت والإحياء، وفي ذلك بطلان شريعة إيمانكم، إذ تقولون فيها: إن المسيح إله حقّ خالق، غير مخلوق، وإنه أتقن العوالم وخلق كلّ شيء بيده.

ثم يقال لهم: أخبرونا هل إماتة المسيح ممن أَماتَه وأعدمه فضل وحكمة أم سفه وعبث؟!.

فإن قالوا: [فضل]2 وحكمة، فقد أثنوا على اليهود؛ لأنهم ساعدوا على حصول الفضل والحكمة، ومدحوا يهوذا الإسخريوطي؛ لأنه فاز بالدلالة وأعان على حصول هذا الفضل والحكمة.

____

1 في ص (مينا) والصواب ما أثبته.

2 في ص (فضلا) والصواب ما أثبته.

==

الباب الخامس: في أن المسيح عليه السلام وإن قصد وطلب فما قتل وما صلب

وإن قالوا: إن إماتة المسيح سفه وعبث. فقد نسبوا الرّبّ الأزلي إلى السفه والعبث، ويتعالى عن ذلك.

وإن قالوا: إن إماتته فضل وحكمة،ولكن لَعْن اليهود ويهوذا متعيّن؛ لأن ذلك كَسْبُهم وإن وافقوا الفضل والحكمة وصادفوا ذلك مصادفة.

قلنا لهم: أزريتم على المسيح غاية الإزراء، إذ زعمتم أنه قال على الصليب: "إلهي إلَهي كيف تركتني وخذلتني؟"1. وقال أيضاً: "إن كان يحسن / (1/151/أ) صرف هذا الكأس عني فاصرفها"2. فلزم بمقتضى قولكم أنه قد تطير بهذا الفضل والحكمة، والتمس البقيا وترك هذا الفضل، وذلك فيما زعمتم سفه يناقض الحكمة.

ثم يقال لهم: أخبرونا لو لم يتب آدم ولقي الله بخطيئته، هل كان قتل المسيح يستقل بخلاصه؟!.

فإن قالوا: لا. أحالوا الخلاص إلى التوبة دون قتل المسيح.

وإن قالوا: نعم في دم المسيح وفاء بالخلاص. وإن لم يتب آدم [وبنوه]3، أخلوا التوبة عن الفائدة، ولزم أن يكون كل فاجر وقاتل وظالم خلصوا، فإن التزموا ذلك قيل لهم: فيهوذا الإسخريوطي وفرعون ونمرود وأشباهم قد خلصوا أيضاً، وليس في النصارى من يتجاسر على البوح بذلك، وهو لازم لهم على مقتضى قولهم هذا.

فإن قالوا: بل الخلاص بمجموع الأمرين بالتوبة ودم المسيح. قلنا: كأنكم لا ترون دم المسيح مكافئاً لآدم ما لم تنضم إليه التوبة، وهذا تصريح منكم

____

1 متى 27/46، مرقس 15/34.

2 متى 26/29، مرقس 14/36، لوقا 22/42.

3 في ص (بنيه) والصواب ما أثبته.

بنقصه عن مقابلة آدم وعجزه عن خلاصه لولا التوبة، ولعمري إن من عجـز عن خلاص عبـدٍ واحـدٍ أنـه عن خلاص / (1/151/ب) سائر الخلائق أعجز.

ويقال لمن زعم أنّ الخلائق لا يخرجهم من خطاياهم ويخلصهم من ذنوبهم إلاّ قتل المسـيح: أليس قـد رويتم عنه في الإنجيـل قولـه: "إذا كـان في القيامـة أقمت الصـالحين عن يميـني والظـالمين عن شـمالي، وأقول لأهـل اليمين فعلتم بيَ كـذا فـاذهبوا إلى النعيم. وأقـول لأهـل الشـمال: فعلتم بيَ كـذا فـاذهبوا إلى الجحيم"1.

وإذا كان ذلك صحيحاً فإحسان المحسن هو الذي اقتضى خلاصه، لا ما ادعيتم من قتل المسيح، وممـا يؤيد ما قلناه قول مرقس في خاتمة إنجيله: "إن المسيح حين ودع تلاميـذه صـاعداً إلى السـماء، قـال لهم: كـــــرِّزوا بالإنجيــــــل في الخليقـــــة كلهـــــا، فمن آمن خلص، ومن لا يـــــؤمن فإنـــــه يـــــدان"2.

وإذا كان إيمان3 الإنسان هو يخلصه بشهادة المسيح فلا حاجة إلى الخلاص بقتل ولا صلب، وقال لوقـا أيضاً: "إن امرأة صبت على رجلي المسيح دهناً كثيراً له قدر كبير، وبكت حتى بلت قدميـه بـدموعها، فقـال لها: اذهبي إيمانك خلصك"4.

ويقال للنصارى: أخبرونا / (1/152/أ) لو لم يقتل المسيح فداء وقضاء عن آدم، ومـات حتـف أنفـه مـا كان يكون حال آدم؟!.

فإن قالوا: يعذب على خطيئته. قيل لهم: فلا معـنى لقبـول توبتـه إذاً. وإذا قـالوا: لا يعـذب. قيـل لهم: فقتل المسيح وقع عبثاً.

____

1 متى 25/31-46.

2 مرقس 16/14، 15.

3 في ص: (إيمان المسيح الإنسان)، فزاد كلمة (المسيح) والذي أراه حـذفها ليسـتقيم المعـنى. واللـه أعلم.

4 لوقا 7/37-50، في سياق طويل.

ويقال لهم: أخبرونا عن قول اللـه تعـالى في التـوراة لآدم: "إنـك في اليـوم الـذي تأكـل من الشـجرة تموت موتاً"1. ما أراد الله سبحانه بهذا الموت؟ أموت المعصية أم موت الطبيعة؟.

فإن قالوا: موت المعصية. قلنا لهم: فقد أحيته التوبة.

وإن قالوا: موت الطبيعة، أكـذبتهم التـوراة والكتب القديمـة؛ إذا صـرحت بـأن آدم بعـد ملابسـة الزلـة عاش دهراً حتّى رزق الأولاد ورأى فيهم البَر والفاجر2، فقد لزمهم خلو قتل المسيح عن الفائدة.

ويقال لهم: أخبرونا هل كان المسيح في الثلاثين سنة قبل الدعوة يسمى ابناً ومسيحاً أم لا؟

فإن زعموا أنه كان يسمى بذلك، أكذبتهم أقوال التلاميذ في الإنجيل، إذ قالوا: "إنه في طول هذه المدّة لم يعرف إلاّ بابن داود3 وابن يوسف"4.

وإن قالوا: لم يسم ابناً إلاّ بعد التعميد، فقد اعترفوا بأن المسيح ليس مسيحاً / (1/152/ب) وابناً حقيقة، وإنما هو مسيح بالتسمية لا غير، وفي ذلك تسوية له بيعقوب وداود، وكلّ من مُسِح من أولاد هارون وسُمِّي بهذا الاسم، وعند ذلك لا نشاحجهم في مجرد التسمية إذا صحّ إطلاقها على الصلحاء من بني إسرائيل، وتحقق أن فداء آدم من خطيئته برجل صالح من ذريته قد شرفه الله بأن سماه ابناً ومسيحاً كما شرف عبده إسرائيل وغيره.

---

1 سفر التكوين 2/16، 17.

2 سفر التكوين الإصحاح (4، 5).

3 متى 1/1، 9/27، 21/9.

4 لوقا 3/23، يوحنا 1/45.

==

الباب الخامس: في أن المسيح عليه السلام وإن قصد وطلب فما قتل وما صلب

ويقال لهم: هل كان خلاص آدم من غير أن ينال المسيح سوء ممكن في قدرة الله أم كان عاجزاً عن ذلك؟!.

فإن قالوا: لا يمكن ذلك، جعلوا الله سبحانه مضطراً مدفوعاً عاجزاً عن سلامة عباده وصونهم عن المحن والبلايا، والتوراة والكتب تكذبهم إذ هي شاهدة بقدرة الله على كلّ ممكن.

وإن قالوا: إنه كان قادراً على ذلك، جوّروا الله وحيِّفوه ونسبوه إلى الظلم؛ إذ عذب آدم أو قتل المسيح وهو قادر على سلامته وكفايته، وذلك يشوش عليهم القول بالتحسين والقبيح.

قال المؤلِّف: إنما طوّلنا النفس في هذا الباب هدماً لقاعدتهم / (1/153/أ) في القتل والصلب. وهي قطب كفرهم1. والله أعلم.

---

1 لقد سبق بيان أهمية عقيدة الصلب في النصرانية. ويؤكّده قول البروفيسور جوردن مولتمان في كتابه: (الإله المصلوب): "إن وفاة عيسى على الصليب هي عصب كلّ العقيدة النصرانية. إن كل النظريات المسيحية عن الله وعن الخليقة وعن الخطيئة وعن الموت؛ تستمد محورها من المسيح المصلوب. وكل النظريات المسيحية عن التاريخ وعن الكنيسة وعن الإيمان وعن التطهر وعن المستقبل وعن الأمل؛ إنما تنبع من (المسيح المصلوب".اهـ (نقلاً من - مسألة صلب المسيح - للشيخ أحمد ديدات، ص 10).

==

الباب السّادس: في الأجوبة المسعدة عن أسئلة الملحدة

نسطر أسئلة عبثوا بالسؤال عنها، ونشفعها بالجواب، لينتفع بذلك من أحبّ مكالمتهم:

1- سؤال: قال النصارى: قد علمتم معاشر المسلمين أن اليهود والنصارى يزيد عددهم على عدد التواتر أضعافاً مضاعفة، وها هم ينقلون ويخبرون أن المسيح قد قُتل وصُلب على رابية من روابي البيت المقدس، وخبر التواتر يفيد العلم ويُوجب القطع، فكيف ينفي كتابكم ما أثبته التواتر؟! وما ذلك إلاّ بمثابة من ينفي وجود بغداد وغيرها مما عُلم بالضرورة.

والجواب: هو أنّا نقول: مَن سَلَّم لكم أن الذين شاهدوا والقتل وشهدوا به بلغوا حدّ التواتر، كلاَّ. لم يكونوا بهذه الصفة، وبيانه أن الذين حضروا القتل والصلب إنما كانوا شرذمة من اليهود، فأما أصحاب المسيح فلم يحضر منهم أحد البتة كما قدمنا[1].

وإذا كان المخبرون آحاداً/ (1/153/ب) وأفراداً فلا تواتر، إذ التواتر شرطه أن يستوي فيه الطرفان والواسطة.

وإذا كان الحاضرون للقتل لم يوصفوا بهذه الصفة فكثرة من جاء بعدهم إنما أخبر عنهم، فلا جرم قُدِّم تواتر الكتاب العزيز على خبرهم. فهذا وجه.

---

1 ر: الباب الخامس.

==

الباب السادس: في الأجوبة المسعدة عن أسئلة الملحدة

والوجه الثاني: أَنَّا لو قَدَّرنا أنهم بلغوا حدّ التواتر - غير أن التواتر إنما أثبت قتلاً وصلباً لا غير - فلا جرم أن القرآن الكريم لم يَنْفِه، ولكن القرآن إنما نفى أن يكون المفعول به ذلك المسيح نفسه، وأعلمنا أنه كان قد شُبِّه لهم. وهذا القدر لو عُرِض على الذين شاهدوا الصلب وقيل لهم: أتجوِّزون أن يكون هذا الذي قد أُحْضِر للقتل ليس هو المسيح، ولكنه رجل قد ألقى الله شبهه عليه أو خلقه الله ابتداء يُشبه المسيح؟! فإنا نعلم أنهم كانوا يجوّزون ذلك ولا يحيلونه؛ لأن تغيير الأشباه والأشكال جائز في مقدور الله تعالى، وإنما يمتنع ذلك في زمان لا تخرق فيه العوائد، وقد كان في زمان المسيح خوارق [لا يخفى][1] /. (1/154/أ) أمرها، فلا يمتنع أن يكون الله سبحانه قد خرق العادة بإلقاء شبه المسيح على غيره، أو أتاح لهم شخصاً يشبهه، كما خرق العادة فقلب النار برداً وسلاماً على إبراهيم الخليل وعلى الفتية في زمن دانيال عليه السلام، وكما حوَّل لون يد موسى عن لونها الأوّل، وغَيَّر جوهر الماء إلى الخمر والزيت للأنبياء - عليهم السلام -. وإذا كان ذلك جائزاً، فالذين أخبروا أن المصلوبَ المسيحُ ليسوا على ثبت، فلم يوجب خبرهم عِلْماً، فلا جرم قُدِّم تواتر الكتاب العزيز عليهم، وإذا ثبت ذلك لم يقع التعارض بين الأدلة القطعية.

فإن قيل: مَن هو الذي وقع عليه الشَّبه حتى التبس أمره على اليهود والنصارى واشتبه؟

---

1 في ص (لا تخفى) والصواب ما أثبته.

الباب السادس: في الأجوبة المسعدة عن أسئلة الملحدة

قلنا: روى وهب[1] بن منبه: أن المسيح حين أحاطت به اليهود في بيت كان فيه، صوَّر الله الجميع بصورة المسيح، فخرج واحد منهم وكانوا تسعة عشر رجلاً فأخوه وذهبوا ليلاً[2]، وكذلك روى مجاهد[3].

وقال ابن[4]إسحاق - عمَّن أسلم منهم -: "إن المسيح/(1/154/ب)، حين حصره اليهود قال: من يقبل صورتي فيقتل وله الجنة؟ فقال أحد من معه: أنا. فوقع عليه شبه المسيح. وصعد بالمسيح من ساعته إلى السماء، وأخذ الرجل فقتل صبيحة تلك الليلة"[5]. قاله من المفسرين:السُّدِّي[6]، وقتادة[7]، وابن[8] جريج.

____

1 هو: وَهْبُ بن مُنبه بن كامل اليماني، أبو عبد الله الأنباري العلامة الإخباري القصصي، من خيار علماء التابعين، مات سنة 110هـ (ر: ترجمته في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم 9/24، وسير أعلام 4/544، تهذيب التهذيب 11/147، التفسير والمفسرون - الذهبي 1/195).

2 أخرجه الإمام ابن جرير الطبري، ورجّه في تفسيره 6/12، 15، 16.

3 هو : مُجَاهد بن جَبْر، الإمام، شيخ القراء والمفسرين، أبو الحجاج المكي، مولى السائب بن أبي السائب. من كبار التابعين، مات سنة 104هـ على الأشهر (ر: ترجمته في المصادر السّابقة على الترتيب 8/319، 4/449، 10/38، 1/104).

4 هو: محمّد بن إسحاق بن يسار، أبو بكر، المطلبي مولاهم، إمام أهل المغازي، صاحب السيرة النبوية. صدوق يدلس. مات سنة:150هـ.وقيل:بعدها.(ر: ترجمته في: طبقات ابن سعد 7/321، سير أعلام النبلاء 7/33، تهذيب التهذيب 9/38، تاريخ بغداد 1/214).

5 أخرجه ابن جرير الطبري في تفسير 6/14، 15، عن ابن إسحاق، والسّدّي، وقتادة، وابن جريج، والقاسم ابن أبي بزة.

6 هو: إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كَرِيمة، الإمام المفسّر، أبو محمّد الحجازي ثم الكوفي الأعورُ السُّدِّي. أحد موالي قريش. صدوق يهم، ورمي بالتشيع. من الرابعة. مات سنة 127هـ (ر: ترجمته في: طبقات ابن سعد 6/323، سير أعلام النبلاء 5/264، تهذيب 1/313، طبقات المفسرين 1/109).

7 هو: أبو الخطاب، قتادة بن دعامة السّدوسي البصري، الأكمه، حافظ العصر، قدوة المفسرين، وهو حجة بالإجماع إذا بيّن السماع، فإنه مدلس معروف بذلك، وكان يرى القدر - نسأل الله العفو - وهو رأس الطبقة الرابعة. مات سنة: 117هـ. (ر: ترجمته في: طبقات ابن سعد 7/229، سير أعلام النبلاء 5/269، تهذيب 8/315، طبقات المفسرين 2/43، التفسير والمفسرون، الذهبي 1/125).

8 هو: عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، الإمام الحافظ، شيخ الحرم، أبو خالد وأبو الوليد الأموي، ثقة فقيه فاضل، وكان يدلس ويرسل من السادسة، مات سنة 150هـ، أو بعدها.(ر:ترجمته في:الجرح والتعديل لابن أبي حاتم5/356،سير أعلام النبلاء 6/325، تهذيب 6/402، التقريب 1/520، التفسير والمفسرون 1/198).

وقيل: "إن اليهود لما جاؤوا لأخذ المسيح هرب من كان معه من أصحابه وثبت معه رجل واحد يسمّى: جرجس، فألقى الله شبهه عليه، فأخذوه وذهبوا به ليلاً، وستر الله المسيح عن أعينهم، فعـذبوا الرجـل ليلاً، ثم قتلوه من صبيحة تلك الليلة"1. فلم يشكّ من كان تـرك المسـيح وهـرب عنـه أن المـأخوذ هـو المسـيح، فلذلك أخبروا أن المسيح قد صلب.

قال المؤلّف: قد روينا فيمـا تقـدم من كتابنـا هـذا عن بطـرس - صـاحب المسـيح - أن المسـيح عليـه السـلام صـعد إلى جبـل الجليـل في جماعـة من أصـحابه، فنظـروا إلى وجهـه وإذا هـو قـد تغـيرت صـورته، وابيضـت ثيابـه، وإذا موسـى وإليـاء قـد نـزلا إليـه ومعهم سـحابة تظلهم، وعنـد ذلـك وقـع على بطـرس / (1/155/أ) وأصحاب المسيح النوم فناموا2، وذلك يحقّق قولنا في الشبه 3.

____

1 أخرجه ابن جرير6/15،قال:قال ابن حميد: قال سلمة:قال ابن إسحاق:... فذكره بنحوه.

2 متى 17/1-8، ومرقس 9/1-8.

3 اختلف العلماء في الشبه المصلوب بدلاً عن المسيح عليه السلام على أقوال هي:

الأوّل: أن عيسى عليه السلام سأل أصحابه - ممن كان معه في البيت حين أحـاط بـه اليهـود - فقـال: "أيّكم يلقى عليه شبهي فيقتل مكاني ويكـون معي في درجـتي؟". فانتـدب لـذلك شـاب من أحـدثهم سـنّاً، فألقي عليه شبهه فيقتل، ورفع عيسى عليه السلام.قـال بهـذا قتـادة والسـدي والقاسـم بن أبي عـزة وابن جريج. ورجّحه الإمام ابن كثير 1/587، 588، وساق في ذلك أثراً من تفسير ابن عباس ورواه النسائي عن أبي كريب عن أبي معاوية بنحوه. وكذا ذكره غير واحد من السلف. اهـ.

الثّاني: قيل: إن شبه عيسى ألقي على جميع من كان معـه في الـبيت من غـير مسـألة عيسـى إيّـاهم ذلك، فخرج إلى اليهود بعض من كـان في الـبيت، فقتلـوه وهم يحسـبونه أنـه المسـيح عليـه السـلام. وهـذا القول أحد الروايتين عن وهب بن منبه واختاره الإمام ابن جرير في تفسيره 6/16.

الثّالث: قيل: إن الشبه ألقي على الحواري الخائن يهوذا الأسخريوطي الـذي أخـذ الرشـوة من اليهـود ليدلهم على مكان المسيح عليه السلام، فعاقته الله بعكس مقصوده. فألقي شبه عيسى عليه، فقبض عليـه اليهود وقتلوه وهم يحسبون أنه المسيح عليه السلام. وهذا القول أحد الـرواتين عن وهب منبـه. (ر: تفسـير الطبري 6/13، وبه قال نجم الدين الطوفي في كتابه: (الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصـرانية ص 102). وقد وردت هذه الرواية في إنجيل برنابا: (الفصل الإصحاح 214، 215، 217).

الرّابع: قل: إنه شبه للنصارى القول بذلك، أي: حصلت لهم الشبهة في أمره، وليس لهم علم بأنه قتل وصلب، وكان المشبهون لهم شيوخ السوء في ذلك الـوقت وشُـرُطهم المُـدَّعون لهم أنهم قتلـوه وصـلبوه، وهم يعلمون أنه لم يكن ذلك. وإنما أخذوا مَنْ أَمْكَنَهم فقتلوه وصلبوه في استتار ومنـع من حضـور النـاس، ثم أنزلوه ودفنوه تمويهاً على العامّة الذين شبه لهم الخبر. وقال بهذا ابن حـزم في الفصـل الملـل والنحـل 1/125، وذكره ابن القيم في هداية الحياري ص 314.

والذي أرجّحه - والله أعلم - هو القول الأوّل لصحّة إسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما؛ لأن الله سبحانه وتعالى قد أثنى على الحواريين في عدة آيات من سورة آل عمران، والمائدة، والصّفّ، قال تعالى: {وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ}. [سورة المائدة، الآية: 111]. وقال تعالى: {فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ. رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ}. [سورة آل عمران، الآية: 52، 53.]. فناسب أن يكون موقفهم بحسب قوّة إيمانهم بالله وتصديهم لنبيّه عيسى عليه السلام أن يفدوه بأنفسهم ويستشهدوا في سبيل الدفاع عنه عليه السلام.

2- سؤال: قال النصارى: كيف يصحّ أن يكون المصلوب غير المسيح ثم يقترن بصلبه ظهور ما ظهر من الآيات من اسوداد الشمس وانشقاق حجاب الهيكل وقيام الأموات وغير ذلك، وكم قد قُتِلَ من الأنبياء والشهداء ولم يظهر عند مقتلهم شيء من هذا؟

قلنا: قد دللنا على كذب هذا النقل بعدم انتشاره في العالم واشتهاره بين طبقات بني آدم، وأنه لو كان صحيحاً لَدُوِّن في الكتب ونقله علماء العجم والعرب، فيحث لم ينقل ذلك دلّ على كذبه وافتعاله1.

ثم لو قدرناه صدقاً وأمراً ثابتاً حقّاً لم يلزم منه أن يكون المصلوب هو المسيح بل لكونه من الحواريين الذين هم عندكم أفضل من الملائكة المقرّبين والأنبياء المرسلين،ثم ذلك الحواري أفضل الحواريين كلّهم لوجهين:

أحدهما: لإيثاره المسيح بنفسه حتى فداه من القتل.

والثاني: لإيثار المسيح إيّاه بشبهه، فقد صار له بذلك مزيّة أجبت أن تبكى عليه السماء والأرض ويتشوش العالم فيأخذ في النقص والنقض. / (1/155/ب).

---

1 ر: ص 228، 229.

3- سؤال على النصارى: يقال:للنصارى: قد زعمتم أن المسيح هو إله العباد وخالقهم وبارؤهم ورازقهم وآمرهم وناهيهم ومدبِّرهم في جيمع أحوالهم وحافظهم إلى منتهى آجالهم، ثم زعمتم مع ذلك أن اليهود عدوا عليه فأخذوه قهراً وسحبوه قسراً بعد أن هرب واختفى، وإنما دَلَّ عليه بعض أصحابه،فلما ظفروا به أهانوا وبذلوه وما صانوه،ثم جعلوا على رأسه إكليلاً من الشكوك،وعبثوا به كما يعبث بأهل النوك،ثم رفعوه على جذع ضماناًواستسقى ماء فسقي خلاً هواناً،ثم ترك حتى ألصقت الشمس جسده بالصليب،ولم يكفن لولا تصدّق عليه بالكفن إنسان غريب،وبقي برهة تحت التراب تبكيه الأحباب

والأتراب،فأخبرونا يا سخفاء العقول ومنتحلي هذا المحال المنقول-مَنِ الذي كان يقوم برزق الأنام والأنعـام في تلك الأيام؟!ـ

وكيـف كـان حـال الوجـود والإلـه في اللحـود؟! ومَن الـذي دَبَّر السـماء والأرض وخلقـه فيهـا بالبسـط والقبض والرفع والخفض؟!وهل دُفنت الكلمة بدفنه وقُتلت بقتله أم خذلته/(1/156/أ)وهربت مع تلاميذه؟

فإن كان قد دفنت بدفنه، فإن قبراً وسع الإله القديم لقبر عظيم، وإن كانت قد فَرَّت وأسلمته، فكيـف تصحّ مفارقتها له بعد اتّحادها به؟! أين ذهب الاتّحاد وكيف بطل الامتزاج؟!.

وما شأن هذا الإله المسكين - أسلمه قومه لأعدائه وخذلـه سـائر أودائه1؟. أين قـولكم في الأمامنـة: "إن المسيح أتقن العوالم بيدهوخلق كلّ شيء"؟ أين ما وصفتم عن الإنجيل أن العالم بالمسيح كُوِّن؟

---

1 أي: أحبائه. (ر: القاموس ص 415).

==

وقولكم: إن الآب لا يدين أحداً،بل الابن هو الذي يدين الناس1، أترونه كان راضـياً بمـا فعـل بـه قـادراً على الدفع عن نفسه؟

فإن كان راضياً، فالذي فُعِل به كفر، ومذهبكم يأبى ذلك، وكـان ينبغي على سـياق هـذا أن تثبتـوا على اليهود وتترحموا على يهوذا الأسخريوطي وتصلوا عليهم؛ فإنهم أعانوا على حصول رضـاه وسـارعوا إلى مـا قدَّره وقضاه.

وإن كان ذلك بغير رضاه فاطلبوا إلهاً سواه،فإن من عجز عن حماية خشاشة حتى تم عليه مـا نسـبتم له،كيف ترجون عنده نفعاً أو تؤملون /(1/156/ب) لديه دفعاً؟!وهذه نقيصة تقتضي تَنَقُّصُ من لصقت به.

فإن قيل: إنما يكون ذلك نقيصة إذا كان المفعول به عـاجزاً عن الامتنـاع والـدفاع، فأمـا المسـيح فلـو شاء لامتنع من اليهود وأهلك من قصده بأذى من سائر الجنود، بل إنما أراد أن يستسلم ويبذل نفســه فـداءً عن الناس لينقذهم من الخطيئة ويزيل عنهم درن الذنوب ويطهرهم من التبعات والحوب.

فنقول: لا نسلم ما ذكرتم، إذ كتابكم شاهد عليه بأنه هرب واختفى واستتر من أعدائـه مـراراً واعتـنى وتنقل من مكان إلى مكان، وبذل في طلب السلامة غاية الإمكان، إلى أن دلَّ عليه رجل من أصحابه فأخــذ بغير اختياره وإيثاره.

وهـذا شـيء لم نسـمعه إلاّ منكم ومن كتـابكم، وقـد حكيتم أن آخـر كلام سُـمع منـه: "إلَهي إلَهي لِمَ تَركتني؟". مع تقدم قوله في دعائه: "إلهي إن كان يحسن صرف هذا اكأس فاصرفها عني". فبطـل قـولهم في هذا السؤال لو شاء لامتنع وفعل بأعدائه وصنع.

---

1 هذا هو الأساس الثالث من أسس العقيدة النصرانية المنحرفة. وهو الاعتقاد بأن المسيح سيحاسـب الناس يوم القيامة. لأنه من أجلهم - كما يزعم النصارى - وهذا الأسـاس مبـنى على الأسـاس الثـاني الـذي تقدم بيانه. (ر: ص 375).

وأما قولهم: إنه أراد أن يستسلم ويبذل نفسه فداء عن الناس لينقذهم من الخطيئة والبأس، فهذا كلام من الكلام/(1/157/أ) السخيف، وذلك أنه لا يخلو أن يفديهم بنفسه من عقاب نفسه أو عقاب غيره.

فإن كان إنما فداهم من عقاب نفسه، فما حاجته أن يرذل نفسه في أمر هو يملكه وزمامه بيده؟ فهلا عفا عنهم وأعفا نفسه من القتل والإهانة!

وإن كان إنما افتداهم من عقاب غيره فقد صار ضعيفاً عاجزاً لم يمكنه صلاح عباده إلاّ بأن يشفع لهم، ثم لا تقبل شفاعته حتى يبذل نفسه للصفع والإهانة والموت.

والعجب أنه مع بذل نفسه لهذه المحن لم تقبل شفاته، ولم يحصل لهم الفداء الذي يدعون، هذا مع أن المشفوع إليه أبوه، أفلم يكن له عند أبيه من الجاه ما يُشَفِّعه في مطلوبه وهو معافى من هذه المحن بلا قتله وصلبه من غير إسعافه بمراده؟

ومثل هذا الفعل لا يصدر إلاّ من العدوّ المشاحن وأرباب الحقود والضغائن، ومما يتعجب منه أن هذا الرّبّ الذي تدعون بعد أن تعنَّى ونزل إلى الأرض وحَلَّ به ما وصفتم يبتغي بذلك خلاصكم، لم يحصل لكم خلاصاً ولا تَمَّ له مراد. لأنه إن كان أراد خلاصكم من محن الدنيا فها أنتم باقون على ما كنتم / (1/157/ب) عليه من طبائع البشر وتحمل الضرر ومعالجة الهرم والكبر ومضاجعة الأجداث والحُفر.

وإن كان أراد خلاصكم من عهد التكاليف ليحط عنكم الآثام ويسقط الصلاة والصيام، فها أنتم دائبون على التكليف مخاطبون بالتصحيح والتوسيف، وإلاّ فكان ينبغي أن مَن زنا منكم وسرق وافترى وفسق لا يؤاخذ

بجريرة ولا يعاقب على صغيرة ولا كبيرة. وإن كان أراد خلاصكم من أهوال القيامة وأنكال يوم الطامة وما يتوجه على العباد عند قيام الأشهاد، أكذبكم الإنجيل إذ يقول فيه: "إني جامع الناس في القيامة عن يميني وشمالي، فأقول لأهل اليمين: فعلتم خيراً فاذهبوا إلى النعيم، وأقول لأهل الشمال: فعلتم شرّاً فاذهبوا إلى الجحيم"1.

وإذا لم يحصل لكم بنزول المسيح خلاص من عقاب الدنيا ولا من عذاب الآخرة، فأين ترجون الخلاص الذي جاءكم لأجله وفعل بنفسه ما ذكرتم ثم لم يتم له مراد؟!.

وإذ كان ذلك فاطلبوا الخلاص ممن هو بيديه ومُعَوِّل سائر الخلائق عليه وهو الذي لا إله سواه سبحانه وتعالى عما يشركون.

4 سؤال: (1/158/أ) قال النصارى: إنما استسلم المسيح ليعلمنا الصبر على الشدائد فتعظم أجورنا وتجزل مثوباتنا، والمتابعة بالحال أبلغ منها بالمقال.

فنقول: فما بال أحدكم لا يجلس في بيته حتى يناله ما وصفتم غير منازع خصمه ولا مدافع عدّوه؟

وما بالكم تقيمون سوق الحروب وتبيحون الغصوب وتنصبون القتال وتسفكون الدماء من النساء والرجال؟ فما نرى التعليم أفادكم خيراً ولا منعكم شرّاً ولا أكسبكم عِلماً ولا أنالكم حِلماً، وصار ما وصفتم به ربكم من الإهانة خالياً عن الفائدة صفراً من الحكمة. وكيف يحسن منكم إيراد هذا السؤال مع قولكم عنه: إنه حين نزل به المكروه الذي وصفتم، قال: "إلَهي إن كان يمكن صرف هذا الكأس عني فاصرفه عني". وهذا القول منه إن صحّ عنه يكذبكم في قولكم: إنه استسلم وألقى بيديه لقصد تعليمكم وتقويمكم.

---

1 متى 25/31-46.

==

الباب السادس: في الأجوبة المسعدة عن أسئلة الملحدة

5- سbؤال: قال النصارى: إنما يكون القتل نقيصة لو أنه مضاف إلى لاهوت المسيح، ونحن لا نعتقد ذلك؛ وإنما القتل والضرب والصلب مضاف إلى ناسوت / (1/158/ب) المسيح دون لاهوته.

فنقول: يمتنع ذلك على اليعقوبية1 منكم القائلين بأن المسيح قد صار بالاتّحاد طبيعة واحدة، إذا الطبيعة الواحدة لم يبق فيها ناسوت متميّز عن لاهوت حتى يخص بالقتل والإهانة بل قالوا: إنه صار شيئاً واحداً، والشيء الواحد لا يقال إنه مات ولم يمت، وقتل ولم يقتل، وأهين ولم يهن.

وأما الروم2 وغيرهم القائلون بأن المسيح بعد الاتّحاد باق على طبيعتين، فيقال لهم: هل فارق اللاهوت ناسوته عند القتل والصلب؟

فإن زعموا أنه فارقه أبطلوا دين النصرانية جملة، إذ بطل الاتّحاد ولم يستحق المسيح الربوبية عندهم إلاّ بالاتّحاد، فإذا حكموا بأن الإله قد تجرد عن الإنسان وفارقه فقد بطلت ربوبية المسيح في ذلك الزمان.

وإن قالوا: لم يفارقه، فقد التزموا ما ورد على اليعقوبية، وهو كون اللاهوت قتل بقتل الناسوت وأهين بإهانته.

وإن فسروا الاتّحاد بالتَّدَرُّع، وهو أن الإله جعله درعاً ومسكناً له وبيتاً3، ثم فارقه عند ورود ما ورد على الناسوت أبطلوا ألوهية المسيح في تيك الحال.

وقلنا لهم: أليس / (1/159/أ) قد امتهن الناسوت وأهين وأرذل؟! وهذا القدر يكفي في إثبات النقيصة إذ لم يأنف لمحله وسكنه ودرعه أن تناله هذه النقائص، وإن الإنسان ليركب دابة ويلبس ثوباً فيصونه عن الأذى والقذى أن يناله.

---

1 فرقة من فرق النصارى الكبيرة وسيأتي الحديث عنها.

2 وهم طائفة الملكية من فرق النصارى الكبيرة.

3 هذا القول هو مذهب طائفة النسطورية. من فرق النصارى الكبيرة.

==

ثم إن كان اللاهوت قادراً على دفع النقائص عن محله ومسكنه ثم لم يفعل فقد أساء مجاورته ورضي بدخول النقص على موضعه، وذلك بالنقص عليه في نفسه. وإن لم يكن قادراً، فذلك أبعد له عن عِزّ الربوبية وأقرب إلى ذلّ العبودية.

6- سؤال: فإن قال النصارى: كيف يجوز إلقاء الشبه - وهو ضلال؟ - وإذا كان الله تعالى هو الذي أضل عباده فلا معنى لإرسال الرسل إليهم، بل يكون ظالماً للرسل إذا بعثهم إلى من يكذبهم أقوالهم ويَرُدُّ، وكيف يستقيم أن يرسل رسلاً يهون العباد من كُفْرٍ وهو الذي زينه لهم؟!.

قلنا: الانفصال عن هذا السؤال في التوراة والإنجيل. أما التوراة فإنها مصرحة بأن الله قد قَسَّى قلب فرعون فلم يؤمن بموسى: "فقال الله فيها: يا موسى اذهب إلى فرعون/(1/159/ب)وقل له: يقول لك إله بني إسرائيل: أرسل شعبي تتعبد لي، وأنا أُقَسِّي قلب فرعون فلا يرسلهم"1. وفي التوراة: "إن كلّ آية صنعها موسى بمصر قد صنع السحرة مثلها"2.

وأما الإنجيل فقال: "قال يسوع: إني ذاهب إلى أورشليم لأقتل وأصلب،فقال له بطرس:حاشاك من هذا،فانتهره،وقال:إني جئت لهذا"3.

فقد علم الكفر وأراده وتعنَّى بسببه، وقدر على كفّ اليهود وتركهم على كفرهم فلم يكففهم.

---

1 سفر الخروج 4/21.

2 سفر الخروج 7/11.

3 متى 16/21-23.

==

وقد قال يسوع في الإنجيل: "الويل لذلك الإنسان الذي يسلَّم ابن الإنسان خير له لو لم يولد"1.

وإذا كان هذا جائزاً عند النصارى واليهود جميعاً2، فكيف يمنعونأن يصون الله نبيّه المسيح عن قوم يريدون قتله ويلقي شبهه على رجل آخر قد حضر أجله يجعله له جُنَّةً ويثيب ذلك الرجل عن صبره الجنّة؟!.

على أنَّا نقول: ليس في إلقاء الشبه ضلال كما زعم مورد السؤال، إذ ليس الإلقاء هو الذي بعثهم على القتل، بل ما جاؤوا إلى المسيح إلاّ وهم قد أجمعوا على الفتك به،وبهذا القصد كفروا،وإنماكان/(1/160/أ) الإلقاء لتخليص المسيح من أيديهم، وهذا خلاص من الضلال لا إضلال.

وإنما كان يكون تضليلاً لو كان الله أمرهم بقتل المسيح، ثم ألقى شبهه على آخر فقلتوه، وأما إذ نهوا عن القتل فخالفوا وجاروا ليقتلوا، فحال بينهم وبين المسيح. وإلقاء شبهه على غيره، أو أباح لهم من يشبهه في الصورة، فلا يقال لهذا القبيل تضليل.

---

1 مرقس 14/21.

2 يقول ابن القيم: "وقد اتّفقت رسل الله من أوّلهم إلى آخرهم وكتبهم المُنَزَّلة عليهم أنه سبحانه يضلّ من يشاء ويهدي من يشاء، وأنه من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلّ فلا هادي له. وأن الهدى والضلالة بيده لا بيد العبد. وأن العبد هو الضالّ أو المهتدي. فالهداية والإضلال فعله سبحانه وقدره، والاهتداء الضلال فعل العبد وكسبه". اهـ.

وقد ذكر الإمام ابن القيم بعد هذا مراتب الهدى والضلال في القرآن الكريم، وتكلم على كلّ منها، وبيّن ما بينها من الخصوص والعموم وأطال في ذلك. (ر: شفاء العليل ص 142-182).

==

ثم ولو قدَّرنا ذلك تضليلاً، فمذهب أهل الحقّ أن الله يفعل ما يريد ويضلّ من يشاء من العبيد، ولا ينسب إلى ظلم ولا جور إذ له بحقّ ملكه - وملك حقّه - أن يفعل ما أراد، فلا يجب عليه شيء ولا يتوجه لمخلوق عليه حقّ، وكلّ ما يفعل فهو حسن. وكل ما يوصله من خير فهو ابتداء فضل. وكلّ ما يبتلي به من ضرّ فهو قضاء عدل.

وقد زَلَّ وهفا مَن أوجب على الله ثواب المحسنين أو عقاب المسيئين [إذ لا]1 يجب على ربّ الأرباب ثواب أو عقاب2.

____

1 في ص (أنا) والتصويب من المحقِّق. والزيادة يقتضيها السياق.

2 إن مسألة الوجوب على الله أو (هل يجب على الله تعالى شيء؟)، قد سلك فيها كلّ من المعتزلة والأشاعرة طريقين كليهما خطأ. ولم يوفقوا لطريق الحقّ الذي دلّ عليه الكتاب والسنة، و توضيح ذلك:

1- أن المعتزلة أفرطوا في تمجيد العقل، حتّى أوجبوا بمقتضاه على الله تعالى أموراً وحرموا عليه أموراً أخرى، ووضعوا لله شريعة التعديل والتجوير، فهم بذلك شبهوا الخالق بالمخلوق. (ر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ص 132، والمجموع المحيط بالتكليف لابن منتويه ص 234).

2- أما الأشاعرة فقد أخطأوا في إطلاقهم القول بنفي الوجوب في حقّه تعالى، فلم ينَزِّهوه عن فعل شيء، بناء منهم على نفي التحسين والتقبيح العقليين، وقالوا: إن الوجوب لا يتصور في حقّه؛ لأنه المالك المتصرف ولا يسأل عما يفعل، ونسوا أنه لا يسأل لكمال حكمته. (ر: محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي ص 147، 148، المواقف للإيجي ص 328، 329، والتبصير في الدين للإسراييني ص 68).

3- وأما أهل السنة والجماعة - الفريق الوسط - فهم الذين منعوا أن يوجب العقل على الله تعالى شيئاً، ولم يمنعوا أن يوجب الله على نفسه بعض الأمور التي يقتضيها كماله والتي أخبر أنه أوجبها على نفسه. كما قال تعالى: {وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ}. [سورة الأنعام، الآية: 54].

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله لما قضى الخلق كتب على نفسه كتاباً، فهو موضوع عنده فوق العرش أن رحمتي تغلب غضبي". أخرجه البخاري. (ر: فتح الباري 13/404).

ولا يلزم من كونه تعالى أوجب على نفسه بعض الأمور أن يكون فاعلاً بالإيجاب - أي: لا اختيار لـه ـ؛ لأنه سبحانه أوجبه على نفسه باختياره، فإذا شاء الحسن واختاره لم يكن ذلك نافياً للاختيار، فاختياره وإرادته اقتضت التعلق بما كان حسناً على وجه اللزوم فكيف لا يكون مختاراً. (ر: مدارج السالكين 1/66، 2/338، شفاء العليل لابن القيم ص 179، والحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى د. محمّد ربيع المدخلي ص 110-111).

ويُبَيِّن شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - موقف السلف في هذه المسألة بقوله: "وأما الإيجاب عليه سبحانه وتعالى، والتحريم بالقياس على خلقه، فهذا قول القدرية - أي: المعتزلة - وهو قول مبتدع مخالف لصحيح المنقول وصريح المعقول.

وأهل السنة متّفقون على أنه سبحانه خالق كلّ شيء وربّه ومليكه، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأن العباد لا يوجبون عليه شيئاً.

ولهذا كان من قال من أهل السنة بالوجوب، قال: إنه كتب على نفسه الرحمة، وحرّم الظلم على نفسه، فإن الله هو المنعم على العباد بكلّ خيرٍ، فهو الخالق لهم وهو المرسل إليهم الرسل، وهو الميسر لهم الإيمان والعمل الصالح". اهـ (ر: اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ص 409، 410).

==

وقد شهد أهل الكتاب واعترفوا بأن الله تعالى هو الذي نفخ الروح في العجل حتى عبده بنو إسرائيل، وقد قال الله تعالى: {قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ الله شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ المَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعاً}. [سورة المائدة، الآية: 17].

وعيسى / (1/160/ب) وأمه لا جُرْم لهما، فأخبر تعالى أنه لو أهلكهما لم يكن ممنوعاً من ذلك {لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُم يُسْأَلُونَ}. [سورة الأنبياء، الآية: 23].

7 سؤال: قال النصارى: شهد كتابكم ونبيّكم بأن المسيح عيسى ابن مريم هو كلمة الله، والكلمة عندنا وعندكم قديمة كالكلام.

==

قلنا: لا نزاع في تسميته عليه السلام (كلمة)1 كما سمّي إبراهيم

خليلاً2. وموسى كليماً3، والتسميات لا حجر فيها، وإذ وافقناكمعلى تسمية المسيح كلمة، فمن أين لكم قِدَمُهَا؟ وبم تنكرون على من يزعم أن الكلمة عبارة عن الآية؟.

والآيات تسمى كلمات، وهو المعني بقوله: {مَا نَفَدَتْ كَلْمَاتُ الله}4. يعني: آياته ومصنوعاته، وقد قال الله تعالى: {وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً...}. [سورة المؤمنون، الآية: 50]. وقال: {وَجَعَلْنَاهَا وابْنَهَا آيَةً لِلعَالِمينَ}. [سورة الأنبياء، الآية: 91]. فهذا وجه.

ووجه آخر: وهو أن نقول: المعنى بإلقاء الكلمة إلى مريم تكوين المسيح من غير نطفة فحل، والمقصود أن الله اخترعه وكَوَّنه من غير تناسل معروف وقال له: كن، فكان. إذ كلّ أمر اتّصل بأمرور فهو ملقى إليه.

---

1 قال تعالى: {إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ}. [سورة آل عمران، الآية: 45]. وقال تعالى: {إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ..}. الآية. [سورة النساء، الآية: 171].

قال ابن كثير في تفسيره 1/603: "إنما المسيح عبد من عباد الله، وخلق من خلقه، قال له: كن فكان، ورسول من رسله، وكلمته ألقاها إلى مريم، أي: خلقه بالكلمة التي أرسل بها جبريل عليه السلام إلى مريم، فنفخ فيها من روحه بإذن ربّه عزوجل فكان عيسى بإذنه عزوجل، وكانت تلك النفخة التي نفخها في جيب درعها، فنزلت حتى ولجت فرجها بمنْزِلة لقاح الأب والأمّ. والجميع مخلوق لله عزوجل، ولهذا قيل لعيسى: إنه كلمة الله وروح منه؛ لأنه لم يكن له أب تولد منه إنما هو ناشئ عن الكلمة التي قال لها بها: كن فكان". اهـ.

2 قال تعالى: {وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً}. [سورة النساء، الآية: 125].

3 قال تعالى: {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً}. [سورة النساء، الآية: 164].

4 قال تعالى: {وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}. [سورة لقمان، الآية: 27]. قال قتادة: أي: لو كان شجر الأرض أقلاماً ومع البحر سبعة أبحر ما كان لتنفذ عجائب ربي وحكمته وخلقه وعلمه". (ر: تفسير ابن كثير /460).

==

وسمى المسيح كلمة لقول لوقا في إنجيله: "إن جبريل قال لمريم: السلام عليك أيتها المباركة / (1/161/أ) في النساء إنك تحبلين بولد يسمى المسيح يجلسه الرّبّ على كرسي أبيه داود"1. فعندها حملت مريم بالمسيح؛ أي: عند هذه الكلمة فسمي المسيح بها كما يُسَمَّى الشيء بما يلازمه عادةً، فكان المسيح (كلمة) بهذا الاعتبار لا كما اعتقد جهلة النصارى من انقلاب الكلمة الأزلية جسداً ذا شعرٍ وظفر.

8 سؤال: قال النصارى: أليس في كتابكم معشر المسلمين: { فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا }. [سورة التحريم، الآية: 12]. فما تأويل ذلك غير ما ذهبنا إليه؟!.

والجواب أنا نقول: هذا لا يفيدكم شيئاً في مطلوبكم؛ إذ ليس اعتقاد أحد منكم أن روح الأب اتّحد بالمسيح، وإنما الذي اتّحد به هو العلم. وقد قلنا: إن الروح ترد على معانٍ شتّى منها: أن ترد والمراد بها الوحي،كقوله: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّن أَمْرِنَا}.[سورة الشورى،الآية:52].

وترد والمراد بها جبريل،وهو المعني بقوله تعالى: {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ}. [سورة الشعراء، الآية: 193].

وترد والمراد بها ملك كبير يقوم يوم القيامة صفّاً وحده والملائكة كلّها صفّاً آخر.

وترد والمراد بها أرواح الأشخاص وهو المعني بقوله: {قُـلِ الـرُّوحُ مِن أَمْـرِ رَبِّي}. [سـورة الإسـراء، الآية: 85]. وإذا كان اللفظ متردداً/ (1/161/ب) بين معانٍ كثيرة فلا يسوغ التمسك به إلاّ مـع اقترانـه بمـا يفسره، وكلّ مفتقر للتفسير فلا وجه للاستدلال بظاهره.

---

1 لوقا 1/30-31.

==

فالمسيح سمّاه الله (روحاً) كتسمية جبريل روحاً، وقد قلنا: إن الشيء قـد يسـمى بمـا يلازمـه، فاللـه تعالى نفخ في مريم بواسطة جبريل وهو المعني بقول لوقا في إنجيله: "روح القـدس تحـلّ عليـك"1. وقـد قالت التوراة: "إن روح الله حال في يوسف"2. وذلك كناية عن العلم والحكمة.

وفي التوراة: "إن بصلئيل رجل من سبط يهوذا ورجل آخر من سبط دان قـد ملأتهمـا روح القـدس"3. وفي التوراة: "إن يوشع امتلأ من روح القدس؛ لأن موسى كان قد وضع يده على رأسه"4.

وفي كتاب الأسباط5: "إن روح الله لبست جدعون"6. وفيكتاب شمويال7: "إن روح الله تكلمت على لساني"8. وفي كتاب حزقيال يقول: "رأيت قدوس الله فوقعت فدخلت فِيَّ الروح فأقامتني"9.

---

1 لوقا 1/35.

2 سفر التكوين 41/38.

3 سفر الخروج 31/1-3.

4 سفر التثنية 34/9.

5 كتاب الأسباط هو سفر القضاة: نسبة إلى فترة من تاريخ بني إسرائيل كان القضاة هم الذين تولـوا شؤون الحكم في بني إسرائيل بعد استيلائهم على بلاد كنعان بقيادة يوشع بن نـون، وعـدد إصـحاحاته (21) إصحاحاً، وموضوعه: تاريخ بني إسرائيل من قبل موت يوشع إلى آخر أيام شمعون.

أما مؤلِّف هذا السفر، فإنه لا يعرف على التحقيق، ويظن أنه صموئيل النبيّ، قال تعالى: {وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَـيْئاً}. [سـورة النجم، الآيـة: 28]. (ر: قـاموس ص 737، مقدمة الكتاب المقدس بالإنجليزية، طبعة سنة 1971م، وهي التي يطلق عليها النسخة القياسـية المنقحة (R.S.V)، رسالة في اللاهوت ص 275، سبينوزا).

6 سفر القضاة 6/34، وجدعون: هو ابن يوآش. أحد قضاة بني إسرائيل، ويزعمون أن ملاك الرّبّ قـد دعاه ليخلص شعبه من المديانيين والوثنيين، وليهدم مذبح البعـل الـذي كـان يعبـده قومـه.(ر:سـفر القضـاة الإصحاحات(6، 7، 8، قاموس ص252).

7 كتاب شمويال هو: سفر صموئيل، وصموئيل مناه: (اسم اللـه)، وهـو في العهـد القـديم من الأنبيـاء وآخر القضاة في بني إسـرائيل، وقـد أمـره اللـه أن يمسـح شـاؤل ملكـاً على بـني إسـرائيل، وينسـب إليـه

سفران باسمه، وكانا في الأصل سفراً واحداً وتمَّ تقسيمه إلى جزئين في طبعة البندقية 1516-1517م، من النسخة السبعينية، وعدد إصحاحات السفر (31)، والثاني (24)، إصحاحاً. أما مؤلِّف السفر الأوّل والثاني فهو مجهول. ويقول سبينوزا: لم يكتب صموئيل سفره؛ لأن الرواية تمتد إلى ما بعد موته بقرون عديدة. (ر: رسالة في اللاهوت ص 275، قاموس ص 552، وما بعدها، مقدمة الكتاب المقدس، ط سنة 1971م، بالإنجليزية).

8 سفر صموئيل الأوّل 10/10.

9 سفر حزقيال 3/23، 24.

==

وفي إنجيل لوقا: "إن يوحنا المعمداني امتلأ من روح القدس وهو في بطن أمه"1.

وقال لوقا في إنجيله: "كان في بيت المقدس رجل يقال له: سمعان، ينتظر عزاء إسرائيل / (1/162/أ) وروح القدس كانت تحلّ عليه"2.

وقال يوحنا التلميذ في إنجليه: "كلّ إنسانٍ لا يولد من الماء والروح لا يدخل ملكوت الله"3.

وقال فولس في رسالته الأولى لإخوانه: "أو لا تعلمون أنكم هياكل الله وأن روح الله حال فيكم، ومن يفسد هيكل الله يفسده الله"4.

وذلك كلّه دليل على مساواة المسيح غيره من الأنبياء والأولياء في حلول هذه الروح التي هي إما الملك، أو العلم والحكمة.

فما أجاب به النصارى عن حلول الروح على من ذكرنا وامتلائهم منها فهو جواب عن قول جبريل لمريم: "روح القدس تحلّ عليكِ"5.

---

1 لوقا 1/41.

2 لوقا 2/25.

3 يوحنا 3/3.

4 رسالته الأولى إلى هل كورنثوس 6/16، 17.

5 تقدم الحديث عن معاني كلمة (الروح). (ر: ص 125).

==

9 سؤال: قال النصارى: قال يسوع لمقعد قد غفرت لك1، وذلك دليل ربوبية إذا لا يغفر الذنوب إلاّ الله.

والجواب: هو أنا نقول: ليس كذلك لفظ الإنجيل؛ وإنما قال له: مغفورة لك خطاياك. أخبره عن الله بغفر خطاياه لصبره على بلواه وسكونه تحت مجاري قد مولاه، ثم ولو سلمنا ورد هذه اللفظة بعينها على ما على حرفها السائل فليس فيها مستروح لما يحاول، إذ يحتمل أن يكون / (1/162/ب) ذلك المقعد من جملة من كان يؤذي المسيح مع اليهود ويقول فيه كقولهم، فلما رآه المسيح وشاهد بلاه رَقَّ له وحنى عليه فقال له: قد غفرت لك، يريد حللتك، والدليل عليه قول بطرس في الإنجيل للمسيح: "يا أبت، إلى كم أغفر لأخي إذا أخطأ إِليَّ إلى سبع مرات؟ قال: لست أقول إلى سبع مرات فقط بل إلى سبعين مرة سبع مرات"2.

وهذه أكابرهم اليوم يفعلون ذلك ويغفرون لمن أرادوا حط ذنوبه، وليس فيهم من يعتقد خروجه عن ربقة العبودية3.

وقد ذكر الإنجيل: "إن اليهود ومن حضر يسوع أنكروا عليه هذه الكلمة، فقال: ألم تعلموا أن ابن الإنسان قد جعل له أن يغفر الخطايا"4.

فصرّح في هذا القول بأنه عبد مخلوق، جعل الله له أن يخبر عباده بغفر خطاياهم لإيمانهم به وتصديقهم له.

---

1 متى 9/2.

2 متى 18/21، 22.

3 إنّ تجرؤ قساوسة الكنيسة على ادعائهم غفران خطايا النصارى يعتبر سرّاً من أسرار الكنيسة السبعة، ويُسمَّى (سرّ الاعتراف وغفران الذنوب)، وقد قررته الكنيسة حقّاً لنفسها في المجمع الثاني عشر (الإيتراني الرّابع) سنة 1215م، وتمادت في ذلك إلى أن أصدرت الكنيسة (صكوك الغفران) لاستغلال النصارى وجمع الأموال للكنيسة وقساوستها، وقد كانت مسألة غفران الذنوب من أبرز الأسباب التي دعت إلى ظهور حركة الإصلاح الكنسي وظهور فرقة البروتستانت.

4 متى 9/3-6.

==

وقد قال مرقس في إنجيله: "قال يسوع لتلاميذه: إذا قمتم إلى الصلاة فاغفروا لمن لكم عليه خطيئة،لكيما يغفر لكم ربّكم خطاياكم"1.

وقالت التوراة في السفر الخامس منها: "يا موسى ارحل أنت وبنو / (1/163/أ) إسرائيل، وأنا أرسل معكم ملكاً يغفر لكم خطاياكم"2. أضاف الغفران إلى الملك وهو عبد من عبيد الله تعالى.

وقالت التوراة: "إن إخوة يوسف دنوا لتقبيل رجليه، فلم يدعهم، فاعترفوا له بذنوبهم فغفر لهم"3. فقول المسيح للرجل: قد غفرت لك، معناه: قد حاللتك أو قد شفعت لك.

وقال فولس في آخر الرسالة الخامسة - وهو يوصي بالبر واللطف - : "وأنتم أيّها الأرباب اغفروا ذنوب مماليككم؛ لأن ربّكم في السماء وليس عنده هوادة"4.

10 سؤال: قال النصارى: قال يوحنا المعمداني ين رأى المسيح: "هذا خروف الله الذي يحمل خطايا العالم"5. فشهد وهو نبيّ صادق بأن المسيح سيقتل ويصلب قرباناً عن خطيئة آدم.

والجواب: أن هذا السؤال دالّ على عدم فهم مورده وسوء بصيرته بالإنجيل، وذلك أنّ يوحنا أورد هذا الكلام شهادة للمسيح بالنبوة والرسالة أسوة غيره من الأنبياء في حملهم خطايا قومهم بما يرشدونهم إليه من الإيمان

---

1 مرقس 11/25، 26.

2 سفر الخروج 23/23، 32/34.

3 لم أجد في النسخة التي يبدي في التوراة اليونانية والسامرية النّصّ الذي ذكره المؤلِّف، وقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى في حكاية يوسف مع أخوته: {قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ. قَالَ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ}. [سورة يوسف، الآية: 91-92].

4 رسالته إلى أهل أفسس 6/9.

5 يوحنا 1/29، 30.

والمغفرة بالله سبحانه،/(1/163/ب) وقد كان المعمداني يتصل به ما يهتف به اليهود من قذف المسيح وقذف والدته الطاهرة، ويبلغه قول اليهود: "إنه لن يجيء من الجليل والناصرة نبيّ"1، فلما وقع بصره على المسيح وعرفه بتعريف الله له قال: "هذا الذي به يحط الله خطايا عالم زمانه". والدليل عليه: بقية الكلام إذ قال يوحنا: "هذا الذي قلت لكم إنه يأتي بعدي، وهو أقوى مني، وأنا فلا أستحقّ أن أحلّ سيور حذائه ولا أصلح أجلس مقعد خفه، وهو الذي بيده الرفش ينقي بيدره الغلة إلى إهرائه، ويحرق الأتبان بالنار التي لا تطفئ"2.

فقد أفادنا قول المعمداني هذا معانٍ شتّى في شأن المسيح منها: تسويته المسيح مع مسائر بني إسرائيل في جعله خروفاً، قال المسيح في إنجيله: "إني إنما أرسلت للخراف الضالّة من بني إسرائيل"3. سمّى الناس خرافاً، وسماه المعمداني خروفاً من غير تفرقه بينه وبين غيره، وكذلك قال المسيح: "أنا الراعي الصالح وأنا عارف برعيتي"4.

ومنها: أن المعمداني شهد / (1/164/أ) بأن المسيح عبد الله، وأضافه إليه إضافة ملك، فقال: "هذا خروف الله". وقال مرة أخرى: "هذا حمل الله". فشهد بأن الله مالكه، ولم يقل المعمداني حين رأى المسيح: هذا هو الله - كما يهذي به طوائف من النصارى. ولا قال: هذا الإنسان الذي اتّحد الله به أو سكن الله في إهابه واتّخذه له نزلاً ومسكناً - كما افتراه متأخرو النصارى.

---

1 يوحنا 1/46.

2 يوحنا 1/29، 30.

3 متى 10/6.

4 يوحنا 10/14.

==

وفي ذلك تكذيب للأمانة وإظهار لفسادها ومراغمة لمن عقدها حيث يقولون فيها: "إن المسيح إله حقّ، بيد أتقنت العوالم وخلق كلّ شيء، وإنه خالق غير مخلوق".

الويل لهم، أَهُم أعلم بالمسيح وأعرف به من نبيّ الله يحيى بن زكريا الذي شهد المسيح "بأن النساء لم تلد مثله"1، فيوحنا هذا النبي عليه السلام إنما بعثه الله على زعم النصارى ليشهد للمسيح، وها هو يشهد بأن المسيح خروف وأن الله مالكه، وأنه يأتي بعده يعمد الناس ويستتيبهم كما كان يحيى بن زكريا يفعل غير أنه أقوى منه، وهذا قد يقول ذوو الورع والتقوى تورعاً وخوفاً من السلب بالإعجاب، / (1/164/ب) ولا يلزم أ، يكون القائل لذلك دون المقول له فلم يزل الصالحون يعتمدون ذلك.

وقد شهد يوحا بنبوة المسيح صريحاً إذ يقول: "إنه يجمع الصلحاء إلى ملته والأبرار ويبعد الكفار إلى النار". فقد وضح أنه ليس في كلام المعمداني ما يدلّ على انتحال الضلال. وإلاّ فما أحسن ربّاً له حذاء ينتعله وخف يقي رجليه؟!!. أعوذ بالله من العمي وتنكب الهدى.

11 سؤال: وهو معضلات النصارى، قال النصارى: قال يسوع: "أنا بأبي، وأبي بِيَ"2. قالوا: هذا تصريح من المسيح بأنه متّحد بالله، والله متّحد به.

والجواب: في قول يوحنا التلميذ في الفصل السادس عشر من إنجيله، قال يوحنا: "تضرع المسيح إلى الله في تلاميذه فقال: أيها القدوس احفظهم

---

1 متى 11/11.

2 يوحنا 14/10، 11.

==

باسمك ليكونوا هم أيضاً شيئاً واحداً كما أنا شيء واحد، قد منحتهم من المجد الذي أعطيتني ليكونوا شيئاً واحداً، فأنا بهم وأنت بِيَ"1.

وتأويل ذلك: أنت يا إلهي معي وأنت لي، وأنا أيضاً مع أصحابي وأنا لهم، وكما أنك / (1/165/أ) أرسلتني لأدعو عبادك إلى توحيدك فكذلك أرسلتهم ليدعوا إليك، فكن لهم كما كنت لي، فإن عُدِل عن هذا التأويل لزم منه المحال؛ وهو أن يكون قوام الله وثبوت ربوبيته برجل من خلقه، ويلزم منه محال آخر؛ وهو: أن يكون الباري وعبد من عبيده متداخلين، ويلزم منه محال آخر؛ وهو: أن يكون التلاميذ متداخلين مع المسيح ويكون المسيح متداخلاً معهم2.

فإن التزمه النصارى قيل لهم: فالله إذاً حالّ في التلاميذ والتلاميذ حالّون في الله - تعالى الله عن هذيان النصارى علوّاً كبيراً.

وقد قال فولس - وهو يعظ بعض إخوانه ويحذره من الزنى - : "أما علمتم أن أجسادكم أعضاء للمسيح، فيعمد أحدكم إلى عضو من المسيح فيجعله عضواً للزانية؛ لأن من يصحب الزانية يصير معها جسداً واحداً، والذي يصحب سيدنا المسيح يصير معه روحاً واحداً"3.

وذلك يفسد على النصارى سؤالهم.

12 سؤال ثانٍ: من المعضلات، قال النصارى: قال يوحنا التلميذ في الفصل / (1/165ب) الثالث عشر من إنجيله: "من رآني فقد رآى أبي فأنا وأبي واحد"4.

---

1 يوحنا 17/11-23.

2 ورد هذا الجواب أيضاً في النصيحة الإيمانية للمهتدي نصر بن يحيى المتطبب ص 174.

3 رسالته الأولى إلى كورنثوس 6/15-17.

4 يوحنا 14/9-11، 10/30.

==

والجواب: أن له وجوهاً من التأويل:

أحدها: إنه قد اعترف في الإنجيل في غير موضع أنه رسول من الله إلى عباد الله، ولا شكّ أن رسول الملك إذا توجه إلى قطر فأبدى بعض الرعية شماساً1 عن الامتثال فيحسن منه أن يقول: أنا ومن أرسلني واحد، ومن رآني فقد رآى من أرسلني، ومن بايعني أو عاهدني فقد بايع وعاهد من أرسلني وحصل له العصمة والذمام، وذلك غير مستنكر من الرسل والنواب والوكلاء ومن ندب لسفارة ووساطة بين اثنين أو جماعة، ومنه قول الله عزوجل لنبيّه محمّد صلى الله عليه وسلم: {إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوقَ أَيْدِيهِم}. [سورة الفتح، الآية: 10].

الوجه الثاني: أن رؤية الصنعة تدل على صانعها؛ إذ لا يتصور بناء محكم متقن إلاّ ببانٍ حكيم متقن، وكلما جَلَّت الصنعة دلّت على جلال صانعها، والمسيح لما بهر الناس بما صدر على يديه من العجائب ورأى التفاتهم إليه / (1/166أ) واشتغالهم به فأحب رفع هممهم إلى الله الذي هو أعلى وأجل وأحكم من كلّ حكيم، وقد قال في إنجيله: "أبي أعظم مني"2. وقال له إنسان: يا معلم صالح. فقال: "لا تقل لي صالحاً، لا صالح إلاّ الله واحده".

---

1 أي: امتناعاً وإباء. (ر: القاموس ص 712).

2 يوحنا 14/28.

والوجه الثالث: المسيح كان عبراني اللسان، والعبرانيون يعتقدون قول التوراة في السفر الأوّل منها: "أن الله خلق آدم يشبهه"1. قولاً صحيحاً، فخاطبهم المسيح بما يفهمون، وإنما أرادت التوراة: أن اللــه حيّ عــالم قــادر، وقــد أعطي آدم هــذه الصــفات من الحيــاة والعلم والقــدرة، فكأنــه يقــول من رآني فقــد رأى آدم،ومن رأى آدم فقد رأى الله،فحذف الواسطة.

____

1 سفر التكوين 1/26،ـ 27، ونصّه: "وقال الله: نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا". قـال الإمـام ابن تيمية: "إن لفظ التوراة: "نصنع آم كصورتنا وشبهنا". وبعضهم يترجمه: "نخلـق بشـراً على صـورتنا شـبهنا). والمعنى واحد. وهـو كمـا قـال النـبيّ صـلى اللـه عليـه وسـلم: "إن اللـه خلـق آدم على صـورته". (أخرجـه البخاري. (ر: فتح الباري 8/43)، ومسـلم 4/2183، وأحمـد 2/315). وفي روايـة: "على صـورة الـرحمن". (أخرجه ابن أبي عاصم في السنة / 228، 229، والآجري في الشرعية ص 315، والبيهقي في الصفات ص 291، وصحّحه الإمامان: أحمد وابن راهويه. (ر: نقض التأسيس 2/133،ـ 140، المخطـوط) - ثم قـال - إن شبه الشيء بالشيء يكون لمشابهته له من بعض الوجوه، وذلك لا يقتضي التماثل الذي يــوجب أن يشــتركا فيم يجب ويجوز ويمتنع. وإذا قيـل: هـذا حيّ عليم قـدير، وهـذا حيّ عليم قـدير، فتشـابها في مسـمّى الحيّ والعليم والقدير، لم يوجب ذلك أن يكون هذا المسمّى مماثلاً لهذا المسمّى فيما يجب ويجوز ويمتنع؛ بل هنا ثلاثة أشياء:

أحدها: القدر المشترك الـذي تشـابها فيـه، وهـو معـنى كلّي لا يخصّ بـه أحـدهما، ولا يوجـد كلّيّ عـامٌ مشترك إلاّ في علم العالم.

والثاني: ما يختصّ به هذا، كما يختصّ الرّبّ به من الحياة والعلم والقدرة.

والثالث: ما يختصّ به العبد من الحياة والعلم والقدرة.

فمما اختصّ به الرّبّ عزوجل لا يشركه فيه العبد، ولا يجوز عليه شـيء من النقـائص الـتي تجـوز على صفات العبد، وما يختصّ به العبد لا يشركه فيه الرّبّ، ولا يستحق شيئاً من صـفات الكمـال الـتي يختصّ بـه الرّبّ عزوجل.

وأما القدر المشترك كـالمعنى الكلّيّ الثـابت في ذهن الإنسـان فهـذا لا يسـتلزم خصـائص الخـالق ولا خصائص المخلوق، فالاشتراك فيه غير محذور.

ولفظ التوراة فيه: "سنخلق بشراً على صورتنا يشبهنا". لم يقل: على مثالنا، وهـو كقـول النـبيّ صـلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: "لا يقولن أحدكم: قبح الله وجهك ووجـه من أشـبه وجهـك، فـإن اللـه تعالى خلق آدم على صورته". فلم تذكر الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم كموسى ومحمّد صلى الله عليـه وسلم إلاّ لفظة (شبه) دون لفظ (مثل).

وقد تنازع الناس: هل لفظ الشبه والمثل بمعنىً واحدٍ أو معنيين؟ على قولين:

أحدهما: أنهما بمعنىً واحدٍ، وأن ما دلّ عليه لفظ المثل مطلقاً ومقيـداً يـدلّ عليـه لفـظ الشـبه. وهـذا قول طائفة من النظار.

والثاني: أن معناهما مختلف عند الإطلاق لغةً وشرعاً وعقلاً. وإن كان مع التقيد والقرينة يراد بأحـدهما ما يراد بالآخر. وهذا قول أكثر الناس.

فإن العقل يعلم أن الأعراض مثل الألوان تشـتبه في كونهـا ألوانـاً مـع أن السـواد ليس مثـل البيـاض. ومعلوم في اللغة أن يقال: هذا يشبه هذا وفيه شبه من هذا؛ إذ أشبهه من بعض الوجـوه، وإن كـان مخالفـاً له في الحقيقة. وقال تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُـونَ لَـوْلا يُكَلِّمُنَـا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَـا آيَـةٌ كَـذَلِكَ قَـالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَـابَهَتْ قُلُـوبُهُمْ}. [سـورة البقـرة، الآيـة: 188]. فوَصَـف القـولين بالتماثـل، والقلـوب بالتشابه لا بالتماثل. فإن القلوب وإن اشتركت في هذا القول فهي مختلفة لا متماثلة.

(ر: للتوسع: الجواب الصحيح 2/231-234، شرح كتاب التوحيـد 2/29-98، للشـيخ الغنيمـان، وعقيـدة أهل الرحمن في خلق آدم على صورة الرحمن - للشيخ حمـود التـويجري. نقض أسـاس التقـديس 2/133-142، للإمام ابن تيمية).

==

فإن عدلوا عن هذا التأويل لزمهم أن يكون اليهود وسائر الكفار والحمير والكلاب قد رأوا الله، وأكذبوا التوراة والإنجيل؛ إذ يقول: "إن الله لم يره أحد قط"1.

13 سؤال ثالث وهو من المعضلات: حكى النصارى عن المسيح عليه السلام أنه قال: "لا يصـعد إلى السماء إلاّ من / (1/166/ب) نزل من السماء"2.

والجواب: من وجوه:

أحدها: أنه أشار إلى زاكي الأعمال وهي التي نـزلت بالوجـه مـع الملائكـة، وكأنـه يقـول: لا يصـعد من الأعمال إلاّ ما كان خالصاً قد أُريد به وجه الله. قـال اللـه تعـالى: {لاَ تُفَتَّحُ لَهُم أَبْـوَابَ السَّـمَاءِ وَلاَ يَـدْخُلُونَ الجَنَّةَ}3. وقال سبحانه: {إِلَيهِ يَصْعَدُ الكَلْمُ الطَّيِّبُ وَالعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ}. [سورة فاطر، الآية: 10].

الوجه الثاني: أنه لا يبادر إلى سموّ الأخلاق والأعمال والأحوال إلاّ من لـه سـموّ وهِمَّة مثـل الحـواريين الذين أجابوا داعي المسيح من غير تقدم رؤية آية بل قال لهم: "دعوا الدنيا واتّبعوني ففعلوا"4.

---

1 يوحنا 1/18.

2 يوحنا 3/13.

3 قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْـتَكْبَرُوا عَنْهَـا لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْـوَابُ السَّـمَاءِ وَلا يَـدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ}. [سورة الأعراف، الآية: 40].

4 متى 4/18-22، في سياق طويل، وقد ذكره المؤلِّف بالمعنى مختصراً.

==

والوجه الثالث: أنه أشار إلى الأرواح الطاهرة السماوية التي تنام على طهارة يؤذن لها فتعرج وتسرح ثم تعود فإذا فارقت الجسد صعدت، وأما أرواح الكفار والفجار فلا تصعد وإذا فارقت الجسد أودعت في الأرض السفلى؛ لأنها لم تنْزل من السماء.

فإن عدلوا عن هذه الوجوه وأجروه على ظاهره، قلنا لهم: فقد صعد إلى السماء /(1/167/أ) من لم ينْزل منها وهو إدريس الذي يسمونه خنوخ1.

وناسوت المسيح أيضاً لم ينَزل من السماء وقد صعد إلى السماء، فإما أن يتأولوا الخبر وإلاّ أخرجوه إلى الكذب.

فإن قال النصارى: لم يزل يسوع متجسداً، أكذبتهم نصوص الإنجيل والأمانة إذ تقول: "إنه أخذ جسده من مريم عليهما السلام، وقال في الإنجيل: "هذا مولد يسوع المسيح"، فحكم بأنه مخلوق".

14 سؤال رابع من المعضلات: روى النصارى عن المسيح أنه قال: "إن إبراهيم الخليل اشتهى أن يرى يومي فرأى وفرح، فقال له اليهود: لم يأت لك

---

1 أخنوخ: اسم عري ومعنا: (مكرس أو محنك)، وهو ابن يارد، وقد ذكر في التوراة أنه عاش في طاعة الله ثلاثمائة وخمساً وستين سنة، ثم لم يوجد بعد ذلك؛ لأن الله أخذه. (سفر التكوين 5/2-24). وفسر ذلك بأن الله نقله لكي لا يرى الموت. (ر: قاموس ص 32).

وقال الإمام ابن كثير: "إن إدريس عليه السلام هو خنوخ، قال تعالى: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيّاً}. [سورة مريم، الآية: 56-57]. وقد كان قبل نوح عليه السلام، ويزعم كثير من علماء التفسير والأحكام أنه أوّل من تكلم عن الخطّ بالرمل، ويسمونه هرمس الهرامسة. ويكذبون عليه أشياء كثيرة كما كذبوا على غيره من الأنبياء والعلماء الحكماء والأولياء" اهـ.

(ر: قصص الأنبياء لابن كثير ص 58، وراجع: قصص الأنبياء للنجار ص 24، والنبوة للصابوني ص 243).

خمسون سنة فكيف رأيت إبراهيم؟ فقال: الحقّ أقول لكم إنني [كنت]1 قبل أن يكون إبراهيم". قال المؤلِّف: هذا من أقوى ما يتمسك به النصارى في ربوبية المسيح.

والجواب: يحتمل أن يكون الله تعالى قد أرى إبراهيم أيام المسيح كما أرى آدم جميع أيام ولده، وأعلم إبراهيم بأحواله كما أعلم آدم بأحوال ولده من بعده، وكما أرى موسى ما يؤول أمر بني إسرائيل إليه على ما / (1/167/ب) يشهد بذلك التوراة وذلك بالروح المدركة لا بالعين الباصرة.

فإن أبى النصارى هذا التأويل أكذبوا متّى إذ يقول في صدر إنجيله: "هذا مولد يسوع المسيح بن داود بن إبراهيم"2. وأكذبوا لوقا في روايته عن جبريل إذ يقول لمريم: "إنك تلدين ولداً يسمّى يسوع يجلسه الرّبّ على كرسي أبيه داود".

وإذ كان المسيح إنما هو ابن مريم ولدته في زمن متأخر عن إبراهيم بمئتين من السنين، فكيف يكون قبل إبراهيم إلاّ على وجه التأويل وهو أن الله تعالى كان قد قَدَّر له الاصطفاء والاجتباء في سباق علمه قبل إبراهيم، وأعلَم الله إبراهيم: أن من ولدك مَن أجعله آية للعالمين، فاشتاق إلى رؤية هذا الولد، فكشف الله له عن روحه الزكية النبوية فرآها وفرح بها.

---

1 ساقطة من الأصل، وقد أثبتّها من نصّ الإنجيل.

2 متى 1/1.

==

وقد روي في الخبر: "أن الله تعالى خلق الأرواح قبل الأشباح بألفي عام"1. وقد قال سليمان في حكمته: "أنا قبل خلق الدنيا"2. كما حكينا فيما مضى، وقال داود في مزموره: "ذكرتني يا ربّ من البدء وقدّستني بأعمالك"3.

وقيل لمحمّد صلى الله عليه وسلم / (1/168/أ) متى وجبت لك النبوة؟فقال عليه السلام: "كنت نبيّاً وآدم منجدل في طينته"4.

15 سؤال خامس وهو من المعضلات: روى النصارى عن يوحنا الإنجيلي أنه قال في صدر إنجيله: "إن الكلمة صارت جسداً وحلّت فينا"5.

---

1 رواه الأزدي عن عليّ رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ: "إن الله تعالى خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام ثم جعلها تحت العرش ثم أمرها بالطاعة فأول روح سلمت عليّ روح عليّ". قال الأزدي: في إسناده عبد الله بن أيوب بن أبي علاج وهما كذابان، وقال ابن عدي في الكامل 4/210: وهو منكر. وقال ابن الجوزي: هذا حديث موضوع. (ر: الموضوعات لابن الجوزي 1/401، والآليء المصنوعة للسيوطي 1/199، والفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني ص 382).

ورواه أبو عبد الله بن منده عن عمرو بن عنبسة رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ: "إن الله خلق الأرواح قبل العباد بألفي عام فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف". قال ابن القيم: "إسناده لا يصح". ففيه عتبة بن السكن، قال الدارقطني: "متروك". وأرطأة بن المنذر، قال فيه ابن عدي 1/431: بعض أحاديثه غلط". (ر: الروح لابن القيم ص 216، 232).

2 سفر الأمثال 8/22-31، بألفاظ متقاربة.

3 سفر المزامير 143/5، بألفاظ متقاربة.

4 أخرجه الإمام أحمد في مسنده 4/127، وابن حبان (ر: الموارد ص 512)، والحاكم 2/418، عن العرباض بن سارية رضي الله عنه، قال: ...فذكره بنحوه.وصحّحه الحاكم ووافقه الذهبي. كما صحّحه الشيخ الألباني في حاشية مشكاة المصابيح 3/127.

وفي رواية أخرى عن ميسرة الفجر رضي الله عنه. أخرجها الإمام أحمد 5/59، والحاكم 2/607-209، وصحّحه ووافقه الذهبي.

5 يوحنا 1/14.

والجواب: أن ذلك يحتمل التقديم والتأخير لفساد التعبير وتبدل اللسان فتكون إن الجسد الإنساني الذي هو جسد المسيح سمي الكلمة، ولا معنى لـ: (صار) إلاّ تجدد ما لم يكن، وقوله: (وحلّ فينا) إشارة إلى جسد يسوع المسيح الذي صار كلمة بالتسمية من الله تعالى، وكأن يوحنا يقول: إن الذي كفر به اليهود ونسبوه إلى الجنون شرَّفه الله سماه كلمة له، وأقام بين أظهرنا ما أقام لم يعرفوا قدره.

ويحتمل أن يكون يوحنا أشار بهذا القول إلى بطرس كبير التلاميذ وَوَصَّي المسيح من بعده، فإنه قام بتدبيرهم بعد رفع المسيح بعهد عهده إليه ووصية أوصاه، وكان التلاميذ يفزعون إليه في نوازلهم بعد المسيح على ما يشهد به سيرهم، / (1/168/ب) وكأن يوحنا يقول: "إن ذهبت الكلمة من بيننا فإنها لم تذهب حتى صارت جسداً وحلّ فينا". يريد أن بركة الكلمة وتدبيرها حاضر في جسد بيننا وهو بطرس.

ويحتمل أن يكون يوحنا قال: "إن الكلمة أصارت جسداً وحَلَّ فينا". فأسقطوا الهمزة عند إخراج الكلام إلى اللسان العربي من العبراني، والميز[1] بين صارت وأصارت لا يكاد يدرك في اللسان الواحد، فكيف مع النقل والتحويل وفساد الترجمة؟! وقد أخبر الله تعالى أن المسيح كان يصنع من الطين حيواناً[2]، والنصارى وإن أنكروا هذا ففي الإنجيل ما يصدِّقه وهو: "أن المسيح عليه السلام تفل على الطين من ريقه وصوَّره على موضع عيني رجل أكمه قد

---

1 أي: التمييز والتفريق بين صارت وأصارت...

2 قال تعالى: {وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرائيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللَّهِ...}. [سورة آل عمران، الآية: 49]. ولم تذكر الأناجيل المحرفة هذه المعجزة لعيسى عليه السلام. كما لم تذكر أيضاً كلام عيسى في المهد صبيّاً، وذلك بسبب نسيانهم وإهمالهم وتحريفهم لكتب الله عزوجل.

ولد أعمى، وقال: اذهب فاغتسل في عين شلوخا ففعل وأبصر، فتعجب اليهود من ذلك"1.

فإن أبى النصارى تأويلناالكلام يوحنا هذا لزمهم أن تكون الكلمة الأزلية استحالت لحماً ودماً وعروقاً وشعراً وظفراً واغتذت بالطعام / (1/169/أ) وكان منها ما يكون من الأنام، وبقيت ذات الباري خرساء غير ناطقة وجاهلة غير عالمة، وذلك لا يقوله لبيب.

فإن قيل: فما المرضي عندك في كلمة يوحنا هذه على تقدير صحّتها وسلامتها عن التحريف والتصحيف؟

فأقول: يحتمل أن تكون كلمة جبريل التي أوردها على مريم قد صارت جسداً وتخلَّق منها المسيح الذي حلَّ فيهم، وقد قال الله تعالى: {فَأَرْسَلْنَا إِلَيهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً} - إلى قوله: - {فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً}. [سورة مريم، الآية: 17-22]. وذلك بعينه هو الذي حكاه لوقا في إنجيله عن جبريل، وإذا كانت الكلمة التي صارت جسداً هي كلمة جبريل اندفعت عنا مؤنة التأويل.

16 سؤال سادس من المعضلات: حكى النصارى عن المسيح أنه قال: "كما أقام يونس في بطن الحوت ثلاثة أيام وليال، فذلك ابن الإنسان يقيم في بطن الأرض وقلبها ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ"2.

والجواب عن ذلك من وجهين:

أحدهما: لا أُسلِّم صحّة هذا النقل بل هو كذب ومَيْن، إذ الإنجيل يشهد أن المصلوب المقبور لم يبق / (1/169/ب) في قلب الأرض وبطنها سوى يوم واحد وليلتين على كلا الروايتين، فقد أخلف قولهم وظهر كذبه وإفكه فلا حاجة بنا إلى الكلام عليه.

____

1 يوحنا 1/9-7.

2 متى 12/39، 40.

==

والوجه الثاني: أن المسيح لم يقل: إني أقتل وأصلب وأدفن وأقيم في بطن الأرض هذه المدة كما تخرصه النصارى. إنما قال: إن ابن الإنسان يجري له ذلك، وابن الإنسان هو الذي يُشَبَّه لليهود بالمسيح؛ لأن المسيح على ما قررته وأوضحته فيما تقدم1.

وقد قلَّبت الإنجيل دفعات كثيرة وأنعمت النظر فيه فما وجدته قط أضاف ذلك إلى نفسه الكريمة ولا أورده إلاّ مضافاً إلى ابن الإنسان يعرف ذلك من وقف على الإنجيل.

والعجب من النصارى كيف يُنْزِلون ذلك على المسيح وهو [لا]2 يرضون له بنوةإبراهيم وداود؟!فكيف يجعلونه ابن إنسان من عرض الناس؟!

والعجب أيضاً أنهم يصفونه بما وصفه به اليهود من حيث لا يشعرون؛ لأن غاية ما قال فيه اليهود أنه ولد يوسف النجار، فأي فرق بينهم وبين اليهود في ذلك / (1/170/أ) إذا اعترفوا أنه ابن الإنسان؟

وإذا كان المسيح عندهم إنما هو ابن الله - تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً - فلا يمكن أن يكون ابن الله يُقتل ويُدفن في الأرض بين الأموات، هذا مع وصفهم له في الأمانة: "فإنه إله حقّ من إله حقّ من جوهر الله". فإن صدقوا - وحوشوا من الصدق - فالذي قال المسيح: إنه يكون في قلب الأرض أيام وثلاث ليالٍ، إنما هو ابن الإنسان الذي هو إنسان حقّ من إنسان حقّ من جوهر أبيه آدم، وفي ذلك تكذيب لهم في دعوى قتل المسيح وصلبه.

____

1 ر: الباب الخامس في أن المسيح عليه السلام وإن قصد وطلب فما قتل وما صلب.

2 في ص (فلا) والصواب ما أثبته.

==

17- سؤال سابع من المعضلات: حكى النصارى عن المسيح عليه السلام أنه قال: "قال داود في مزمور له: قال الرّبّ لربي"1. قال المسيح: "فهذا داود يدعوه ربّه فكيف تقولون إنه ابنه؟"2.

والجواب: أنا لا نصحّح هذا النقل عن داود نبيّ الله، فإنه إنما بعث ذاباً عن توحيد التوراة ومقرراً لها أسوة غيره من الأنبياء الذين بعثوا بعد موسى عليه السلام والتوراة، فليس فيها ما يدل على ضلال النصارى، ومتى شهر عن / (1/170/ب) موسى أو داود وغيره من أنبياء الله أن الرّبّ يكون له ربّاً وللإله إلهاً؟!.

وإذا كان ذلك من الهذيان فلنوَرِّك3 على النقلة عن داود، إذ داود ثابت العصمة وهو أعرف بالله تعالى من أن يجعل له ربّاً فوقه أو ربّاً تحته يشاركه في الربوبية، على أن ذلك مردود بشهادة الإنجيل عن جبريل إذ قال لمريم: "إنك تلدين ولداً يجلسه الله على كرسي أبيه داود". وفي ذلك تكذيب لمن نقل عن المسيح أيضاً، إذ المسيح قد شحن إنجيله بتوحيد الله وإفراده بالربوبية كما حكيناه عنه، فكيف يَدَّعى أنه ربّاً لداود والناس ينادونه: يا ابن داود ارحمنا، فيفعل ويرضى منهم بهذا القول؟!.

وهو القائل في إنجيله: "لا صالح إلاّ الله"4. "إن إلهكم واحد"5. "إن أفضل الوصايا كلّها الله واحد" 6. "أنا ذاهب إلى إلهي و[إلهكم]7". "إلَهي إلَهي

____

1 ورد في مزمور 110/1، وقد نقل الإمام ابن تيمية استدلال النصارى بهذا النّصّ، وذكر الرّدّ عليهم من أربعة أوجه. (ر: الجواب الصحيح 2/237، 238).

2 متى 2/43، 44.

3 أي: فلنوجب حمل الذنب على النقلة عن داود. (ر: قاموس ص 1235).

4 متى 19/16-17، مرقس 10/17، لوقا 18/18.

5 متى 23/9.

6 مرقس 12/28-30.

7 في ص (الاهي) والتصويب من النص في إنجيل يوحنا 0/17.

==

لِمَ تركتني؟"1. "إنكم تريدون قتلي وأنا إنسان كلمتكم بالحقّ الذي سمعته من الله"2. وذلك في الإنجيل كثير جداً.

وإذا كان هذا نصّ المسيح في الإنجيل فقد كذبوا عليه في ادِّعائه أن داود / (1/171/أ) عبده. قال مؤلِّفه: سألت حَبراً من أحبار اليهود عن هذا المزمور، قال: "قال الرّبّ لربي". تفسيره عندنا بالعبرانية: "قال الرّبّ لوليي". قال والرّبّ عندنا يطلق على المعظم في الدين ثم تلا قول إبراهيم ولوط الذي حكيناه 3.

18- سؤال ثامن من العضلات: قال النصارى: نحن واليهود من مخالفينا في الملة ننقل أن الذي قتل وصلب لم يكن سوى يسوع المسيح فلو تطرق التشكيك إلى رواتنا ونقلة أخبارنا وحملة ديننا لتطرق مثله إلى ما تنقلونه عن أسلافكم ولم يثبت لأحد من أتباع الأنبياء قاعدة ألبتة4.

والجواب: أن الرواة الأربعة الذين رووا لكم القتل والصلب لم يحضر منهم أحد البتة ذلك المشهد من خوف اليهود بشهادة الإنجيل.

وقد شهدت أقاصيص الإنجيل بأن المسيح كان قد تغيَّر منظر وجهه حتى على بطرس وخواص تلاميذه. واستولى عليه ذلك حتى تعدَّى إلى لون ثيابه فغيرهما عما كانت عليه، وأنه لما التبس أمره وتنكرت حلاه على أصحابه فضلاً عن اليهود إحتاجوا / (1/171/ب) إلى أن أرشوا رجلاً من تلاميذه الاثني عشر برشوة حتى دلّهم عليه، ثم لم يعرفوه حتى قال لهم: إذا رأيتموني أُقَبِّل شخصاً فأمسكوه، فإنه

---

1 متى 27/46، مرقس 15/34.

2 يوحنا 8/40.

3 ر: ص 263، 264.

4 ذكر هذا الاعتراض من النصارى والرّدّ عليه أيضاً في الأجوبة الفاخرة للإمام القرافي ص 50، 51، والانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية، لنجم الدين الطوفي ص 101.

==

يسوع، هذا مع كون المسيح في كلّ يوم في الهيكل يناظرهم ويفحمهم بالحجج النبوية ويظهر عليهم ويكسر حججهم في كلّ مجلس ومجمع يجتمعون فيه.

فما حاجتهم إلى مَنْ يعرِّفهم عينه بعلامة وأمارة يجعلها لهم لولا وقوع الشبه الحائل بينهم وبين رجلٍ من أسباطهم وعشائرهم فَأَخْذُهم من أخذوه إنما هو الشّبه، ثم الشبه إنما أخذ ليلاً فلم يصيروا به إلى رئيس الكهنة وله حيلة تُعرف فقتلوه صبيحة تلك الليلة كما أخبر الإنجيل. وإذا كان هذا نص الإنجيل أن أصحاب المسيح لم يحضروا، واليهود قد اشتبه عليهم الحال وأنكروا صورة المسيح بعد طول المعرفة به، فإخبار من جاء بعدهم لا يفيد ولا الظن إذ كان مستنده ما ذكرنا.

فالقول بقتل المسيح وصلبه لا سبيل إلى صحته بعد إخبار جبريل عن ربّ العالمين أن المسيح يجلسه الرّبّ على كرسي أبيه داود، ويملِّكه / (1/172/أ) على بيت يعقوب على ما تضمنه إنجيل لوقا. وقد حققنا ذلك غير مرة فلا نعيده1.

19- سؤال تاسع من المعضلات: قال النصارى: قال المسيح: "إذا كان يوم القيامة أرسل ابن الإنسان ملائكته، فجمعوا أصحاب الشكوك وفاعلي الآثام فيلقونهم في أتون النار، هنالك يكون البكاء وصرير الأسنان"2.

قال النصارى: فقد أثبت لنفسه ملائكة، ولا يثبت ملك الملائكة إلاّ لله تعالى، وأثبت أنه المقتول المصلوب.

---

1 ر: الباب الخامس.

2 متى 13/41، 42.

==

والجواب: أن هذه نسبة صحبة لا نسبة ملك، والدليل على ذلك من الإنجيل قول يسوع: "لا تحقروا أحداً من هؤلاء الصغار المؤمنين بِيَ. فإن ملائكتهم ينظرون وجه أبِي الذي في السماوات في كلّ حين"1. فقد أثبت للصغار ملائكة لم يرد الملك، وقد قال يسوع أيضاً لليهود في الإنجيل: "لا تظنوا أني لا أستطيع أن أدعو أبي فيرسل لي اثني عشر جوقاً من الملائكة"2. أثبت ها هنا ملك الملائكة لله وحده فكان ذلك المطلق [محمولاً]3 على هذا المقيد.

وقد قالت التوراة: "إن بني / (1/172/ب) إسرائيل كان لهم ملك يحمل عمود الغمام ويسير أمامهم ويلهب لهم بالليل ناراً يؤمونها في مسيرهم"4.

وقوله: "إن ابن الإنسان" يوهم أنه أراد نفسه، ونحن نحمله على الشَّبه الشهيد الذي صلبه اليهود، أنعم فإنه من الحواريين الذين هم تلوا النّبيّين في الشفاعة. قال الله تعالى: {فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيهِم مِّنَ النَّبِيِّين وَالصِّدِّقين..} الآية. [سورة النساء، الآية: 69]. وإذا كان الشَّبَه صِدِّيقاً فهو من خيرهم لإيثاره المسيح، فلا بُعد أن يشهد له المسيح بأنه يشفع يوم القيامة، ويرسل الملائكة بين يديه ويؤمر بامتثال أوامره ويلقي من آذاه وقتله وصلبه في أتون النار.

والدليل على تشريف الأولياء والأصفياء بهذه الرتبة الكتاب العزيز والإنجيل، قال الله: {فَمَا تَنْفَعُهُم شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ} [سورة المدّثر، الآية: 48]. دلّ على أن من الشافعين مَنْ تنفع شفاعته.

وقال المسيح لتلاميذه: "أنتم الذين صبرتم معني

---

1 متى 18/10.

2 متى 26/53.

3 في ص (محمول) والصواب ما أثبته.

4 سفر الخروج 13/21، 22.

==

الباب السادس: في الأجوبة المسعدة عن أسئلة الملحدة

في تجاربي وإنكم يوم القيامة تجلسون على اثني عشر كرسياً من كراسي المجد تدينون اثني عشر سبط بني إسرائيل"1.فقد أثبت محاسبة/(1/173/أ)الأسباط من بني يعقوب إلى تلاميذه،والمصلوب من خيرهم كما تقدم. وكيف لا يعظم جرم اليهود ويسلط عليهم في الدار الآخرة أصحاب المسيح وإنما قتلوا في زعمهم واعتقادهم وظنهم المسيح؟! فبشؤم قصدهم عظم إثمهم وإن لم يصادفوه ولا قتلوه فسلط الله عليهم في القيامة بعض خدمه وهو الشَّبه لينتقم منهم.

20- سؤال عاشر وهو من المعضلات، قال النصارى: قال دواد في مزمور له وتنبأ به على آلام المسيح وما يجري عليه من اليهود: "ثقبوا يدي، وجعلوا في طعامي المرار، وعند عطشي سقوني خلاً، يا رب لا تبعد نصرك مني"2.

____

1 متى 19/28.

2 ورد في مزمور 22/16-19 كالآتي: "لأنه قد أحاطت بي كلاب جماعة من الأشرار اكتنفتني، ثقبوا يديَّ ورجلي، أحصى كل عظامي وهم ينظرون ويتفرسون فيَّ، يقتسمون ثيابي بينهم وعلى لباسي يقترعون، أما أنت يا ربّ فلا تبعد، يا قُوَّتي أسرع إلى نصرتي".

يقول الشيخ رحمة الله الهندي: "إن هذه العبارة (ثقبوا يدي ورجلي) المذكورة في التراجم الشائعة، لا توجد في العبرانية، بل يوجد بدلاً منها هذه الجملة: "كلتا يدي مثل الأسد".

فنسأل النصارى: هل النسخة العبرانية هاهنا محرفة في زعمكم أم لا؟ فإن لم تكن محرفة، فلم حرّفتم هذه الجملة لتصدق على المسيح في زعمكم؟! وإن كانت محرفة فلا بُدَّ أن تُقِرُّوا بتحريفها". (ر:إظهار الحقّ ص55،بتصرف بسيط).

وهذا يؤكّد أن هذا المزمور بالذات قد تعرَّض للكثير من التحريف والتعديل، مما يجعلنا في شكّ من أن تراجمه الشائعة لا تعطي نفس المعاني والمفاهيم التي سجلها داود عليه السلام في مزموره الأصلي.

كما أن فهم علمائهم لهذا المزمور يتمثل فيما يقوله الأستاذ نينهام-أستا اللاهوت-في كتابه: (تفسيرإنجيل مرقس ص428):"بأننا لو أخذناه ككل، فإنه لا يعدوا أن يكون صلاة لعبد بار يعاني آلاماً إلاّ أنه يثق تماماً في حبّ الله له وحفظه من الشرّ وهو مطمئن تماماً لحمايته وخاصة الفقرات19/26،وبالذات الفقرتين24،26"وفيهما: لأنه لم يحتقر ولم يرذل مسكنة المسكين ولم يحجب عنه بل عند صراخه استمع إليه".

وتوجد بعض الشواهد على أن افتتاحية المزمور كان يفسرها قدماء اليهود على ضوء بقية أجزائه وأنه كان يُعرف كصيغة صلاة مؤكّدة الاستجابة من أجل العون في وقت الضيق"اهـ.(نقلاًمن المسيح في مصادر-لأحمد عبدالوهّاب ص227-229).

وأما احتجاجهم بالنّصّ: "وجعلوا في طعامي...". فقد ورد في مزمور 69/21 كالآتي: "ويجعلون في طعامي علقماً وفي عطشي يسقونني خلاً". إلاّ أننا نجد النصّ مختلفاً في الترجمة الحديثة (THE PSALMS) طبعة لندن وجلاسجو عام 1963م كالآتي: "أعطوني لطعامي سماً في عطشي سقونني خلاً".

ومن الواضح أنه لا يمكن تطبيق هذه الترجمة على المصلوب حرفياً لأن الذي يعطي لطعامه سماً، لا يلبث أن يموت بالسم وليس بالصلب. (ر: المرجع السّابق، ص: 246، 252).

قالوا: فأي حجة أبين أو دليلاً أوضح من هذا؟!

والجواب: عن ذلك من وجوه:

أحدها: لا نسلم أن دواد عنى بذلك المسيح بل لم يعن إلاّ نفسه، والكلام يحمل على المعنى حيث أعوز حمله على اللفظ، وكأنه عليه السلام كَنَّى بذلك عما هو بصدده من قتال المشركين ومنازعة أعداء الدين وجبابرة فلسطين، وكأنهم / (1/173/ب) لطول حروبهم وموالاة شرورهم فعلوا هذه الأشياء، وداود أخبر بهذا المزمور عن نفسه فمَن أراد صرفه عنه إلى غيره فعليه إقامة الدليل.

قال مؤلِّفه: "بعد تبييض هذه النسخة والفراغ سألت حبراً من أحبار اليهود عن قول داود: "ثقبوا يدي" بالمزمور، فأجابني بنحو ما ذكرته في الوجه الأوّل على الفور من غير توقف، فتعجبت من اتّفاقه لنصّ ما عندهم.

الوجه الثاني: نسلم أن داود لم يعن بذلك نفسه ولكن عنى غيره فبم تنكر النصارى أن ذلك المعنِيَّ رجلٌ كان قبل داود؟!. واللفظ يساعد عليه فإنه ذكره بلفظ الماضي فقال: ثقبوا يدي جعلوا في طعامي المرار، وذلك يشير إلى أمر قد وقع وفرغ منه، وإذا كان ذلك لم يصلح للاستقبال فلعلّ داود إنما أراد بالمزمور رجلاً من أسلافه الماضين كإبراهيم وموسى وغيره من الأصفياء فتألم بذلك تألم الولد البار لوالده وذوي رَحِمِه وعزَّى نفسه وسلاّها فيما ابتلى به من/(1/174/أ)قتال كفار زمانه وملوك دهره.

الوجه الثالث: نسلِّم أن داود أرد الاستقبال، لكن ليس في المزمور ما يدلّ على قتل وضرب وصفح وصلب كما نسبه الصنارى لربّهم في زعمهم، وليس فيه إلاّ أن رجلاً من الناس يُثقب يده ويُسقى خلاً عند عطشه ويُمَرَّر طعامه ويسأل ربه وخالقه إلهه أن ينصره، ولا يلزم من وجود هذه الأموروجودقتل وصلب،فقديثقب يد الإنسان ويسقى الخل ولا يموت.

والوجه الرّابع: سلَّمنا أن ذلك يستلزم القتل والصلب والإهانة، وأن داود عبَّر ببعض الآلام عن سائرها، لكن من أين للنصارى أن المفعول به ذلك هو المسيح؟!، وليس في كلام داود له ذكر البتة. فبم ينكرون على من يقول: إن المفعول به ذلك هو الشبه لا المسيح؟ وليس دعواهم أن داود أراد المسيح بأولى من دعوى مَن يقول: لم يرد بذلك إلاّ الشبه. والدليل على أن داود أراد الشبه قوله: "يا ربّ لا تبعد نصرك مني". فصرَّح داود بأن المفعول به ذلك عبد من عبيدالله/(1/174/ب) يستصرخ بربه ويلتمس نصر خالقه عند نزول كربه، ويؤيّده قول نقلة الإنجيل إن المصلوب قال في آخر كلام تكلم به على الخشبة: "إلَهِي

إِلَهِي كيف تركتني؟". والمسيح ليس كذلك عند النصارى. ولاسيما وقد رووا عن داود أنه عنى المسيح بقوله في المزمور: "قال الرّبّ لربِّي: اجلس عن يميني حتى أجعل أعداءك موطئ قدميك". وإذا قالوا: إن داود يخاطب المسيح بلفظ الربوبية وأن أعداءه تكون موطئ قدميه بطل أن يكون عنى بقوله: "ثقبوا يدي". المسيح وصحّ إضافة ذلك إلى الشبه.

ثم داود عبراني اللسان، فلو كان في مزمور ما ينوه بذكر المسيح وربوبيته وقتله وصلبه لكان العبرانيون - وهم اليهود - أحقّ بمعرفته من غيرهم. لاشتغالهم بتلاوة مزامير داود وانكماشهم على قراءتها والتعبد بها، فإقدامهم على ما أقدموا عليه من طلب المسيح وتكذيبه، وعزمهم على قتله حتى شغلهم الله

الباب السادس: في الأجوبة المسعدة عن أسئلة الملحدة

عنه بالشبه الذي قتلوه وصلبوه-دليل واضح (1/175/أ) على غلط النصارى فيما استنبطوه من المزامير بعقولهم واستخرجوه بأذهانهم.

فهذه عشرة أسئلة معدودة من معضلات أسئلتهم مضافة إلى ما قدمناه، غير أن هذه الأسئلة هي أساس كفرهم، وعليها عقدوا أمانتهم التي سنبيّن بعون الله فسادها وتناقض ألفاظها ومعارضتها للثالوث ومعارضة الثالوث لها.

وقد بيّن داود في المزمور التاسع عشر على ما ذهبنا إليه من خلاص المسيح من أعدائه اليهود، وأخبر أن الله تعالى حماه منهم وستره عنهم، فقال: "يستجيب لك الرّبّ في يوم شديد، ويرسل لك عوناً من قدسه يعضدك من الآن، عرف خلاص الله لمسيحه ومن سماء قدسه استجاب له"1. فقد شهد داود بأن الله خلّص المسيح.

وهذا المزمور مصدِّق لقول لوقا: "إن جبريل خبَّر عن الله أن المسيح يكون ملك بني إسرائيل". فأما مزمور "ثقبوا يدي"، فكذَّب بشارة جبريل، وما رَدَّ بشارة جبريل عن الله تعالى فهو مردود.

فإن قيل: فالمسيح صعد إلى السماء2 وهذا يدل على ربوبيته.

قلنا: هذا من أضعف ما يتمسك / (1/175/ب) به؛ إذ الملائكة تصعد السماء وليسوا آلهةً ولا أرباباً، وأخنوخ الذي هو إدريس قد صعد إلى السماء3 وهو عبد من عبيد الله. وكذلك إلياء وَدَّع تلميذه اليسع وصعد إلى السماء على فرس من نور4.

____

1 مزمور 20/1-7.

2 مرقس 16/19، لوقا 24/51.

3 سفر التكوين 5/24.

4 سفر الملوك الثاني 2/1-11.

والعجب أن التلاميذ عندكم أفضل من إدريس وإليا وغيرهم وقد قتلوا وماتوا ودفنوا في الإرض، فليس في صعود السماء ما يدلّ على ما يذهبون إليه.

فإن قيل: فالمسيح أخبر بالمغيِّبات وعَرَّف تلاميذه بما سيحدث في المستقبل1 ولا يعلم الغيب إلاّ الله سبحانه.

قلنا: التعلق بذلك يصلح لإثبات النبوة والرسالة، أما أنه يصلح لما تدّعونـه فلا.والـدليل علـى ذلـك أنّ نوحاً وإبراهيم ويعقوب ويوسف وموسـى وجماعـة من الأصـفياء قـد أخـبروا بالمغيَّبـات فـوقعت على وفـق خبرهم. فأخبر نوح بالطوفان وهلاك الخلق بأسرهم إلاّ من ركب سفينته2، وأخبر إبراهيم بأن ذريّته يكونـون في العبودية والسخرة بمصر المدة الطويلة3، وأخبر يعقوب بأن اللـه سـيذكر بـني إسـرائيل ويخـرجهم من مصر إلى بلادهم بيدٍ / (1/176/أ) منيعة عزيزة قوية4، وأخبر موسى بشـتات أمـر اليهـود وعبـادتم الأصـنام والأوثان وإعراضهم عن طاعة الله الذي أنقذهم من سخرة فرعون5، وأخبر يوسف بالغلاء والمجاعـة الـتي تعمُّ الأرض سبع سنين6، وأخبر دانيال بختنصر بمغيبات كثيرة7. فلم يخرم مما قـالوا ولم يخلـف كمـا شـهد بذلك كله التوراة

1 متى 24/1-31، مرقس 13/1-32، لوقا 21-5-28، لوقا 22/31-38، يوحنا 13/36-38.

2 سفر التكوين إصحاح (6).

3 سفر التكوين 15/13-17.

4 سفر التكوين 48/21.

5 سفر التثنية 31/24-30، 32/1-47.

6 سفر التكوين 41/25-36.

7 من هذه المغيبات: إخبار دانيال بختنصر بحلمه عن التمثال العجيب وتفسيره له. (ر: دانيال صح 2)، وعن حلم الملك عن الشجرة العظيمة التي قطعت وتأويـل ذلـك. (ر: دانيـال صـح 3)، وعن تفسـير الكتابـة التي ظهرت على الحائط في الوليمة التي أقامها الملك. (ر: دانيال صح 5). وغير ذلك.

==

الباب السادس: في الأجوبة المسعدة عن أسئلة الملحدة

والنبوات وأربوا على المسيح في ذلك، وذلك كله بتعريف الله: {عَالِمُ الغَيبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رُّسُولِ}1.

والعجب كيـف يتمسـك النصـارى في دعـوى ربوبيـة المسـيح بإخبـاره الغيب، وهـذا نـوح وإبـراهيم ويعقوب يخبرون به وينبؤون عنه، مع أن النصارى لا يعتقدون فيهم سوى أنهم قوم صالحون لا غـير2، وهـذا من أجلِّ أغاليطهم وكفرهم إذ

1 الآية الكريمة: {عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً. إِلا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً}. [سورة الجن، الآية: 26-27].

2 إن الفكر النصراني المنحرف في القرون الأولى المسيحية لم يتطرق إلى بحث قضية الوحي والنبوة؛ لأن ألوهية المسيح عليه السلام وما يتعلق به من قضايا فلسفية هي المحرر الرئيسي للفكر النصراني أو ما يسمى بعلم: (الثيولويجا: THEOLOGIA).

أما بعد ظهور الإسلام فإن موقف النصارى من بعض قضايا النبوة مثل: نبوة بعض الأنبياء السابقين كنوح وإبراهيم ويعقوب عليهم السلام، فهو يتلخّص في الآتي:

الأوّل: اعتبارهم مجرد آباء للشعب الإسرائيلي ورجال صالحين وليسوا أنبياء مرسلين من الله، وهذا الموقف ناشئ من التراث اليهودي الذي ورثه النصارى. (فإن التراث اليهودي يجعل النبوة تبدأ في مرحلة متأخرة من الزمان، بدأت بموسى عليه السلام - الذي يعتبر أباً الأنبياء ومن أبرز آبائهم المتقدمين - وتنتهي بأنبياء القرن الرابع قبل الميلاد. أما نوح وإبراهيم ويعقوب وغيرهم فإنهم - في نظر اليهود - مجرد آباء للشعب الإسرائيلي وبأن ما تلقاه هؤلاء الآباء من الوحي الإلهي فإنه إرث يهوذي خالص.

ونادراً ما يستخدم تعبير (الأنبياء) للتعريف بهذه المجموعة من الأنبياء - حسب الفهم الإسلامي -، فكل الشخصيات السابقة على موسى عليه السلام في التراث اليهودي يجمعهم لقب البطارقة: (THE PATRIACHS) أو الآباء بما يعني أنهم كانوا بمثابة رؤساء وشيوخ لقبائلهم، وأن وظيفتهم كانت سياسية اجتماعية أكثر منها دينية".

(ر:تاريخ النبوة الإسرائيلية ص16-21، د. محمّد خليفة حسن أحمد، دائرة المعارف اليهودية 13/181. مادة البطارقة 13/1149، مادة النبوة، قاموس أكسفورد ص د، 1132).

كما أن أصحاب هذا الموقف قد يكونون متأثرين برد الفعل المعاكس لما ورد في القرآن الكريم من إثبات نبوة هؤلاء الأنبياء الكرام، مما دعاهم إلى إنكار نبوتهم عناداً ومخالفةً لما عند المسلمين.

أما الموقف الثاني: الاعتراف بنبوتهم، فهو ما ورد في بعض المصادر اليهودية. (ر: تنقيح الأبحاث ص 21، لابن كمونة اليهودي، الأصول الثلاثة عشر لموسى بن ميمون). وأصحاب هذا الموقف متأثرون بالإسلام، وهم بذلك يتحاشون الانتقادات التي توجه إليهم لعدم إثباتهم نبوة هؤلاء الأنبياء الكرام مع ثبوت تكليم الله عزوجل لهم في التوراة.

وبذلك يتبيّن لنا أن ما ذكره المؤلِّف عن أهل الكتاب صحيح. والله أعلم.

====================================

الباب السادس: في الأجوبة المسعدة عن أسئلة الملحدة

أخرجوا من ديوان النبوة مثل نوح وإبراهيم عليهم السلام مع شهادة التوراة بأعلامهم ورسوخ أقداهم ومكالمتهم الحقّ ودعائهم الخلق1.

فإن قيل: فالمسيح جاء من غير/(1/176/ب)فحل ونحن وأنتم قاطعون بطهارة مريم وبراءتها. وإذا كان لا بدّ من أب فلا أب له سوى الله تعالى.

قلنا: هذا من أضعف ما يُتمسك به؛ وذلك أن التوراة مصرحة بأن الله تعالى خلق حواء من آدم، قال الله تعالى في صدر التوراة: "لا يحسن أن يبقى آدم وحده بل نخلق له زوجاً مثله، فألقى الله عليه النوم فنام فنَزَع ضلعاً من أضلاعه وأخلف له عوضه لحماً، فخلق الله من ذلك الضلع حواء زوجته"2.

فإذا كان لا بدّ لها من أم فهل تقولون: إن الله أمها؟! فَخَلْقُ أنثى من ذكر بغير أم أعجب من خلق ذكر من أنثى بغير أب، وأعجب من هذين خلق بشر من غير أنثى ولا ذكر وقد خلق الله آدم من تراب، فمن كان قادراً على أن يخلق بشراً من غير أبوين ولا يكون ابناً له كيف لا يقدر أن يخلق بشراً من أنثى ولا ذكر ولا يكون ابناً له؟!.

---

1 لقد وردت نصوص كثيرة في سفر التكوين من التوراة تثبت نبوة هؤلاء الأنبياء وإنزال الوحي عليهم، فأما نوح عليه السلام فقد ورد في الإصحاحات (6-9) النصوص الآتية: "فقال الله لنوح: نهاية كلّ بشر...". "وكلم الله نوحاً قائلاً: اخرج من الفلك..."، "وقال الله لنوح: هذه علامة...". وغير ذلك.

وأما إبراهيم عليه السلام فقد ورد عنه في الإصحاحات (12-18، 20-24) نصوص كثيرة منها: "قال الرّبّ لأبرام: اذهب من أرضك". "ظهر الرّبّ لأبرام وقال له: أنا الله القدير...". (فقال الله له - أي: لملك جرار الذي أخذ سارة زوجة إبراهيم - في الحلم:.. فالآن ردّا امرأة الرجل فإنه نبيّ...". وغيرها.

وأما يعقوب عليه السلام فقد ورد عن الإصحاحات (35، 46) مثل ذلك، منها: "قال الله ليعقوب: قم اصعد...". "وقال له الله: اسمك يعقوب...". وغيرها. لكن التوراة المحرفة لا تذكر أي نشاط للدعوة لهؤلاء الأنبياء.

2 سفر التكوين 2/18-23.

==

وكم قد خلق الله سبحانه من مخلوقاته من غير تناسل معروف ولا ولادة معتادة؟! {فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ}1.

انتزاعات لهم:

وانتزع النصارى من / (1/177/أ) التوراة والكتب العتيقة مواضع زعموا أنها دالة على ربوبية المسيح، ونحن نوردها في معرض الأسئلة، ونجيب عنها، ونبيّن أن ليس فيها [تفريج لكربة النصارى ولا معتصم]2 لهم فيما يحاولونه.

1- فإن قيل: ففي التوراة ما يدل على عقد النصارى في المسيح، وهو: "أن إسرائيل لما احتضر بمصر جمع بنيه ودعا واحداً ثم قال لابنه يهوذا: لا يعدم سبط يهوذا ملكاً مسلطاً، ونبيّاً مرسلاً حتى يأتي الذي له الملك. وإياه ينتظر الشعوب، ربط بالحبلة جحشه، يرخص بالخمر لباسه، ويصبغ بعصير العنب رداءه، عيناه أشد سهولة من الخمر، وأسنانه أشد بياضاً من اللبن"3.

---

1 قال تعالى: {وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ}. [سورة غافر، الآية: 81].

2 في ص (تفريجاً للبرية النصارى ولا معتصماً) والصواب ما أثبته.

3 ورد النّصّ في سفر التكوين 49/1-12 كالآتي: "لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتى يأتي شيلون، وله يكون خضوع شعوب، رابطاً بالكرمة جحشة وبالجنفة ابن أتانه، غسل بالخمر لباسه وبدم العنب ثوبه، مسوّد العينين من الخمر ومبيض الأسنان من اللبن".

قلت: الفرق واضح بين هذا النّصّ وما ذكره المؤلِّف، وقد أشار الشيخ - رحمة الله - إلى اختلاف اللفظ في عبارة: "حتى يأتي الذي له الكل". وذكر أنها موجودة في التراجم العربية للكتاب المقدس المطبوعة سنة 1722م، 1831م، 1844م، وأن عبارة: "الذي له الكل"، أو "الذي هو له"، ترجمة للفظ: "شيلوه"، أو "شيلون". (ر: إظهار الحق ص 518، 519).

وبناء على ذلك فإن تفسير هذه البشارة كالآتي: إنه لا تزول السلطة من بيت يهوذا والمشترع من بين رجليه أو صُلْبِه - وهو المسيح - لأنه من بيت يهوذا، فيكون ما بيَّنه في الأناجيل من الشريعة يبقى مستمراً حتى يأتي شيلون "أي: من له الأمر أو الكلّ"، فيكون الحكم والعمل على شريعته، ولم يتحقق هذا إلاّ بمجيءسيدنا محمّد صلى الله عليه وسلم.

وقد فسر الأستاذ عبد الأحد داود - الذي كان قسيساً فأسلم - كلمة: "شيلوه" بالرجوع إلى أصل اشتقاق هذه الكلمة في اللغة العبرية، فسرها بثلاث تفسيرات:

الأوّل: "الشخص الذي له"، ويكون المعنى كالآتي: "إن الطابع الملكي المتنبئ لن ينقطع من يهوذا إلى أن يجيء الشخص الذي يخصّه هذا الطابع ويكون له خضوع الشعوب".

الثاني: "المسلم، الهادئ، الوديع، الأمين".

الثالث: أن كلمة شيلوه تحريف لكلمة: "شلواه"، ومعناه: الرسول أو المبعوث. ثم يقرر الأستاذ عبد الأحد أنه على أي تفسير من هذه التفسيرات الثلاثة فإنها تنطبق تماماً على نبيّنا محمّد صلى الله عليه وسلم الذي أقام دين الإسلام ووحَّد جميع الشعوب وأزال سلطة اليهود، وهو صلى الله عليه وسلم الملقب بالأمين، وهو رسول الله الذي يتكرر إطلاق هذا اللقب عليه في القرآن الكريم وفي الأذان وفي الصلاة خمس مرات كلّ يوم.

ثم يقول: فإننا مضطرون بحكم تحقق هذه الصفات في محمّد صلى الله عليه وسلم، أن نُسلِّم بأن اليهود ينتظرون عبثاً مجيء (شيلوه) آخر، وأن النصارى مصرون على خطئهم في الاعتقاد أن عيسى كان هو المقصود بـ: (شيلوه". (ر: محمّد في الكتاب المقدس - عبد الأحد داود ص 77-85، بتصرف).

==

قال النصارى1: وهذه صفات المسيح.

قلنا: اللفظ للتوراة وهي عبرانية واليهود من أولاد يعقوب أعرف بذلك منكم، وها هم إلى الآن ينازعونكم في الموصوف بهذه الصفات، ويدَّعون أنه صاحبكم وهم إلى الآن ينتظرونه، ونحن لا نسلم أن هذا الموعود به عيسى بن مريم ولا غيره بل هو محمّد صلى الله عليه وسلم / (1/177/ب) والدليل على

ذلك قول يعقوب: "حتى يأتي الذي له الملـك". وليسـت كـذلك وإنمـا هي: "الكـلّ"، فحـرفت بسـوء النقـل وكذلك هي في بعض نسخ التوراة "الكلّ"، فجعله مع النبوة ملكاً مطاع الأمر كما قال

---

1 ويزعم ذلك أيضاً مؤلفو قاموس الكتـاب المقـدس ص 536، وقـد توهمـه أيضـاً العلامـة نجم الـدين الطـوفي في كتابـه: (الانتصـارات الإسـلامية في كشـف شـبه النصـرانية، ص 107، 108) حينمـا زعم أن الصفات الواردة في النّصّ السابق هي صفات المسيح، هذا اجتهاد خاطئ منه - رحمه الله - يرده ما ذكرناه سابقاً.

أبو سفيان للعباس: "لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً فقال له: اسكت فإنها النبوة"1. وقال: لقد أتيت كسرى في ملكه وقيصر في ملكه فما رأيت قوماً أهيب لملكهم من أصحاب محمّد لمحمّد صلى اللـه عليـه وسلم2.

وقال صناديد قريش: لقد أَمِرَ أَمْرُ ابن أبي كَبْشة3، جد من أجداد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وكذلك كان عليه السلام، فإن الله جمع لـه الكـلّ كمـا قـال يعقـوب: النبـوة، والملـك، فاسـتقام أمـره واستوسق4 سلطانه واستتبت دولته وألقت إليه الدنيا سلطان مقاليدها فكان نبيّاً رسولاً كمـا كـان سـلطاناً مبعوثاً إلى الأحمر والأسود والقريب والبعيد، ولقد هابته الملوك وهادته واعتصمت منه بالذمم، وحضت على مؤازرته، وتابعه قيصر والنجاشي وملوك العرب.

فأما المسيح عليه

---

1 حديث العباس مع أبي سفيان - رضي الله عنهما - ورد في قصة فتح مكة - في سـياق طويـل - عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أخرجه ابن إسحاق. (ر: سيرة ابن هشام 4/64)، وإسحاق بن راهويه في مسـنده. (ر: المطـالب العاليـة 4/244-246 لابن حجـر). وأخرجـه ابن سـعد 2/134-137، والـبيهقي في الدلائل 5/32-35، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد 6/167-1700، وقال: "رواه الطـبراني ورجالـه رجـال الصحيح". وقال الحافظ بن حجر: "هذا حديث صحيح".

2 هذه مقالـة أبي سـفيان للعبـاس رضـي اللـه تعـالى عنهمـا في قصـة الفتح حينمـا رأى أبـو سـفيان المسلمين يتلقون وضوء رسول الله صلى الله عليـه وسـلم، وقـد أخرجهـا الـبيهقي في الـدلائل 5/39-40، برواية موسى بن عقبة. ونقلها ابن كثير في البداية والنهاية 4/324.

3 هذه مقالة أبي سفيان بن حرب قالها لأصحابه من كفار قريش بعد ما ساله هرقـل ملـك الـروم عن أحوال النبي صلى الله عليه وسلم، وقـد أخرجـه البخـاري في كتـاب بـدء الـوحي بـاب (7). (ر: فتح البـاري 1/31-33). ومسلم 3/1393-1397، والبيهقي في الدلائل 4/377-380، عن ابن عباس رضـي اللـه تعـالى عنهما في سياق طويل. قال الحافظ ابن حجر: "وابن أبي كبشة أراد به النبيّ صلى الله عليه وسلم؛ لأن أبا كبشـة أحـد أجـداده، وعـادة العـرب إذا انتقصـت نسـبت إلى جـدّ غـامض"، وقـال ابن قتيبـة والخطـابي

والدارقطني: "وهو رجل من خزاعة خالف قريشاً في عبادة الأوثان فعبد الشعرى، فنسبوه إليه للاشتراك في مطلق المخالفة". وكذا قاله الزبير. قال: واسمه: "وجز بن عامر بن غالب". (ر: فتح الباري 1/40).

4 استوسق: اجتمع وانتظم. (ر: القاموس ص 1199).

السلام / (1/178/أ) فقد شهدت عليه أقواله وأقوال تلاميذه في الإنجيل بأنه لم يرسل إلى كلّ الأمم من العرب والعجم؛ إذ يقول في إنجيله: "إني لم أرسل إلاّ إلى الخراف الضالة من بيت إسرائيل"1. "وسئل أن يقضي حاجة امرأة من الكنعانيّين، فقال: ليس بجيد أن يؤخذ خبز النبيين فيلقى للكلاب"2. وقال المسيح حيث بعث تلاميذه: "مدن السامرة لا تدخلوا، وطريق الزنادقة لا تسلكوا، واذهبوا إلى الخراف التي ضلت من بيت إسرائيل"3.

فبين في كلّ كلامه أن دعوته خاصة وليست عامة، فإذاً ليس هو المراد بلفظ إسرائيل، إذ إسرائيل يقول: "إنه ينتظره كلّ الشعوب". ولم يقل ينتظره من ضلّ من شعب إسرائيل لا غير.

والعجب من النصارى كيف ينْزِلون هذا الكلام على المسيح عليه السلام وهم مجمعون أن صاحبهم كان مستضعفاً يبذل الجزية أسوة سائر [أهل]4 الذمة، فرووا في إنجيلهم الذي بأيديهم اليوم: "أن جباة الجزية من جهة قيصر قالوا لبطرس: ما بال معلمكم لا يؤدّي إلينا الغرم؟ فذكر ذلك بطرس للمسيح، فقال: [والبنون]5 أيضاً يؤدّون الغرم / (1/178/ب) ثم قال لبطرس: اذهب إلى البحر وألق الصنارة واصطد ما تؤدّي عني وعنك"6.

---

1 متى 15/24.

2 متى 15/21-28.

3 متى 10/5، 6.

4 إضافة يقتضيها السياق. والله أعلم.

5 في ص (والبنين) والصواب ما أثبته.

6 متى 17/24-27.

وهذا نقلهم والعُهدة عليهم، وإذا كان الأمر ما نقلوا فليس هو صاحبهم؛ لأن الصادق إسرائيل قال: إن هذا الآتي يكون ملكاً نبيّاً وكلّ الشعوب ينتظرونه، والخلائق معمومون برسالته ودعوته. والنصارى يقولون: هو هذا الذي يبذل الجزية من صيد السمك ويتحمَّل الصَّفار وإن خساس اليهود وأراذلهم وثبوا به وأرذلوه واستذلوه وربطوه ربط اللصوص وأهل الدَّعر1، ووضعوا على رأسه إكليلاً من الشوك، وجعلوا يصفعونه

ويسخرون منه، ولما قضوا نهمتهم من عقوبته صلبوه على خشبة فوق نشز من الأرض، وقرنوه بلصين مصلبين، ثم قتلوه وإياهما، كما حكوه لنا في إنجيلهم، أفكانت بشرى يعقوب لسائر الشعوب برجل يرذل ويصفح ويؤيّدي الجزية فيذل لها ويخضع ويحمل خشبته ويصعد عليها ويرفع ويستسقى ماء فَيُذاد عنه ويُدفع ويسأل البقيا فلا يجاب إليها ولا يسمع. قال يعقوب عليه السلام: / (1/179/أ) "وإيّاه ينتظر الشعوب". والمسيح عند النصارى إله خالق وربّ رازق. ومعلوم أن أكثر شعوب الأرض وأهل الدنيا ينكرون هذا ولا يقرون به فكيف ينتظرونه؟! وإنما ينتظر الإنسان ما يجوّزه فأما ما يحيله ويقضي بمنعه واستحالته فلا ينتظر مجيئته وإتيانه.

فقد وضح أن الذي نصّ عليه يعقوب في التوراة ليس هو المسيح عليه السلام. فأما اليهود فيقال لهم: أخبرونا عن مسيحكم هذا الذي أنتم تنتظرونه، هل يعرفه غيركم أو يقرّ به سواكم؟

____

1 الدعر: الفساد والفسق والخبث. (ر: القاموس ص 501).

==

فإن ادّعوا ذلك كابروا العيان، فإن أحداً من الناس لا يعرفه ولا يدين الله بمجيئه، وانتظار الشيء فرع معرفته، وإنما ينتظرون المسيح الدجال الكذاب الضال المضل الذي حذّر منه الأنبياء1 وأتباع الأنبياء، قالت التوراة في السفر الخامس بعد أن نصّ على مجيء النبيّ الصادق: "فأما الذي يقول ما لم آمره به ويتكلم باسم إله أخر فليقتل ذلك2 قتلاً، وإن أشكل عليهم معرفة الصادق من الكاذب فانظروا فإني لا أتمُّ عمل الكاذب ولا أكمل فعله؛ لأن قوله ذلك / (1/179/ب) كذب وجرأة وصفاقة وجه لا يخافوه ولا يفزعوا منه"3. فهذا ما في التوراة.

وأما الإنجيل فقال4: "إنه سيقوم مسيح كذب وأنبياء كذبة بآيات وعلامات [ويضلون]5 الناس إن قَدَرُوا، ويتم الذي حكاه دانيال حيث يقول: "يهرب الناس إلى الجبال ولا ينْزِل مَنْ على سطح داره أن ينْزل لأخذ ثيابه، الويل للحبالى والمرضعات في تيك الأيام، ويكون ضيق عظيم لم يكن مثله في العالم، ولولا أن تيك الأيام قصرت لم يخلص ذو جسد، ولكن من أجل المنتخبين قصرت تيك الآيام، ومن بعد ذل تظلم الشمس والقمر وتسقط الكواكب وترتج السماء".

وقد قال المسيح في الإنجيل "ومن قِبَل ثمارهم يعرفونهم"6. ونحن نعلم

____

1 عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: "قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فأثنى على الله فما هو أهله، ثم ذكر الدجال، فقال: إني لأُنْذَركموه، وما من نبيٍّ إلاّ أنذر قومه، لقد أنذر نوح قومه، ولكني أقول لكم فيه قولاً لم يقله نبيّ لقومه: تعلمون أنه أعور، وأن الله ليس بأعور". أخرجه البخاري. (ر: فتح الباري 6/370).

2 في ص: تكررت لفظة: (ذلك).

3 سفر التثنية 18/20-23، بألفاظ مختلفة.

4 إنجيل متّى 3/24-34، مرقس 5/13-32، لوقا 8/21-32.

5 في ص (ويضلوا) والصواب ما أثبته.

6 متى 7/16، 20.

==

أن من ثمار محمّد عليه السلام توحيد الباري وتقديسه وخلع ما سواه جلّ وتعالى، وأما المسلمون فلا يعدلون لهذا النعت عن محمّد رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأما النصارى فمكذبون لليهود زاعمون أنه المسيح ابن مريم عليه السلام، وقد أبطلنا ذلك.

وأما المجوس1 وسائر فرق الناس كالصابئة2 وأصحاب

هرمس3

---

1 المجوس؛هم:الذين أثبتوا أصلين للعالم هما: (إله النور) خالق الخير واسمه:يزدان،و(إله الظلمة) خالق الشّر، واسمه: أهرمن. والمجوس يعظمون النيران والأنوار، وانقسموا إلى مذاهب كثيرة منها: الثنوية، والزرادشتية، والمركونية، والمزدكية، والتناسخية.

(ر: التمهيد للباقلاني ص 87، الفصل لابن حزم 1/86، الملل والنحل للشهرستاني 1/230، والداعي إلى الإسلام لأبي البركات الأنباري ص 221،ـ 271، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي ص 86، البرهان للسكسكي ص 90).

2 الصابئة؛ في مقابلة الحنيفية، وفي اللغة: صبأ الرجل: إذا مال وزاغ. وقيل: بأنها كلمة آرامية الأصل تدل على التطهير، ويعرف منها:

1- الصابئة الحرانيون: وقد انقرضوا في القرن (11هـ) ومركزهم (حران).

2- الصابئة المندائيون: ويزعمون أنهم أتباع النبيّ يحيى عليه السلام. ويُقَدَّر عددهم حالياً بعشرة آلاف شخص تقريباً معظمهم في العراق وإيران. والصابئة يقدسون الكواكب والنجوم، ويعتبر الاتّجاه نحو القطب الشمالي والتعميد في المياه الجارية من أبرز معالم ديانتهم.

(ر: الفصل 1/88-90، الممل والنحل 2/5-57، اعتقادات ص 90، والبرهان ص 932، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ص 317).

3 هرمس: وجمعه هرامس، يسمى عند العرب إدريس، وعند اليونانيين أطرسمسين، وعند العبرانيين أخنوخ، وعند الفرس: أبهجل أو اللهجد - وتفسيره - ذو عدل. وقد اشتهر من الهرامسة ثلاثة:

1- هرمس الأوّل ويسمونه: (هرمس الهرامسة) - وقد كان قبل الطوفان - وهو أخنون أو إدريس، وللصابئة شرائع يسندونها إليه، وقيل أوّل من استخرج الحكمة وعلم النجوم والطبّ.

2- هرمس الثاني: من أهل بابل الكلدانيين وكان بعد الطوفان.

3- هرمس الثالث: سكن مصر.

(ر: الفهرست لابن النديم ص 492، الفصل لابن حزم 1/90، الشهرستاني 2/45، الكامل لابن الأثير 1/34، أخبار العلماء للقفطي ص 5، دائرة معارف فريد وجدي 10/504).

وغيرهم فينقسمون إلى من له شبهة كتاب / (1/1810/أ) وهو لا يدين بالتوراة ولا بشيء من قول اليهود، وإلى من ينكر النبوات جملة كالبراهمة1 والهنود وغيرهم.

وإذا كان ذلك كذلك فليس المذكور في التوراة صاحبهم الذي ينتظره سائر الشعوب، وإذا فسدت دعوى اليهود والنصارى جميعاً فلا بدَّ من الوفاء بقول إسرائيل الله الصادق، ولم يبعث إلى سائر الشعوب سوى محمّد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يمكن دعوى ذلك لموسى عليه السلام إذ هو مهجور على كلّ قول ولا ادعاه أحد، ثم اعلم أنه يتعين تأويل ألفاظ إسرائيل وصرفها عن ظاهرها، فأكثر كلام القوم متروك الظواهر موكول استنباطه إلى آراء العلماء وفهوم الحكماء.

والدليل على أنّ نبيّنا محمّداً صلى الله عليه وسلم ينتظره سائر الشعوب قوله تعالى في محكم كتابه العزيز: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ الله إِلَيكُم جَمِيعاً}. [سورة الأعراف، الآية: 158]. {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلعَالِمِينَ}. [سورة الأنبياء، الآية: 107]. {تَبَارَك الَّذِي نَزَلَ الفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً}. [سورة الفرقان، الآية: 1].

____

1 البراهمة: نسبة إلى الإله: (براهما)، أحد عناصر الثالوث الهندي المكون من: (براهما، وفشنو، وسيفا)، ويمثلون الديانة الهندوسية، والبراهمة هم أعلى الطبقات في المجتمع الهدوسي، ولهم الكهانة والمراتب العليا، ويزعمون أنهم خلقوا من فم الإله براهما، ثم يلونهم طبقة الكاشتر ثم الويش ثم الطبقة المنبوذة وهم الشودر. وهذه الديانة يعتنقها معظم أهل الهند، وأبرز معتقداتهم: الكارما (قانون الجزاء)، وتناسخ الأرواح، والانطلاق، ووحدة الوجود.

(ر: الفصل 1/137، اعتقادات فرق 2/250، البرهان ص 87ت، والداعي إلى الإسلام ص 272، الموسوعة الميسرة ص 531، مقارنة الأديان، د. شلبي، أديان الهند الكبرى).

وقد قال عليه السلام / (1/180/ب) "بعثت إلى الأحمر والأسود، لو أدركني موسى وعيسى ولم يتبعاني لأكبهما الله في النار"1. وذلك الذي يوضح أنه عليه السلام المراد في التوراة على لسان يعقوب. وقد نصت الأنبياء في نبواتهم على أن هذا النبيّ المنتظر يكون خاتم الأنبياء، وسنذكر ذلك في الباب الأخير.

أما ما يتعيّن تأويله: فقوله: "ربط بالحبلة جحشة"، فتأويله بعض أصابنا فقال: يشد الحمار بالشجرة - ثم قال - الحمار هم اليهود والشجرة هم أصحاب النبيّ عليه السلام، قال: وشاهد ذلك من القرآن والتوراة.

قال الله تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّورَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً}. [سورة الجمعة، الآية: 5]. فَشَبَّه اليهود بالحمار. وقال تعالى في التوراة: "أخرجت شجرة من مصر ثم فرعتها في جميع الدنيا"2. يعني: بالشجرة أصحاب موسى وكذلك أصحاب محمّدأيضاً شجرة بهذا الاعتبار، وكأنه يقول: يربط الكفار بأصحابه وأهل بيته، قال الله تعالى: {فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُم فَشُدُّوا الوَثَاق}. [سورة محمّد، الآية: 4].

____

1 لم أعثر عليه بهذا اللفظ، ولكن ورد معناه بلفظ آخر، فقد أخرج الإمام مسلم 1/371، عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي كان كلّ نبيّ يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى كلّ أحمر وأسود..." الحديث. وأخرجه ابن سعد 1/191، عن أبي جعفر مرسلاً بلفظ: "بعثت إلى الأحمر والأسود". وأخرج الإمام أحمد 3/387، وابن أبي شيبة 5/312، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية لا تسألوهم عن شيء فيخبرونكم بحقّ فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى عليه السلام كان حيّاً ما وسعه إلاّ أن يتبعني". وقد تقدم تخريجه (ر: ص 21).

2 ورد النّصّ في مزمور 80/8، 9، كالآتي: "كرمة من مصر نقلت. طردت أمماً وغرستها. هيأت قدامها فأصَّلت أصولها فملأت الأرض". ولعل المؤلِّف قصد بقوله: "إن النّصّ في التوراة" العهد القديم وكتب الأنبياء.وذلك من باب إطلاق الجزء على الكلّ.

==

وقد قال المسيح لليهود: "إما أن تكونوا / (1/181/أ) شجرة وثمرتها طيبة، إما أن تكونوا شجرة خبيثة وثمرتها خبيثة؛ لأن من الثمرة تعرف الشجرة"1. هذا تأويله عند بعض أسلافنا. رحمهم الله.

وأنا أقول: يحتمل أن يريد بالحبلة جزيرة العرب وهي الحجاز وما والاه، وقد كانت قبل معبث سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم محمل الشرور ومحط الآثام كالحبلة التي خمَّرتها أم الخبائث فربط عليه السلام مركوبه؛ أي: استقر بها فلم يزايلهاحتى أزال ما بها من الشرك، وأبادما اشتملت عليه من الكفر والإفك، وأحال حالها من عبادةالأوثان إلى عبادةالرحمن كاستحالةالخمر خلاً.

وقد قال بعض أهل العلم: إنهم غيَّروا من كلام يعقوب كلمتين: أحدهما: (جحشه) وإنما هي: مهره. والثانية: (الملك) وإنما هي: الكلّ. وذكر أنه رأى ذلك في نسخة لم تتغير - قال - : وإنما فعلوا ذلك لكي يخرجوا نص يعقوب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قلت: ولا فائدة لهم أيضاً في ذلك، فلعمري لقد كان له عليه السلام [حمار]2 يسمى يعفور، ومعلوم أنه لا بدَّ من ربطه بالشجر/(1/181/ب) وغيرها، وخفاء علامة واحدة - لو خفيت - لا يقدح في ظهور بقية الصفات.

وأما قوله: "يرخص بالخمر لباسه"، فذلك كناية عن جهاده الكفار وقتاله في سبيل الله، أسوة سائر الرسل كما صنع إبراهيم وموسى ويوشع وداود، والخمر هو الدم ودليله قول المسيح: "وأشار إلى الخمر: هذا دمي"3. وكأنه

____

1 متى 7/17-20.

2 في ص (حماراً) والصواب ما أثبته.

3 متى 26/27، 28، مرقص 14/24، لوقا 22/20.

==

عليه السلام لشجاعته وإقدامه في طاعة ربه يصبغ لباسه بدماء المشركين كما ورد: "أنه حين رجع من بعض غزواته ناول سيفه ابنته فاطمة عليها السلام وقال: يا بنية أزيلي ما عليه فلقد أبلى عن أبيك اليوم"1.

وكيف لا يصفه يعقوب بذلك وقد روي: "أنه عليه السلام حمل في بعض مواقفه سبعين حملة على المشركين"2.

وكذلك قول يعقوب عليه السلام: "يصبغ بعصير العنب رداءه". يعني: يغمس سيفه في دماء الكافرين، والسيف يسمى رداءاً وإزاراً. ولو تصرف متأول في كلام يعقوب فقدّم وأخّر فقال: يرخص الخمر بلباسه، / (1/182/أ) لكان محسناً؛ يعني: يحرم الخمر ويزيل وضرها بتقواه. قال الله تعالى: {وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ}.[سورة الأعراف، الآية:26].سمى التقوى لباساً.

وأما قوله: "عيناه أشدُّ سهولة من الخمر". فقد روي في حلاه: صلى الله عليه وسلم أنه كان بعينيه حمرة ظاهرة لا تفارقه3، ويحتمل أن يكون أشار بذلك إلى

____

1 أخرجه ابن إسحاق معلقاً: (ر: السيرة 3/146)، وعنه الحاكم في مستدركه 3/24 عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم (من غزوة أحد) أعطى فاطمة ابنته سيفه فقال: يا بنية اغلسي عن هذا الدم، فأعطاها عليٌّ سيفه، قال: وهذا فاغسلي عنه دمه، فوالله لقد صدقني اليوم القتال، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لئن كنت صدقت القتال اليوم لقد صدق معك القتال اليوم سهل بن حنيف وسماك بن خرشة أبو دجانة". وقال الحاكم: "حديث صحيح". وسكت عنه الذهبي.

2 لم أقف على تخريجه بهذا النصّ، ولكن ثبت أنه صلى الله عليه وسلم كان من أشجع الناس وأصبرهم وأجلدهم، حتى قال بعض أصحابه: كنا إذا اشتدّ الحرب وحمى الوطيس نتقي برسول الله صلى الله عليه وسلم. (ر: الشمائل ص 110 لابن كثير).

3 ورد في صفته صلى الله عليه وسلم في حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه أنه كان صلى الله عليه وسلم: "أشكل العينين". أخرجه مسلم 4/1820، وأحمد 5/86، 88.

والشكلة: حمرة في بياض العينين، وهو محمود. والسهلة: حمرة في سواد العين. قاله القاضي وأبو عبيد وجميع أصحاب الغريب. (ر: شرح النووي لصحيح مسلم 15/93). وقد ورد أيضاً في حديث عليّ رضي الله عنه "أنه كان صلى الله عليه وسلم: "هدب الأشفار مشرب العينين بحمرة". أخرجه الإمام أحمد 1/89.

شدّة حيائه عليه السلام فإنه كان أشدّ حياءً وخفراً من الغذراء في خدرها1. فكان إذا أتى أهله تلفع من شدّة حيائه صلى الله عليه وسلم.

وكان لا [يجابه]2 أحداً في وجهه بما يكره3، وإن أمضه ما يصدر منه عرَّض، فقال: ما بال قوم يفعلون كذا وكذا4، ومال الرجال نولِّيه مما ولاّنا الله فيفعل كيت وكيت، وإن أقواماً استأذنوني في أمر فلا آذن لهم، وذلك لما طبعه الله عليه من الحياء والخفر والسكينة صلى الله عليه وسلم.

وأما قوله: "وأسنانه أشدُّ / (1/1/2/ب) بياضاً من اللبن". فإن حمل على ظاهره فكذلك كان عليه السلام لكثرة محافظته على سنة السواك5، وقد اختلف الفقهاء في وجوب السواك عليه صلى الله عليه وسلم6.

____

1 قال تعالى: {إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ...}. [سورة الأحزاب، الآية: 53]. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشدَّ حياءً من العذراء في خدرها..." الحديث. أخرجه البخاري. (ر: فتح الباري 6/566)، ومسلم 4/1809، والترمذي في الشمائل ص 283.

2 في ص (كبه) والتصويب من المحقِّق.

3 عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه أثر صفرة - وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قَلَّما يواجه رجلاً في وجهه بشيء يكرهه - فلما خرج قال: "لو أمرتم هذا أن يغسل ذا عنه". أخرجه أبو داود 4/250، والترمذي في الشمائل ص 273.

4 عن عائشة رضي الله عنها قالت: "كان النبيّ صلى الله عليه وسلم إذا بلغه عن الرجل الشيء لم يقل:ما بال فلان يقول؟! ولكن يقول: مابال أقوام يقولون كذاوكذا". أخرجه أبوداود4/250.

5 عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لولا أن أشقّ على أمتي - أو على الناس - لأمرتهم بالسواك مع كلّ صلاة". أخرجه البخاري واللفظ له. (ر: فتح الباري 2/374). ومسلم 1/220. وعن عائشة رضي الله عنها "أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم إذا دخل بيته بدأ بالسواك". أخرجه مسلم 1/220.

6 عن عبد الله بن حنظلة الغسيل: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يؤمر بالوضوء لكلّ صلاة طاهراً كان أو غير طاهر، فلمَّا شقّ ذلك عليه أمر بالسواك عند كلّ صلاة". أخرجه أبو داود 1/12،

وابن خزيمة وابن حبان والحاكم 1/155، والبيهقي في السنن، وذكر ذلك السيوطي في الخصائص 2/397.
قال الحاكم: "حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه". ووافقه الذهبي.

وإن تأوّل فالأسنان الأصحاب والأعوان الذين هم أعون النبيّ على تبغيغ أوامر ربه تعالى كاستعانة الإنسان [بالأسنان]1 على تناول غذائه.

فوصف يعقوب أصحاب نبيّنا رضوان الله عليهم وأهل بيته الأكرمين بصفاء التوحيد ونقاء العقائد عن ظلم التجسيم والتجسيد.

قال الشاعر يرثي سناً سقط له:

وصاحب لا أمل الدهر صحبته يشقي لنفعي ويسعى سعي مجتهد

لم ألقه مذ تصاحبنا فمذ وقعت عيني عليه افترقنا فرقة الأبد

2- فإن قيل: وفي التوراة ما يدلّ على ما ندين به من صلب المسيح، وهو أن موسى عليه السلام صنع لبني إسرائيل في التيه حية من النحاس، وأمرهم بالنظر إليها.

قال النصارى/(1/183/أ):"فهذا تنويه بأن المسيح سيقتل ويصلب؛ لأن موسى محاشى عن العبث، قالوا: وقد كان المسيح يقول لأصحابه: "اذكروا الحية النحاس"2.

فنقول لهم: يا نوكا لو قرأتم ما قبل ذلك لتبيّن لكم غلطكم وسقطكم؛ وذلك أن التوراة تقول: "إن بني إسرائيل شكوا إلى - موسى وهم في التيه - من

____

1 في ص (بالإنسان) وهو خطأ. والتصويب من المحقّق لموافقة السياق. والله أعلم.

2 يوحنا 3/14، 15، ونصّه: "وكما رفع موسى الحية في البرية هكذا ينبغي أن يرفع ابن الإنسان لكي لا يهلك كلّ مَن يؤمن به، بل تكون له الحية الأبدية". ويقول مؤلفو قاموس الكتاب تعليقاً على النّصّ: "بأنه عندما تنبأ الرّبّ يسوع بصلبه، شرح معناه وأهميته الروحية بمقارنته برفع الحية النحاسية". اهـ.

قلت: هذا موافق لما نقله المؤلِّف عن النصارى في زمنه. وهو دليل على سخافة عقولهم، وضعف تفكيرهم، وتمسكهم بأوهى الحجج وأضعفها لإثبات باطلهم وسخافاتهم.

حيات تلدغهم، فأهلكت منهم خلقاً كثيراً، فأمرهم أن يصنعوا حية من نحاس ثم يرفعوها على خشبة.وقال: من لدغته حية فليأتِ ولينظر إلى تلك فيبرأ"1.

وإنما رفعوها لكبر العسكر حتى تسهل رؤيتها ولا تتعذر مشاهدتها. وأما ما ذكرته النصارى من أن ذلك تنويه بصلب المسيح فكذب على نبيّ الله موسى، وكيف يُعدَّى ذلك إلى موسى عليه السلام وقد شحن

توراته بتوحيد الله وتنْزِيهه وإفراده بالربوبية والألوهية، ثم أمر بقتل المصورين للصور، ونهى عن إتيان العرافين والمنجمين ومتحلمي الأحلام، وحرص على قتل من دعا إلى عبادة غير الله وأشرك مع الله / (1/183/ب) إلهاً آخر كما [ذكرت]2 التوراة. وقال عليه السلام: "من [دعاك]3 إلى عبادة آلهة أخرى فاقتله واقتل من استجاب له من الواحد والجماعة والبلدة، ولا تحننوا عليهم، ولا ترحموهم، وأزيلوا الشرّ من بينكم، فالله ربّكم واحد هو إله جبار عظيم مرهوب إله غيور هو نار محرقة"4.

فمن زعم من النصارى أن توراة موسى فيها ما يعضد باطله أكذبناه بما نقلناه من التوراة.

قال المؤلِّف: يقال للنصارى هَبْ أن ذلك كان تنويهاً بصلب، فبم تنكرون على من يزعم أن ذلك المصلوب إنما هو الشّبه - الذي قدمنا ذكره - وبيانه أن المسيح أعلى قدراً من الشّبه؛ لأنه: عندنا نبيّ وعندكم معشر النصارى إله، فلو كانت الحية تنويهاً بالمسيح لاتّخذوها من الذهب أو من شيء أعلى من الذهب

____

1 سفر العدد 21/8، 9.

2 بياض في الأصل، والمثبت من المحقِّق حسب سياق الجملة. والله أعلم.

3 بياض في الأصل، والمثبت من نصّ التوراة.

4 سفر التثنية 13/6-11.

==

ليكون ذلك تنويهاً بأن المصلوب يكون أعلى من من كلّ شيء وأفضل كفضل الذهب على غيره من المنطبعات، فلما اتّخذوها من النحاس منع / (1/184/أ) قدرتهم على الذهب دلّ ذلك على أن المصلوب لا يكون إلاّ مفضولاً.

وقد شهدت التوراة بأن موسى عليه السلام حلَّى قبة الزمان التي بناها للرّبّ بقدر كبير من الذهب1 فيا لله العجب تُبنى قبة للرّبّ وتُحَلى بقناطير من الذهب! فكيف تتّخذ الحية من النحاس وهي تنويه بالرّبّ نفسه؟! هذا ما لا يجمل ولا يحسن بمثل موسى وصلحاء أصحابه، ففضل ما بين الذهب والنحاس كفضل ما بين المسيح والشّبه، ثم النحاس يسمى بأرض الشام المجاورة لأرض التيه شَبَهاً2، فلعل القوم إنما اتّخذوا الحية من الشّبه لتكون منوِّهة بصلب الشبه وحماية المسيح.

فأعجب - هداك الله - المواطأة بين الاسمين، إذ كلّ واحد منهما يسمى شبهاً.

ثم يقال للنصارى: وكيف استدللتم بنصب الحية النحاس على صلب المسيح وهي على النقيض منه، وذلك أن تلك حين صارت على جذعها صارت سبباً للشفاء ووسيلة إلى العافية من البلاء؛ فمن رآها خلص من علته وعوفي من لدغته / (1/184/ب) لساعته، فأما يسوع فحين صار على جذعه صار سبباً للهلاك ووسيلة إلى الاشتراك، فلو أن يسوع حين صار على الخشبة أطبق اليهود على الإيمان وخلصوا من لدغات الكفر والعصيان لكان ذلك موضع شبهة،

____

1 سفر الخروج الإصحاحات (35، 36، 37، 38، 39).

2 ورد في القاموس المحيط (ص 1610)، أن الشَّبَه والشَّبَهان - محركتين ــ: النحاس الأصفر ويكسر، وجمعه: أَشْبَاه اهـ.

==

فأما والأمر على العكس والنقيض مما تذهبون إليه فلا وجه لاستدلالكم بذلك وهي على نقيض مقصودكم، فقد صار ما انتزعوه استدلالاً على الباطل دليلاً على الحقّ1. ولله الحمد والمنة.

/ (2/2/ب) قال مؤلِّفه - عفا الله عنه - : ولنَزدهم2 زيادات أخر من التوراة والإنجيل تدل على وقوع الشبه والاشتباه ليتأنسوا به ولا يحيلونه، ومن ذلك: "أن الله تعالى غَيَّر صورة يد موسى عن لونها الأوّل ثم أعادها إلى لونها"3. وفعله سبحانه ذلك تدريجاً لهم وتأنيساً على الاشتباه قبل وقوعه، إذ النفوس تبتدر4 إلى إنكار ما لم يتقدم معرفته، فكما جاز في القدرة الإلهية تغير لون يد موسى حتى صارت تلمع كالثلج فكذلك وجه المسيح. ولهذا نصّ الإنجيل: "أنه قبل الفزع بقليل صعد إلى جبل بالجليل ونزل إليه موسى وإليا، قال التلاميذ: فنظرنا فإذا منظر وجه المسيح قد تغيَّر وتغيّرت ثيابه فصارت تلمع كالبرق"5. وهذا الموضع إن وفق الله له ذا لبّ من النصارى اضطره إلى ترك القول بقتل المسيح وأحال ما كان من قتل وصلب على شبه المسيح.

ومن ذلك: أن الله تعالى أمر موسى / (2/3/أ) فضرب البحر بعصاه فتحول دماً عبيطاً، فكان المصريون يشربونه دماً، والإسرائيليون6 يشربونه ماء صافياً.

____

1 ورد في أخره العبارة الآتية: "تَمَّ الجزء الأوّل يتلوه الجزء الثاني من كتاب: (تخجيل مَنْ حرَّف الإنجيل)، ووافق الفارغ منه في يوم السبت في شهر صفر الثالث من سنة سبع وثلاثين وستمائة".

2 في م: ولنَزدرهم.

3 سفر الخروج 4/6، 7.

4 في م: تتبدر.

5 متى /1-8، مرقس 9/2-8، لوقا 9/28-36.

6 سفر الخروج 7/19-24.

==

ومن ذلك: أن مريم ابنة عمران - أخت موسى - تغيرت على موسى في أمر من الأمور، فأمرهما الله أن يصعدا إلى قبة الزمان، فكلَّم الله مريم وتوعدها في حقّ موسى، فلما خرجت مريم من القبة إذا هي

بيضاء برصاء من قرنها إلى قدمها، فرقّ لها هارون فقال لموسى: يا سيد اشفها. فدعا لها، فأمرها الله أن تخرج خارج العسكر وتقيم سبعة ثم تدخل، ففعلت، فزال عنها البرص1.

ومن ذلك: أن عصا موسى كانت من شجرة جوز فبينما هي خشبة يابسة لا نبات بها إذ صارت شجرة ذات أفنان وعرشت وأثمرت جوزاً، وبينما هي كذلك صارت حية ذات روح تسعى وتأكل ما وجدت، وبينما هي كذلك إذ عادت إلى حالها الأوّل2.

ومن ذلك: أن امرأة لوط لما التفتت تنظر ما نزل من العذاب بقومها صارت لوقتها نصبة ملح3، وكلّ ذلك تأنيس بشبه4 / (2/3/ب) سيتّفق في المستقبل، هذا ما شهد به المنقول من التوراة.

فأما الإنجيل فقد شهد بأن الماء تحول خمراً5، وشهد سفر الملوك

بأن الماء انقلب زيتاً6.

فأما ما يشاهد من بديع تدبير الله وعجيب فعله؛ ما نرى الرجلين قد استويا في الحلى والصورة حتى لا يكاد الإنسان يفرق بينهما.

____

1 سفر العدد 12/1-15.

2 سفر العدد 17/8-10، والنصّ يفيد أن عصا هارون هي التي أصبحت شجرة وأثمرت لوزاً وليست عصا موسى.

3 سفر التكوين 19/26.

4 في م [تشبه].

5 يوحنا 2/1-11.

6 سفر الملوك الثاني 4/3-7.

==

وقد تتاعقب الألوان على الشجر والثمر فترى الثمرة الواحدة بينما هي في غاية البياض إذ عادت في غاية الاخضرار، وبينمنا هي كذلك إذ صارت صفراء ثم حمراء ثم سوداء وكذلك أحوالها في الطعوم وتنقلها من المرارة إلى الغضوضة إلى الحلاوة وذلك في الزمن اليسير.

وقد نرى الشخص أزهر اللون نقي البشرة في حال الصبوة ثم نراه في حال الشيخوخة فلا تكاد تبين صورته1، وهذا الشَّيْب فإنه يصبغ الأسود الحالك أبيضاً يَقَقَا2 وهذا من أعجب أنواع الصباغ، ولا عجب من حسن ما الله خالق، وقد قال شاعرهم في هذا المعنى:

أنكرتني إذ رأت شيبي بدا ثم قالت ما الذي بعدي عراه

قلت هذا صبغة الله ومن يصبغ الأسود مبيضاً سواه

/ (2/4/أ) وكم مَنْ قد اتّفق له هم وغم وركوب هول في بر أو بحر فبات غريباً فأصبح أشيباً ولقد خُبرِّت3 أن عندنا بأرض مصر حيواناً يعرف بالحرباء يتلون في الساعة الواحدة عدة ألوان، وهذه أمور

شاهدة بأن الشبه غير مستحيل في نفسه، وإذا كان جائزاً فقد أخبر الصادق بوقوعه فلا التفات بعد ذلك إلى جهلة4 النصارى في ردِّه.

---

1 في م: [تثبت].

2 اليقق: القطن. وأبيض يقق شديد البياض.(ر: القاموس ص: 1201).

3 في م: أخبرت.

4 في م: جهة.

==

وإن قالوا: لا ننكر جوازه1 وإنه غير مستحيل في نفسه غير أن المسيح قال لنا: إنه سيناله من اليهود قتل وغلب وآلام كثيرة، فوقع الأمر كما أخبر.

قلنا لهم: أين قال ذلك في الإنجيل أم في غيره؟! فإن عزوه إلى غير الإنجيل أكذبهم جملة الإنجيل إذ هو مقصور على أخبار المسيح من حين ولادته إلى حين رفعه، وليس يؤثر عنه شيء خارج عما في الإنجيل، وإن عزوه إلى الإنجيل افتضحوا؛ إذ اللفظ في الإنجيل أقربه إلى مقصودهم قول المسيح: "إن ابن الإنسان سيناله من اليهود كيت وكيت"2.

وقد بينا غير مرة أن ابن الإنسان المذكور إنما هو الشبه الذي قتل وصلب، والدليل على ذلك أن النصارى إلى يومنا / (2/4/ب) هذا ليس فيهم من إذا روى شيئاً عن المسيح قال: قال المسيح ابن الإنسان، ولا إذا أقسم قسما قال: وحقّ المسيح ابن الإنسان، ولا إذا دعا وابتهل سأل المسيح ابن الإنسان، ولكن ديدنه وهجيره أن يقول: قال المسيح ابن الله، وحقّ المسيح ابن الله.

فإذاً دعواهم أن المسيح قال: إني سأُقتل وأُصلب دعوى لا حقيقة لها فاعملوا ترشدوا.

3- وانتزع النصارى من التوراة تحريم الأعمال في السبت: وقالوا: إنما كان ذلك تنويهاً وتنبيهاً للناس على آلام المسيح، وذلك لأنه صلب يوم الجمعة ودُفن ليلة السبت وقام يوم الأحد باكراً، فنبَّهت التوراة على أنه يكون يوم السبت كله مَيِّتاً معطلاً من الأعمال.

---

1 في م: [لا شك بوازه].

2 مرقس 8/31.

==

ونحن - يرحمك مولاك - قد أريناك1 بعون خالقك حماية الله عبده المسيح وصونه عن كيد أعدائه، وإلقاء شبهه على رجل قد حضر أجله ورضي الله له الشهادة فلا معنى للإعادة، غير أن النصارى يتعلقون

في أباطيلهم بأدنى سبب كالغريق في اللجة يتعلق بما لا ينجيه، وإلاّ فأي مناسبة بين خلق الله تعالى العالم في ستة أيام وإنجاز / (2/5/أ) المخلوقات في اليوم السابع وبين إهانة رجل وقتله وصفعه وصلبه في ذلك اليوم؟! والفراغ من الأعمال غاية الكمال، والصفع والصلب والقتل غاية الذلّ والنقص ولا مناسبة بينهما البتة.

وإنما حرَّم الله على بني إسرائيل العمل يوم السبت2 ليتذكروا ما كانوا فيه من السّخر والتعب والنصب عند فرعون، ويحمدوا الله على ما أراحم من جور الفراعنة، فرسم لهم يوماً واحداً في الأسبوع يكون لهم تذكرة كيلا يتقادم الزمان فينسون حسن صنيع الله عندهم فتلزمهم العقوبة أو نقص المثوبة بقلة الشكر على ما اتّخذ عندهم من النعمة.

فيقولون: لو أن الله وضع لنا علماً نعلم3 به ما جرى لسلفنا لم نقصر في الشكر، فأزاح الله عللهم وعين لهم اليوم الذي تمت فيه خلائق الله ومصنوعاته، فهذه هي العلة في العطلة من الأعمال يوم السبت لا كما انتزع النصارى.

على أنا لو تركناهم وما انتزعوا لم يكن فيه دلالة إلاّ على قتل الشبه الذي فرغنا من ذكره.

____

1 في م: [أرينا].

2 سفر الخروج 20/8، 12/21-18.

3 في م: [نعمل].

==

وكذلك / (2/5/ب) أمره تعالى برجم الزاني واللوطي تذكيراً لهم ولنا ما فعل بأهل سدوم وعامورا1 ليحصل الانزجار عن مثل فعلهم، ال الله تعالى: {وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِين بِبَعِيدٍ}. [سورة هود، الآية: 83].

وكذلك أمره سبحانه بالاغتسال من الجنابات والأحداث تذكيراً لهم ما صنع بفرعون وقومه، وكيف أغرقهم في البحر وفجَّر لهم المياه من الصخر القاسي. وكذلك أمرهم باتّخاذ الأواني من الذهب في بيت مقدسهم إذكاراً لهم بالذهب الذي خرجوا به من مصر وكيف سلبه من الفراعنة ومنحهم2 إيّاه مع عزِّ المسلوب وضعف السالب.

وكذلك أمره إيّاهم بأن يفدوا أولادهم بذبيحة كلّ على قدر طوقه إذكاراً لهم فعل إبراهيم حين أراد ذبح ولده3 ليتأسوا به في الرضى والتسليم لله عزوجل فيعظم مثوبتهم ويجزل أجرهم.

وكذلك أمره سبحانه بالقرابين والأضاحي تذكرة فعل ابْنَيْ آدم وسخاء نفس هابيل وشح أخيه قابين4، لكيف البخيل عن بخله ويجود السخي في سخاه.

وكذلك أمر إياهم أن يقربوا / (2/6/أ) عن أبكارهم إذكاراً لهم ما صنعه الله بأبكار فرعون وقومه وكيف قتل في ليلة واحدة فأبكار الناس والحيوان من الملك إلى الأتوني5.

____

1 تكوين 19/24.

2 في م: بومنحتهم].

3 ورد ذلك في سفر التكوين 22/1-13.

4 ورد ذلك في سفر التكوين 4/2-7.

5 ورد ذلك في سفر الخروج 13/13-16.

وكذلك رش الكهنة الدم على المذبح إذكاراً لهم الدم الذي أرسل على المصريين والنعمة على بني إسرائيل1، إذ يشرب هؤلاء الماء العذب وهؤلاء الدم العبيط من معين واحد ومجرى واحد.

وكذلك أمره لهم بعيد [المظال]2 إذكاراً لهم تظليلهم بالغمام من حرّ الشمس، وقد ذكرت التوراة العلة في ذلك، فقال الله تعالى: "إن سألك ابنك غداً وبعد غد، وقال لك: أيّ شيء هذا؟ فقل له: بيد منيعة قوية أخرجنا قومنا من مصر"3.

وهذه المواضع تبطل على النصارى ما احتجوا به من العطلة في السبت على قتل المسيح وصلبه.

4- وانتزع النصارى من التوراة قوله: "تعالوا نخلق بشراً4 يشبهنا ومثالنا"5. وقوله أيضاً فيها: "تعالوا ننْزِل نبلبل ألس الناس"6. قالوا: فهذا دليلنا على الثالوث وإنما خاطب بذلك الروح / (2/6/ب) والابن، وقوله: "شبهنا ومثالنا". دليل على التأنس الذي فعله7.

____

1 سفر الخروج 7/19-24.

2 في ص، م (الظال)، والصواب ما أثبته. عنيد المظال: هو آخر الأعياد السنوية الكبرى، وثاني أعياد الحصاد عند بني إسرائيل ، واشتقّ الاسم من عادتهم في أن يسكنوا مظالاً أثناء مدة العيد، ويسمى أيضاً (عيد الجمع)، وكان يقام في الشهر السابع. (سبتمبر - أكتوبر). (ر: قاموس ص 586، 587).

3 سفر اللاويين 23/42، 43.

4 في م: [بشر].

5 تكوين 1/26، والنّصّ كالآتي: "وقال الله: نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا".

6 تكوين 11/7، 9.

7 نقل الإمام ابن تيمية استدلال النصارى بهذا النّصّ: على أن المراد بشبهه ومثاله هو كلمته وروحه (أي: الله - تعالى عما يقولون علوّاً كبيراً -) ثم ذكر ابن تيمية الرّدّ على الشبهة من ستة أوجه منها:

أ- أن الله ليس كمثله شيء، وليس لفظ النّصّ (على مثالنا).

ب- أنه لا اختصاص للمسيح بما ذكر على كلّ تقدير حقّ وباطل بأيّ تفسير فُسِّر قوله: "سنخلق بشراً على صورتنا شبهنا". لم يخص ذلك المسيح. (ر: الجواب الصحيح 2/231-235).

والجواب: أن نقول أخطأتهم الطريق وقذفتم بنفوسكم من مكان سحيق، وذلك أن الروح والابن قديمان لا دخول لهما تحت أوامر الآب حتى يأمرهما، وليس قوله لهما بأولى من قولهما له، فمن صَيّر الأب أولى بافتتاح القول منهما؟!

ثم الأب عبارة عن الذات، والروح عبارة عن الحياة، والابن عبارة عن العلم أو النطق، فكيف يخاطب الله علمه وحياته فيقول لهما: تعالوا ننْزل، والصفة على تجردها لا تُخَاطَب ولا تُخاطِب؟!.

فإذا قالوا: فإذا كان لفظ التوراة هكذا وهو صالح للتثليث فما وجه حمله على التوحيد؟

قلنا: هذه النون مشهورة في كلّ لسان وعند كلّ إنسان يطلقها العظماء بينهم والأكابر، وهي بالله أليق، إذ هو العظيم على الحقيقة وكلّ عظيم سواه فهو عبده، ومخترع1 من صنعه.

وقد قال لوقا في إنجيله: "إن ناساً راموا ترتيب الأمور التي نحن بها عارفون كما عهد إلينا أولئك الصفوة"2. فهذا لوقا قد ذكر نفسه3 بلفظ الجمع فبطل ما تخيّله / (2/7/أ) النصارى من ذلك.

وقد قال الله تعالى في الكتاب العزيز: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}. [سورة الحجر، الآية: 9]. {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ}4.

____

1 في م: [ومخترعا].

2 لوقا 1/1، 2.

3 في م: [بنفسه].

4 قال تعالى: {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ...}. [سورة النساء، الآية: 163].

==

ويحتمل أن يكون أمر الملائكة بالنُزول وبخمر طينة آدم وتديرها على هذا الشكل الإنساني كالفعلة1 والعمال الذين يصدرون عن رأي المهندس الحكيم، فلما كملت فخارته نفخ الله في الروح، والخلق عبارة عن التقدير قال الأوّل:

وَلأَنْتَ تَفْري مَا خَلَقْت وبعـ ـضُ القومِ يخلُق ثم لا يَفْري2

هذا كله إن كانت ألفاظ التوراة والإنجيل لم يدخلها التحريف والتصحيف، وهذا الموضع إن لم يمش على ما قلناه وإلاّصادم بقية نصوص التوراة في استبداد الله تعالى بالخلق والاختراع إذ قال الله في السفر الأوّل منها: "في البدء خلق الله السماء والأرض، فقال الله ليكن كذا ليكن كذا، حتى أكمل سائر مخلوقاته في ستة أيام"3. كلّ ذلك ليس فيه ما يشعر بتثنية ولا تثليث.

فأما قوله: "شبهنا ومثالنا"، فهذا الموضع هو الذي غلط اليهود والنصارى فاعتقدوا أن الله / (2/7/ب) [جسم]4. وأنه مشابه لهذا الهيكل الإنساني، ويتعالى القديم عن مشابهة مخلوقاته {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ}. [سورة الشورى، الآية: 11].

وإنما أراد الله تعالى أن آدم صار يعرف الخير والشّرّ، ولم يرد المثال والشبه الخلقي، وقد فسرته التوراة بعد ذلك بأسطر فقال الله تعالى: "هذا آدم قد صار كأحدنا يعرف الخير والشّرّ"5. والسّرّ في ذلك أن الملك مركوز في خلقه معرفة الخير الشّرّ، والحيوان البهيم خال عن ذلك، وقد كان آدم في بدء أمره

---

1 في ص: لفعله، والمثبت من نسخة م.

2 ذكر الجوهري في الصحاح 4/1471 ونسبه إلى الشاعر: زهير بن أبي سلمى.

3 سفر التكوين الإصحاح الأوّل.

4 في ص (جسما)، والصواب ما أثبتّه.

5 تكوين 3/22.

==

[ساذجا]1 عن معرفة ذلك، فلما تناول الشجرة بدت له سوءته، وعرف ما لم يكن يعرف من الخير والشّرّ.

وإذا كان الله سبحانه2 إنما أراد المماثلة في العلم بالخير والشّرّ بطل قول النصارى إن ذلك [دليل]3 على التثليث.

وأما قوله: "ننْزِل نبلبل الألسن". فنُزوله نزول أوامره وتجدد أحكامه وهبوط الملائكة بوحيه، وإلاّ فالحركة والتفريغ والاشتغال يستحيل على القديم سبحانه4. وقد رُوِي عن سيّدنا رسول الله أنه قال: "ينْزِل ربُّنا إلى السماء الدنيا في كلّ ليلة جمعة / (2/8/أ) فيقول: هل من تائب..." الحديث5.

---

1 في ص (ساذج) والصواب ما أثبته.

2 في م: زاد: وتعالى.

3 في ص (دليلا) والصواب ما أثبته.

4 في م: زاد: وتعالى.

5 عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ينْزِل ربُّنا تبارك وتعالى كلّ ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير، يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له". أخرجه البخاري (ر: فتح الباري 3/29)، ومسلم 1/521، والإمام أحمد في المسند 2/264، 265.

وقد أجمع سلف الأمة وأئمتها على التصديق بنُزول الله سبحانه وتعالى إلى سماء الدنيا كما ورد في الحديث من غير تشبيه ولا تعطيل ولا تحريف وتكييف. ووصفه بالنُزول كوصفه بسائر الصفات كالاستواء على العرش والإتيان والمجيء. {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}. [سورة الشورى، الآية: 11].

وأما الشبهة التي أوردها المؤلِّف في أن النُزول يستلزم الانتقال والتفريغ والاشتغال, وذلك من خصائص الأجسام التي تمتنع في حقّ الله عزوجل.

فجوابها أن نقول: إن نُزول الله عزوجل وإتيانه ومجيئه لا يشبه نُزول الخلق وإتيانهم ومجيئهم، فلا يلزمه تبارك وتعالى ما لزمهم، فإن الله عزوجل لا يزال فوق العرش، ولا يخلو العرش منه مع دنوه ونُزوله إلى السماء الدنيا، ولا يكون العرش فوقه وكذلك يوم القيامة كما جاء به الكتاب والسنة.

يقول الإمام ابن القيم: "إن الصفة يلزمها لوازم لنفسها وذاتها، فلا يجوز نفي هذه اللوازم عنها لا في حقّ الرّبّ ولا في حقّ العبد، ويلزمها لوازم من جهة اختصاصها بالعبد، فلا يجوز إثبات تلك اللوازم للرّبّ، ويلزمها لوازم من حيث اختصاصها بالرّبّ.فلا يجوز سلبها عنه ولا إثباتها للعبد". اهـ (ر: مختصر الصواعق 2/485).

يقول ابن قتيبة: "لا نحتم على النُزول منه (الله) بشيء، ولكنا نبيّن كيف النُزول منا وما تحتمله اللغة من هذا اللفظ - والله أعلم بما أراد - والنُزُول منا يكون بمعنيين:

أحدهما: الانتقال عن مكان إلى مكان كنُزولك من الجبل إلى الحضيض ومن السطح إلى الدار.

والمعنى الآخر: إقبالك على الشيء بالإرادة والنية، وكذلك الهبوط والارتقاء والبلوغ والمصير وأشباه هذا من الكلام". اهـ مختصراً. (ر: تأويل مختلف الحديث ص 184، 185.

فالإمام ابن قتيبة يبيّن لنا في كلامه ما تحتمله اللغة من معنى النُزُول الحقيقي بالنسبة للخلق، فعلى المعنى الثاني الذي ذكره ليس فيه انتقال جسم - وهو لازم على المعنى الأوّل - فنُزُول البشر يأتي على تلك الصفتين وهو فيهما حقيقة. إذن فلا يحكم على نُزُول الله تعالى أنه يكون كنُزُول خلقه. وأنه يلزم نزوله ما يلزم نُزُولهم، وإن كان هناك اشتراك في اللفظ فإنه لاشتراك في حقيقة الصفة وقيامها بالمتّصف بها، فصفات الله تعالى لائقة بكماله وجلاله وعظمته، ولا يجوز نفيها عنه عزوجل خوفاً من التشبيه؛ لأنه لا مشابهة بين صفات الخالق وصفات المخلوق. كما لا مشابهة بين ذاته المقدسة وذواتهم. ولأن صفات الخلق مناسبة لحالهم وفنائهم وعجزهم وافتقارهم. وصفاته عزوجل مناسبة لعظمته وبقائه وقدرته وغناه سبحانه وتعالى. (للاستزادة ر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة اللالكائي 3/434-453، شرح حديث النُزُول للإمام ابن تيمية).

===

وقول التوراة في خاتمتها1: "أقبل الله من سيناء، وتجلى من ساعير، وظهر من جبال فاران"2. فنُزُوله سبحانه؛ نزول أوامره، وظهوره ظهور3 شرائعه، وإقباله؛ إسباغ نعمه على خلقه، وهذه كلّها معانٍ معقولة يؤمن بها اللبيب ولا يجريها على الظاهر إلاّ المريب، ونحن فقد بينا نم كتابهم الذي بأيديهم توحيد الباري، واستشهادنا بأقوال المسيح في التوحيد وأقوال تلاميذه، وذلك يبطل تعلقهم بهذه الكلم التي لا دلالة فيها على التثليث.

---

1 في (خاتمتها) ليست في م.

2 تثنية 33/1-3.

3 ليست في م.

5- وانتزع النصارى من التوراة: "أن ثلاثة من الملائكة مروا بإبراهيم عليه السلام فسجد لهم وخاطبهم بـ:"يا رب" 1، قالوا:فهذا إبراهيم يعتقد التثليث الذي نحن نقول به2.

فيقال لهم: غلطتم أيّها القوم غلطاً عظيماً، وحدتم عن صوب الصواب، وأشكل عليكم غير المشكل، وذلك أن التوراة تقول في السفر الأوّل منها: "إن الله سبحانه كان متجلياً لإبراهيم قبل رؤيته الملائكة الثلاثة"3. فقوله: "يا رب"، خطاب4 لله وحده.ويؤيد ما قلته قول / (2/8/ب) التوراة: "ومضى الملائكة نحو سدوم وبقي إبراهيم قائماً بين يدي الله تعالى يشفع في القوم، ويقول: بخطيئة واحدة تهلك الأبرار مع الفجار، حاشاك من ذلك يا حاكم الأرض أن5يكون هذا من صنيعك"6. فهذا وجه حسن مقبول.

ووجه آخر: وهو أنه يحتمل أن يكون إبراهيم أَضْمَر (يا رسل رب)، والإضمار في التوراة كثير جداً: "كقول الملك لهاجر رآها ومعها ولدها إسماعيل: شُدِّي يديك بهذا الغلام فإني سأكثر نسله كثيراً"7. فأضمر الملك: "يقول لك الله: إني سأكثر نسل ولدك". إذ الملك لا يقدر على ذلك، وهو صادق لا يكذب.

____

1 ورد النّصّ في تكوين 18/2، 3، كالآتي: "وسجد إلى الأرض وقال: يا سيد..."

2 نقل ذلك عنهم أيضاً الإمام ابن حزم في كتابه: (الفصل في الملل والنحل 1/220)، وقال: "وقد رأيت في بعض كتب النصارى الاحتجاج بهذه القضية في إثبات التثليث". اهـ.

3 تكوين 12/7، 18/1.

4 في م: [خطابا].

5 في م: (أن) ساقطة.

6 تكوين 18/22-25.

7 تكوين 21/17، 18.

وكذلك قول التوراة في هذا السفر: "إبراهيم، إبراهيم لا تذبحن الغلام، فقد علمت أنك تخاف الله حين لم تمنعني ابنك وحيدك"1. فأضمر "قال الله"؛ لأن إبراهيم لم يقصد بذبح ولده التقرب إلى الملك، ولم يكذب في قوله. وإذ ثبت أن إبراهيم إنما خاطب بذلك الله؛ وسجد له؛ بطل انتزاع النصارى لذلك واستشهادهم به.

على أنا نقول: لو ثبت أن إبراهيم خاطب الملائكة وسجد لهم لم يلزم منه / (2/9/أ) ما انتحله النصارى من عبادة الثالوث؛ لأن قصد الجماعة الكثيرة2 بلفظ الواحد هو لسان القوم كان في ذلك الزمان، وشاهده من التوراة قوله لبني إسرائيل: "وتعملون للرّبّ إلهكم ليبارك في طعامكم وشرابكم، ويدفع الآلام

عن بيوتكم، ولا يجعل عاقراً في أرضكم، وأرسل هيبتي بين يديك، وأقاتل عنك كلّ من تـذهب إليـه، وأجعـل أعداءك خاضعة بين يديك"3. وهـذا كمـا تـرى مخاطبـة الجمـع الكثـير بلفـظ الواحـد، وفي التـوراة من هـذا الجنس كثـير؛ كقولـه لبـني إسـرائيل: "إنكم تعرفـون أنفس التواينـة؛ لأنكم كنتم توايـنـة بـأرض مصـر، ازرع أرضك ستّ سنين ودعها في السابعة"4.

وشاهد من المزامير لـداود: "اسـمع يـا قـوم، أقـول لكم يـا إسـرائيل: أنـا اللـه ربّـك"5. وشـاهده من الإنجيل: "لا تقابلوا الشّرّ بالشّرّ، ولكن من لطمك على خـدك الأيمن فحـول لـه الآخـر، ومن رام أخـذ ثوبـك فألق عليه رداءك"6.

---

1 تكوين 22/11، 12.

2 في م: [الكبيرة].

3 خروج 23/25-27.

4 ورد النّصّ في سفر الخروج 23/9/11، كالآتي: "ولا تضايق الغـريب فـإنكم عـارفون نفس الغـريب، لأنكم كنتم غرباء في أرض مصر، وستّ سنين تزرع أرضك وتجمع غلتها وأما في السابعة فتريحها".

5 مزمور 81/8-10.

6 متى 5/39، 40.

==

وفي الإنجيل: "لا تصنعوا بِـرّكم قُـدَّام النـاس لـتراؤوا لهم فيحبـط أجـركم؛ لكن إذا صـنعت رحمـة فلا تُصوّت/ (2/9/ب) قدامك بالبوق كما يفعل المراؤون في المحافل والأسواق لكي يحمـدهم النـاس"1.وذلـك في كتبهم كثير.فلو كان خطاب إبراهيم للثلاثة بلفظ واحد يـدل على التثليث؛ فهـذه كتبهم تخـاطب الجمـوع الكثيرة بلفظ الواحد فيلزم منه إفساد التثليث.

وأما قوله: "يا ربّ" فقد قدمنا أن لغة القوم تجيز ذلك، وأنهم يخطابون العظيم القدر الرفيـع المنْزلـة ولا يستنكر ذلك منهم، وقد قال زكريا عليه السلام: "قال لي الملك: ما تدري ما هذا؟ قلت: لا يا رب"2.

ورأى يوشع رجلاً في يده السيف مصلتاً؛ فذهب إليه فقال: "أَمِنَّا أنت أم من عدونا؟"، فقال: أنا رئيس جند الله3. فسجد يوشع وقال: أَيُّ شيء يقول الرّبّ لعبد؟ فقال: اخلع نعليك فإن الموضـع الـذي أنت فيـه مقدس"4.

وهذا في كتب القوم كثير يخاطبون به أكابرهم وعظماءهم، ولما كان لفظ الـرّبّ يطلقونـه على غـير الله تجوزاً وتوسعاً، احتـاجوا إلى لفـظ التأكيـد والتكـرار عنـد إرادة الـرّبّ الحقيقي. فقيـل لهم في التـوراة والكتب العتيقة: "اعلموا / (2/10/أ) أن اللـه ربّكم وإلهكم وخـالقكم ورازقكم". حـتى يرتفـع الاشـتراك بين المجاز والحقيقة. وقال سبحانه في التوراة لبني إسرائيل: "اختنوا قلفة قلوبكم ولا

---

1 متى 6/1، 2.

2 ورد النّصّ في سفر زكريا 4/5 كالآتي: "فأجاب الملاك الـذي كلمـني وقـال لي: أمـا تعلم مـا هـذه؟ فقلت: لا يا سيدي".

3 في م: [الرب].

4 سفر يشوع 5/13-15.

===

تقسوا رقابكم، الله ربّكم هو إله الآلهة وربّ الأرباب، إله عظيم مرهـوب جبـار، لا يرتشـي ولا يحـابي، وينصف الأيتام والأرامل الذين يقبلون إليه"1.

وقد ذكرنا أن السجود كان سلام القـوم على أكـابرهم وتحيتهم لعظمـائهم، فقـد سـجد يوشـع للملـك، والتوراة تشهد بأن إبراهيم ولوطاً وإخوة يوسف وأولاده قد فعلوا ذلك، وذلك مذكور مشهور2.

قال مؤلِّفه-عفا الله عنه-في هذاالفصل من التوراةمعانٍ رديَّة فتأمل:

منها قولهم: "إن الله قال لإبراهيم: لقـد وصـل إلى إثم سـدوم وعـامورا فقلت انـزل الآن فـانظر هـل صنعوا وأثمـوا كمـا بلغـني وإلاّ عـرفت ذلـك"3. فـإن فيـه نسـبة البـاري إلى عـدم العلم بالمغيبـات، ونسـبة الملائكة إلى عدم الصدق وأنهم في موضع تهمة ومحل ظنه.

والموضع / (2/10/ب) الآخر قولهم: "إن الملائكة أكلت الطعام عند إبراهيم ولوط، فنقلوا عن إبراهيم أنه أطعمهم خبز ملة، وصنع لهم عجلاً سميناً، وساقهم لبناً وسمناً، وأن لوطاً أطعمهم فطيراً"4. هـذا وأهـل الكتاب ينكرون قول أهل الإسلام إن أهل الجنة يغتذون بالطعام والشراب، ويقولون: لا طعام في الجنـة ولا شراب ولا نكاح؛ بل يكون حالهم كحال الملائكة لا يأكلون ولا يشربون وهذه غفلة عظيمة. وقـد قـال تعـالى في شأن الملائكة في هذه القصة: {فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُم لاَ تَصِلُ إِلَيهِ نَكِرَهم}. [سورة هود، الآيـة: 70]. وذلـك كناية عن ترك الأكل ويشبه أن يكونوا أمسكوا5 طعام إبراهيم وبـاركوا عليـه وتقـدموا إليـه بإطعامـه أبنـاء السبيل وذوي الحاجة.

____

1 تثنية 10/16-18.

2 ر: ص 174.

3 تكوين 18/20-21.

4 تكوين 18/6-8.

5 في م: مسوا.

===

6- وانتزع النصارى من التوراة قولها: "وأهبط الرّبّ على سدوم وعامورا ناراً وكبريتاً من بين يدي الرّبّ من السماء"1. فزعموا أن تكرار "الرّبّ" مرتين دليل لهم على اقنومين2، وأن الله أَبْهَم ذكر [الأقنوم]3 الثالث ووكله إلى استخراج العلماء والفهماء4 / (2/11/أ) لتكثر أجورهم وتجزل مثوبتهم بالبحث والاستنباط.

والجواب عن ذلك: أنه سبحانه5 إنما كرر لفظة الرّبّ للتأكيد ليُعْلِم عباده أنه هو المتولي عذاب الظالمين، وهذا موجود في كلّ لغة عند إرادة التأكيد وهو كقول القائل: نعوذ بالله من غضب الله، وكقول التوراة: "وصعد موسى إلى الله وناداه الله: قل لبني إسرائيل وأَعْلِم بني يعقوب قد رأيتم ما صنعت بالمصريين"6.وكررالله مرتين وكرر يعقوب والمعنى واحد.

وقد قال أشعيا في نبوته: "إن الرّبّ رحم7 يعقوب ونجى إسرائيل"8. وقال أشعيا أيضاً: "تكلم يا يعقوب وقل يا إسرائيل ولا تخف"9.

وفي التوراة: "قال موسى: يا ربّ الشعب الذين معني ستمائة ألف، وأنت قلت إنك تطعمهم لحماً شهراً كاملاً، فلو ذُبح لهؤلاء أنعام الأرض وثيرانها أو

---

1 تكوين 19/24.

2 نقل الإمام ابن تيمية هذا الاستدلال الفاسد من النصارى. وأورد الرّدّ عليهم من اربعة أوجه. (ر: الجواب الصحيح 2/236، 237).

3 في ص (القنوم) والصواب ما أثبتّه.

4 في م: (الفقهاء).

5 (أنه سبحانه) ليست في م.

6 خروج 19/3، 4.

7 في م: [وهم].

8 أشعيا 14/1 كالآتي: "لأن الرّبّ سيرحم يعقوب ويختار أيضاً إسرائيل".

9 أشعيا 40/27.

==

صيد لهم سمك البحور أين كان يقع ذلك منهم؟ فقال الرّبّ: يد الرّبّ تكمل الأشياء، والآن ترى هل يتمّ كلامي أم لا؟"1. فبطل ما تعلقوا به من قوله: "أنزل / (2/11/ب) الرّبّ من بين يدي الرّبّ".

ويقال للنصارى:ما قولكم فيمن يدعي أن الأقانيم خمسة ويستشهد بقول الله تعالى في التوراة: (فدعا بنو إسرائيل، فصعد نحيبهم إلى الله، فرأى الله بَلِيَّتهم فذكر اله ميثاقه مع إبراهيم أبيهم، فنظر الله لهم وعلم الله حالهم واضطرارهم"2. وإن كان قوله: "أهبط الرّبّ على سدوم...". تدل على أقنومين. فهذه الآية من التوراة تدل على خمسة أقانيم. ولعل ثم أيضاً عدة أقانيم وراء هذه الخمسة أظهر منها ما أظهر وأبهم الباقي؛ ليكثر أجر الحكماء والعلماء في استنباط ما أبهم منها.

وكذلك قال داود في مزمور الثامن عشر: "ناموس الرّبّ بلا عَيب، شهادة الرّبّ صادقة، أمر الرّبّ مستقيم، ووصية الرّبّ تدبر العيون، خشية الرّبّ زكية، أحكام الرّبّ عادلة"3. فهذا المزمور قد كرر (الرّبّ) ست مرات، أفتقول النصارى إن الأقانيم ستة؟! فبطل ما ادّعوه في قوله: "أنْزله الرّبّ على سدوم). ونُزِّل ذلك منْزلة قوله: بسم الله الرحمن الرحيم، ولا فرق في التكرار والتأكيد / (2/12/أ) بين أن يأتي بالاسم الواحد مرتين وبين المغايرة بين الاسمين والمعنى واحد.

7- فإن قيل: دليلنا على ربوبية المسيح أنه أحيا الميّت، وأبرأ الأكمه وطهَّر الأبصر، ومشى على الماء، وصعد السماء، وحوَّل الماء خمراً، وكثَّر الطعام القليل، وأقام الزَمِن، وحمته الملائكة، وسترته الغمامة، وأخرج الشياطين من الآدميين.

---

1 سفر العدد 11/21-23.

2 خروج 2/23-25.

3 مزمور 19/7-9.

==

والجواب: أنه لم يُسلَّم لكم هذه الدعاوى سوى هذه الأمة البارة وهي أمة محمّد صلى الله عليه وسلم، فلولا محمّد عليه السلام شهد لأخيه عيسى بالرسالة والنبوة لما عَرَّج أحد اليوم على أقوالكم ولا وثق بروايتكم، وإلاّ فما بال بني إسرائيل على كثرتهم لم يصدقوكم بما تنقلون؟! هذا وأنتم تنقلون عن أمور محسوسة إذا وقعت لم تكد تخفى.

فإن قالوا: إن اليهود لعداوتهم لنا تمالؤوا على ستر هذه الخوارق بغياً وحسداً.

قلنا لهم: فما بال من عدا اليهود من الأمم والطوائف كالفرس والديلم والترك والهنود والصين لم يصدقوكم على ذلك ويتّفقوا1 على دينكم ويتابعوكم على معتقدكم / (2/12/ب) وقد أَرَّخَ الناس أخبار العالم وحوادثه ودَّنوا في كتبهم عجائبه؟!.

فما بال العالم يُكذبكم ويقولون: إن يسوعكم لم يحي مَيِّتاً قط، ولا أقام زمناً ألبتة، ولا طَهَّر أبرص أصلاً. وإن جميع ما تنقلونه من ذلك كذب ومين وإفك واختلاق لا أصل له ولا صحة. فلولا محمّد رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد بصدق أخيه المسيح، وأخبر أنه أحيا الميّت، وأبرأ الأكمه والأبرص، وخلق من الطين كهيئة الطير بإذن الله - لما عَرَّج أحد على أمثالكم وأشباهكم.

فأما بقية الآيات التي تدعونها فإن ثبت أن نبيّنا صلى الله عليه وسلم أخبرنا بها أو أخبرنا صادق آخر من الأنبياء المتقدمين شيء منها سمعناه وآمنا به وصدقناه وكان عندنا عَلَماً من أعلام نبوته عليه السلام، فأما أنتم فإنا لا نصدقكم فيما تنقلون عن الأنبياء بعد وقوفنا على تخليطكم في منقولكم وفساد عقولكم وقبولها لكلّ مستحيل، ألستم الذين تنقلون عن يوحنا الإنجيلي: "أن

---

1 في م: [وتصفقوا].

كلمة الله التي هي علمه صارت لحماً وشعراً وظفراً؟" ألستم الذين تنقلون عن أفريم:"أن اليدين اللتين خمرت طينة آدم سُمِّرت بالمسامير على/ (2/13/أ) الصليب، والشِّبْر التي مسحت السماوات عُلِّقت على خشبة، وأن من لم يقل إن مريم ولدت ربّها إلهها فهو محروم؟!"1.

ألستم الذين زعمتم أنّ لوطاً وقع على ابنتيه فأحبلهما وأولدهما2؟!، وأنّ رؤبيل بكر يعقوب وقع على سُرِيَّة أبيه وفجر بها؟! 3، وأنّ يهوذا وقع على امرأة ابنه؟! 4، وأنّ دينا ابنة يعقوب افترعت وأزيلت بكارتها؟!! 5.

وصيَّرتم ذلك قرآناً يتلى في بيِّعكم وكنائسكم بحضرة جموعكم، ألستم الذين زعمتم أن لله الخالق الباري ابناً، وأنه أرسل أنبياء فقهروا وغلبوا وظهر عليهم الشيطان وقل جدهم وقهر سلطانهم. واستولى على ملك الله، فاحتاج الله أن أرسل ابنه ذلك إلى الأرض. فولج فوائد امرأة من خلقه وأقام برحمها تسعة أشهر، ثم خرج من فرجها طفلاً، وبقي يتردد بين اليهود يدعوهم، وأن الشيطان قهره وأخرجه إلى البرية وسحبه من مكان إلى مكان ودعاه إلى أن يسجد له، فلما أتى عليه هذا الابن سلط عليه شرذمة من أَخس 6 جنده وأدبر أعوانه؛ وهم اليهود فأخذوه وصفعوه / (2/13/ب) وصلبوه وأغضبوا والده وأثكلوه؟! وإذا كان هذا نقلكم فأيّ عاقل بعدها يسكن إليكم أو يعول في أمر عليكم؟!

---

1 نقل ذلك عن النصارى القاضي عبد الجبار المعتزلي، في كتابه: (تثبيت دلائل النبوة ص 104). والإمام ابن القيم في: (هداية الحياري، ص 269).

2 تكوين 19/30-38.

3 تكوين 35/22.

4 تكوين 19/12-30.

5 تكوين 34/1-3.

6 في م: [أحسن].

فأما إحياء الميّت1 فقد حكينا أن إلياس أحيا ابن الأرملة2، وأن اليسع أحيا مَيِّتين [واحداً]3 في حال4 حياته وآخر بعد وفاته5، وأن حزقيال أحيا الذين قتلهم بختنصر، وكانوا ألوفاً من الناس، ولهم من يوم قتلوا [نَيِّف وأربعون]6 سنة، فقال الله لحزقيال: تنبأ على هذه العظام حتى أحييها لك7، وقد فعل قبر اليسع8 أعجب من فعل المسيح؛ لأن قوماً حملوا جنازة إلى الجبال فرأوا9 عَدُوّاً، فخافوا وطرحوا الميت عن رقابهم وابتدروا فزعه، فقام الميت، وجاء يمشي حتى دخل المدينة، فنظروا فإذا هم قد ألقوه على قبر

نبي الله اليسع، وفعل حزقيال أبدع من فعل المسيح. وفعل موسى أغرب من فعله؛ إذ قلب الخشبة لها عينان تبصر بهما10، وأخرج من الرمل11 قملاً يسعى حتى ملأ قياطن فرعون وأرض مصر، وهذا أعجب وأغرب من فعل المسيح.

وأما إبراء الأكمه من بني آدم: فلا شكّ أنّها من الآيات الباهرة أيضاً، وهو يلحق بإحياء الميّت؛ / (2/14/أ) لأن ذاك أحيا عضواً كان ميّتاً فأشبه إحياء الإنسان جملة، غير أن آية موسى12 أغرب عند العقلاء منهم. وذلك أن صنعه عينين

---

1 ورد إحياء عيسى بن الأرملة في إنجيل يوحنا11/7-17، وإحياء لعازر11/1-46.

2 سفر الملوك الأوّل 17/17-24.

3 في ص (واحد) والصواب ما أثبتّه.

4 سفر الملوك الثاني 4/18-37.

5 سفر الملوك الثاني 13/20، 21.

6 في ص (نيفاً وأربعين) والصواب ما أثبتّه.

7 سفر حزقيال 37/1-10.

8 في م: [اليست].

9 في م: [فغذوا].

10 خروج 4/2، 7/9-12.

11 خروج 8/16، 17.

12 في م زاد: [عليه السلام].

==

لخشبة يابسة جافة لا روح فيها أبدع. وأبدع من فتح عيني آدمي، ثم آية موسى كيف أراد أدارها وحولها، إذ بينما هي خشبة صارت حيواناً يبصر بعينيه ويأكل ما قدر عليه، وبينما هي حيوان إذ عادت شجرة لوز مثمرة، وبينما هي كذلك إذ عادت إلى حالها الأوّل، ثم إنها يستدعي بها الجواد والذباب والقمل والضفادع، ويثير بها الثلوج والمياه والظلمة، ويشق بها البحر، ويُجري بها المياه من الصخر، ويجاهد بها الجبابرة فَتَنْفُذ في كلّ ما عمل بها أعظم نفوذ، وهذا - فاعلموا - لم يكن للمسيح من الآيات مثله، وقد فتح يوسف الصّدّيق عيني أبيه يعقوب عليهما السلام كلّ ذلك يشهد به التوراة.

وأما إبراء الأبرص1: فقد شهدت التوراة أيضاً أن مريم أخت موسى وهارون تكلمت في موسى فبرصت من ساعتا، فأخرجت عن العسكر، فرضي عنها فزال برصها2، ولم يدع عليها في الأوّل ولا / (2/14/ب) دعا لها في الثاني وذرنا عن نعمان الرومي أنه برص فرحل إلى اليسع، واستأذن عليه فلم يأذن له، وقال: قولوا له يذهب إلى الأردن فينغمس فيه سبعاً فإنه يبرأ، ففعل، فبرأ من برصه3.

وأما مشيه على الماء4 فقد حكينا أن إلياس وتلميذه اليسع ق مَشَيَا على نهر الأردن جميعاً5، وكـذلك يوشع بن نون قد مشى على الماء بتابوت السكينة هو ومن معه6.

---

1 متى 4-8/1، مرقس45-1/40، لوقا 14-5/12، 19-17/11.

2 سفر العدد 10-12/1، في سياق طويل.

3 سفر الملوك الثاني الإصحاح (5).

4 متى 14/25، مرقس 6/48.

5 سفر الملوك الثاني 8-2/1.

6 سفر يشوع الإصحاح (3).

==

وأما تحويل الماء خمراً1 فقد حكينا عن سفر الملوك من كتبهم أن إليـاس أو اليسـع قلب المـاء زيتـاً، فأغنى به بيتاً من الفقراء2. وذلك أعجب من فعل المسيح على الكلّ سلام الله.

وأما تكثيره القليل من الطعام3، فقد حكي في التوراة أن موسى دعا الله فأطعم بـني إسـرائيل مَنّاً وسلوى في البرية. وهم ستمائة ألف سوى النساء والصبيان4. وذلك أعجب وأغرب من آية المسيح - علهما السلام - . وقد حكي في سفر الملوك أن إلياس عليه السلام نزل بامرأة أرملة في زمن قحط شـديد حـتى هلك الناس. ومكثت السماء لم تمطر ثلاث سنين / (2/15/أ) فقال لها: هل عندك من طعام؟ قـالت: واللـه يا نبيّ الله، ما عندي إلاّ كفّ دقيق في قلة لنا. أردت أن أخبزه لطفل صغير. وقد أيقنَّا بالهلاك. فقـال عليـه السلام: أحضريه ولا خوف عليك. فأحضرته بين يديه. فبارك عليه. فمكث عنـدها ثلاث سـنين وسـتة أشـهر، تأكل منه هي وأهلها وجيرانها حتى فرّج الله عن الناس5. ومَن كَثَّر القليل وأدامـه أغـرب في الإعجـاز ممَّن كَثَّر ولم يدمه.

وأما حراسة الملائكة له6، فالتوراة تشهد بأن الملك كان يسـير في عمـود الغمـام أيـام بـني إسـرائيل حتى شقّ بهم البحر وخلّصهم من فرعون7. وذلك أعجب من تخليص المسيح من يد الشيطان.

---

1 يوحنا 11-2/1.

2 سفر الملوك الثاني 7-4/1.

3 متى 21-14/15، 38-15/32، مرقس 44-6/34، لوقا 17-9/12، يوحنا 12-6/5.

4 سفر الخروج الإصحاح (16).

5 سفر الملوك الأوّل 16-17/10.

6 متى 4/11، مرقس 1/13، لوقا 4/13.

7 خروج 13/21، 22.

والعجب من النصارى يعتقدون أنّ المسيح ربّ الشيطان وربّ كلّ شيء ومع ذلك يُقِرُّون أنّ الشيطان حصره في البرية واستولى عليه وقال له: اسجد لي. حتى خلصته الملائكة من يده وأنقذه من ورطته1.

وأما صعوده إلى السماء2، فسائر كبتهم تشهد أنّ أخنوخ قد صعد إلى السماء3، وأنّ إلياء قد صعد إلى السماء4، فاستوت حالهما مع المسيح. / (2/15ب).

والعجب أنّ الملائكة مأواها السماء وهي في زعم النصارى خدم المسيح، فكيف يعدون صعوده إلى السماء دلالة على الربوبية؟!.

وأما شفاء الزمن5 من علة زمانته، فالتوراة شاهدة أن سارة حملت وهي عجوز فانية وولدت إسحاق ببركة نبيّ الله إبراهيم6، وكذلك الإنجيل يشهد أن أليصابات على كبر سنها حملت وولدت يحيى ببركة نبيّ الله زكريا7. وما ذلك إلاّ غضو أزيلت علته. فبطش بعد ضمان عطبته وزمانته. فاستوى الأمران.

وأما ستره بالغمامة حين صعد إلى الجبل8، فالتوراة تشهد بأنّ بني إسرائيل إذ كانوا في التيه مع موسى، وكان الغمام يسترهم من حرّ الشمس وهم ستمائة ألف سوى النساء والصبيان وبهيم الحيوان9. وذلك أربعة سنة. وهذا

---

1 متى 1/4-11، مرقس 1/12، 13، لوقا 1/4-13.

2 مرقس 16/19، 20، لوقا 24/50-53.

3 سفر التكوين 5/24.

4 سفر التكوين الثاني 2/1-11.

5 شفاء المفلوج: متى 9/1-8، شفاء الأخرس: 9/32-34، شفاء الأعمى: متى 8/22-26.

6 تكوين 21/1-8.

7 لوقا 1/5-25.

8 متى 17/5، لوقا 9/28-36.

9 عدد 10/34، 6/15-23.

أعجب من ستر المسيح بالغمامة ومعه نفر يسيرة.

وأما شفاء المجنون من جنونه1، فالتوراة تشهد أن موت الفجأة وقع في بني إسرائيل فقتل منهم في يوم واحد آلافاً منهم، فأخذ هارون / (2/16أ) البخور في مجمرة وقام بين الأموات والأحياء، فكفّ الموت عن بقيتهم2، وما الجنون إلاّ مرض أصاب العقل، وهو دون مرض جملة البُنية. وكذلك نهشتهم الحيات في

التيه فاتّخذ لهم حية من نحاس، فكان كلّ من لدغته حية جاء إلى الحيـة النحـاس فيـبرأ من علته3، فهاتـان الآيتان من التوراة أعجب من فعل المسيح.

وأما إجابة دعوته4، فالتوراة تشهد بأن إسحاق حين كـبر وقـرم إلى اللحم وقضـى أولاده شـهوته دعـا ليعقوب وعيسى فاستجيب فيهما5. وكذلك قالت: إن يعقوب بارك ودعا لأولاده عند وفاتـه، فلم تـرد دعوته 6، ومما أخبر يعقوب تلميذ المسيح في رسالته: أن إلياس دعـا على قومـه فلم تمطـر السـماء ثلاث سـنين وستة أشهر. ثم دعا بعد ذلك فزال الجدب7. وهذا أعجب من فعل المسيح وأغرب. وقد بقيت للأنبياء آيـات لم يأت المسيح عليه السلام بنظيرها فنسمع بتسطيرها. والله أعلم.

---

1 مرقس 1/21-28، يوحنا 4/31-37، متى 9/32-34، 12/22-37.

2 عدد 16/41-50.

3 عدد 21/6-9.

4 ورد أن المسيح دعا الله لأجل إحياء لعازر في إنجيل يوحنا 11/1-46، ودعا لأجل إطعـام الكثـير من الطعام القليل في إنجيل متى 14/15-21، وغير ذلك.

5 تكوين الإصحاح (27).

6 تكوين الإصحاح (49).

7 رسالة يعقوب 5/17، 18.

==

الباب السابع: في إفساد دعوى الاتحاد والتثليث

الباب السّابع: في إفساد دعوى الاتّحاد والتّثليث

في إفساد دعوى الاتّحاد والتّثليث1:

نحكي فيه مقالات الفرق الثلاث من النصارى اليعاقبة والروم والنسطورية في دعوى اتّحـاد اللاهـوت بالناسوت. وكيف تناقضوا وتعارضوا، ثم نعكر على الجميع بالإفساد والإبطال2.

اعلم أنّ فرق النصارى كثيرة ولكن المشهور منهم الآن [ثلاث]3 فرق: اليعاقبة والـروم والنسـطور4. وعقائدهم في الإله مختلفة وآراؤهم متباينة ومقـالاتهم متناقضـة، ولم أر لهم قـدماً يثبت ولا قاعـدة تسـتقر في هذه الدعوى، وسبب خبطهم أن كلاًّ منهم يريد أن يفرِّع عن أصل مسـتحيل؛ مـذهباً صـحيحاً جـائزاً عنـد العقلاء5 وما ذلك إلاّ كقول القائل:

ومتى كان في الأنابيب خلف وقع الطيش في صدور الصِعَاد

---

1 الزيادة من المحقِّق لإكمال عنوان الباب مع محتواه.

2 إن نقد المؤلِّف وإبطاله لعقيدة الاتّحاد والتّثليث في هذا الباب قد استكمل بـه نقـد أسـس العقيـدة النصرانية المنحرفة الثلاثة وهي كالآتي:

1- التّثليث والاتّحاد.

2- صلب المسيح تكفيراً عن الخطيئة الأزلية التي ارتكبها آدم عليه السلام. وقد سبق للمؤلِّف نقد هذا الأساس في الباب الخامس. (ر: ص 375).

3- محاسبة المسيح للناس يوم القيامة، وقد تقدم مناقشة هذه العقيدة وإبطالها. (ر: ص 397).

3 في ص، م: ثلاثة، والتصويب من المحقِّق.

4 في م: النسطورية.

5 إن اتّحاد اللاهوت بالناسوت - حسب اعتقاد النصارى - غير معقول؛ لأنه بعد الاتّحاد إما أن يكونا اثنين كما كانا، أو صار الاثنان واحداً. فإن كانا اثنين كما كانا فلا اتّحاد، بل هما متعددان، كما كانا متعددين، وإن كانا قد صارا شيئاً واحداً، فإن كان هذا الواحد هو أحدهما فالآخر قد عدم. وهذا عدم لأحدهما لا اتّحاده. وإن كان هذا الذي صار واحداً - ليس هو أحدهما - فلا بدّ من تغييرهما واستحالتهما، وإلاّ فلو كانا بعد الاتّحاد اثنين ابقيين بصفاعهما لم يكن هناك اتّحاد. (ر: الجواب الصحيح 2/267، النصيحة الإيمانية ص 144، 145، تنقيح الأبحاث ص 54، 55 لابن كمونة، إظهار الحقّ ص 337).

==

الباب السابع: في إفساد دعوى الاتحاد والتثليث

الفرقة الأولى:

فرقة يعقوب السروجي ويسمى البرادعي أيضاً. ادّعت أنّ المسيح أصاره الاتّحاد طبيعة واحدة [وأقنوما]1 واحداً2.

____

1 في ص (وقنوما)، وهو خطأ يكرره الناسخ كثيراً. والصواب ما أثبتّه.

2 اليعقوبية: أتباع المذهب القائل بأنّ المسيح طبيعة واحدة - من طبيعتين لاهوتية وناسوتية - ومشيئة واحدة. (المونوفيزيتية MONOPHSIYES)، وأوّل من قال به أوطاخي (أوتيكيس EUTYCHES)، وهو رئيس ديربالقرب من القسطنطينية. وقد أنكر هذا القول فلافيان FLAVIAN بطريك القسطنطينية وعقد مجمعاً محليّاً لإنكار هذه المقالة وحرمان قائلها أوتيكس من الكنيسة، إلاّ أن الراهب لجأ إلى بطريق الإسكندرية ديسقورس، الذي أقنع الأمبراطور ثودوسيوس الصغير بعقد مجمع أفسس الثاني سنة 449م برئاسة ديسقورس. وصدر قرار المجمع بإعلان مذهب الطبيعة الواحدة ولعن من يخالفه، إلاّ أنّ هذا القرار أغضب البابا (ليو الأوّل) الذي أطلق على المجمع السابق اسم: (مجمع اللصوص) وعقد مجمعاً آخر من خلقيدونية سنة 451م قرر فيه تأييد ازدواج طبيعة المسيح وإبطال قرار المجمع السابق. ولعن يسقورس ومن شايعه ونفيه إلى فلسطين. ومن هذا المجمع افترق النصارى إلى ملكية ممن تبعوا مذهب الملك مرقيانوس - إمبراطور الروم الذي أمر بانعقاد المجمع -. ويعقوبية على مذهب ديسقورس المنفي.

وقد اشتهر تسمية أتباع المذهب باليعقوبيين نسبة لى يعقوب البرادعي (JACOB BARADOS) الذي ظهر في القرن 6م، فكان داعية لهذا المذهب بليغ الأثر، جزئياً في الجهر برأيه.

وقيل: نسبة إلى ديسقورس الذي كان اسمه قبل بطريكيته: (يعقوب)، فكان يكتب - وهو في منفاه - إلى أصحابه أن يثبتوا على أمانة المسكين المنفي يعقوب.

وقد أخذت بهذا المذهب ثلاث كنائس من الكنـائس الـتي سـمت نفسـها (الأرثوذكسـية ORTODOXE) وهي كلمة يونانية معناها: (الرأي الصحيح المستقيم). وقد استخدم القساوسة اليونانيون هذا الاصطلاح في القرن الرابع الميلادي - وهذه الكنائس الثلاث هي: 1- الكنيسة الأرثوذكسية في مصر والحبشة. 2- الكنيسة الأرثوذكسية السريانية ويتبعها كثير من مسيحيي آسيا. 3- الكنيسـة الأرثوذكسـية والأرمنيـة موطنهـا أرمنيـا. (من بلاد روسيا). (ر: قصة الحضارة 12/96، 102، 103، 233، ول ديورانت، موجز تـاريخ المسـيحية ص 318-323، يسـطس الـديوري، دائـرة المعـارف البريطانيـة 7/597-598، قـاموس أكسـفورد للكنيسـة النصـرانية ص 931، 932، 1014، خطـط المقريـزي 2/488، النصـيحة الإيمانيـة ص 127-130،نصـر المتطبب،الأسفار المقدسة ص 132،133،د. عبد الواحد وافي).

وأصحاب هذا المذهب يزعمون أن مريم ولدت الله - تعـالى اللـه عن ذلـك علـوّاً كبـيراً - وأنـه صـلب متجسداً وسُمِّر ومات ودفن ثم صعد إلى السـماء، وإليهم أشـار القـرآن الكـريم فقـال تعـالى: { لَقَـدْ كَفَـرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ...}. [سورة المائدة، الآية: 17، 72].

==

الباب السابع: في إفساد دعوى الاتحاد والتثليث

قالوا: لأن طبيعة اللاهوت تركبت مع طبيعة الناسوت كما تركبت نفس الإنسان بجسده فصار إنسـاناً واحداً فكذلك المسيح. فالمسيح عندهم إله كلّه وإنسان كلّه وله طبيعة واحدة. / (2/17/أ) وهو يفعل بها ما يشبه أفعال الإله وما يشبه أفعال الإنسـان وهـو [أقنـوم] واحـد، [والأقنـوم][1] هـو الشـخص، والأقـانيم هي: الأشخاص. ومجرد حكاية هذا المذهب يكفي في الرّدّ عليـه؛ إذ حاصـله أنّ الإلـه هـو الإنسـان والإنسـان هـو الإله.

وسبيل الرّدّ على هذه الفرقة:

أن يقول لهم: أخبرونا عن هاتين الطبيعتين اللـتين أصـارهما الاتّحـاد طبيعـة واحـدة، هـل تغـيرت كـلّ واحدة عما كانت عليه قبل التركيب أم لا؟

فإن زعمت أنهما لم يتغيرا بل بقيت طبيعة الإلـه بحالهـا وطبيعـة الإنسـان أيضـاً بحالهـا؛ فقـد نقضـوا مذهبهم ورجعوا عن قولهم إلى قول من يقول: إن المسـيح بعـد الاتّحـاد كَهُـوَ قبـل الاتّحـاد. وسـيأتي الكلام عليه.

---

1 الأقـانيم: الأصـول، واحـدها: أقنـوم. وأحسـبها روميـة. كـذا في الصـحيح للجـوهري 5/2016. وفي المعجم الفلسفي (ص 19): أنّ الأقنوم لغة: الأصل. واصطلاحاً:

أ- عند أفلوطين: أحد مبادئ العالم الثلاثة: الأولى وهي: الواحد، والعقل، والنفس الكلية.

ب- في اللاهوت المسيحي: أحد الأقانيم الثلاثة وهي: الأب والابن والروح القدس.

ويقول د. محمّد البهي في كتابه: (الجانب الإلهي ص 113): "تسمية هذه الأمـور بالأقـانيم أو الأصـول يرجع إلى أثر الفلسفة الإغريقية في تفلسف المسيحية. وتحديدها بثلاثة؛ يرجع إلى المصدر نفسه أيضاً. لأن ما نراه في المسيحية على هذا الوجه يذكرنا - بـ: (مثل) أفلاطون. فقد جعلها أصول هذا (الوجود) المشاهد

واغتبره ظلاً لها وشبيهاً بها فقط. كما يذكرنا بثالوث أفلوطين المصري، الذي يتمثل في الواحد، والعقل، ونفس العالم. ولو فتشنا على الألفاظ الدالة على هذه المعاني الثلاثة في المصدر النّصّي للمسيحية وجدناها: الله، كلمة الله، الروح القدس". اهـ.

==

وإن زعمت أن الطبيعتين قد صارتا طبيعة ثالثة، لا تشبه واحدة من الأوليين، فهذا تصريح بأنّ هذه الطبيعة لا إله ولا إنسان. فكان ينبغي على سياق هذا القول أن لا يصفوا المسيح بأنه إله ولا يصفوه بأنه إنسان؛ بل شيء آخر غريب عجيب؛ وذلك / (2/17/ب) لأن الطبيعتين كانتا قبل التركيب إلهاً كاملاً وإنساناً كاملاً، فإن كان التركيب قد أخرجهما إلى طبيعة غيرهما لم تكن تلك الطبيعة لا إلهاً ولا إنساناً. فإن زعموا أنّهما كانتا قبل التركيب كاملتين، والتركيب لم يخرجهما عن الكمال بل بقي المسيح [إلهاً كاملاً]1 وهو بعينه إنسان كامل، فقد تحامقوا إذ زعموا أنّ القديم هو بعينه الحادث، وأنّ الزَّمني هو بنفسه الأزلي؛ وذلك بمثابة قول القائل: إن الحركة هي السكون وأنّ السواد هو البياض. وذلك هو الجنون.

الحجّة الثّانية: الجمع بين الجوهرين2، [والأقنومين] في الجوهرية [والأقنومية] يوجب كون الطبعين طبعاً واحداً [والأقنومين] أقنوماً واحداً. فيسقط القول فيه بالدنايا إن كان المسيح إلهاً. أو يسقط القول بظهور الآيات إن كان المسيح إنساناً3. فبطل القول بكونه طبعاً واحداً [وأقنوماً] واحداً.

---

1 في ص، م: (إله كامل) وهو خطأ، والتصويب من المحقّق.

2 الجوهر: ما قام بنفسه. فهو متقوم بذاته ومتعين بماهيته. وهو المقولة الأولى من مقولات أرسطو، وبه تقوم الأعراض والكيفيات ويقابل العرض. (ر: المعجم الفلسفي ص 64).

3 زيادة في الإيضاح نورد هذه الحجّة بصيغة أخرى، فنقول: إن اليعقوبية إذا قالوا: إن المسيح جوهر من جوهرين وأقنوم من أقنومين، لا يخلو أن يقولوا: إن أحدهما أبطل الآخر وأخرجه عما كان عليه عند الاتّحاد. أو كل واحد منهما بحاله لم يتغير ولم يبطل الآخر. فإن قالوا: إن كلّ واحد منهما لم يتغير عما كان عليه، فخرجوا عن قولهم إلى النسطورية في أنهما باقيان بحالهما بعد الاتّحاد. وظاهر أن ذلك ليس باتّحادٍ.

وإن قالوا: إن أحدهما قد غيَّر الآخر وأبطله كانوا قد أقروا ببطلان الإله، ولزمهم أن يكون المسيح لا قديماً ولا محدثاً، ولا إلهاً ولا غير إله. إذا كان كلّ واحد منهما قد خرج عما كان عليه إلى مشابهة الآخر. والعيان شاهد بأن ناسوت المسيح على ما كان عليه ناسوت غيره من الناس. فإن قالوا: اللاهوت أبطل الناسوت، كان العيان يبطل قولهم فإن ناسوت المسيح مثل ناسوت غيره في الجسمية واللحمية. وإن قالوا: الناسوت أبطل اللاهوت لزمهم أن يكون المحدث يبطل القديم. وهذا لا يجوز؛ إذ اللاهوت هو الذي يُؤثِّر في غيره. وغيره يمتنع أن يُؤثِّر فيه. (ر: تنقيح الأبحاث ص 56 لابن كمونه اليهودي، النصيحة الإيمانية ص 144-146، نصر المتطبب).

==

الحجّة الثّالثة: لو قد صار الجوهران واحداً للزم أن يكون القديم هو الحادث من الوجه الذي هو قديم، / (2/18/أ) والمحدث [قديماً]1 من الوجه الذي هو محدث. فبطل أن يكونا صارا واحداً.

الحجّة الرّابعة: هذا الرأي2 من اليعقوبية مردود بأقوال المسيح في الإنجيل حيث يقول: "أنا ذاهب إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم"3. ففرق بين الذاهب والذي يذهب إليه. فبطل أن يكونا قد صارا واحداً، وإلاّ لاتّحد الذاهب ومن يذهب إليه والداعي والمدعوّ، ودعاء المسيح نفسه محال.

الحجّة الخامسة: إن كان طبع الإله وطبع الإنسان قد صارا واحداً والإله خالق والإنسان مخلوق، فطبع4 الخالق هو طبع المخلوق، وطبع العلة هو طبع المعلول، وذلك محال.

الحجّة السّادسة: إن كان جوهر الأزلي قد تغيّر [وأقنومه] قد تغيّر فقد صار الأزلي زمنياً والزّمنيّ أزليّاً، وذلك جهل من قائله.

الحجّة السّابعة: إن كان جوهر5 الابن الأزلي، وجوهر الإنسان قد تغيّرا عن طباعهما فقد بطلت فائدة الاتّحاد التي يدّعيها النصارى؛ لأنّ فائدته عندهم أن يقع الفيض من الطبيعة اللاهوتية على الطبيعة الناسوتية / (2/18/ب) بحلولها فيه.وإذا كانت [الطبيعتان]6 قد انقلبتا إلى ثالثة، فلا المفيد بقي مفيداً، ولا المستفيد بقي مستفيداً.

____

1 في ص (قديم) والصواب ما أثبتّه.

2 في م: الذي.

3 يوحنا 20/17.

4 في م: فبطبع.

5 ليست في (م).

6 في ص، م (الطبيعتين)، وهو خطأ. والتصويب من المحقِّق.

==

الحجّة الثّامنة: إن كان الجوهران و[الأقنومان] سليمين في المسيح، لم يصدق قول من يقول إنهما صارا واحداً بالعدد. وكيف يقال في الكثرة إنها واحد1 من الجهة التي هي كثرة؟!. وكيف يقال في الواحد إنه كثرة من الجهة التي هو بها واحد؟!.

وإن كان الجوهران والأقنومان قد تفاسدا وعدما فكان ينبغي أن لا يوجد المسيح بل يعدم ويتلاشى.

الحجّة التّاسعة: إن كان الجوهران و[الأقنومان] قد صارا واحداً بالعدد فيجب أن يبطل فعل هذا وفعل هذا؛ لأنّ المختل في الطباع إذا تركب منهم طبع آخر لم يَبن فعل الأوّل ولا الثاني. فكان يجب أن لا يظهر المسيح2 لا فعلاً إلهياً ولا فعلاً ناسوتياً، ألا ترى أنّ الاستقصات الأربع إذا تركب عنها جسم فلا شكّ أن ذلك الجسم ليس بنار محضة ولا هواء ولا ماء ولا تراب.

فعلى سياق هذا كان يلزم أن يكون المسيح بالاتّحاد / (2/19/أ) الذي يدّعونه لا إله ولا إنسـان،ويـؤول القول بالاتّحادإلى رفع ثمرته وفائدته.

الحجّة العاشرة: الإنجيل مصرَّح بأنّ المسيح كان يتَزَايـد أوّلاً في بنيتـه ومعارفـه وعلومـه، والمتزايـد غير الكامل فبطل أن يكون شيئاً واحداً؛ لأنّ الإله لا يتقلب ولا يتغيّر ولا يستحيل ولا يزيد.

فـإذا قلتم: إنهمـا قـد صـارا واحـداً ثم انقلب وتغيّـر، فيكـون غـير المنقلب منقلبـاً وغـير المسـتحيل مستحيلاً.

---

1 في م: واحدة.

2 في م: للمسيح.

==

وإذا انقلبت الكلمة فمن القـالب لهـا؟!. ثم جـوهر الابن على زعمهم غـير مـائت ولا1 فاسـد. وجـوهر الإنسان المأخوذ من مريم مائت وفاسد. فإن كان المجتمع منهما صار واحداً فقـد صـار بجملتـه لا مائتـاً ولا غير مائت ولا فاسداً ولا غير فاسد. وذلك خبط وجهل.

وإنه لقبيح بموجد أوجه خالقـه بعـد أن لم يكن أن يقـول: إنـه صـار هـو وخالقـه شـيئاً واحـداً وطبيعـة واحدة، ولا يقبح أن يقال: إن الخالق الباري أفاض على عبده النعماء.

وقال فولس في أواخر الرسالة العاشرة: "الله مالك العـالمين الـذي لا يفسـد ولا يـرى، هـو اللـه / (2/19/ب) الأحد، له الكرامة والحمد إلى أبد الآباد جلّ وعلا2.

الحجّة الحادية عشرة: صيرروة الجوهرين المتنافيين كالثلج والنار واحداً مستحيل ببدايـة العقـول مـع اشتراكهما ي أصل الجوهرية. فصيرورة خالق الجوهر مع الجوهر واحداً أولى3 بالاستحالة.

الحجّة الثّانية عشرة: قال يحـيى بن زكريـا حين رأى المسـيح: "هـذا خـروف اللـه وحمـل اللـه الـذي يحمل خطايا العالم"4. فَفَرَّق بينه وبين الباري تعالى فبطل أن يكونا واحداً.

الحجّة الثّالثة عشرة: قال شمعون الصفا: "يا رجال بني إسرائيل إن يسـوع رجـل جـاءكم من اللـه"5. وأيسوع اسم المسيح. فشهد شمعون وهو رئيس

---

1 في م: وإلا.

2 رسالة بولس الأولى إلى تيموثاوس 1/17.

3 في م: إلى.

4 يوحنا 1/29، 36.

5 أعمال الرسل 2/22.

==

أصحاب المسيح بأنّ المسيح رجل، وأن الله أرسله، أنه إنسان كلّه، وذلك تكذيب لليعقوبية في دعوى هذا النوع من الاتّحاد.

الحجّة الرّابعة عشرة: سئل المسيح عن يوم القيامة، فقال: "لا يعرف ذلك إلاّ الأب وحده، فأما الابن فلا يعرفها"1. وقول المسيح أولى بالتصديق، وقد أخبر أنه لا يعلم بالمغيّبات، ولو قد صار مع الله شيئاً واحداً لعلم ما يعلمه الله / (2/20/أ) لأنّ الشيء الواحد لا يمكن أن يثبت لبعضه من الحكم ما يجب نفيه عن البعض، فبطل أن يكونا شيئاً واحداً.

الحجّة الخامسة عشرة: الأناجيل الأربعة تذكر أنّ المسيح بكى على صديقه إلعازر، وفرح بتوبة التائب، وأكل في دعوات أصحابه، وشرب وركب الأتان، وتعب من وعر الطريق، وحزن2 من نزول الموت. وقال: "إلهي اصرف عني هذا الكأس". وهذه النقائص قبيح إضافتها إلى الابن الأزلي. فبطل أن يكونا صارا واحداً.

فهذه حجج دامغة لليعاقبة قاضية بفساد ما ذهبوا إليه.وكثيراً ما [يحاولون]3 تحقيق مقالتهم إذا ألزموا4 ما يعتقدونه من قتل المسيح وصلبه فلا يمكنهم ذلك إلاّ أن يفروا إلى مذهب النسطور.

____

1 مرقس 17/32.

2 في م: وخرز.

3 في ص (يحاولوا) والصواب ما أثبتّه.

4 في م: لزموا.

==

الفرقة الثّانية:

فرقة الملكية1؛ ومذهبهم أنّ المسيح بعد صدور الاتّحاد جوهران وهو [أقنوم]

____

1 الملكية؛ نسبة إلى المذهب الذي اعتنقه ملوك الرومان النصارى، وهو: أنّ للمسيح طبيعتين ومشيئتين في أقنوم واحد، وقد أخطأ الشهرستاني حينما زعم نسبة هذا المذهب إلى رجل اسمه: (ملكا).

وقد مرّ هذا المذهب بعدة مراحل، حيث بدأ إقراره في مجمع نيقية سنة 325م، بتأييد الملك قسطنطين لمذهب تعدد الآلهة واعتبار المسيح ابناً وإلهاً ومستقلاً. ثم في مجمع القسطنطينية الأوّلسنة 381م، تحددت هوية الثالوث النصراني بالآب والابن في المسيح طبيعتين - خلافاً لليعقوبية - وحيث إن الذي دعا إلى هذا المجمع هو الملك (الإمبراطور) الروماني وتأييده لمذهب ازدواج الطبيعتين فقد أطلق عليه المذهب الملكي أو الملكاني.

ثم أضيف إلى هذا المذهب القول بأنّ المسيح له طبيعتان ومشيئتان في مجمع القسطنطينية الثالث سنة 680م خلافاً للمارونية القائلين بأنّ المسيح له طبيعتان ومشيئة واحدة.

وظلّت الطوائف القائلة بمذهب الملكية (بالطبيعتين والمشيئتين) متّفقة في آرائها إلى أن دَبَّ الخلاف بينها بشأن انبثاق روح القدس. أكان من الأب وحده؟ أم من الأب والابن معا؟ ولأجل ذلك عقد مجمع القسطنطينية الرابع سنة 869م، ونتج عنه انفصال الكنيسة الشرقية رئاسة ومذهباً واسماً عن الكنيسة الغربية (مذهب المالكية)، حيث أصبحت الكنيسة الشرقية تسمى بـ: كنيسة الروم الأرثوذكسية أو اليونانية، وأتباعها يعتقدون بأنّ الروح القدس منبثق عن الأب وحده، وأكثرهم في الشرق باليونان وتركيا وروسيا، وغيرها. ولهم بطاركة أربعة: 1- بطريك القسطنطينية وهو كبيرهم. 2- بطريك الإسكندرية للروم الأرثوذكس. 3- بطريك أنطاكية. 4- بطريك أورشليم. كما تميّزوا باعتقادهم أن الإله الأب أفضل من الإله الابن. وتحريم الدم والمنخنقة وإيجاب استخدام الخبز في العشاء الرباني وغير ذلك.

أما الكنسية الغربية اللاتينية فتسمى بـ: الكنيسة البطرسية - نسبة إلى بطرس رئيس الحواريين - الكاثوليكية (نسبة إلى كاثوليك CATHLIQE) وهي كلمة يونانية ومعناها العالمي أو العام. (وهو اصطلاح استخدمته الكنيسة في القرن الثاني الميلادي). ويرأسها البابا بالفاتيكان في روما. ويعتقد أتباعها أن الروح القدس منبثق عن الأب والابن معاً. وبالمساواة الكاملة بين الأب والابن، وإباحة الدم والمنخنقة واستخدام الفطير بدلاً من الخبز في العشاء الرباني، وتتميّز الكنيسة الكاثوليكية بعدة سمات بارزة، منها: استعمال اللغة اللاتينية. والبخور، واتّخاذ الأيقونات والمصورات البارزة، والتقويم الخاص وغير ذلك. وينتشر أتباعها في معظم بلاد العالم لما لها من النفوذ والمال.

ثم حدث انشقاق آخر بداخل الكنيسة الكاثوليكية عند ما ظهر دعاة الإصلاح الكنسي في أوائل القرن (16م) بتخليص الكنيسة من مظاهر الفساد. ومن أبرز هؤلاء الدعاة: مارتن لوثر الألماني سنة 1546م، وزونجلي السويسري سنة 1531م، وكلفن الفرنسي سنة 1564م. الذين احتجوا على فساد الكنيسة. فسمي مذهبهم بـ: (البروتستانتية PROTESTANNTISME) أي: المحتجّين، وقد سموا أنفسهم بـ: (الإنجيليين) على كنيستهم (الكنيسة الإنجيلية) لدعواهم أنهم يتبعون الإنجيل ويفهمونه بأنفسهم دون الحاجة إلى البابوات. ومن أبرز مبادئهم: إبطال الرئاسة في الدين، وصكوك الغفران والرهبنة، وتحريم التماثيل والصور في الكنيسة، وأن الخبز والخمر في العشاء الرباني لا يتحولان إلى لحم المسيح ودمه وإنما هو وسيلة رمزية. وينتشر أتباعهم في ألمانيا وإنجلترا وأمريكا الشمالية وغيرها.

وعندما ظهرت الحاجة إلى توحيد صفّ النّصارى وجمع كلمتهم عقد عام 1563م مجمع (مؤتمر) عالمي في الفاتيكان بدعوة من البابا يوحنا الثالث والعشرين لأجل تحقيق الوحدة الدينية بين المذاهب النصرانية المختلفة، فتساهلت بذلك الكنائس والمذاهب النصرانية المختلفة في الاعتراف للكنيسة الكاثوليكية بالتقدم عليها في الرئاسة لا بالسلطان.

(ر: قصة الحضارة 11/396، موجز تاريخ المسيحية ص 313-318، دائرة المعارف البريطانية 2/543، 644،ـــ 8/249، قـــاموس أوكســـفورد ص 254-256،ـــ 1134-1136،الموســـوعة الميســـرة ص 357،1489،1490،الملل والنحل 1/222-224، للشهرستاني، الأسفار المقدسة 133-136،ـ 140-146، النصرانية 130-134 الطهطاوي).

ويزعم أتباع هذا المذهب أن الآلهة ثلاثة متميزون ومنفصلون: الأب، والابن، والروح القدس، ومع ذلك فهم شيء واحد في الطبيعة والذات. ويزعمون أنّ الكلمة (وهي أقنوم العلم وهي الابن) قد اتّحدت بجسد المسيح، وأنّ مريم قد ولدت الإله والإنسان وأنهما شيء واحد، وأن الموت والصلب وقع على اللاهوت والناسوت معاً، وإليهم أشار القرآن الكريم بقوله تعالى: { لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ...}. [سورة المائدة، الآية: 73].

واحد - وقد حكينا عنهم أنّ [الأقنوم] هو الشخص - قالوا: فله بطبيعة اللاهوت مشيئة كمشيئة الأب، وله بطبيعة الناسوت مشيئة كمشيئة إبراهيم وداود غير أنّه / (2/20/ب) واحد أي شخص واحد.

فردّوا الاتّحاد إلى [الأقنوم] إذ رأوا1 الاتّحاد بالنسبة إلى الجوهر مستحيل.

وسبيل الرّدّ على هذه الفرقة:

أن نقول: إذا قلتم: إن المسيح بعد الاتّحاد باقٍ على طبيعته ومشيئته كما كان قبل الاتّحاد فقد أبطلتم الاتّحاد، إذ افتراق أحد الجوهرين بالطبيعة والمشيئة هو غاية الافتراق،وإذاكان ذلك كذلك،فلا معنى للاتّحاد.

إذ الاتّحاد عبارة عن صيرورة أكثر من الواحد واحداً. وإذا كان جوهر الأزلي باقٍ بحاله وجوهر الإنسان باقٍ بحاله فقد آل الاتّحاد مجرد تسمية فارغة عن المعنى خالية عن الفائدة.

---

1 في م: روى.

الحجّة الثّانية: هو أن نقول لهم: أتقولون إن اللاهوت اتّحد بالناسوت حقيقة أو مجازاً؟!.

فإن قالوا: إن ذلك [تجوز وتوسع]1 أبطلوا وتجوزوا بإطلاق ما لم يجز إطلاقه على القديم سبحانه2.

وإن قالوا: إنه اتّحد به حقيقة لزمهم أن تكون مشيئتهما3 واحد؛ لأن الواحد لا تكون له إلاّ مشيئة واحدة، إذ لو كان للواحد مشيئتان للزم إما أن يكونا متماثلتين أو مختلفتين، فإن كانتا / (2/21/أ) متماثلتين فإحداهما مغنية عن الأخرى، وإن كانتا مختلفتين تناقضت أحكامهما وامتنع حصول مرادهما.

فثبت أنه لا بدّ من إبطال إحدى4 المشيئتين إن كان الاتّحاد حقيقة، أو إبطال الاتّحاد جملة أن يثبت المشيئتان.

الحجّة الثّالثة: على الروم أصحاب الجوهرين و[الأقنوم] الواحد، هو أن نقول: إن قلتم: إن [الأقنومين] - أعني: [أقنوم] الأزلي [وأقنوم] الإنسان - قد صارا5 واحداً، فالجوهران أيضاً قد صارا واحداً، والقول [بصيرورة]6 الجوهرين واحداً باطل، والقول بالأقنوم الواحد باطل.

الحجّة الرّابعة: هذا المذهب فيه قباحة، وذلك أن صيرورة جوهرين مختلفي الطباع شخصاً واحداً [أقنوماً] لا يبوء به عاقل، إذ يلزم عليه أن يشار إلى المسيح بأنه قديم محدث إشارة واحدة.

---

1 في ص (تجوزا وتوسعا) والصواب ما أثبتّه.

2 في م: زاد: (وتعالى).

3 في م: مشيئتها.

4 في ص (أحد) والتصويب من نسخة (م).

5 في م: صار.

6 في ص، م: (بضرورة)، ولعله خطأ من الناسخ. والتصويب من المحقِّق لموافقته سياق الجملة. والله أعلم.

الحجّة الخامسة: إن كان أقنوم المسيح قد صارا [أقنوماً] واحداً، وأحدهما زمني والآخر أزلي، فقد صار الأزلي زمنيّاً والزمنيّ أزليّاً، أو صار منهما شيء آخر لا أزلي ولا زمني وذلك محال. وعلى هذا يبطل فعل [أقنوم] الإنسان وهو الأكل والشرب وغيره، وقد وُصِف المسيح به (2/21/ب) بذلك، أو يبطل فعل [أقنوم] الإله؛ وهو إحياء الميت وتطهير الأرض وقد وُصف المسيح به.

الحجّة السّادسة: إن كان [الأقنومان] قد صارا [أقنوماً] واحداً منع تنافي طباعهما فهذا إنما يتم بالامتزاج والاختلاط، فيلزم أن يتغير الإله ويستحيل مع طبع الإنسان، وذلك متعذر على ذات الباري تعالى.

وأكثر الحجج الواردة على الفرقة الأولى واردة على الفرقة الثانية لقولها باتّحاد الأقنوم.

الفرقة الثّالثة:

فرقة النسطور1 وهم نصارى المشرق المنسوبون إلى نسطورس

أخذوا الأمانة

---

1 النسطورية: نسبة إلى نسطوريوس الذي ولد بسوريا (380م - ت 451م) - وقد أخطأ الشهرستاني في قوله: "إن نسطور الملقب بالحكيم ظهر في زمان المأمون". وقد أصبح نسطور بطريكاً على القسطنطينية سنة 428م، لمدة أربع سنين إلى أن أعلن مذهبه - الذي تأثر فيه بأستاذه ثيودور المبسوستيائي ت 428م - بأن مريم العذراء أم المسيح الإنسان وليست والدة الإله، ولذلك كان إثبات أحدهما الإنسان الذي هو مولود من مريم، وأن هذا الإنسان الذي يقول إنه المسيح بالمحبة متوحد مع ابن الإله، ويقال له: الإله وابن الإله، ليس على الحقيقة ولكن على المجاز.

ولما قال نسطور مقالته تلك كاتبه كيرلس بطريرك الإسكندرية ويوحنا بطريرك أنطاكية ليعدل عن رأيه ولكنه لم يستحب. فانعقد لذلك مجمع أفسس سنة 431م وتقرر فيه: وضع مقدمة قانون الإيمان، وأن

مريم العذراء والدة الله، وأن للمسيح طبيعتان لاهوتية وناسوتية في أقنوم واحد، وتقرر أيضاً خلع نسطور من الكنيسة ولعنه ونفيه إلى مصر.

ويذكر المؤرخ ابن البطريق في التاريخ ص 152؛ "أن مقالة نسطور قد اندثرت، فأحياها من بعده بزمان طويل برصوما (ت 490م) مطران نصيبين في عهد قباذ بن فيروز ملك فارس، وثبتها في الشرق وخاصة أهل فارس. فلذلك كثرت النسطورية بالمشرق وخاصة أرض أهل فارس بالعراق والموصل ونصيبين والفرات والجزيرة".اهـ

وهذا يفسر لنا سبب انحراف النسطوريين عن مقالة نسطور الأصلية، فقد مالوا إلى القول بامتزاج اللاهوت (ابن الإله) في الناسوت، وبأن المسيح أقنومان وطبيعتان لهما مشيئة واحدة، وإليهم أشار القرآن الكريم بقوله تعالى: { وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ...}. [سورة التوبة، الآية: 30، 31]. ولا تزال توجد منهم جماعات متفرقة في آسيا وخاصة في العراق وإيران والهند والصين، ومع أن الكنيسة الكاثوليكية أدخلتهم في خظيرتها إلاّ أنهم لا يزالون ينكرون عبادة مريم.

(ر: قصة الحضارة 2/100، 101، مجموعة الشرع الكنسي ص 288-293، دائرة المعارف 7/269، قاموس أكفسورد ص 961، 962، الملل والنحل 1/224، 225، للشهرستاني، الفصل 1/111، لابن حزم، محاضرات في النصرانية ص 157-159، لأبي زهرة).

وكان لأتباع النسطورية تأثير بالغ في ظهور الفرق المنتسبة إلى الإسلام، وخصوصاً الغلاة منها إلتي ظهرت في المشرق، قد تأثرت الشيعة بعقائدهم وخاصة حلول اللاهوت في الإمام أو أن الإمام له طبيعة إلهية. (الملل 2/53 للشهرستاني). وكان لهم شأن خطير في ترجمة كتب اليونان وخاصة كتب الفلسفة التي أفسدت عقائد المسلمين وسرَّبت إليهم الأفكار المنحرفة التي تأثرت بها فرقة المعتزلة تأثراً كبيراً وخاصة في تحكيم العقل والقول بنفي القدر ونحوه.

==

عن السليح1 ماري2 وعنتوما3، ساعدوا نسطورس على رأيه فنسبوا إليه. ومذهبها أنّ المسيح بعد الاتّحاد جوهران [وأقنومان] باقيان على طباعهما كما كانا قبل الاتّحاد وردّوا الاتّحاد إلى خاص البنوة وهي علم الباري. قالوا: فهذا الشخص المأخوذ من السيدة شارك الله في هذه الخاصية فصار بها ابناً ومسيحاً.

---

1 السليح: كلمة سريانية معناها: (الرسول). ر: المنجد ص 344 مادة: (سلح).

2 مار ماري: يزعمون أنه في السبعين تلميذاً الذين أرسلهم المسيح، وأنه أسس كرسي المشرق وأوّل الأساقفة في أيام أفرهط ملك بابل ونيرون قيصر ملك الروم. توفي سنة 393 يونانية.

(ر: أخبار بطاركة كرسي المشرق ص 3-5، لماري بن سليمان، أخبار بطاركة كسي المشرق ص 1، 2، عمرو بن متى).

3 توما: اسم آرامي معناه: (توأم) أحد الاثني عشر رسولاً - حسب اصطلاح النصارى - والمقصود به أحد الحواريين حيث ورد اسمه في إنجيل متى 10/3 ضمن الحواريين، ويلقب بالمتشكك؛ لأنه شكّ في

قيامة المسيح من الموت - حسب زعمهم - وتذكر الروايات التاريخية أنه كان مبشراً في بلاد الفرس والهند ومات هناك. وينتسب إليه النصارى الذين يتبعون طقس الكنيسة السريانية (النسطورية)، كما ينتسب إليه النصارى الذين يتبعون طقس الكنيسة السريانية (النسطورية)، كما ينسب إليه (إنجيل توما) الذي لا تعترف به الكنيسة. (ر: قاموس ص 226، 227، المنجد في الأعلام ص 196).

==

سبيل الرّدّ على هذه الفرقة:

أن نقول:إذا/(2/22/أ) قلتم إن الجوهرين [باقيان]1 و[الأقنومين] كذلك على حالهم فلا موقع للاتّحاد وصار الاتّحاد اسماًساذجاًلا ثمرة له ولا فائدة.

الحجّة الثّانية على النسطور: أن نقول: القول بكون المسيح [أقنومين] مُكذَّب بالحسّ؛ وذلك أن الذي يراه كلّ ذي بصر سليم من المسيح إنما هو [أقنوم] واحد،أي: شخص واحد،وتكذيب أصدق الحواس وهو البصر لا سبيل إليه.

الحجّة الثّالثة: القول بكونه [أقنومين] يجر إلى السيلان ويفتح باب السفسطة ويشكك في الضروريات، فالقول به باطل إذ كون المسيح شخصاً واحداً [أقنوماً] احداً معلوم ضرورة، ومن زعم أن المسيح كان شخصين لم يسلم من خبل في عقله.

الحجّة الرّابعة: هذا الرّأي أعني: القول [بالأقنومين] مُكذَّب بأقوال حملة الإنجيل الذين كانوا قبل صدور هذا الخلاف. فإنهم يشهدون بأن المسيح ابن داود بن إبراهيم، وأنه ولد في بيت لحم ووضع في معلف وذلك في أيام هيردوس فإنه صام وصلى وأكل وشرب وفرح وحزن وأنه كان شخصاً، / (2/22/ب) فالقول بأنه كان شخصين مردود بأقوال التلاميذ الذين هم أعرف الناس بالمسيح.

الحجّة الخامسة:قال بطرس-صاحب المسيح-في كتاب فراكسيس: "يا بني إسرائيل، إن أيسوع الناصري رجل جاء من الله، وأن الله مسحه بروح القدس وبالقوة الإلهية"2. فشهد بطرس المؤتمن عند النصارى بأن المسيح رجل

---

1 في م:، ص (باقيين)، وهو خطأ، والتصويب من المحقِّق.

2 أعمال الرسل 10/38.

==

واحد شخص واحد[أقنوم]واحد،فمن قال بأنه شخصان فقد خَطَّأَ بطرس وجَهَّله. ومن جَهَّل مثل بطرس منهم فهو بالجهل1 أجدر.

الحجّة السّادسة على النسطور: قال فولس-الذي يسمونه فولس الرسول-: "واحد هو الله، وواحد هو المتوسط بين الله والناس"2.

فشهد بأن المسيح شيء واحد وأنه غير الله الواحد. وقال فولس أيضاً: "إن ربّ جميع الشعوب واحد غني متّسع لكلّ من يدعوه وكلّ من يدعو باسم الرّبّ يحيي"3. ولكن كيف يدعوه من لم يؤمن به. وذلك يقضي بفساد مذهب النسطور؛ إذ مذهبهم أن المسيح شخصان، وفولس الرسول يقول: كلا، ولكنه واحد.

الحجّة السّابعة على النسطور4: أن يقال لهم: إن كان المسيح شخصين فلا [يخلو]5 / (2/23/أ) الأمر فيه من أن يكونا متجاورين أو متداخلين، فإن كانا متجاورين فيلزم منه أن يكون [أقنوم] الإله مذروعاً ممسوحاً له قدر وكمية، إذ كلّ شيئين تحاذيا فلا بدَّ أن يكونا متساويين أو متفاوتين، فإن كانا متساويين فقد ساوى [الأقنوم] الإلهي [الأقنوم] الإنساني وذلك محال. وإن كانا متفاوتين فإن كان أقنوم اللاهوت أصغر لم يصلح للربوبية، وإن كان أكبر فقد أخذ [الأقنوم] الإنساني منه بعضه بالمسامته والمحاذاة، والقدر الزائد منه على [الأقنوم] الإنساني يعود إليه التقسيم. فإن كان مساوياً [لأقنوم] الإنسان فقد ساوى الخالق المخلوق، وإن كان أصغر لم يصلح، وإن كان أكبر فقد ساوى أقنوم الإنسان بعض الإله والقدر الزائد يعود إليه التقسيم، وذلك يقضي بالكمية على الأقنوم الإلهي وهو محال.

---

1 في م: بالجهال.

2 رسالته إلى أهل غلاطية 3/20.

3 رسالته إلى أهل رومية 10/11-13.

4 في م: النسور، وهو خطأ.

5 في ص (يخلوا) والصواب ما أثبتّه.

==

وإن كانا متداخلين فلا يخلو أن يتداخلا تداخل امتزاج أو تداخل إدراع كلابس الدرع، فإن كانا تداخلا تداخل امتزاج حتى صارا طبيعة واحدة فهذا مذهب اليعقوبية / (2/23/ب)، وقد أبطلناه.

وإن تداخلا تداخل إدراع فيلزم منه أن يكون الأقنوم الأزلي الذي لا يوصف بالجسم قد تشكل الأجسام وصار له لحية وفرج مسامت لما تشكل به من [أقنوم] الإنسان، وكلّ ذلك محال فالقول به محال.

الحجّة الثّامنة: الإنجيل يشهد: "بأن المسيح رفع وجهه إلى جهة السماء وابتهل في الدعاء وقال: يا أبتِ أدعوك فتستجيب لي، وأعلم أنك تستجيب لي في كلّ حين، ولكن إنما أدعوك من أجل هؤلاء القيام ليعلموا أنك أرسلتني"1.

فهذا الداعي المبتهل لا يخلو من أن يكون [الأقنوم] اللاهوتي أو [الأقنوم] الإنساني، فإن كان [الأقنوم الإنساني]2 فيلزم منه أن يكون الجسد مولداً من الأب [مرسلاً]3 منه، وهذا ما لا يقول به نصراني ألبتة؛ لأن المولود من الأب عند سائرهم إنما هو الكلمة. وإن كان الداعي هو الأقنوم اللاهوتي فهذا فيه تدليس عظيم إذا المشاهد داعياً إنما هو الجسد المشاهد بائلاً وغائطاً.

الحجّة التّاسعة: هذا المذهب مردود بقول يوحنا الإنجيلي إذ يقول في كتابه: "إن الكلمة صارت جسداً وحلّ فينا"4. وذلك / (2/24/أ) عند النصارى عبارة عن انقلاب [الأقنوم] اللاهوتي إنساناً مسيحاً، فكيف يقول النسطور: إن المسيح [أقنومان اثنان]5 ويوحنا يقول: إنه واحد؟!.

---

1 يوحنا 11/41، 42.

2 في م: (فإن كان القنوم الإنساني) ساطقة.

3 في ص (مرسل) والصواب ما أثبتّه.

4 يوحنا 1/14.

5 في ص (قنومين اثنين) والصواب ما أثبتّه.

==

الحجّة العاشرة: لا شكّ أنّ طائفتي الروم والنسطور يطلقون اللعن والجرم على طائفة اليعاقبة لقولهم: "إن طبيعة اللاهوت وطبيعة الناسوت قد صارتا طبيعة واحدة بالاتّحاد". فمن قال إنّ المسيح اثنان في العدد بعد كونه واحداً فهو [حقيق]1 بهذا الذّمّ.

فهذا ما يخص كلّ طائفة على انفرادها. وقد عرفت أنّ مقالة اليعقوبية أنّ المسيح عبارة عن طبيعتين لاهوتية وناسوتية، وأنهما بالتركيب صارتا طبيعة واحدة لها مشيئة واحدة.

وأنّ مقالةالروم أنّ المسيح بعدالاتّحاد[طبيعتان]2لكن[أقنوم]واحد.

وأنّ مقالة النسطور أنّ المسيح بعد الاتّحاد [جوهران وأقنومان]3. وردوا الاتّحاد إلى صفة البنوة4.

---

1 في ص (محقوق) والصواب ما أثبتّه.

2 في ص (طبيعتين) والصواب ما أثبتّه.

3 في ص (جوهرين وقنومين) والصواب ما أثبتّه.

4 قال شيخ الإسلام في الجواب الصحيح3/179: "والنصارى - في هذا الباب - من أبلغ الناس تناقضاً،يقولون الشيءويقولون بمايناقضه ويلعنون من قال هذاومن قال هذا.

وأيضاً فلكّ طائفة منكم تلعن الأخرى، فإن أهل الأمانة تلعن الأريوسية وغيرهم من طوائف النصارى. وهم يلعنونكم. وكلّ فرقكم الثلاثة النسطورية واليعقوبية والملكية تلعن الطائفتين الأخريين. فأنتم واليعوقوبية تلعنون من يقول: إن مريم لم تلد إلهاً، ويقولون: إن مريم ولدت إنساناً تاماً إلهاً تاماً.

وأنتم والنسطورية تلعنون من قال:إنهماجوهر واحد بمشيئةواحدةوطبيعةواحدة،ومن قال:إن اللاهوت مولود من مريم،ومع قولكم المسيح الذي ولدته مريم مات وصلب.

وفي أقوالكم من العجائب المتناقضة التي توجب أنكم ملعونون - ما يطول وصفه - فما منكم من أحد إلاّ وهو لاعن ملعون. فلعنكم من قال بهذه المقولات لا يوجب أنكم على الحقّ بل يوجب أن يكون من جملة الملعونين عندكم كطائفة من طوائفكم. والنصارى طوائف كثيرون مختلفون اختلافاً كثيراً. والطوائف

الثلاثة المشهورة في الأزمان المتأخرة فهم بعض طوائفهم، وإلاّ فهم طوائف كثيرون مختلفون في التثليث والاتّحاد". اهـ

==

ومما يرد على الجميع ويفسد عليهم دعوى الاتّحاد، قول فولس في الرسالة الثّالثة: "أوسلتم تعلمون وتوقنون بأن يسوع المسيح حال فيكم، ولإن لم يكن حالاً فيكم (2/24/ب) إنكم لمرذولون، وأنا أرجو أن تكونوا لستم بمرذولين"1. فيجب على مقتضى قول فولس أن يكون اتّحاد اللاهوت بناسوت المسيح كاتّحاد المسيح بناسوت أمته ومتبعيه، ولإن كان من المستحيل أن يتّحد جسم المسيح بأجساد آلاف من النصارى في أقطار الأرض، فاتّحاد القديم جلّ جلاله بجسد المسيح أجدر بالاستحالة! 2.

---

1 رسالته الثّانية إلى أهل كورنثوس 13/5، 6.

2 لقد اعتنى علماء المسلمين بنقد عقائد هذه الفرق النصرانية الثّلاثة بأدلة نقلية وعقلية، ومن هؤلاء العلماء: المهتدي الحسن بن أيوب في رسالته: (الرّدّ على النصارى)، والتي قد نقل الإمام ابن تيمية جزءاً كبيراً منها في كتابه: (الجواب الصحيح 2/315-318)، والقاضي الباقلاني في كتابه: (تمهيد الأوائل ص: 100-125)، والقاضي عبد الجبار المعتزلي في كتابه: (تثبيت دلائل النبوة ص: 91-105)، والعلامة ابن حزم في: (الفصل والنحل 1/109-132)، وأبو حامد الغزالي في كتابه: (الرّدّ الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل ص: 155-162)، والإمام القرطبي في كتابه: (الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام ص: 127-134)، والمهتدي نصر بن يحيى المتطبب في كتابه: (النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ص: 119-149)، والقرافي في كتابه: (أدلة الوحدانية في الرّدّ على النصرانية ص: 95-97)، وغيرهم.

==

القول في إبطال التّثليث:

اعلم أنّ سائر النصارى مجمعون على التّالوث، وهو أنّ ربهم أبٌ، وابن، وروح، فيعبّرون بالأب عن الذات، وبالابن عن النطق الذي هو الكلام، وبالروح عن الحياة 1.

ويزعمون أنه لا يصحّ التّوحيد لموحّدٍ دون أن يعتقد هذا، فزعموا أنّ الأب جوهر 2، وأنّ له صفة حياة وصفة نطق.

---

1 إن القول الذي أجمع عليه النصارى هو: "أن الله - تعالى عما يقولون علوّاً كبيراً - جوهر واحد، له ثلاثة أقانيم: أقنوم الأب، وأقنوم الابن، وأقنوم روح القدس، وبأنها واحد في الجوهر مختلفة الأقانيم".

وقد أشار القرآن الكريم إلى اعتقادهم بهذه الأقانيم الثّلاثة، فقال: {يَا أَهْلَ الكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُم وَلاَ تَقُولُوا عَلَى الله إِلاَّ الحَقَّ إِنَّمَا المَسِيحُ عَيسَى ابن مَرْيمَ رَسُولُ الله وَكَلْمَتُهُ أَلْقَاَهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بالله وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُوا ثَلاَثَة انْتَهُوا خَيراً لَّكُم..}، [سورة النساء، الآيتان: 171-172].

ولقد تناقض أحبارهم في شرح وعرض هذه العقيدة تناقضاً واضحاً؛ بحيث لا يمكن الجمع بين أقوالهم أو الجزم بواحد منها، فقد اختلفوا في التعبير عن ماهية تلك الأقانيم:

فقال بعضهم: إنها أشخاص وذوات، وقال بعضهم: إنها خواص، وقال بعضهم: إنها صفات وهكذا.

واختلفوا في انبثاق روح القدس، هل هو من الأب وحده؟ أم من الأب والابن معاً؟

ثم اختلفوا في نسبة كلّ من الأقانيم الثّلاثة من الإله المجموع الذي يسمونه الثّالوث، وقال بعضهم: إن كلاّ منها إله بذاته، كالإله المجموع (الثّالوث)، وقال بعضهم: إن كلاّ منها إلهٌ بذاته، ولكنه دون الإله المجموع، وقال بعضهم: إن هذه الأقانيم ليست آلهة وإنما الإله هو مجموعها: (الثّالوث)، وهكذا نرى سلسلة طويلة من الاختلافات والتناقضات في أهم أسس عقيدتهم؛ لأن الإيمان بالتّثليث والتوحيد في آنٍ واحدٍ هو إيمان بغير المعقول باعتراف فهمه وإدراكه، وإن من يحاول إدراك سرّ الثّالوث تمام الإدراك كمَن يحاول وضع مياه المحيط كلّها في كفه.

ويقول القسّ باسيليوس إسحاق في كتابه: (الحقّ): "أجلّ إن هذا التعليم عن التّثليث فوق إدراكنا، ولكن عدم إدراكه لا يبطله".

ويقول يس منصور في كتابه: (التّثليث والتوحيد): "إن من الصعب أن نحاول فهم هذا الأمر بعقولنا القاصرة". (ر: النصرانية والإسلام ص: 149، 150، محمّد الطهطاوي).

وهذه الشهادات منهم كافية في الدلالة على بطلان هذه العقيدة وفسادها.

2 قال الإمام ابن تيمية: "وأما قدماء الفلاسفة كأرسطو، وأمثاله، فكانوا يسمّونه (الله) جوهراً، وعنهم أخذت النصارى هذه التسمية، فإن أرسطو كان قبل المسيح بأكثر من ثلاثمائة سنة، ولهذا قال هؤلاء في كتابهم: نعجب مِمَن ينكر ذلك، وهو قد قرأ شيئاً من كتب الفلاسفة والمنطق". اهـ. ثم أورد ابن تيمية سبعة أوجه في الرّدّ على النصارى في تسميتهم الباري عزّ وجلّ بالجوهر. (ر: الجواب الصحيح 3/204-327).

ويؤكّد ما ذكره ابن تيمية اعتراف النصارى بذلك، حيث يقول الأب متى المسكين في كتابه: (القديس اثناسيوس الرسولي ص 351): "إن الجوهر ESSENTIA بمنعى: الوجود الحقيقي أو الكيان الواقعي، كان هذا التعبير مستخدماً عند أفلاطون قديماً ليفيد لخواص النوعية للمُثل IDEAS العليا أو الحقائق في مقارنتها بالمظاهر التي نراها. ولما جاء أضاف إليها معانٍ جديدة وتثبتها في المحيط الفلسفي الإغريقي، وهي عنده بمعنى: الكائن". اهـ

==

قالوا1: فلا يكون الإله فاعلاً حكيماً إلاّ بعد كونه حياً ناطقاً فإذا وجب أن يكون الإله حيّاً ناطقاً، فهل الحياة والنطق ذوات أو صفات؟ اختلف فيه أكابرهم، فمنهم من قال: الحياة والنطق صفات2 لجوهر الأب.

ومنهم من قال: بل هي ذوات بأنفسها. ومنهم من قال: بل هي خـواص لـذلك الجـوهر. وطريـق مفاوضـتهم في ذلك:

أن3 نقول لهم: هل / (2/25/أ) تثبون الألوهية لكل واحد من الأقانيم الثلاثة أم تزعمون أن الجميع إله واحد، أم تقولون إن الإله واحد منها والباقي صفات له؟

فإن قلتم: بأن الإله واحد والزائد صفات له، فقد أبطلتم القول بالثـالوث ووافقتمونـا على قولنـا: إنّ الإلـه واحـد ولـه صـفات من العلم والقـدرة والإرادة والحيـاة والسـمع والبصـر والكلام. وإنّ شـيئاً من هـذه الصفات ليست إلهاً وإنما ذات موصوفة بهذه الصفات، وفارقتم حينئذٍ قول مشائخ4 الأمانة إذ يقولـون: "إن الأب إله واحد، وإنّ الأب أيسوع إله واحد، وإن الروح القدس إلـه ثـالث". وأفسـدتم صـلواكم حيث تقـرأون فيها: "الملائكة يمجدونك وابنك نظيرك في الابتداء وروح القدس مساويك في الكرامة".

---

1 في م: قال.

2 ليست في (م).

3 ليست في (م).

4 في م: المسيح، وهو خطأ.

==

وإن زعمتم أن الجميـع إلـه واحـد وأن واحـداً من الثلاثـة ليس إلهـاً على انفـراده فقـد تـركتم القـول بالتثليث وعبدتم إلهاً واحداً متركباً من ثلاثة أقانيم وهذا ترك لما انطوت عليه الأمانـة في أنّ كـلّ واحـد من الأب والابن والروح القدس [إله مستقل]1 بالألوهية. / (2/25/ب) وهدم لأصـل النصـرانية إذ لا خلاف بينهم أن اللاهوت اتّحد بالناسوت.

وإذا كان الإله عبارة عن الثلاثة الآب والابن والروح، فالأب والـروح مـا اتّحـدا بالناسـوت أصـلاً، وإنمـا اتّحد به الابن الذي هو العلم أو النطق، فإذاً ما اتّحد الإله بل أحد الأقانيم الثلاثة، وذلك على تجرده لا يسمى إلهاً. وفي الأمانة: "إن المسيح إله حـقّ وإنـه أتقن العـوالم بيـد، وخلـق كـلّ شـيء، وأنـه نـزل من السـماء لخلاص الناس". وذلك مما يبطل هذا [الأقنوم] لأن الذي نزل إنما هـو في زعمكم [أقنـوم] الابن، فـإذا كـان الإله هو مجموع الثلاثة بطل أن يكون الابن هو خالق الأشـياء ومتقن العـوالم ومخلص النـاس؛ إذ لا يوصـف بذلك إلاّ الإله الذي هو مجموع الثلاثة القانيم وهي: الأب والابن والروح القدس.

وإن زعموا أنّ كلّ واحد من الثلاثة الأقانيم إله ومجموعها إله واحد، قلنا لهم: أتزعمون أنّ كـلّ واحـد من الثلاثة إله حقيقة أو على سبيل التجوز والتوسع وأن الإله الحقيقي هو مجموع الثلاثة؟.

فإن قالوا بهذا وصرفوه إلى مجرد التسمية دون الحقيقة تركوا القول بالثالوث وأثبتوا / إلهاً واحـداً لـه صفات، ثم سَمُّوا صفاته آلهة تحكماً وتخرصاً بغير توقيف ولا دلالـة، هـدموا قـول الأمانـة: "إن المسـيح إلـه حقّ"، وقالوا: بل هو إله تجوز. وأبطلوا عبادة المسيح حيث يقرأون في صلاتهم: تعالوا نسجد، تعالوا نتضرع للمسيح إلهنا، وردوا قول مشائخ الأمانة إذ يقولون: "المسيح إله حقّ، وإنه أتقن

1 في ص (إلهاً مستقلاً) والصواب ما أثبتّه.

العوالم وخلق كلّ شيء بيده". لأن الذي أتقن العوالم هو الإله بالحقيقة كما لا إله بالتسمية والتجـوز، وهذا الإله الحقيقي لم يتّحد بجسد المسيح بل ما اتّحد به إلاّ [أقنوم] واحد، ويسمَّى إلهاً على سـبيل التجـوز والاستعارة.

وإن زعموا أن كلّ واحد من الثلاثة الأقانيم إله كامل على الحقيقة إذا أفردوا، وأن الجميـع إلـه واحـد على الحقيقة إذا جمعوا، وبهذا القول يقولون فهذا في الدرجة العليا من الفساد والتهـافت؛ وذلـك أَنَّا نقـول لهم: أيجوز خلو الإلـه عن الحيـاة والعلم؟ فـإن جـوَّزوا ذلـك، قيـل لهم: فـإذا لا حاجـة إلى الأقـانيم إذ الإلـه مستغنٍ عنها.

وإن قـالوا: لا بـدَّ للإلـه من أن يكـون حيّـاً عالمـاً، فيقـال لهم: إذا قلتم إنّ كـلّ واحـدٍ / (2/26/أ) من الأقانيم تسعة فيصير التثليث تتسيعا، إذ حياة كلّ واحد من الأقانيم الثلاثة وعلمه [أقنومان] له، ثم كلّ واحد من التسع الأقانيم إله حقيقة وإنما يصير إلهاً حقيقة إذا ثبت وجوده وحياته وعلمه، إذ لا يجوز خلو الإلــه عن الحياة والعلم وحينئذٍ يتسلسل القول إلى إثبات آلهة لا نهاية لها.

فهذا يلزم من يقول:إن كلّ واحد من الأقانيم الثلاثة له حياة وعلم.

وإن قالوا: لا يثبت هذا الوصف إلاّ لواحد منها، امتنع عليهم وصف الثاني والثـالث بالألوهيـة حقيقـة لم تقرر أن الإله يجب أن يكون حيّاً عالماً، وبطل عليهم القول بالثالوث على كلّ الوجوه1.

والله أعلم وأحكم.

1 انظر: نقـد التثليث وإبطالـه في رسـالة الحسـن بن يوسـف. (ر: الجـواب الصـحيح 3/350). وفي: الفصل في الملل والنحل للإمام ابن حزم 1/109-132، وفي الإعلام بما في دين النصارى للإمام القرطـبي ص 55-88)، وفي: (الجـواب الصـحيح للإمـام ابن تيميـة 3/90-115 ومـا بعـدها) وفي النصـيحة الإيمانيـة للمهتدي نصر بن يحيى المتطبب ص 135-143، وفي تحف الأريب للمهتدي عبـد اللـه الترجمـان ص 139-149، وفي (إظهار الحقّ للشيخ رحمة الله، ص 335-350). وغير ذلك.